IJA # 222

قصة جندي

Qissah Jundī

Iraq

pages cannot be separated for imaging صفحات لا يمكن فصلها من أجل تصويرها

تقديم

تشكل المعلومات والاحداث والفعاليات العسكرية التي تناولها رئيس اركان الجيش الاسرائيلي السابق في مذكراته «قصة جندي» لوحة عمل بالغة الخطورة سواء على صعيد اعتماداتها النظرية العامة، ام في مجال الحركة الاستراتيجية . والتي تمثل في كل ترتيباتها الغائبة والحاضرة وحتى أفق المستقبل القريب ، تهديداً جدياً للامن في بعديه الوطني والقومي على حد سواء .

وانطلاقاً من خطورة المعلومات والاحداث التي سجلها رافائيل إيتان على صفحات كتابه ، لكونه كان واحداً من كبار قادة المؤسسة العسكرية للعدو الصهيوني ، فقد بادر جهاز المخابرات الى ترجمة هذه المذكرات ايماناً منه بأن من أولى مسلمات العمل الاساسية هي أن نضع «عقل العدو» في دائرة «المعرفة العلمية» وتحت ضوء المنهج التحليلي الصارم .

مركز البحوث والدراسات

الباب الاول

حرب التحريـــر

الباب الاول
حرب التحريـــر

« اقفـــز ! »

في بعض الاحيان ، تنحت كلمات في الذاكرة ، من خلال اهميتها الحقيقية وترافقك طوال حياتك . وكانت كلمة «اقفز» احدى هذه الكلمات . لقد كانت السرية السابعة التابعة لقيادة البلماح (منظمة سرايا الصاعقة ـ وهي احدى المنظمات التي كانت تعمل في فلسطين قبل اعلان مايسمى بدولة اسرائيل . . . المترجم) ، هي السرية التي انتسب اليها . حيث كنا نقوم باعمال الاستطلاع . وينتسب الى هذه السرية ايضاً الجناح العربي للبلماح ، وكانت تكلف كذلك ببعض الواجبات الاستخبارية الخاصة ، مثل تهيئة شواطىء الامان للذين يدخلون البلاد بصورة غير شرعية ، ومهمات اخرى . لقد بدأ فصيلنا بالانتظام سنة ١٩٤٦ في كفعت هشلوشا ، ثم انتقل الى مشماروت .

ومكث الفصيل في كفعت هشلوشا مايقارب اربعة اشهر . حيث مرت بنا ايام روتينية ـ كما هو معروف في ذات الاطار الذي يضم التدريبات والعمل . وفي البداية لم يكن ذلك بمثابة الهيئة المنظمة التي بلغت اطار الاعداد . فقد تجمع بعض الرجال بشكل منعزل . كان هناك من له قصب السبق في هذا المجال . ثم لحق بهم القسم الاخر . غير ان الاوائل كانوا يتمتعون بالامتيازات . فهم يعدون المخضرمين . وقد انضممت الى الفصيل خلال منتصف فترة التنظيم تقريباً ، لذلك تلقيت اول فرحة . فقد قال لي احد افراد الفصيل ، الذي يعد من «المخضرمين» لانضمامه الى الفصيل قبل اسبوع مني ، بتعابير تطغى عليها الاهمية ، انه تم تكليفه بواجب خاص في المساء وعلي ان احل محله في المطبخ . وقد ذهب الى واجبه الخاص ـ سينما بتاح تكفا ـ ، وبقيت في المطبخ .

ويعد العمل في المطبخ عقوبة صعبة للغاية من بين جميع العقوبات المحتملة خلال تلك الفترة . كان الطعام سيئاً . والظروف قاسية . والضجر يبعث الكآبة .

ولكن في تلك الليلة بالذات ، لم استطع التذمر من الضجر ، حيث اخذت اقطع البصل على شكل حلقات . ووقفت امامي احدى الشابات من المهاجرات الجدد ، التي تكبرني بعدة سنوات ، وهي تقشر البطاطا ثم ترميها بحركة سريعة داخل قدر ضخم موجود قربي . وبعد مرور عدة دقائق اصبحنا غارقين من القدم وحتى الرأس . وكان سبب ذلك البطاطا والبصل . اذ كانت ترش عليّ الماء ، وكنت اقطع البصل قرب اعينها . وراح الماء يسيل مني ، وهي اخذت تذرف الدموع بسبب البصل . وبدأ

الموضوع مريحاً لكلانا ومثلما تتم تسوية العديد من الحالات دون حاجة للكلمات والاتفاقات ، فقد كفت عن رمي البطاطا المقشرة داخل الماء ، وقمت بابعاد البصل عن عيونها الدامعة .

لقد كان البلماح بمثابة فكرة عظيمة ، اذ اخذنا نعيل انفسنا من عرق جبيننا ونتدرب بوصفنا جنوداً . ولن الحق ضرراً باهمية الفكرة فيما اذا ساتحدث عن جملة اعمال المستوطنة التي لانرغب بها . فقد كنت ذا خبرة ، لكوني احد اعضاء موشاف (مستوطنة تعاونية . . . المترجم) تل عدا شيم ، ومحنك في مجال الاحصنة . لذلك خصص لي عمل محترم . وتم سرج «ليلقا» ، وهي فرس عجوز ، الى احدى العربات المحطمة . ولم يكن واضحاً فيما اذا ستنفق الفرس قبل تفريغ العربة ام ستبقى حية . لكن في غضون ذلك اصبحنا ثلاثتنا (انا والعربة والفرس) كعمال لنقل قمامة المستوطنة . وكانت ترمى عبر مجرى خرساني يخرج من غرفة الطعام والمطبخ كميات من القمامة . وكانت توجد بوابة في نهاية المجرى تحول دون تدفق القمامة . كنت اقف طوال الصباح قرب هذه البوابة ، لأحمل القمامة في العربة وانقلها الى مكان تجميعها . واقوم بجمع القمامة بواسطة مجرفة . وبالواسطة ذاتها كنت افرغها من العربة . وتحول الطريق المار من المجرى الخرساني الى خارج المستوطنة الى قمم من اكوام القمامة . وكان يفصل بيني وبين تلك القمامة كيس ممزق او منصة ضيقة . هذا ماكان يحدث . ولم اكن اردد الاغاني خلال عملي . فمن الصعوبة الغناء بمنخرين مسدودين جراء الروائح الكريهة . كنت اقوم بنقل القمامة لمدة نصف يوم . في حين كنت اسعى طيلة النصف الآخر من النهار للتخلص من الروائح التي التصقت بكل سنتيمتر مربع من جسمي . بعد كل ذلك ، كان يوجد عندي العديد من المباهج في حياتي . ولم تكن جميعها لطيفة . الا انني لم امر بمثل هذا الاحساس النتن ثانية .

ولم تكن تجاربنا الاخرى مختلفة عن المألوف في البلماح . وقد تم ضمان قيام هذه الهيئة (اي البلماح) عن طريق الاختلاس . فلم يكن لهذا الجهاز الوسائل اللازمة لسد كل المتطلبات . وكنا نجهز انفسنا بالجوراب من جميعة الشباب الكائنة في المستوطنة ، والحاجات الغذائية من مخزن الاطفال . وفي الليل كنا نحرس قرب مخازن التبريد الكائنة غرب حصن انتيبتروس . وكنا نعد لنامن الحاجيات التي نضعها وجبات ليلية دسمة ، كتعويض عادل عن الوجبات الصغيرة التي نجبر على تناولها في غرفة الطعام . ترى كيف خرج من هناك رجال اصحاء ونشطاء وذو قدرة رغم تنالوهم تلك الوجبات القليلة ، لااملك الاجابة على ذلك . وبامكان العلماء ان يجدوا هنا مجالاً واسعاً لابحاثهم .

لقد كانت التدريبات صعبة ويجري تنفيذها ، غير مرة ، في ظروف قاسية . ولايتم

بغية قضم اشكال البلماح او للمساس بالاساطير التي تتداول منذ ذلك الحين وحتى الآن حول النظرة العجيبة للاشخاص ، وانما من اجل ان نؤمن بالواقع فقط ـ ولاينتابني اذى شك ، في ان هذه الامور تثير المبتدئين في جيش الدفاع الاسرائيلي في الوقت الحاضر ، مثلما اثارتنا في البلماح ـ واطلق الجمهور صرخة مدوية . وانقسم الفصيل في احد التمارين الى قسمين . حيث كان يتوجب علينا نقل مذكرة صغيرة من مكان الى آخر ، بينما كان ينبغي على افراد المجوعة الثانية من الفصيل الحيلولة دون قيامنا بذلك . وتم القاء القبض على احد الشبان من مجموعتنا الا انه اصر على عدم ذكر المكان الذي خبأت فيه المذكرة . وقاموا بفتح فمه بالقوة وملئه بكمية كبيرة من الرمل . ولم يستطع التحدث والتنفس بعد ذلك ايضاً . وقبيل فقده الوعي ، اشار من خلال تحريك يده تحريكاً متثاقلاً الى مكان المذكرة ، وانقذ حياته .

كانت النظرة الى الاشخاص قاسية وصعبة . اذ يعتبر اي شكل من اشكال الدلال ضعفاً لايغتفر . كما يعد اي فشل نكراناً للجميل وتعبيراً عن فقدان الرجولة . ولم نتقبل هذه الامور بنية حسنة وتسامح حسب ، وانما بحماس كبير جداً . وكل ذلك ، لاننا رغبنا ان نكون جديرين بحمل صفة احد اعضاء البلماح (سرايا الصاعقة) . لقد عملنا وتدربنا كثيراً . ولم ننم سوى فترات قصيرة . ان الاشياء التي لم تقدم لنا ـ لم نطالب بها ـ حيث سعينا للحصول عليها بقوانا الذاتية . وقد كانت تلك بمثابة فترة ضعف .

ولم يكن فراق كفعت هشلوشا يخلو من الحزن . فاللقاء الاول مع جماعة مشماروت لم يكن مفرحاً . فقد قاموا بارسال اربعة شباب بالاضافة لي ، وذلك للبحث عن مشماروت . وفي الطريق ، وصلنا الى مسلخ ما . واخذنا نحتجز جميع حراسة . هذا مجرد ما قمنا به ، انه تدريب على اصطياد افراد العدو .

وسكنا في الخيم في مشماروت ، التي جلبت الى هناك قبلنا ، «كرواد» . وفي الغداة وصل الفصيل . وتحدث معنا في المساء ذاته شخص كبير في السن ، يرتدي ملابس عمل زرقاء . كان مختلفاً عن اي شخص في المستوطنة . ويصعب علي ان اصفه بشيء ما . قال لنا عبارات جميلة حول آداب العمل : تبتدأون كل صباح في تمام الساعة الرابعة ، الا انه لم يذكر ماذا نعمل . ومافاته اكملة لنا نائبه حيث قال : «تتجمعون كل صباح قرب المتبن ، عند الزاوية . ومن لايكون جاهزاً في ارتداء ملابس العمل ـ تكون قد دنت نهايته» .

وهاهي الليلة الاولى في مشماروت ، حيث كان نومنا قلقاً . اذ سيكون النهوض في الساعة الرابعة قرب المتبن . واستعرضنايوسكا ، وهو الشخص الذي تحدث معنا بالامس ، بنظرة صارمة ، ثم فتح باباً صغيراً كان موجوداً في جدار المتبن . سنسير تباعاً

الى الداخل ، ونتوجه الى داخل البستان ، ثم ننزل الى موقع عسكري ضخم ، تنتصب بداخله بناية كبيرة الحجم . دخلنا الى الداخل . حيث دهشنا من ماهو موجود حولنا . فقد كان يوجد هناك اعداد من المكائن والاجهزة وهي معدة للعمل .

وبدد يوسكا شكوكنا حيث قال : انه مصنع سري تابع للهاغانا لانتاج الرمانات اليدوية . فالمهمة الملقاة على عاتقنا تتحدد بسبك ابدان الرمانات وانتاج قسم من الاجزاء الداخلية لرمانة «ميلس» . وكانت الرمانة القياسية حتى ذلك الوقت للهاغانا هي الرمانة البولونية ورمانة الاحتكاك . وكانت تعد رمانة «ميلس» رمانة حديثة ـ بدىء هناك ، في المصنع السري الكائن في مشماروت ، بانتاجها .

وعملنا عملاً قاسياً . ودفعنا ذاتياً وبحافز داخلي ، اكثر مما طلبوا منا العمل بتفانٍ ، لانتاج المزيد من الرمانات اليدوية . وكان يسودنا احساس عميق بعظم المهمة . وكنا نعتقد انه سيكون هناك من هو بحاجة الى هذه الرمانات ، لذلك قمنا بانتاجها بتفانٍ كبير .

ووفقاً لانظمة العمل كنا نعمل لمدة يومين ، كي يكون بالامكان سبك ابدان الرمانات اليدوية في اليوم الثالث . تلك الاعمال اشبه بالاعمال الشاقة التي ينعدم بها حساب الساعات . وجاء الينا يوسكا في احد الايام وبشرنا بقوله «سيحضر بعد غد احد المهندسين ليفحص اعمال السباكة . اذن ، ليس لدينا سوى يوم واحد ، لتحضير يوم السبك في الغد ، بدل ان يتم ذلك خلال يومين كما هو مألوف . ارجو ان تشمروا عن سواعدكم» .

وقد كان ذلك . اذ قمنا بتنظيف الافران . واصلحنا القوالب . انها فرحة الانتاج . لقد عشنا مع الساعات في عالمين منفصلين وبجفاء تام احدهما عن الآخر . وباشرنا العمل في الرابعة صباحاً ، وانتهينا عند منصف الليل . وبعد مرور عشرين ساعة عمل ، كان كل شيء جاهزاً للسباكة . وانتجنا في يوم السبك الاعتيادي الآلاف من الرمانات . ولو كانت هناك ضرورة ما ، لعملنا حتى الصباح . ان الاحساس بالهدف طرد منا الشعور بالتعب .

لقد كان ذلك الوقت المناسب ليوسكا ، حيث وقف امامنا ثانية بذات التعابير الهادئة ورباطة الجأش ، واعلن قائلاً : «لقد الغيت الزيارة ، ولم يحضر المهندس . بيد انني اعتبركم بمثابة سحرة . اذ فعلتم ذلك في يوم واحد . فلماذا لاتواصلون على هذا النحو ؟ يوم تحضير ، وآخر للسبك ؟» .

واثبتت هتافات فرحتنا ، انه لاحاجة للتوسل بنا . حيث تم تخصيص ثلاثة ايام لاعداد الاجهزة ، وثلاثة اخرى لسبك ابدان الرمانات . وبلورت حدة الانتاج ، ذلك

الفصيل . وتوثقت العلاقات مع المستوطنة . وهانحن نلتقي حتى هذا اليوم ، مرة في السنة خلال شهر تشرين الثاني في مشماروت . وكان آمر فصيلنا ، آمراً لايوجد نظيره ، حيث كنا نسميه (بوزا) . وكان حاييم بوزنينسكي يخرجنا خلال ساعات الليل ، المخصصة للراحة والاستلقاء ، للتدريب على الملاحة ومهنة الميدان الليلية ، تعلمنا كيفية مواجهة الليل والاصوات الغامضة . وسرنا بين القرى العربية دون ان نترك اثاراً لنا . وحينما كانت هناك ضرورة لاصلاح الافران في مصنعنا ، منحنا اجازة تمثلت باجراء تدريبات شاقة ومسيرات قاسية الى متسادا ، واعمال استطلاع وتهيئة شواطىء الامان للقادمين الى البلاد بصورة غير شرعية . وكانت تلك بمثابة «اجازتنا الفصلية» .

وخرجنا في احدى «الاجازات» باول عملية عسكرية . اذ سافرنا نحو الشمال ، وترجلنا من الحافلة في رأس الناقورة ، ثم ذهبنا سيراً على الاقدام عبر وادي كركرا الي ايلون . وزلت قدم آمر الفصيل اثناء السير ، واصيب بجرح في مخذه حيث اضطر للانسحاب . وبقينا مع آمر الحضيرة ـ ثلاث بنات وسبعة رجال ـ واسلحتنا معنا وهي : مسدس (بي . بي) واحد محفوظ في علبة جديدة ، ومغلف بورق السيلوفان و . . . . رمانة يدوية واحدة كانت تحت تصرفي .

وكانت مهمتنا تتحدد بالتقاط صور وجلب معلومات حول احدى القرى العربية في الجليل وحول طرق التقرب اليها . وخرجنا في الصباح من ايلون ، حيث نزلنا في وادي كورن ثم توجهنا الى مونفور وتناولنا وجبة الافطار ، ورجعنا الى الوادي ، بعدها توجهنا نحو الشرق . وسرت انا ونوني باتجاه الامام بوصفنا كشافين . ورحنا نبحث عن طريق لتفادي مياه الوادي خلال وضع يصعب التحدث فيه . كما كنا لانتبادل الرؤيا مع بقية افراد الحضيرة الذين كانوا في اسفل سفح الجبل .

وفجأة سمعنا صرخات تنادي : «رفول ، نوني ، انتظرا ولا تتقدما !» . توقفنا ، وانتظرنا اوامر اخرى . وتقرب نحونا احد الاشخاص العرب . وهو مسلح ببندقية انكليزية . اذ حثنا على الانضمام الى بقية افراد الحضيرة . وانتابنا وضع من الارتباك . ورحنا نتقدم بخطوات بطيئة صوب رفاقنا الموجودين في الوادي . وكان هناك عربي آخر يقوم بجمع بقية افراد الحضيرة ، وهو ايضاً مسلح ببندقية انكليزية ، ويقف تحت احدى الاشجار على ضفة النهر . وامرنا العربيان بوضع الجعب على الارض . وقال احدهما «لن نمسكم بأي سوء . سنقوم بتفتيش جعبكم فقط» . واخذنا نتهامس مع آمر الحضيرة . ففي وقت كهذا نتوقع منه ان يخلصنا . والجميع ينفذ مايأمر به . وجذبت الانتباه السترة المحاكة ذات اللون البني والتي يرتديها احد الشخصين العربيين ، وهي البزة التي سادت حينذاك في البلماح . ورحت افكر مع نفسي وانا اتسأل : كيف وصلت هذه السترة الى ايدي هذا العربي ؟ .

وقام العرب بفصل الرجال عن النساء . وامتثلنا للاوامر في هذه المرحلة . وتم تدبير خطة ، قرب آذان العرب المتيقظة ، بواسطة الاشارات اليدوية وبالكلمات التي لاتلبي الاغراض المقصودة . وقام افراد الحضيرة باخفاء آمر الحضيرة الذي يقف خلفهم . حيث توارى عن نظر «الاشخاص الذين قاموا باسرنا» ، وبدأ يخرج المسدس من حافظته . وكان اوائل الواقفين امام العرب هم : نوني ودوف كرايتسر (طاب ذكراه)وانا . وتتحدد الخطة ، انه في اللحظة التي يصدر بها آمر الحضيرة امر «اقفز !» ، ننقض نحن الثلاثة على العربي القريب منا . اما آمر الحضيرة كيورا ، فانه يطلق النار على العربي البعيد . وفي الوقت ذاته يقفز بقية افراد الحضيرة الى الخلف ويلتصقون بشجرة التوت التي غطت من خلفنا جداراً صخرياً قائماً .

وسلم احد العربيين للآخر بندقيته ، واقترب من الجعب وراح يتفحصها . وبدد امر «اقفز !» الصمت السائد حينذاك . وارتمينا ثلاثتنا على العربي القريب منا ، واخذنا بتمريغه في مياه الوادي الضحلة ، ثم انتظرنا طلقة كيورا النارية . بيد انه لم تكن هناك اية اطلاقة . حيث سمعنا ضربة الطارق في المسدس ، وضربة اخرى ثالثة . ولم يطلق المسدس اية اطلاقة . وراح كيورا يضغط على الزناد بشدة ، دون حدوث اي شيء يذكر . ولم يغرق العربي الذي انقضضنا عليه ومرغنا وجهه في المياه التي يبلغ عمقها حوالي العشرة سنتيمترات . وقام احدنا بفتح فمه لادخال المياه في جوفه . غير ان العربي اطبق فمه بقوة .

وبدت جميع تلك الاحداث التي استغرقت عدة ثوانٍ وكأنها دهر . أفاق العربي الثاني سريعاً ، من دهشته وراح يضغط على زناد احدى البندقيتين اللتين كانتابيده ، حيث انهال الرصاص علينا بسرعة . واصبح مصيرنا خاضعاً نسبياً للقوى . فهناك بندقيتان انكليزيتان تطلق النار علينا في مقابل مسدس صامت ، انها معركة خاسرة . وبوسعي حتى هذا اليوم الوقوف لتذكر ماحدث بالضبط : فقد كان هناك شخص عربي كبير السن يصوب البندقية نحونا ويطلق علينا النار من بعد متر او متر ونصف ، ولايصيب احداً منا . حيث استنفذ الاطلاقات العشر من احدى البندقيتين ، وولى هارباً . ثم اختفى وراء صخرة تبعد مسافة ٣٠ ـ ٤٠ متراً عنا . وهاهو الان يطلق النار علينا من البندقية الثانية . والرصاص يلعلع دون ان يمسنا .

وقال لي كيورا آمر الحضيرة «اقذف الرمانة اليدوية عليه !» . وكان عندي رمانة يدوية واحدة . وكنت مخفيها تحت القميص . انها رمانة قديمة ورطبة ، ورفعت مسمار الامان ، والقيت نظرة صوب العربي المختفي ، ثم رميتها وكانت اصابة جيدة . ومرت ثانية وثانيتان وثلاث ، دون شيء يذكر . ان الرمانة اليدوية القديمة والرطبة لاتنفجر دائماً . واستمر العربي باطلاق النار .

وعدت الى العربي الموجود ، حيث كان افراد الحضيرة يجلسون قربه . واخذنا نفتش في جيوبه . وكانت صفقة رابحة اشتملت على مسدس من نوع «بربلوم» مخفي وراء ظهره وحافظة نقود مع بعض النقود بداخلها وساعة يدوية . واخذ دوف كرايتسر (طاب ذاكره) يطلق النار بمسدس «بربلوم» صوب العربي المختفي وراء الصخرة . وقرر العربي ، ان المعركة قد انتهت في تلك المرحلة . حيث نهض وتوارى عن الانظار . في ذلك الوقت اخذنا نقسم الغنائم . وكانت حافظة النقود تحتوي على اثنتين واربعين ليرة . وقرشين آخرين . ومن غير الممكن تقسيم القرشين . واردنا رميها في الوادي . ثم اخذ آمر الحضيرة ينادي علينا قائلاً : «ترمون النقود في الماء ؟» حسناً ، لاتفعلون ذلك . وقد تخدشت اجسام افراد الحضيرة وسالت دمائهم من اشواك شجرة التوت ، ومع ذلك قررنا مواصلة مهمتنا .

وعدنا انا ونوني لممارسة مهام الكشاف . حيث كان افراد الحضيرة خلفنا . تقدمنا مسافة قصيرة جداً ، واذا بنار تنفتح صوبنا من الامام . لقد استأنف العربي الذي هرب مع بندقيته ، الحرب ضدنا . بيد اننا لم نرغب بمواصلتها . وازداد الوضع خطورة . اذ يوجد خلفنا في الوادي عربي مطروح ارضاً وقد فارق الحياة وهو الشخص الذي اغرقناه في مياه الوادي . وامامنا عربي مسلح . عليه ، رجعنا الى ايلون . اعدنا تنظيمنا وتوجهنا الى مشماروت . هناك اتضح لنا ، انه قبل اسبوعين من ذلك تمت سرقة احد فصائل البلماح ، ولم يكن السراق سوى العربيين اللذين قاما بمهاجمتنا .

وتعد الساعة التي تم اخذها من يد العربي الذي اغرق في الوادي ، قصة بحد ذاتها ، اذ ان صاحبها الشرعي هو كاندي (وهو العميد رحفعام زئيفي حالياً) . وحينما ذاع خبر الغنائم في صفوف البلماح ، هب كاندي مطالباً بساعته اليدوية . ورد عليه آمر فصلينا قائلاً : «السارق والمسروق ليس لهما اي شيء» . ولم يكن التنازل في تلك الايام ، سهلاً عنه ثروة ثمينة كالساعة . ولم يكن لاثنين من رفاقنا في الفصيل ، ساعة . حيث ليس لهما الامكانية لشراء ساعة وهما : احدى الرفيقات وانا . واخذنا ـ أنا ورفيقتي ـ نتناوب حمل الساعة اليدوية بيننا لمدة شهر لكل واحد منا . حيث هي تحملها لمدة شهر ، واحملها (الساعة) انا خلال الشهر الآخر . الى ان تزوجت . اذ قدم الفصيل لها خلال حفلة الزواج ، ساعة يدوية كهدية زواج .

ومرت الاعوام . وخضنا الحروب وانتصرنا . لقد حدثت معارك عظيمة باسلحة متطورة وعديدة . وبقيت احتفظ في احدى زوايا قلبي بهذه القصة البسيطة حول اولى المعارك مع السراق العرب . وفي احدى الامسيات ، وعندما كنت اشغل منصب قائد المنطقة الشمالية ، اتصل بي هاتفياً احد الرفاق القدامى من وحدتي في البلماح ، الذي

اشترك معي في ذلك الحادث مع السراق العرب ، وهو ينبأني بصوت هادىء قائلاً : «ان المسدس نوع (بربلوم) الذي اخذناه من ذلك العربي في الوادي كغنائم ، تم اكتشافه في ايلون» . واضاف ذلك الرفيق قائلاً ، انه شاهد قائد المنطقة وهو يعنى باهتمام خاص بمسدس «بربلوم» قديم . فاثار فضوله ، ولم يترك قائد المنطقة حتى تحدث له عن قصة الحادث والغنائم .

وكان سائقي في ذلك الوقت ، ويدعى يغئال ، احد اعضاء ، احد اعضاء مستوطنة ايلون الجماعية . استدعيته وقلت له «اذهب الى بيتك وخذ معلك هذه الرسالة الى قائد المنطقة ، فانا اريد الحصول على مسدسنا . واذا لم تجلب معلك المسدس ـ قل له ، انني ساضعك في السجن . فانت تعد رهينتنا» .

ضحك يغئال وتوجه الى ايلون ثم عاد ومعه الاتفاق الآتي الذي جاء فيه «احضر انت ، يارفول ، الى ايلون ، واسرد لاعضاء المستوطنة قصة المسدس الكاملة . واجلب معك بندقية جديدة من طراز «غاليل» للمستوطنة ، ثم تعود الى بيتك ومعك المسدس «بربلوم القديم» . جئت الى ايلون . وحكيت القصة ، وسلمت بندقية غاليل ، واخذت مسدس (بربلوم) القديم .

لقد تعلمنا في البلماح كيف يجب معرفة ارض اسرائيل من خلال المسيرات الراجلة . ولايوجد بديل لهذا الاسلوب . فالمكان الذي تسير عليه وتطأه قدماك وتتحسس بصلة الارض برجليك ، يتحد بهذا الجمع الكبير الذي يطلق عليه اسم ارض اسرائيل . وكانت المسيرات شاقة ، بل قد يكون هذا التعبير ابسط تعبير لها . اذ يحتاج الشاب الى قوة الارادة لكي يتغلب على المشاكل . ان السير على الاقدام ، كان يعني ، ان اية عجلة لاترافقك لحمل امتعتك ومعداتك . فكل شيء يحمل على الظهر ، جميع الحاجيات الشخصية وكل الملحقات العسكرية على مستوى السرايا وجميع علب اللحوم والبطاطا والبيض المسلوق والبندورة والبصل . واي شخص لايتذمر من ذلك .

واستغرقت مسيرتنا الاولى لمدة اسبوعين تقريب . حيث خرجنا من كورنوف التي يطلق عليها في الوقت الحاضر مماشيت ، وواصلنا سيرنا عبر ناحال تسين ، وسادوم ومتسادا وحتى عين جدي .

الان . وقد اصبحنا ذوي خبرة ، تم تعيين بعض منا ككشافين لسرية اخرى ، وكان آمر فصلينا كبير الكشافين وقائد المسيرة .

وسرنا في هذه المرة بصورة معكوسة من بيت ـ هعرفا الى كورنوف . وفي منتصف يوم من المسير وقبل وصولنا لعين جدي ، بدأت المشاكل ، حيث ساد المنطقة حر شديد . وينبغي ان يحالفنا في مسيرة كهذه قليل من الحظ . وتعد المسيرة قاسية ، عندما يكون

هناك حر شديد ، كما هو مألوف في منطقة البحر الميت . وكان الحر في هذه المرة بذروته . ويكاد ان يكون من المستحيل مواجهة هذا الحر . نفذت المياه ، وبدأ الرجال يشعرون بالاغماء . فاي بأس واية قوة ارادة ومثابرة ، لاتعد الضمانة لمواجهة الاغماء في مثل هذا الحر وعدم وجود المياه . وتم التوقف عن المسير . وتم فرش البطانيات للحصول على نسبة قليلة من الظل . ومن كان في حالة خطيرة اجرى التقطير على شفتيه عدة قطرات من الماء ، من الكمية القليلة المتبقية منه . ولم افهم من اين استمدت الممرضة حنا تلك القوة ، اذ كانت تندفع من مغمى عليه الى الآخر وهي تصب قطرات الليمون داخل فمهم .

لكن . لم يكن ممكنا مواصلة المسيرة . وركض القائد «بوزا» ومعه ثلاثة او اربعة من افراد فصيلنا الى عين جدي للاسراع في جلب المياه من الينابيع .

ووصلنا الى الينابيع ونحن على قيد الحياة ، ورغبنا بالانقضاض على المياه والارتواء منها ، غير ان ثلاثة اشخاص من البدو المسلحين ببنادق المانية وقفوا امامنا . هناك تهديد ما في مظهرهم ، حتى قبل ان نعرف فيمااذا هم ينوون الحاق الاذى بنا . وامسكت بقوة بالسكين التي كانت في جيبي . وهي لاتساوي شيا إزاء ثلاث بنادق ، بيد انها تُعد شيئا كبيرا عندما لايكون هناك شيئ سواها .

وبدأ «بوزا» بالتحدث مع البدو . وكانت لغته العربية سلسة . وامرنا «بوازا» بشرب الماء ببطء وعدم اظهار التحمس لذلك ، لانه في حالة ادراك البدو ظمأنا الرهيب ، يعلمون بضعفنا وهذا يعد امرا مغريا لمهاجمتنا والتغلب علينا بسهولة . ورحنا نشرب الماء بحذر من القدح ، و «بوزا» يطيب خاطر البدو وهو يحكي لهم النكات . وهاهم يضحكون وبدأ الجميع الموجودون هنا ، يضحكون وهاقد مرت مظاهر التعنت بارتياح ورضا وزال التوتر ولكن حتى ذلك الحين لم اتجرأ على التكهن بما سيحدث في نهاية هذا اللقاء العرضي ، حيث لم اكن مؤمنا بعدم حدوث شيئ ، فقد ذهب البدو وجلبوا قربا كبيرة وملؤها بالماء ووضعوها على ظهر حميرهم ونقلوها الى اعضاء البلماح المغمى عليهم والمذهولين الى مسافة عدة كيلو مترات من هناك .

وقام البدو بارجاعنا الى عين جدي فقد جندوا انفسهم للبلماح تقريبا . وقد جلسوا معنا حول المحرقة وابدوا ارتياحهم لاناشيدنا وكانت الممرضة حنا يافيه الوحيدة منا ، ذات حظ سيئ ، لدغتها افعى من يدها . وقدم «بوزا» الاسعافات الاولية لها ، اذ وسع منطقة اللدغة بواسطة شفرة حلاقة وراح يمص دمها ، واضطر البدو ثانية الى تقديم المساعدة وذلك بحملها على احد الحمير ونقلوها بسرعة الى رمات ـ راحيل . وتم انقاذ حياة حنا يافيه ، ربما بفضل البدو . ولزيادة الامان ، تم ارسال ثلاثة عداءين الى بيت هعرفا لطلب كشاف ، لكن ذلك كان متأخرا جدا .

وكانت هناك مفاجأة «لطيفة» جدا بانتظارنا في عين بوكل (كانت تسمى حينذاك ام بارك) الكائنة جنوب عين جدي تمثلت بالمستودع العجيب للاحذية الرياضية والاحذية الاخرى والسراويل والجعب والعديد من المعلبات التي يسيل لها اللعاب . ولم يكن كل ذلك خاصا باحدى وحداث البلماح ، ولم يكن لنا اي شك في ذلك . وجمعنا هذه الاشياء بحماس . واتضح لنا بعد ذلك ان احدى الوحدات التابعة لسلاح الميدان الخاص بالها غانا التي تقوم بمسيرة راجلة تمر بضائقة صعبة من نقص المياه . حيث قام الاشخاص بشرب ماء البحر وفقدوا الوعي وقد ارسلوا مبعوثين الى سادوم وتم انقاذهم بعد معاناه كبيرة .

وتحب الصحراء دوما ان تسخر من الاشخاص . حيث تجعل الارض امام اعينهم وكانها قفراء . وتحجب عن انظارهم المياه ، وعلقنا كل امالنا على المياه ، التي كانت توجد في ناحال تساليم . وكانت جميع احواض المياه جافة . وقال لي آمر فصيلنا «انت تعد يارفول رجل ميدان ، وستجد مانبغيه ، اذهب واحضر لنا الماء» . غادرت متسادا باتجاه الغرب نحو وادي سابا . جلست في الوادي ورحت افكر كيف ساجد الماء في هذه الارض الجافة . وفجأة مر أمامي دبور . وببساطة إنه دبور . حيث تذكرت ، عندما كنا أطفالاً في القرية ، فقد كنا نشن حرب ، ابادة ضد الدبابير . فهي كانت تسبب اضرارا للمحاصيل ولخلايا النحل ، وكان يوجد عندنا اتفاق مع احد مزارعي القرية ويرعى إنجل العجوز (من تل عداشيم) الذي كان يدفع لنا مليما واحداً (جزء من الألف من الليرة الواحدة في عهد الانتداب) عن كل دبور ، سواء كان حيا اوميتا الذي كنا نسلمه له . اذن لم تسد علاقات حسنة بين الدبابير وبيننا . نجمع ملاليم انجل العجوز بلهفة ولم تكن لنا قوة على الدبابير .

بيد ان هذا الدبور ، الذي ظهر الان امام عيني في ناحال سابا ، كان بعيدا عن تل عداشيم وعن نمط حياة تلك الفترة ولم يكن من الممكن قتله لكي يدفع شخص ما ثمنه . وقد كان يخيل لي ، ان هذا الدبور بالذات يبحث عن سبل للتحدث معي وكأنه يقول لي : اتبعني . وسأكشف لك عن مصدر للماء .

جريت وراءه ولم يخيب املي . حيث نزل على شريط من الارض الرطبة ، وانا خلفه . لقد كان ذلك حوض ماء بيد انني حفرت حفرة بالضبط في المكان الذي حددة لي الدبور . ووجدت الماء . وفي الواقع ، لم يكن هناك مزيد من الماء ، اذ ظهرت كمية قلية وكانت قذرة ، ولكن من الذي يحصل على هذه الكمية من المياه في الصحراء ؟ وشرب الرفاق وارتووا من هذه الكمية القليلة . وبينما نحن نتوجه بالثناء الى الله عن صداقتنا مع الدبور ، فتحت ابواب السماء وراحت امطار غزيرة تهطل على الارض اليابسة ولم يتوقف الى ان وصلنا الى سادوم .

لقد قمنا ببعض الاعمال ، وتلقينا التدريبات وحدثت لنا بعض الحوادث الصغيرة مع العرب . وقد اجتزت دورة على الرادارات في منتصف عام ١٩٤٧ . والقي على عاتقي في اعقاب الدورة ، مهمة تنظيم فصيل حيث كان جميع افراده ، باستثناء شخص واحد ، من المهاجرين الجدد . كانت القاعدة في منطقة كفعت ـ عيدا ، ضمن بناية المدرسة . استلمنا بعض الاسلحة والتي لم تكف سوى لحضيرة واحدة في الفصيل . وسعيت جاهداً الى تدريب الرجال واعدادهم لملاقاة الاختبار الكبير الذي سيقام قريبا وعلمت باننا سنواجه في هذا الاختبار الحاسم مشكلة قله السلاح حيث سنضطر نتيجة لهذا النقص الى التحلي بمزيد من الارادة والالتزام والتضحية وبلغتنا هناك ، في كفعت ـ عيدا ، بشرى صدور قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٧ . ثم بدأت حرب تحريرنا .

طفولة بائسة وسعيدة

كنت معتادا على العوز منذ طفولتي ويمكن اعتبار طفولتي في المصطلحات الحالية بانها كانت تعيسة ولم تكن طفولتي تعيسة بالنسبة لي حسب . فقد كنا فقراء جدا ولم نعرف ذلك وكبرنا في ظروف من الضائقة والعوز ، ولم نعرف ان الآخرين يحيون حياة مختلفة عن حياتنا . وكان العوز والضيق والفقر في نظرنا هي بمثابة شروط الحياة الاعتيادية ولم نعرف نمطا حياتنا مختلفا عن النمط الذي نعيشه ولم نبد اي ميل للمحاكاة .

ولدت في مستوطنة تل ـ عداشيم . وكان تاريخ ولادتي موضع خلاف ، الى ان قرر والدي ومختار القرية اعتباره الحادي عشر من كانون الثاني عام ١٩٢٩ . لقد رايت نور الحياة لان والدي كانا فقراء الى هذا الحد . فعلا لقد كانا فقرين جدا وسبقني في بيت والدي اربعة اولاد ، حيث لم يتمكن ابي تلبية جميع احتياجاتهم . في هذه الحالة ، قرر والدي منعي من تحسس حالة الفقر والعجوز ، ووضع حد لي وانا جنين في بطن امي . ولو كان عوزنا مدقعاً جدا لما تمكن والدي من الحصول على الليرتين اللتين هما اجرة الطبيب . وبعد ان بذل والدي جهودا كبيرة تمكن من الحصول على ليرة وعشرين قرشا . ولم تلق مناشدات والدي للطبيب ، بان يقوم بتنفيذ عملية الاسقاط وفي وقت لاحق يحصل على الثمانين قرشا المتبقية ، اذناً صاغية من قبل الطبيب ان عدم وجود دين ، ادى الى ولادة انسان . وهكذا اصبحت العائلة التي تعاني من الضائقة تضم خمسة اطفال . وكان والداي منشرحين في تلك الايام ، فهما كانا يعتقدان «ان هذا الانسان كان يساوي ليرتين ؟» .

pages cannot be separated for imaging صفحات لا يمكن فصلها من أجل تصويرها

الظروف الصعبة لاتلغي الرغبة في التعليم ، بل لاتحول دون تحقيق المنجزات . وكانت مدرستنا القروية مقسمة بين ثلاثة ابنية هي : الحدائق الصغيرة التي استخدمت حتى في زمن اليشوف القديم (اليشوف تسمية تطلق على التجمع اليهودي في فلسطين المحتلة قبل اقامة ما يسمى بدولة اسرائيل . . . . المترجم) ، ومبنى المدرسة الذي بناه اخواي الكبيران مع بقية اعضاء المستوطنة في العشرينات والبيت الشعبي الذي هو عبارة عن كوخ قديم وبال حيث يستخدم جزء منه كمدرسة والجزء الآخر كمكتبة للقرية ، والجزء الثالث كسكرتارية للقرية . ويتلألأ على سطح البيت الشعبي مانع للصواعق على هيئة ديك معدني وذلك للسيطرة على الصواعق وتفريغ شحناتها الى الارض .

وكنا ننتقل من بناية الى اخرى على اساس «المساواة في العوز والضيق» . وكانت افضل بناية من بين تلك البنايات هي بناية المدرسة حيث كانت بطابقين . ولكن من اجل المحافظة على العدل ، كان يدرس كل صف في الحدائق الصغيرة وفي البيت الشعبي ايضا وضمن اصعب الظروف .

ولم تنتصب اهمية التعليم في القرية في مقدمة سلم الافضليات . ان ضرورة ممارسة العمل الشاق قد اربكت التعليم وجعلته ، في وقت من الاوقات ، اقل قيمة . وكان الشباب (من كلا الجنسين) يحظون بالاحترام وبالمكانة حسب مقاييس اختبارهم التي اخذت تقل بمرور الزمن والمتمثلة بمن يعمل اكثر ، ومن يعرف الحلب ، ومن هو قادر على الحراثة بنفسه دون اشراف الاشخاص الكبار عليه ، ومن الذي تعلم سرج الاحصنة دون مساعدة . لقد قمنا باعمال صعبة . وكان المعلون يفهموننا ، ان الظروف تفرض ان يسبق التعليم العمل ، وكانوا يؤدون اعمالهم باخلاص ومراعاة لاسس الحياة القروية . وكان هناك من طالب بسلم افضليات ، تكون الدراسة وفقه من اولى الواجبات . وكانت مطالبتهم وإصرارهم مصدرا دائما لخلق التعقيدات والمشاكل .

وانتقلنا من الروضة الى المدرسة بوصفنا «تلاميذ اذكياء» . وقد تعلم معظمنا القراءة والكتابة . وكان اول شي اقرأه بصورة مستقلة هو اسم صحيفة «دافار» التي كانت تصل باستمرار وانتظام الى القرية ، اذ كانت بمثابة وسيلة الاتصال التي تربط بين قرائها وما يحدث في اسرائيل والعالم .

وكانت رفقا كسبي افضل واحب معلمة عند الجميع ، لانها كانت تتصف بقدر متساوٍ من اللين والقسوة ، وتعرف كيف تستخدم كل صفة من هتين الصفتين وفقا للضرورة والموضوع . وادركت بشكل خاص ، ان الضرورة تقضي في هذه القرية التي نناضل من اجل القوت ونحتاج الى مساعدة الاطفال في الاعمال الزراعية ، بدمج الدراسة والعمل وعدم التعنت في تطبيق سلم افضليات روتيني .

صفحات لا يمكن فصلها من أجل تصويرها pages cannot be separated for imaging

ولم يلحق ، عموما ، العوز والعمل الشاق ، اضرارا بطفولتنا السعيدة . لقد مرت بنا االايام بسعادة الحياة وبفيض من البهجة العجيبة . وكانت تربط احدى هذه البهجات في تنانير الخبز الموجودة في البيوت . ففي القرية كانت كل عائلة تخبز خبزها في بيتها . وكانت تنتابنا هذه البهجة المثيرة مرة في الاسبوع فاليوم الذي يتم فيه الخبز ، كان يعد يوم احتفال . وقد كنا نصيد طوال الاسبوع بواسطة (المقلاع) العصافير والزرازير والحمائم والبلابل . وتقوم بامي في الليلة التي تسبق يوم الخبز بجبل العجين في وعاء كبير ، وكانت ترقب العصافير في التنور خلال يوم الخبز . وهكذا يصبح الخبز الحار العجيب بطعمه ولحم العصافير المشوي بالتنور ، بمثابة جنة عدن بالنسبة لنا على الارض .

كذلك كانت عملية ايقاد التنور ، قضية بحد ذاتها . وكان واجبي يتحدد بتلقيم التنور من الصفيحتين المملؤتين بسيقان نبات الذرة ، الى ان تصل الحرارة الحد المرغوب فيه .

وكانت الحاجة للتزود بالسلع الغذائية من خارج القرية ، محدودة . اذ كانت القرية تلبي احتياجاتها في ظروف الفاقة . وكما هو معروف كنا نحضّر المربى بانفسنا من الفواكه الموجودة في القرية ، ومايزال طعم مربى العنب والخوخ محفوظا على لساني . كذلك كنا نعد الخمور بانفسنا وبوسع نوعيته ان تكون مجاالا للمنافسة بين منتجيه المحنكين .

ولم نحرم انفسنا من بعض الامور الترويحية التي تنعش النفس ، لذلك فانا افترض باننا لم نكن مميزين عن ابناء القرى الاخرى . وبصورة خاصة ، فقد تغلبنا على المعلمين الذين جاءوا الينا من خارج القرية . فقد كان من الصعب عليهم التكيف مع نمط الحياة السائد في القرية وفرضوا علينا العقوبات ، حينما قل التزامنا بالعمل عن التزامنا بالدراسة . وانا اطلب منهم الصفح عن كل مالحق بهم من جرائنا ، والذي كان في بعض الاحيان بدون رحمة . واذا كنا نضع العقارب المزالة أذنابها أو الدبابير التي تسبب الغثيان فوق منا ضدهم واذا كنا نمطرهم نمطرهم في الليالي الباردة بوابل من الحجارة صوب السطوح المعدنية لاكواخهم التي يسكنون فيها ونعمي اعينهم بخراطيم الرمل ، عندما يخرجون منها مذهولين ، فاننا لم نقصد تعذيبهم . لقد اردنا ان يفهموا وضعنا فقط .

ولم تكن لشوارع القرية اسماء ، مثلما هو مألوف في الوقت الحاضر ـ وانما وفقالطبيعتها وعلاماتها المميزة . فاحد الشوارع الذي كان يمتلئ خلال فصل الشتاء بكميات كبيرة من الوحل ، كان يسمى في القرية باسم شارع الوحل . ولم يكن اي شارع من الشوارع مبلطاً او معبداً ، وكان السير بواسطة عربة في شارع الوحل خلال فصل الشتاء ، يعد

عملية معقدة وصعبة اذ يبذل فيها جهداً كبيراً . وحتى حينما تم تعبيد هذا الشارع ، مثل بقية الشوارع ، بقي اسمه في غضون ذلك : شارع الوحل . وكذلك حظيت الشوارع الاخرى ببعض التسميات حسب صفاتها ونباتاتها او الاولاد الذين سكنوا فيها ، فكل شي في القرية يخرج من افواه الاطفال . وهكذا كان هناك شارع السرو العالية . وكذلك شارع دود القز . وكذلك شارع المستنقعات وهو اسم مثير للغضب على حساب الاولاد الذين يسكنون هناك .

وتوجد في القرية بعض المؤسسات . ولايقتصر ذلك على وجود السكرتارية ومصنع لمنتجات الالبان وورشة حدادة وحانوت للبقالة ومطحنة . بل كان هناك ناقوس ايضا ، مثبت على اطار خاص قرب مصنع الالبان . وقد كان هذا بمثابة الجهاز الذي يوحد القرية ويبث باذان الجميع الانباء المهمة . وكان هذا الناقوس يدق ثلاث مرات خلال اليوم ، اشارة لبدء العمل في مصنع الالبان . حيث ينبغي حلب الابقار وجلب الحليب الى ذلك المصنع . وبواسطة هذا الناقوس كانوا يدعون لعقد اجتماع عام ، لدرء خطر الحريق او اي خطر يحدث . وكانت طرق دق ثابتة مخصصة لكل هدف سواء كان بشرى او انذاراً . فالدقة الخاصة بمصنع الالبان تتمثل بست دقات محددة بينما يشار الى انذار الطوارئ بدقات سريعة ومستمرة . والناقوس عبارة عن وعاء كبير مصنوع من معدن سميك وثقيل . وكانوا يقرعون بقضيب حديدي ثقيل على الوعاء ، حيث تنتقل الاصوات الى مسافات بعيدة . ويقوم الاطفال الذين يعيشون هناك بمهمة تحريك القضب الحديدي لقرع الناقوس ، اشارة لبلوغهم سن الرشد .

ولم يكن الشخص الدائم لدق الناقوس سوى نتنازون ، حيث لم يكن هذا العمل الا جزء من اشغاله فهو احد عمال مصنع الالبان (اي الشخص الذي يستلم الحليب من المزارعين) ويستلم البيض ومن ثم يدير حانوت البقالة . لقد كان نتنازون شخصا كبير الحجم وقويا . فهو هادي ومألوف من قبل الجميع . وكان سكان القرية لايميزون بين نتنازون والناقوس الى حد انهما تحولا الى مصطلح واحد . وقد تم وضع ناقوس على قبره وكان مصنع الالبان مكان الاجتماع الثابت . حيث يتم جلب جرار الحليب الى هناك ويتبادل التحيات والتهاني وسرد القصص . كذلك كانت لوحة الاعلانات مثبتة هناك . وكانت الحافلة تنقل جرار الحليب الثقيلة وتشحنها من القرية الى تنوية ـ وهي شركة تعاونية لتسويق وتوزيع جميع انواع المحاصيل الزراعية . فالنصف الخلفي من الحافلات مخصص لجرار الحليب وللدواجن اما النصف الامامي فهو للمسافرين .

وكانت توجد في القرية مطحنة ، طالما كان افراد القرية يخبزون الخبز في بيوتهم . وهي تعد (المطحنة) بمثابة الرمز لعدم التبعية للعناصر الخارجية . وكان المزارعون يجلبون

الحنطة والشعير والذرة اليها التي نمت في حقولهم . وكانوا يأخذون من هناك القمح لصنع الخبز وانواعاً اخرى من الاغذية المخصصة كعلف للحيوانات . وفي يوم ما تم غلق المطحنة ، حيث ادى ذلك الى احتياج القرية لخدمات المطحنة الكبيرة الكائنة في العفولا . . بدأ المزارعون يأخذون الحنطة والذرة والشعير اليها مرة واحدة كل اسبوعين . ولم يعرف الصبي الذي سمح له بمرافقة العربة والتوجه بها الى مطحنة العفولا والذي تعفر هناك برذاذ الطحين وتعطر بروائح المطحنة ، كيف يصف السعادة التي هو فيها .

كذلك يعد قطيع القرية بمثابة مصدر للسعادة . وكان غاليلي الراعي لهذا القطيع . اذ كنا نتأمل عودة القطيع من المرعى قبيل غروب الشمس . وكان يوجد تيس ضخم في القطيع يدعى عوك . وقد حفظته بذاكرتي وكأنه عملاق . وربما كان هو حقاً كذلك ، او هكذا تصورته لاننا كنا صغاراً . وعندما يقوم غاليلي بايقاف القطيع في الطريق ، كنا ننقض على «عوك» الكبير الذي كان مزاجه جيداً ونمتطيه . اذ كان يصعد خمسة عشر طفلاً عليه الواحد فوق الاخر ويمسكون بصوف عوك الكثيف ، ويقودون القطيع الى الزريبة .

وكنا نجد خلال فصل الشتاء ورشة الحدادة بمثابة ملاذ من البرد . حين نأخذ بالتجمع حول المنفاخ الحراري وننتظر كلام الحداد . فقد تخصصنا بايقاد نار الفحم ، لقد احطنا بالمنفاخ . وكنا نمسك برجل الحصان وقت تنعيله (وضع حذوة الفرس) ، وهي لحظات بهيجة لاتنسى . ويعد وجودنا في ورشة الحدادة فرحة جيدة اخرى ، اذ كنا نأخذ معنا القطع التي تتناثر من حوافر الفرس ونحرقها ونتنفس دخانها . اذ يعتقد الآباء ، ان هذا الامر هو علاج ضد النزلة الشعبية . والحقيقة ، ان اي شخص لم يمت في القرية جراء النزلة الشعبية .

ويعتبر فصل الشتاء اكثر الفصول سحراً بالنسبة لنا ، اذ نكن الحب له فقط دون الفصول الاخرى . وكانت تترك العربات (التي صنعت عجلاتها من الخشب وأطرت بالحديد) في الوحل الكثيف شقوقاً عميقة خلال سيرها . وكيف يمكن ان ننسى منظر العربة وهي تسير بوقار تسحبها الخيول والمزارعون يصرخون وعريش العربة يتحطم ؟ وكانت الشاحنة التي تأتي الى القرية تنغرس عجلاتها في الوحل عميقاً ، اذ كان صوت محركها ينتقل مثل الحريق في حقل الاشواك . وكان الاطفال يحتشدون في المكان فوراً ، مثلما يتجمع الذباب على الحلوى ، ليشاركوا في تخليص الشاحنة بمساعدة الجرار ، ثم يحصلون على مكافآتهم المتمثلة بقرش او نصف قرش للطفل الواحد .

وكانت تسود المنطقة المحيطة ببئر الماء فرحة كبيرة . حين كانت تأتي اليها اربعة براميل

فارغة موضوعة على عربة . ثم تعود هذه البراميل وهي مملوءة بالماء. ويخصص المتر المكعب الواحد من الماء للاستخدام البيتي وللحيوانات وللغسيل في يوم الجمعة تبجيلاً ليوم السبت . وتطغي الخشية من الله على المنطقة القريبة من البئر . ويقوم افراد القرية خلال فصل الصيف بغسل اطفالهم هناك . وكانت الاحصنة تمرح هناك . وكانت الحياة الطبيعية تقرب في سن الشباب الى اسرار خلق الحياة الجديدة . ويقف الاطفال ويصرخون «هذا مانطلبه ، هذا مانريده» وتقوم الاحصنة بجذب انتباه اناثها وتضاجعها .

وتزور القرية كل شهر ونصف او شهرين شاحنة نقل خضراء ومغلقة ، انها السينما المتنقلة . وقد كان هذا الامر ، الترفيه الوحيد للمزارعين ، فهم كانوا يعتبرون موعد السينما اشبه بفترة القرون الوسطى او مولد المسيح او الحرب العالمية الاولى . فمتى جاءت ، ومتى ستأتي ، وكم من وقت الانتظار بقي حتى ذلك الحين .

ويسود القرية في يوم وصول السينما مزيدٌ من التوتر منذ ساعات الظهيرة . تأتي ، لاتأتي ؟ وكان الجميع ينحشرون في فصل الشتاء في البيت الشعبي رأساً جنب الاخر حيث تكون الضوضاء كبيرة . وكانوا يعرضون الفيلم خلال فصل الصيف في العراء . اذ كانوا ، في الواقع ، يفرشون لباد ابيض على جدار حانوت البقالة . وكانت الطريق الرئيسة للقرية الواقعة قرب حانوت البقالة ينقطع فيها السير خلال الظهيرة . وكان الاطفال يحملون رزم القش والكراسي وحتى مقاعد المدرسة ، ليضعوها امام جدار السينما وذلك كي يحجزوا اماكن لعوائلهم . الى ان يخيم الظلام وتظهر صور الفيلم على الجدار ، يشاهد جميع افراد القرية كشخص واحد الفيلم المعروض في السينما .

وعندما تقرر بناء بيت شعبي جديد في القرية ، حانت ساعة الاطفال الكبيرة ، فمنذ لحظة انتهاء الدراسة وحتى المساء يبذلون جهداً كبيراً في البناء . حيث يقومون بجلب الاحجار واعداد خليط الاسمنت وخليط الجص وتقديمها الى البنائين . لقد عملنا بشكل تطوعي ، ولكن عند انتهاء كل يوم عمل كنا نحصل على حفنة تمر من نتنازون ، وهي مكافأة مناسبة لعمل شاق .

كنا اصحاب مبادرة ومتعصبين في حماية مصالحنا . وقبيل الانتهاء من بناء البيت الشعبي طلبنا الحصول على اذن لتثبيت الحلبات على مسرح البيت الشعبي وذلك لربط العقلة فوقها المخصصة للتمارين الرياضية . اذ كان يوجد عندنا فريق للالعاب الرياضية ، ورغبنا بتقديم عرض رياضي خلال تدشين البيت الشعبي . غير ان احد اعضاء اللجنة والذي يعد رأيه مسموعاً خلافاً للجميع ، اجبر اللجنة على المعارضة . واثار هذا الامر غضباً بشكل غير معقول . وفي احدى الليالي قمنا بازاحة اربعة من

احجار الرصف الموجودة في ارضية المسرح وثبتنا حلباتنا في اماكنها ثم كسونا الارضية باحجار الرصف ثانية ، وفي الليلة الكبيرة التي سبقت تدشين البناية الجديدة ، فاجئنا الجميع ، اذ نقلنا احجار الرصيف ووضعنا عقلنا وقدمنا استعراضنا الرياضي الرائع .

واثنى علينا افراد القرية جراء مبادرتنا وجرأتنا ، غير اننا لم يهنأ لنا بال . فقد كان لنا «حساب مفتوح» مع عضو اللجنة الذي عارض وضع الحلبات على المسرح . اذ كان يتوجب علينا تسديد هذا الحساب .

فان ثمن «العقاب» لايتعدى عن عدم النوم لليلة واحدة . ودخلنا الى فناء منزل «المزارع المعارض» ، وسحبنا عربته الى مكان سري . وفككنا اجزاءها جزءاً جزءاً . وبعد مرور وقت ما احضرنا الحبال ، حين القينا الاجزاء المفككة بواسطتها الى قعر بركة الماء ، التي يصل عمقها الى حوالي اربعة امتار . وعدنا ثانية الى تركيب الاجزاء ، ثم انصرفنا الى بيوتنا .

في الصباح ، نهض افراد القرية وراحوا يدعكون باعينهم ، اذ تنتصب داخل بركة الماء عربة كاملة وعريشها بارز الى الاعلى ، مهيأ لسرج الحيوان عليه . كذلك كان صاحب العربة ذاته مرتاح البال ، حيث ذهب الى مصنع الالبان للاستيضاح حول امر ما . وشاهد العربة ، حيث قال في قلبه «انها عربة الجيران ، ترى من فعل لهم ذلك» . ثم راح ليسرج الحصان في عربته ، فصاح لقد سرقت العربة ! ، يبدو ان العربة الموجودة في قاع بركة الماء ، هي عربته . وكان افراد القرية ، طوال الوقت يحكون قصة العربة ومآثرها البطولية .

وتكونت بيننا وبين الحيوانات التي نعتني بها علاقات خاصة . ومن السهل ان نفهم في غياب اية وسيلة نقل اخرى ، ان مكانة الاحصنة كانت مكانة خاصة بنوعها . وكانت اسرتي تمتلك حصانين هما كؤولا وشونميت . وكانت كؤولا بيضاء اللون ، بينما كانت شونميت رمادية . وتعد شونميت متوحشة بعض الشيء اما كؤولا فهي ذات مزاج جيد ، حيث تشاركني بافراح طفولتي مثل اي فرد من افراد الاسرة . وكان والدي بالنسبة لنا نموذجاً للرفق في طريقته التي يتصرف بها مع الحيوانات ، فهو لم يجلدها مطلقاً بالسوط . وكانت الحيوانات تمتثل وتخنع لاوامره ، كاعتراف منها بطيب قلبه . وعلى الرغم من ذلك كله لم تثق شونميت بي : كنت طفلاً صغيراً ، عندما اخذت قسطاً من النوم في احدى المرات على الحشيش الموجود في العربة وخلال تناول الحصانين العلف من العربة الى حد التخمة ، استمرت شونميت في الاكل ، وبقيت تأكل ، الى ان انغرست في بطني سنان ضخمتان من اسنانها . ولم يكن لي مزيد من الوقت لمعرفة السبب ، حيث جرى نقلي في الحال الى الطبيب الموجود في العفولا ، والذي اصدر

ضدي احد الاحكام القاسية في ذلك الوقت وهو : زرقي حقنتين ضد داء الكلب كل اسبوع . ومن لم يجرب ذلك ، لن يفهم ما اقول . لقد كانت الحقن بمثابة التهديد . فالالم الذي تسببه لايوصف . وكنت ابدأ الصراخ في يوم زرقي الحقنة منذ الصباح ولا انتهي الا بعد وقت طويل من عودتي الى القرية . ولم يكن من السهولة الصفح عن شونميت ، بيد انني تمسكت بوصية والدي وذلك بعدم الحاق اي ضرر بها .

ونعد نحن والاحصنة بمثابة قصة للمغامرة ، اذ تعلمنا امتطاءها منذ سن السادسة او السابعة . لقد تعلمنا العدو بها قبل عدة سنوات من تعلم اي طفل في سننا ان يميز الحصان عندما يراه لاول مرة في حياته . وقد كان ذلك سروراً وترفيهاً وقضاءاً للوقت ومغامرة . كما كان ذلك الامر مصدراً قوياً لانماء الخيال ، حيث خضنا عدة حروب جوالة مضطربة ضد اطفال بلفوريا او مرحافيا . ودحرنا الرعاة العرب الذين تدخل قطعانهم في حقولنا ، بصيحات الحرب المدوية ، واستخدمنا العربات المسرجة بالخيول شتى الاستخدامات : فعندما لاتستخدم العربة لغرضها الاساسي ، نقل الحاجيات ، كنا نفصل عنها مؤخرتها ونسرج الخيول على العجلتين الاماميتين ونستخدمها مثلما كانت تستخدم زمن النبلاء .

وتعد الدراجة الهوائية كحلم لاطفال القرية . وقد كان ذلك حلماً حقيقياً ، لان اي طفل لم يعتقد باحتمال تحقيقه . وفي احد الايام حصل احد الاطفال على دراجة هوائية قديمة وبالية من عمه المبهم . وفي الحال أصبح ذلك الطفل ملكاً متوجاً بين مجموعة اطفال القرية ، ورحنا كلنا نعول عليه . كذلك تحسنت مكانة المحظوظ المادية ، اذ كان ينتقل على دراجته الى مركز القرية ، قرب مصنع الالبان ولم يكن ينتظر سوى دقيقة واحدة او اثنتين ، حتى يغدق عليه الاطفال الذين يستهويهم ركوب الدراجة ، ببعض الخيرات : مثل ، قطع خبز مع بعض المربى في مقابل جولة قصيرة على هذا الجهاز العجيب . ومن ليس له امكانية الحصول على الاشياء القريبة منه ، فان الفقر يبقى مرافقاً دائماً له طوال سني طفولته . ولم يكن هناك شخص لايأكل الخبز الذي يتم خبزه في البيت . بيد ان اللحم ، على سبيل المثال ، لانتناوله إلّا في احدى الحالتين : اما في حالة مرض الانسان الى حد الموت ، لذلك تكون هناك ضرورة لتقويته ، او عندما تشرف الدجاجة على الموت ، الامر الذي يحتم ذبحها .

واكتشفنا في أحد الايام سر العمل خارج نطاق المستوطنة . وربما تكمن هنا أول بذرة للمشاكل ، التي قوضت الاطار التعاوني والمتمثل بالعمل في خارج المستوطنة كأجير والحصول على أجر فوري دون تحمل مسؤولية مصير الزراعة وثمنها في المستوطنة . وحققت في قرية كدعون المجاورة حلمي الخاص بالدراجة الهوائية ، اذ عملت بقشر

الذرة لقاء أجر يبلغ سبعة عشر قرشاً في اليوم . وكان ينقصني بعض القروش لكن والدي قدمها لي . حيث اشتريت دراجة هوائية مستعملة بقرشين . وكادت شراييني ان تتمزق من شدة انفعالي قبل أول ركوب عليها . وبحركة راكب خبير رفعت قدمي واعتليتها (الدراجة) ورحت احرك الدواسات ، واذا بذلك الجهاز القديم يتفكك الى عدة اجزاء ، ولا اذكر في حياتي مثل ذلك الاسى العميق الذي انتابني حينذاك . وانفصلت عن الواقع المجسد لاعد ثانية الى الحلم ، الذي لم يتحقق إلا حينما بلغت سن الخامسة عشرة . عملت وادخرت الاموال حتى اصبح عندي ست عشرة ليرة كاملة ، حيث سافرنا ، أنا وأخي البكر الى حيفا واشترينا دراجتين هوائيتين جديدتين ومتلألأتين . وقد احببتها كثيراً . وعندما تطوعت في صفوف البلماح اعطيتها كهدية لابن أخي .

لقد تعلمنا في طفولتنا مسألة اتخاذ القرارات الكبيرة والصعبة . وعلى سبيل المثال ، تاقت نفسي لتناول البوضة . ولاتوجد البوضة الا في العفولا حيث يبيعها الظالمون بنصف قرش للوجبة الواحدة . انه مبلغ كبير . ورحت ادخر المليم على المليم لاجمع ثمن البوضة الواحدة ، وحتى اذا جمعتها ، فما تزال بعيدةً عنها بحوالي الخمسة كيلومترات . ويبلغ ثمن الرحلة في الحافلة التي نصفها محمل بالحليب والنصف الآخر بالمسافرين ، الى العفولا نصف قرش . والان يجب ان تقرر : فأما الذهاب الى العفولا والاياب منها مشياً على الاقدام وذلك من اجل تذوق ذلك الشيء البارد جداً ، او ادخار نصف قرش آخر والسفر باتجاه واحد ، وتكون عملية اتخاذ القرار صعبة جداً عندما يسيل اللعاب بمعدل كبير .

وكنا اطفالاً بصلعة . حيث كان في القرية مزارعون مسؤولون عن محل الحلاقة . وعندما كان ينمو شعر الاطفال ويصبح كثيفاً ، كانوا يجبرونهم على الحلاقة ، حيث يجلسونهم على قطعة خشبية ، ثم يضعون ماكنات الحلاقة اليدوية في علبة تحتوي على النفط لغرض تعقيمها ، ويقومون بازالة مساحة من الشعر في وسط الرأس لكي يجعلون الامر حقيقة مطلقة وللحيلولة دون هرب «الضحية» . بعد ذلك يكملون ازالة الشعر منطقة بعد اخرى ، حتى تتم الصلعة . بادئ ذي بدء لم نكن نخجل من صلعتنا ، ولكن بعد لقاءنا مع اطفال المستوطنات المجاورة ، واصبحنا اضحوكة في فمهم ، تغير طعمها (الصلعة) ، اذ اكتشفنا الحلاقة المريحة في العفولا . وكذلك ضايقتنا في هذا الامر «العملة الساحرة» : حيث يجب دفع نصف قرش مقابل حلاقة فاخرة مع وضع صدرية بيضاء على الكتف . ولم تكن النقود موجودة دوماً في جيوبنا الا في احيان نادرة . وتعد البيضة وسيلة دفع معتادة . لذلك كنا نسير خمسة كيلومترات الى العفولا ، والبيضة في الجيب ، لنحلق ونسلم البيضة بارتياح ونعود الى القرية بجيب فارغ .

وكان يوجد مزارع واحد في القرية ، ويدعى انجل ، يعد المصدر الدائم لمدخولاتنا . وقد كان يجلس خلال المساء على حجره الداكن المستديرة قرب فناء داره ، حيث كنا نصطف امامه مع غنائم الصيد لذلك اليوم ، ونقوم بحفظ ثرواتنا التي هي عبارة عن الدبابير والخنافس المضرة للنحل ولبساتين الفواكه ، داخل علب الكبريت . ولكل نوع من الحشرات المضرة ثمنه ، ويدفع انجل الاجر نقداً وهو يمتلك ذاكرة جيدة . والامر المدهش اننا كنا نلهث وراء الصيد واصابعنا تنتفخ من اللسعات ؟ وتم تحديد اعلى تعريفة في مقابل حيوان الخلد ، وقد اصطاد احد الاطفال في احدى المرات حيوان الخلد ودفع انجل له نصف ليرة ، اي خمسون قرشاً . وفي النهاية كان يوجد بيننا طفل ثري واحد .

كان يسود القرية شعورٌ واضح من تعاون ومسؤولية الجميع ازاء الاطفال . ولحسن حظي لم امر بهذه التجربة الغريبة ، ولكن كان من المعتاد تبادل الاطفال . عليه لا اتذكر «طعم» المبادلة ، والمبادلة هي عبارة عن انتقال احد الاطفال لعائلة ما الى عائلة اخرى ، وطفل تلك العائلة يذهب الى العائلة الاولى . ومن الممكن ان تستمر مدة المبادلة لعدة أشهر الى ان يعود الاطفال الى عائلتيهما الاصليتين .

ويعد المستوصف الموجود في القرية احد مؤسساتنا المهمة . وكانت الطبيبة العاملة فيه زوجة احد المزارعين واصلها من روسيا . ويوجد لها في حياتي دور كبير ، فعندما ولدت ، كانت سوفا ، اسم الطبيبة ، تلد هي كذلك . وكانت سوفا امرأة سليمة ، وثدياها يفيضان بالحليب ، بينما امي لم تكن مباركة ، وقامت سوفا بارضاع كلانا ، انا وفلذة كبدها ، ولم يكن ينقصنا شيء كلانا .

ولدت امي في قرية صغيرة في اوكرانيا لعائلة اورلوف ، وهي عائلة مزارعين ونجارين . وكان يوجد في بيتها تسعة اولاد وقد هاجر الجميع الى ارض اسرائيل سنة ١٩٠٤ . واستقرت العائلة في بتاح تكفا وانتقلت امي الى منطقة (شجرة) للعمل هناك . وفي شجرة تعرفت على والدي . بعدها تزوجا ، واخذا يطوفان في مختلف مستوطنات البلاد ، من اجل العمل وتكوين نفسيهما بجد . وكان والدي احد مؤسسي منظمة (هشومير ـ الحارس) . وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، انتقل افراد اسرتي قرب عائلتهم الموجودة في كفار ـ سابا في بتاح تكفا . وقد انجبت والدتي ثلاثة ابناء . ولم اتعرف على اصغرهم الذي يدعى يوسف ، نتيجة لموته في كفار سابا اثر سقوطه من العربة .

وتربطني بعائلة والدتي ذكريات عميقة ، وهي عائلة اورلوف نشري . وكان خالي ، شقيق والدتي ، ويدعى تسفي نشري ، اول معلم في اسرائيل لمادة التربية الرياضية .

وكانت امي امرأة هادئة وقوية . وهي التي اضفت عليّ طابعي الشخصي . بينما ساهم ابي بوضع امور اخرى في شخصيتي مثل العمل والاكتفاء بالقليل والتسامح وعدم التعلق بالتوافه . وتحكي الاسطورة ، وينبغي التعامل مع مثل هذه القصص بمسؤولية محدودة ، ان احد اباء اباء امي كان يعمل مرافقاً للقيصر الروسي نيقولا الاول في مستهل القرن التاسع عشر .

ولطالما احببت السفر الى ابناء عائلة امي . وكانت امي تأخذني الى خالتي المقيمة في كفار ـ سابا . حيث كنا نسافر في حافلة يكسو نوافذها غطاء سميك ، وذلك لحمايتنا من الاحجار التي ترمى على الحافلة عند مرورها في جنين وطولكرم وقلقيلية . ولم يكن عمي يستلطفنا ، اذ كان شخصاً صعباً ومتعنتاً . بيد ان اللالنكي والتفاح التي يبعثها لنا قد اخفت نظرته النكراء . وقد اذهلت كفار ـ سابا ، طفلاً مثلي يعاني من الوحل بترابها الناعم . ولم يكن حدود لرغبتي في هطول المطر دون حدوث وحل .

اما تل ـ أبيب ، فكانت أبعد من اي خيال يداعبني . واول يوم رأيتها في حياتي ، عندما كنت ابلغ من العمر العاشرة او الحادية عشرة ، اذ اصطحبتني امي معها عند زيارتها لاخيها في تل ـ ابيب الذي يسكن على حدود كيرم هتيمانين .

وقد رأيت العديد من الامور في هذا البيت الذي اشاهده لاول مرة في حياتي ، وتنفست الصعداء هناك ، فقد كان بيتاً كبيراً بالمقارنة مع بيوتنا في القرية . وكانت هناك مجموعة من الدرجات التي تؤدي الى باب المدخل . وعندما عدت وحكيت لرفاقي القصة العجيبة للدرجات ، كانوا مشدودين لما اسرده . وحينما واصلت حديثي بالقول ، انه يوجد في البيت سطح منبسط وانني قد جلست اغلب ساعات النهار في السطح العالي ، استطعت ان ادرك العلامات التي ظهرت عليهم والتي تشير الى عدم الثقة . وقد اخطأت حينذاك بشكل لايغتفر ، اذ قصصت بانه يوجد في بيت عمي بيانو وان بنات عمي يعزفن عليه ، حيث ادار اطفال القرية ظهورهم لهذا الشخص الخيالي .

وتعد اسرة امي مدفونة في بتاح ـ تكفا . وقد اكتشفت في الآونة الاخيرة مواقع قبورها . وقد استشهد ابن خالي فالو (زئيف) اورلوف خلال الدفاع عن بتاح ـ تكفا . وقد كان اول شهيد للعائلة في النضال من اجل ارض اسرائيل .

وقد هاجر والدي الى ارض ـ اسرائيل ولما يزل صبياً يبلغ السابعة عشرة من العمر مع اخيه يوسف . واشتبه الاتراك بيوسف باعتباره كان متورطاً في الثورة التي حدثت سنة ١٩٠٤ واصروا على اعادته الى روسيا .

وقد شنق نفسه في السفينة التي كان من المزمع ان ترجعه الى روسيا . وحمل اخي يوسف الذي توفي في كفار سابا ، اسمه .

وشق والدي الذي كان من مؤسسي منظمة (هشومير- الحارس) ، طريقه في النجارة . وهو ينحدر كذلك من عائلة فلاحية . وقد كان يمتلك يداً ذهبية ، فهي مدربة على جميع الاعمال سواء في مجال النجارة او الحدادة او الزراعة . وقد جلب معه من روسيا المسحاج الذي ورثه من جد جده الذي يبلغ ربما مائة عام ، تلك الاداة التي ماتزال تستخدم .

ومنحني والدي عدة صفات جيدة ، بلا اكراه ، وبلا توبيخ وانما من قوته النموذجية ، وهي العمل والنظام الجيد والحرص على اي موضوع وعدم التعلق بالتوافه . ودائماً كان يكرر على مسامعي العبارة التالية «انت وحدك في الصحراء . وحدك في الصحراء ، فماذا تفعل ؟» . وعندما يتم عرض الحالة مثلما كانت سائدة ، فلا يوجد لهذا السؤال سوى جواب واحد هو : تلتزم بالهدف وتسعى جاهداً وتبذل كل مافي وسعك من اجله دون التنازل عن ذلك . ويتوجب تحميل المحراث على العربة عند انتهاء يوم شاق من الحراثة . والقى والدي على عاتقي هذه المهمة . ثم انسحب جانباً ، ثم اخذ يوقد غليونه . ويعد هذا المحراث اثقل مني . ورحت ادور حوله لاجد وسيلة لرفعه بيد انني لااستطيع تحريكه . ووالدي لايبرح مكانه وهو ينفث من فمه سحباً من الدخان في الفضاء .

اني لوحدي في الصحراء . ابحث عن نقاط ارتكاز وحوافز . وقد اخذ مني هذا الامر عشرة اضعاف مايأخذه من والدي . بيد ان النتيجة واضحة ، فالمحراث جثم على العربة وصعدنا انا ووالدي الى العربة ، للتوجه الى الدار . دون ان يتفوه باية كلمة . وهكذا ينبغي ان تسير الامور . فانا غير جدير باي ثناء . لقد اديت فقط مالقي على كاهلي .

وهذا الامر مغروس في نفسي حتى الوقت الحاضر ، فلست بحاجة لكلمة جيدة . ولا اطلب اية مساعدة . علي ان اعمل كل شئ لوحدي . لقد علمني والدي امتطاء الخيول والرمي بالبندقية والعمل ومعرفة الطبيعة خلال النهار وفي الليل ، وتمييز مكر المخلوقات ، والعيش في البرية والتعرف عليها ، مثل الهنود الحمر . ومن الاسئلة التي كان يوجهها لي ، على سبيل المثال ، هل تستطيع جلب السماد ، بوسعك تمييزه ، امزجه باصابعك ، قربه الى انفك . هل هذا حمار ام حصان ؟ كم عمره ؟ ماذا يأكل ؟ وقد اشركني ولما ازل في سن السادسة او السابعة في اعمال الحراسات الليلية . وقد كان يرسلني الى مواقع الحراسة البعيدة ويراقبني من بعد ، ثم اعود لاقدم له تقريراً حول ماحدث امامي . وقد جعل هذا العمل من عالمي مزدهرا ، رغم انه لم يكن يروق لوالدتي ، ورفض والدي ادعاءها بانني صغير جداً بتوضيح بسيط جاء فيه «عليه ان يبدأ

منذ صغر سنه . فهذا الامر يكون اكثر نفعاً» . وراحت امي تهمهم ثم صمتت . وأزال التحرك خلال الليالي الحالكة الخوف مني واضفى علي الجرأة .

ومنحني والدي باسلوبه ، حب الوطن وواجب المحافظة عليه . وكانت تجري اغلب محادثاتنا قبل المساء ، عندما تبدأ الشمس بالمغيب وقبيل الحلب . وكنا نجلس في حظيرة الابقار على مقاعد الحلب ، حيث يأخذ ابي بالحديث وانا مشدود اليه . وكنت اتمنى مع نفسي ان يد ق الناقوس والا ينتهي هذا الوقت العجيب بالنسبة لي في كل مرة ، لكي يقص والدي لي اكثر عن ارض اسرائيل والنضال ، وعن عهد الاتراك والحرب العالمية الاولى وعن الانكليز . وبطبيعة الحال لم يكن يوجد التيار الكهربائي في الحظيرة . وكان يرافق الفانوس صور مظللة وكبيرة ، وبوسعي الان اغمض عيني واسترجع ذلك الوقت المعتم في الحظيرة واستمع لابي وهو يتحدث ، وكان هذا الامر يحدث الان فقط . وكان الناقوس العنيف يسرق مني الوقت المحبب على نفسي . هاقد حل الظلام . ويجب الاسراع في نقل الحليب الى مصنع الالبان .

كان والدي يحدثني عن كل شيء ، عن عائلته واصله ، ولم يخف عني اية كلمة ، وكانه لم يخبىء في سريرته اي سر ، ويعود اصله الى اوكرانيا ، دون ذكر تأريخ . ولم يتم حل هذا بالنسبة لي حتى الوقت الحاضر . وعندما سالته عن ذلك ، رفض الاجابة عن ذلك بشدة . وقال العائلة كلا .

ان الاكتفاء بالقليل والادخار وهذه الثقة التي مفادها ان لكل رغبة وقت ، كذلك قد تركت بصماتها على ، فليس هناك اي شيء يرمى ، وليس هناك اي اكتشاف يهمل . وحتى هذا اليوم ، وبعد مرور عشرات السنين ، مازلت اجد في المخزن الموجود في فناء بيتنا قضيباً حديداً او علبة مسامير او قطعة خشبية ومطرقة كسرت يدها . لقد كان والدي بمثابة مستودع كبير .

كان والدي يتكلم ويقرأ ويكتب باللغة العبرية السلسة . واتذكر منذ طفولتي العلاقات الوثيقة التي يعقدها والدي مع العرب الموجودين في الضواحي المجاورة . كان يستضيفهم ويضيفهم في بيته بشكل دائم . وقد كون معهم علاقات امنية معقدة ، وليس بوسعي ان اشير الى طبيعتها الدقيقة . ولم اعرف اكثر من ذلك .

وكانت لنا كذلك علاقات متينة مع اعضاء السلطة البريطانية بل كانوا يزورونا في بيتنا خلال اوقات معينة .

لقد حلم والدي بدولة يهودية مستقلة وتحدث عن دولة يهودية مستقلة مذ كنت صغيراً . وكان يشركني في حلمه عند جلوسنا على مقاعد الحلب الصغير في الحظيرة المظلمة وهو يقول «ستكون لنا دولة مستقلة . خاصة بنا» . وقد حظي بالعيش لمدة عشر

سنوات في دولة مستقلة ومات في سنة ١٩٥٨ . واستمرت امي بالعيش بعده لمدة خمس سنوات وتوفيت في سنة ١٩٦٣ . وكان طلبه الاخير الا يتم مطلقاً تغيير اسم مستوطنتنا تل ـ عداشيم الى اسم اجنبي . وقد نفذت طلبه . وعلى الرغم من خدمتي العسكرية الطويلة ، لم اقطع ، في اي وقت من الاوقات . علاقتي بالمستوطنة ، وعند تسرحي من الخدمة العسكرية في عام ١٩٨٣ لم يتسلل الى قلبي اي ظلال من الشك ، باعتبار مستوطنة تل ـ عداشيم بيتي المحبب . ولم يتم تنفيذ الطلب الاخير لوالدي قبل موته ، وذلك بدفنه في فناء البيت عند شجرة الزيتون التي غرسها مع تأسيس القرية ، جراء اسباب رسمية وقانونية .

لقد ولدت في الحرب . وعشت في الحروب . وكدت ان اقتل في العديد من المرات في الحروب . حيث ولدت في الاحداث الدامية التي نشبت سنة ١٩٢٩ . وقد بقي الرجال خلالها في تل ـ عداشيم . ووجد النساء والاطفال في مستوطنة «مزراع» ملجأ لهم . وخلال احداث سنة ١٩٣٦ ، كنت في السابعة من العمر . وقد استوعبنا اصداء الحرب ، وسمعنا اطلاق العيارات النارية . وشاهدنا الشوارع المضرمة للقرية ، جراء ما فعله العرب . وقام العرب بطعن احد ابناء قريتنا . وتم سرقة بغال القرية . وحدثت في الحقول مصادمات مع العرب . ولم يكن ينبغي ان يقول لنا اي شخص ، ان وضعاً من الخلاف يسود بيننا وبين العرب ، وانهم لايريدوننا ، بل شعرنا بذلك وعرفناه .

لقد كان والدي ناشطاً في شؤون الدفاع والامن . وكانت تعقد في بيتنا ، مراراً ، الاجتماعات لمناقشة الشؤون الامنية ، لقد سمعت وفهمت ذلك .

وكانت توجد في بيتنا بندقية صيد . حيث رميت بها لاول مرة ولما ازل في السادسة او السابعة من العمر . كانت البندقية ثقيلة . وقد الصقت اخمصها اسفل كتفي ، وقد وضع ابي على الارض قطعة من منجل ، واطلقت النار عليه . ومن شدة الارتداد ارتطم الجزء الخارجي من ترباس البندقية بخدي وتسبب بورمه . واخذت امي توجه العديد من الاسئلة . واعتقد انها غضبت مني وواوضح والدي انني اصبحت كبيراً . ويعد هذا اول جرح لي في مجال الشؤون الامنية .

وكانت السبل واضحة جداً دون علامات استفهام ، والمتمثلة بالعمل والدفاع . دائماً معاً . دوما مرتبطان . وتم استخدامنا عندما كنا في سن العاشرة او الحادية عشرة كضباط ارتباط عدائين بين مواقع الحراسة عند اقامة مستوطنة تحال ـ عاد الجديدة . والتحقنا في هذا السن في صفوف الجدناع (كتائب الشباب) التي كانت حينذاك الجناح الشبابي للهاغانا . وبشكل عام كان التدريب على الاشارات وتدريبات الميدان .

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، كنت في العاشرة من العمر . وكان في القرية

ثم قامت احدى طائرات «ايروفلوت» بنقلنا الى فيلنا . ولم يكن في المطار اي شخص سوانا . وقدمت لنا في مطار فيلنا وجبة كبيرة . بعدها واصلنا السفر الى موسكو ، لوحدنا ولم يتحدث اي شخص معنا بكلمة واحدة . وساد هناك صمت عند تناولنا الطعام . فكل ماتشتهيه تتناوله .

وجرى اسكاننا في موسكو في فندق «موسكو» . ونزلنا ثانية انا وكفوستا في غرفة واحدة . ولم يكن ممكناً ارتكاب خطأ مابين مختلف الاجهزة الموجودة في هذا الفندق .

اخذنا نتجول بالمدينة . ورحنا نجري في كل صباح بعض التدريبات في مطار توشينو . وبعيداً عن انظار الاطباء الاسرائيليين ، استأنف قفزاتي الحرة بالمظلة . ووضع الروس تحت تصرفي مظلة هبوط (باراشوت) . وخصصت لنا طائرة روسية من طراز (اين - ٢) ، وعندما كنا نريد التدريب ، كان الطيار الروسي يقود الطائرة وبجواره مساعد طيار من مجموعتنا .

وكان يرافق جميع اعضاء الوفد ، سائق دراجة روسي الذي يوجد عربة مرتبطة بدراجته . وكان سائق دراجتنا رجلاً كبيراً في السن . حيث كان يجمعنا من انحاء المطار بعد هبوطنا . كنت اجيد التحدث بعض الشيء باللغة الروسية منذ طفولتي واخذت تتحسن لغتي الروسية ، كلما طال مكوثنا في روسيا . وقد اصبحت اتحدث باللغة الروسية بحرية تامة بعد مرور ثلاثة اسابيع .

وكنا نعود بعد التدريبات الى الفندق ، حيث نغتسل ونتناول طعامنا ثم نتنزه في المدينة وضواحيها ، ضمن جولات منظمة من قبل الروس . وكانت النظرة الينا نادرة جداً . واغدق الروس علينا بدفء قلبي . وكان يستقبلنا الاطفال والكبار بفرحة غامرة في كل مكان نحل به .

وتعد موسكو مدينة عملاقة وهي تذهل بنظافتها وتتباهى «بالمترو» الموجود في شوارعها الذي لاتشوبه شائبة . وفي طريق العودة وجهت الينا دعوة لمشاهدة «المترو» الموجود في باريس . واحسرتاه على الثقافة الغربية .

وتهتم بطلباتنا في الفندق امرأة عجوز تدعى «بابوشكا» وتوجد في كل طابق من طوابق الفندق امرأة مسؤولة عن نزلائه مثل «بابوشكا» . وكانت عيونها ترقبنا باندهاش خلال توجهنا في كل يوم صوب الحمام الكائن في مؤخرة الرواق ، والذي يعد مشتركاً لجميع نزلاء الطابق وقد تقول مع نفسها كل يوم اغتسال ؟ وبطبيعة الحال فأنها لن تقتنع حتى لو فسرنا ذلك باننا نقفز من الطائرة وتتوسخ اجسامنا في المطار .

وكانت شوارع موسكو صقيلة وتعج بالسكارى . ويوجد في الفناء الخلفي للفندق مركز لجمع السكارى . وتدور بين الاشخاص السكارى وافراد الشرطة مفاوضات

صاخبة يرافقها مشادات كلامية ، وفي النهاية ، وبغية تسوية سوء التفاهم يغرق الجميع بمشروب الفودكا ويسكرون معاً . انها بهجة سكان موسكو .

وتم تخصيص حافلة صغيرة لنا . يقودها سائق شاب وجريء وطيب القلب يدعى «ميخائيل ستيفنوفيتج» من اوكرانيا . وكان ميخائيل في المنحدرات يضغط على الكابح ، فنقول له «خفف ضغطاً على الكابح يامیخائيل» . فيرد ميخائيل علينا بقوله «سنحصل على مزيد من الوقود من الحكومة» . وكانت ترافقنا بشكل دائم فتاة تدعى انيا وهي طالبة محبوبة ، تلغو بعض الشيء باللغة الانكليزية . ونشك بانها تجيد التحدث باللغة العبرية ، ولكنها تحاول اخفاء الامر عنا .

واسقطنا بسرعة الحواجز مع انيا التي كانت نموذجاً شعبياً بسيطاً من خلال حديثها . ومنذ لحظة حصولنا على ثقتها ، اخذت تنهال علينا قصصها التي تناولت كيف اقام العمال استاداً لكرة القدم بشكل قسري واطلق عليه اسم لينين ، وكيف تجري الحياة في موسكو ، وكيف هي حالة الاحياء الجديدة التي نشاهدها في الطريق والتي هي جميلة المنظر من الخارج ، بيد انها مكتظة بالساكنين في الداخل وجدرانها متآكلة ومنهارة .

ولم نحرز نجاحاً كبيراً في مسابقات الهبوط بالمظلة بالذات . فقد كان هناك احد عشر وفداً . وكان ترتيبنا الاخير . غير اننا كنا في المقدمة في سباق القفز الحر فقط .

ولم يكن في مطار توشينو برج مراقبة . وجلست عند نهاية المدرج بابوشكا العجوزة . وبشكل عام فقد كانت غارقة بقرائة احد الكتب . وعندما سمعت ضجيج محركات الطائرة التي تطلب اذناً للهبوط ، رفعت عينيها من الكتاب . وقام احد الاشخاص بالتلويح للطيار بعلم ابيض ـ دليلاً على ان المدرج خالٍ ، ولو جرى التلويح له بالعلم الاحمر فان ذلك يعني ان المدرج مشغول . قام الطيار بجولة اخرى ثم عاد ليهبط .

واضفت علينا الزيارات التي قمنا بها للمتاحف الكائنة في الساحة الحمراء شعوراً من البهجة ، حيث تعتبر من المناظر الغاية في الجمال ومن الفنون التي لاتنسى . وكذلك شاهدنا في المتاحف قادة الاتحاد السوفيتي السابقين . حيث كان ستالين مسجى هناك ، وقد بدى التهديد في عينيه وهو في نعشه الزجاجي .

وتحتم علي الايفاء بما امرني به والدي ، حيث اعطاني عنواناً لاحد الآقارب الذي فارقه منذ عام ١٩٠٤ ، عندما ترك والدي روسيا .

ويعد امر الاستدلال على العنوان في موسكو اقل تعقيداً مما هو عليه الامر في العفولا ، على سبيل المثال . ووقفت في باب خروج الفندق ، ورحت افكر بكيفية بدئي للتفتيش عن العنوان . وحصل امام عيني حادث لاحد السكارى الذي سقط في احدى برك الماء وانتشر الماء الى جميع الجوانب . ثم اقترب مني احد الاشخاص وسألني بلطف

فيما اذا يستطيع تقديم المساعدة لي . فاعطيته العنوان . واقترح علي مساعدتي ، فوافقت بسذاجة . وقام بتوقيف احدى سيارات الاجرة ، حيث سلمت سائقها العنوان . وتبادل ذلك الشخص مع السائق بعض الكلمات ثم انطلقت في سيارة الاجرة . ان موسكو التي تعرفنا عليها من خلال جولاتنا اخذت تختفي حتى الان ، فقد وصلت الى ضواحي المدينة . فهنا لاتوجد شوارع واسعة ولاأرصفة جميلة . انها حي فقير ، حيث تعد بيوته قديمة جداً ، وطرقاتها مكسوة بالتراب .

ثم توقفنا ، عند المنزل رقم خمسة . وهاقد تذكرت جيداً اسم الشارع . وقال مرافقي «هنا هل أتي معك سيارة الاجرة تنتظر» .

كان هناك باب خشب ومشابه لباب المتبن ، وعلق عليه سلسلة ثقيلة . طرقت الباب ، مرة ، واخرى ، ولامجيب سوى الهدوء . وفي النهاية سمعت اصواتاً من الجانب الثاني . وفتح الباب . حيث وقف رجل عجوز جداً . مجعد الوجه ، وسألني عما اريد . فأجبته باللغة العبرية . ولست اعرف لماذا تصرفت بهذا الشكل . ربما لان أبي ، قال لي ، ان احد اقرباءنا البعيدين يعرف بعض الكلمات العبرية . وقلت له «انا من ارض ـ اسرائيل» . عند ذاك تيقظت العينان الخامدتان ، واخذ يدب بها ومض الحياة . انه الرجل الذي اقصده ، لقد عرفته بطبيعة الحال .

ثم دعانا للدخول الى البيت . وكان البيت عبارة عن غرفة واحدة تصرخ بفقرها . فالمطبخ والخدمات مشتركة لعدة عوائل . انها اوهام الحياة السوفيتية ، فهذا الرجل كان طبيباً معروفاً ويشغل منصب كبير الجراحين في مستشفى موسكو المركزي . وأرسل اثناء التهمة التي لفقت للاطباء في روسيا الى سيبيريا . ثم عاد بعد مرور سنتين . وقد فقد كل حقوقه . وانتقل من شقته الواسعة الى حي فقير وهو يعيش عيشة فقر مدقع .

وسأل الشيخ باللغة العبرية «لماذا احضرت هذا الرجل معك ؟» فقلت له ، بانه قد تطوع لمساعدتي . واوضح لي الطبيب بقوله «انه من السلطات» . ورحنا نتحدث باللغة العبرية ، حيث يخشى مضيفي من ان تكون هذه اللغة مفهومة له كذلك اي (لرجل السلطات الروسية هذا) . وشيئاً فشيئاً يتحرر الشيخ من مخاوفه . حيث يطلب مني ان اقص له عن ارض اسرائيل . انه لايكتفي عما احدثه . وكانت كل كلمة وكل اسم وكل منطقة في اسرائيل وكل مستوطنة ، توقظ قبساً آخر في عينيه الخامدتين والمتقدمتين في السن . وقد تحدثت له عن حرب التحرير وعن البلماح وعن جيش الدفاع الاسرائيلي . وفجأة ظهر اشراق من السعادة على وجهه .

ثم رافقنا الى باب بيته . وراح يربت على كتفي ويهمس قائلاً «قد لااستطيع الهجرة الى ارض ـ اسرائيل ، فحافظوا على هذه الثروة» . وتعهدت له بما اراد . وقد تذكرته ،

في بعض الاحيان ، خلال الاوقات الصعبة . وقد كان ذلك بمثابة التزام .

وقد قص لي الشيخ عن ابنتيه ، اللتين نقطتان خارج موسكو ، بيد انه لم يحدد في اي مكان .

وفي يوم ما ، بعد اعتزالي الخدمة العسكرية ، وانا احاضر في احد احياء حيفا ، اقتربت مني امرأة كبيرة وسلمتني قصاصة ورقية في يدي . ربما هناك مشكلة شخصية ؟ واردت ان اقول لها ، انني انهيت واجبي (اي المنصب الذي كنت اشغله) ، غير ان لساني توقف . ثم فتحت القصاصة الورقية وقد كتب فيها العبارة التالية «لقد قمت بزيارة والدي في موسكو في عام ١٩٥٦» . فصرخت بها قائلاً : «لماذا صمتِ حتى هذا اليوم ؟» فاجابت «لانك كنت شخصاً مهماً جداً . كذلك شقيقتي موجودة في اسرائيل» . يالها من فرصة حقيقية .

وبعد حوالي شهرين ، القيت محاضرة في احدى المدارس الثانوية في كريات اليعيزر . وبعد المحاضرة ، اقتربت نحوي احدى التلميذات والدموع في عينيها وقالت لي «انك زرت جدي الموجود في موسكو» . وكدت ابكي معها .

□

وفي طريق عودتنا الى اسرائيل قادمين من موسكو مكثنا اربعاً وعشرين ساعة في وراشو ، حيث زرنا الجيتو اليهودي . وقد تأثرت جداً . ثم واصلنا طريقنا عبر فرنسا باعتبارنا ضيوفاً لدى الفرنسيين . ووصلنا الى احدى قواعد المظليين الكائنة جنوب فرنسا . وقفزنا بالمظلات في منطقة صعبة ، حيث كانت مغطاة بالاشواك . وقد مر ذلك بسلام ايضاً . رجعنا الى اسرائيل ، حيث تم تعييني بمنصب آمر فوج (٨٩٠) المظلي . اذ نفذنا العديد من العمليات الانتقامية ضد مراكز الشرطة الاردنية مثل قرندل ، وراوه ، وحسان ، وقلقيلية وغيرها ، كانتقام ضد ماتقوم به مجموعات المخربين القادمة من الاردن ، وكانت جميع العمليات التي نفذناها متناهية الدقة .

وقد جرح مئير هار ـ تسيون في العملية ضد مركز شرطة راوه الكائن على طريق بئر ـ السبع ـ دهرايه ، وقام الدكتور انكلبيتس باجراء عملية له في المكان ذاته . وقد حصل الطبيب على «وسام الجدارة» جراء العملية الجراحية المشهورة . واسترد مئير عافيته .

واستشهد موسى عفرون الذي كان يشغل منصب آمر سرية في فوج (٨٩٠) ، خلال العملية التي نفذت ضد مركز شرطة حسان . وكان عفرون قبل وقت قصير من ذلك ، قد انهى واجبه ، حيث انتقل لشغل منصب آخر ، بيد انه جاء الى الفوج لمرافقته في عملية حسان .

كما نفذت عملية صعبة ضد مركز شرطة قلقيلية قبل حوالي اسبوعين من حدوث حملة «قادش» في عام ١٩٥٦ . وقد القي على عاتق الفوج المذكور آنفاً (فوج ٨٩٠) المهمة الاساسية المتمثلة باحتلال مركز الشرطة . وكان فوجنا في منحدرات مستوطنة آيل الكائنة شمال قلقيلية ، كقوة احتياطية . وتم تكليف دورية الاستطلاع على مستوى اللواء بتنفيذ مهمة تطويق بعيدة قرب احد المعسكرات المتروكة الكائنة شرق قلقيلية . وقد اشتبكت بمعركة ضروس مع بعض القوات الاردنية التي جاءت كتعزيزات لمساعدة القوات المتواجدة في مركز الشرطة . وتكبدت الدورية عددا من الخسائر ، وكانت هناك خشية من ان يكون قد تم تصفية الدورية . وهب فوجنا لنجدة الدورية سيراً على الاقدام . ولكن خلال الطريق صدر لنا امر بالعودة . حيث توجهت قوة اخرى بقيادة حوفي وكيل آمر اللواء ، على عجلات نصف مجنزرة لتقديم العون الى الدورية التي هي في طريق عودتها ، وقد واجهت في تسوفين ، وهو موضع اردني ، ناراً شديدة حيث تكبدت خسائر فادحة .

وكانت عملية قلقيلية من أصعب العمليات التي عرفناها من ناحية الخسائر ، بل هي أصعب من جميع العمليات ، اذ بلغ عدد القتلى في اللواء ثمانية عشر شخصاً .

حملة «قادش»

لقد كانت عملية قلقيلية خاتمة العمليات الانتقامية ضد مراكز الشرطة الاردنية . ودون قصد ، اخذنا نستعد لحملة «قادش» . ورحنا ننفذ مختلف الاستعدادات ، ولم نتمكن من ادراك مغزاها وعلاقتها بعملية حربية ذات حجم واسع مثل ، حملة «قادش» .

وفي يوم السبت المصادف السابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٥٦ ، وقبل يومين من البدء بالحملة ، اكتشفت امراً بسيطاً وجرى توجيه امر لي بكتمانه وعدم اماطة اللثام عنه للاشخاص الادنى ، وهذا الامر هو : فقد شاهدت في غرفة عمليات اللواء فسيفساء من الصور الجوية منشورة على ثلاثة اوجه جدران الغرفة والصور هي من الحدود الدولية الاسرائيلية ـ المصرية وحتى مضايق الميتلا ، التي تبعد مسافة حوالي ستين كيلومتراً عن قناة السويس . وتابعت بنظري الفسيفساء ، وادركت المحاور . لقد توضحت الخطوط العامة للصورة ، حيث يقوم فوجنا بانزال جوي في يوم الاثنين المقبل المصادف التاسع والعشرين من تشرين الاول ، في قلب شبه جزيرة سيناء قرب مفترق الطرق المجاور للمخرج الشرقي لمضايق الميتلا ، ويستقر هناك للدفاع . وفي الوقت

عينه ، يقوم لواء مظلي بعبور المنطقة الصعبة في الحدود المصرية ـ الاسرائيلية قرب الكونتيلا ويتقدم بكل آلياته صوب منطقة انزالنا ، لكي ينضم الينا .

وقد خطرت ببالي بعض الافكار ، وهي اننا سنقوم بالانزال على مسافة بعيدة من الحدود الاسرائيلية وعلى مسافة قصيرة من الحدود المصرية . وسنكون في منطقة الانزال لوحدنا ولا احد يعرف كم من الوقت سيستغرق ذلك . وسيضطر اللواء الى السير لمسافة طويلة الى ان ينضم الى فوجنا . وسيواجه اللواء في المنطقة بعض القوات المصرية الامر الذي يضطره الى الاشتباك بمعارك لغرض تمهيد الطريق له .

وفي امسية السبت استلم الفوج امراً لاعداد نفسه للقيام بمهمة انزال . وقد اصابنا بعض الارتباك ، اذ هناك مقدار معين من الامور التي يمكن اخذها في مثل هذا الانزال . ويتوجب تمنطق رجال الانزال باحزمة خاصة تلائم ظروف الانزال . ولكن هذه المرة سنقوم بالانزال على مسافة بعيدة . ولا احد يعرف متى يمكننا الحصول على باقي المعدات والذخيرة . وكان هناك ميل طبيعي ما لحمل العديد من الحاجيات لكي نكون مجهزين حسب الاصول ، الى اطول وقت ممكن .

وفي الصباح الباكر ليوم السبت وهو يوم الانزال ، المصادف التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٦ ، هبطت طائرات النقل الفرنسية في المطار العسكري . وكان يوجد في داخلها المعدات التي ستلقى الينا في الليلة مابين يوم الاثنين والثلاثاء ، في اعقاب هبوطنا بالمظلات في منطقة الميتلا . وقام رائد فرنسي باطلاعي على المعدات الموجودة في الطائرات حيث تشمل مدافع عديمة الارجاع وسيارات جيب ، وهاونات عيار ١٢٠ ملم ، واغذية ، وماء ، وذخيرة ، ووقوداً . ولم نكن نعرف من قبل المدافع عديمة الارجاع عيار ١٠٦ ملم . لذلك قمنا بانزال احدها من الطائرة . وسلمناه الى احد الفصائل . وراح الفصيل يتدرب على استخدامه لعدة ساعات . وفي حالة انهاء الفصيل التدريب حتى وقت طيراننا ، فانه (الفصيل) سيصحبنا ، اما اذا لم ينته من ذلك ، فسيقوم بالهبوط بالمظلات في وقت لاحق . كذلك لم تفتقر الطائرات الى الاماكن المخصصة لوضع القناني الكبيرة المملوءة بالخمر الفرنسي . اذ لايخرج الفرنسيون الى اية عملية بدون هذا المشروب المحبب .

ومن المستحيل عدم حدوث الارتباك في مثل هذا النوع من العمليات . وكان الهبوط مخططاً في الجانب الغربي للميتلا ، لكن تم اكتشاف بعض الخيم هناك ، وجرى نقل منطقة الانزال الى الشرق . وقد قيل لي خلال التعداد الذي سبق الصعود الى الطائرات ، ان تلك هي الخيم الخاصة بعمال الطرق ، ولكن جرى تغيير منطقة الانزال في وقت لاحق . وصعدنا ، بعد الظهر الى الطائرات البالغ عددها ست عشرة طائرة من

نوع «داكوتا» . ولاحظنا ونحن نطير فوق الكونتيلا وحينما اجتازت الطائرات الحدود ، في الاسفل وجود سحب من الدخان والغبار ، لقد عبر لواءنا الحدود . وينتابنا هذا الشعور ثانية المتمثل باننا سنصل في وقت مبكر جداً وسنكون هناك وحدنا الى ان يقطع اللواء طريقاً طويلاً وصعباً في توجهه نحونا .

نهضت ووقفت في المقدمة قرب الباب . ودائماً يداهم المرء . فوق موقع الهبوط بالمظلة انفعال بسيط ، حتى اذا كان سيقفز خلفه العديد من الاشخاص . ويبدو الامر هنا بسيطاً جداً عند بدء عملية عسكرية واسعة النطاق وفي مثل هذا البعد عن اسرائيل . فانت تقفز الى شيء غير معروف في منطقة العدو . وكانت كابينة الطيار في الطيارة المزدوجة بهيكلها ، تقع امامي بالضبط وعلى مسافة عدة امتار . واخذت يالتلويح الى الطيار المساعد بيدي . فامسك يده بكلتلا يديه ، وكأنه يقول ماذا تنوي ان تفعل . . . .

وانا في الجو اخذت اشاهد الاضوية الحمراء والخضراء . وها انا اتجه نحو الاسفل الى مفترق طرق الميتلا . وكان الوقت الخامسة عصراً ، حيث اخذت الشمس بالمغيب . وكانت تسمع بعض العيارات النارية المتفرقة . وارتطمت رجلي بالارض ، واخذت اتحرر من المظلة (الباراشوت) . ورحنا باجراء تنظيم سريع . واخرجنا الاسلحة من الرزم . ثم احتللنا عدة مواضع في منطقة التنظيم . وانتشرت السرايا . وحل الظلام . وبدأنا بوضع الحواجز وزرع الالغام . ثم رحنا نتخندق ، ونتحصن . وكانت توجد هناك بعض التحصينات وخنادق المواصلات منذ زمن الاتراك . وقد سهل هذا الامر علينا العمل . واحتلت قوتان منا بعض المواضع في حامية باركر الكائنة في الغرب والطريق المؤدية الى بئر حسنة في الشمال . وقمت بتأشير المنطقة المخصصة لاستلام التموين الذي سيجري القاؤه من الطائرات . وهنا سيهبط كذلك الفصيل الذي لم يكمل تدريباته على استخدام المدفع عديم الارجاع . وقمنا ، بسرعة بتهيأة مدرج لهبوط طائرة صغيرة ، التي يجب ان تجلب ضابط استخبارات على مستوى الفوج . فهو ليس بوسعه الهبوط بمظلة . نتيجة لاصابته بكسر في قدمه خلال الهبوط الذي قام به قبل عدة اسابيع .

وحدثت اولى المواجهات مع المصريين بعد وقت قصير من التمركز في اماكننا . ولم يدركوا الامور التي كانت تجري . وقد اجهزنا عليهم تماماً . واخذنا سياراتهم . واصبحت بايدينا غنائم كثيرة تحددت بشاحنة كبيرة تحتوي على احواض الماء الصالح للشرب . واستلمنا خلال الليل التموين المظلي الذي شمل المدافع والهاونات وسيارات الجيب والذخيرة والمعدات وكذلك فصيلنا الذي اصبح افراده خبراء باستخدام المدافع

عديمة الارجاع عيار ١٠٦ ملم . واصيب بعض افراد الفصيل بجروح عند الهبوط بالمظلة ، تمثلت بخلع وكسر الارجل .

ولم يصل ضابط الاستخبارات . اذ كنا ننوي اعادة اثنين او ثلاثة من الجرحى في طائرة (البابيبر) التي تجلبه . الا ان طائر (البابيبر) لم تصل . يبدو ان الطيار لم يستدل خلال الظلام على المدرج الكائن قرب الميتلا . وتحتم على الطيار الهبوط هبوطاً اضطرارياً في منطقة ما من سيناء دون ان يعرف موقعها بالتحديد ، نتيجة لبدء الوقود بالنفاذ وللحيلولة دون تحطم الطائرة . وقد هبط بسلام ودون حدوث اي شيء . ونزل الطيار وضابط الاستخبارات من الطائرة ، والتفا بالبطانيات وناما نوماً عميقاً . ولم تسهدهما حقيقة انهم موجودون في ارض العدو ولايعرفان بالضبط اين موقعهما . وفتحا (الطيار وضابط الاستخبارات) اعينهما عند الضياء الاول ، حيث لم يكن الوضع مشجعاً الى حد كبير ، فقد كانا قريبين من العريش ، واعتقدا انه من الممكن ان يتم اسرهما من قبل المصريين . وكانت توجد في خزان وقود الطائرة كمية قليلة جداً من الوقود . لذلك ، استقلا الطائرة وحرك الطيار المحرك وتوجها نحو الحدود الاسرائيلية ، واستطاع الطيار وضابط الاستخبارات ان يميزا في منطقة نيتسينا بعض قوات جيش الدفاع الاسرائيلي ، التي تشق طريقها نحو الميتلا للانظمام الينا . وهبط الطيار قرب احدى هذه القوات وتحطمت طائرته . فقد كان معتاداً على الهبوط خلال الليل فقط ، في الظلام الدامس ، وليس خلال ضوء النهار . وخرج الطيار وضابط الاستخبارات من الطائرة المتحطمة دون اية اصابة ، وقامت احدى القوات الاسرائيلية بجلبهما . واضطجعت خلال الليل لانام . انها مقدرة مألوفة . ويجب ان ترزم القوات حاجاتها قبل الدخول في متاهات المعارك . حيث يتوجب نبذ التوتر والانفعال الذي يسبق الرزم . ثم تقوم بحفر خندق لك . وتغطيه بقطع الكارتون الخاصة برزم التموين المظلي . بعد ذلك يتم فرش مظلة (باراشوت) او مظلتين . والالتفاف ببعض البطانيات . وليلة سعيدة قرب الميتلا .

ورحت اتفحص عند الضياء الاول مجال المنطقة التي نحن فيها . وحدثت مواجهات بسيطة اخرى مع الجنود المصريين . يبدو ان هؤلاء هم الجنود الفارون من مواجهة لوائنا ، وعند عودتهم الى الميتلا اصطدموا بنا . وقد لاحظت عملا غريبا يقوم به الجنود وهو : انهم اخذوا يتفحصون ارزاق المعركة التي القاها الفرنسيون من الجو . حيث يرمون احدى هذه الرزم (رزم ارزاق المعركة) جانباً ، والاخرى يفتحونها . ثم يرمون رزمة او رزمتين ، واخرى يفتحونها . اقتربت منهم لارى ما يحدث . لقد اعد الفرنسيون نوعين من ارزاق المعركة ، نوعاً للمسيحيين والاخر للمسلمين . . . اذ يجد شبابنا في رزم ارزاق المعركة المخصصة للمسيحيين قناني الكونياك الصغيرة . اما الرزم

المعدة للمسلمين ، فهي تفتقر الى ذلك . ويفضل الجنود الرزم المخصصة للمسيحيين .

وقد وصلت الينا احدى الطائرات الصغيرة ، وقمنا بارسال الجرحى معها . وشنت طائرتان مصريتان من طراز ميك ـ ١٥) غارة علينا . وامطرت المنطقة بوابل من القنابل والاطلاقات من مدافعها الرشاشة . وشبت النيران بطائرتنا الصغيرة . حيث اصيب الطيار وجزء من الجرحى ببعض الجراح ثانية . ولم نحاول مرة اخرى اخلاء الجرحى . حيث تم وضعهم في محطة جمع الخسائر الخاصة بالفوج ضمن المنطقة التي نتواجد فيها :

وظهر في الصباح الباكر بخار بسيط انتشر في انحاء المنطقة اشبه بالضباب . وواجهت اربع طائرات مصرية من نوع (فمباير) صعوبة في تحديد موقعنا . بيد ان

طائرتين من سلاح جونا من طراز (ميستر) اسقطتها بسهولة خلال مطاردة جوية قصيرة . وفي وقت لاحق جدا وجدنا احد الطيارين الاربعة المصريين وقمنا باسره .

واخبرنا الطيارون الذين كانوا يحومون في طائراتهم فوقنا لحمايتنا من الهجمات الجوية المصرية ، بان الجيش المصري توجه الى داخل مضايق الميتلا . وهاجمت قوة مصرية اثناء الظهر وحدتنا المرابضة في حامية باركر . وكنا نشاهد من موقعنا الهجوم المصري . ثم قاموا بقصفنا بالهاونات . وردينا عليهم النار بالمثل . وتم احباط هجومهم ولم يكرروا ذلك .

وصدرت الاوامر لطائراتنا بمهاجمة الجيش المصري في الميتلا . وشن الطيارون هجماتهم حتى حلول الظلام ، دون انقطاع وقاموا بارسال تقارير حول اصاباتهم الجيدة التي احرزوها .

واخذنا نلحظ في يوم الثلاثاء المصادف الثلاثين من تشرين الاول وعند منتصف الليل اضوية لواءنا وهي تقترب نحونا من اتجاه ناحال . وكتبنا على احدى قطع الكارتون الخاصة برزم التموين المظلي العبارة التالية «قف امامك الحدود!» بهذه الصورة استقبلنا اللواء الذي انضم الينا عند منتصف الليل .

وفجأة تبدد جو الهدوء «الموسيقي» . اذ يمتلك اللواء الكامل نمط الحياة الخاصة به ، حيث ينطلق الصراخ والاوامر وضجيج الاليات التي تسير . وعند بزوغ فجر اليوم الرابع لاحظت بعضا من جنود فوجي وهم يحملون على اكتافهم رزما غريبة هي خراف مجمدة ، وتعد هذه الخراف الغنائم التي جلبها معه اللواء من مخازن التبريد العائدة للجيش المصري في ناحال . وحظرت استخدام اللحم المستوي عليه . فالشيء الذي لايكون لجميع جنود الفوج لايكون لاحدهم كذلك .

وعند ظهر اليوم الرابع ، انتظمت قوة الفوج المذكورة آنفا لمواصلة السير نحو الغرب

باتجاه السويس . وبدأت ، في الواقع ، بهذه الصورة معركة الميتلا . ولم يشارك فوجنا بهذه «الحملة» .

وواجه الفوج الذي تقدم نحو الميتلا بعض التشكيلات المصرية اذ كانت هناك قوة مصرية تقدر بفوجين . غير ان طياري سلاح الجو الذين هاجموا القوة المصرية ، افادوا بتقاريرهم المقدمة قبل ذلك ، بانها قد دمرت ، ولم يكن ممكنا من الجو تمييز الجنود المصريين الذين كانوا مستعدين في الجحور والكهوف الموجودة بين الصخور في الممر . وسمح المصريون للدورية الاسرائيلية اجتياز الخط المصري الاول ثم هاجموها بنار حامية من الامام والخلف عندما اصبحت الدورية مجمعة في مركز القوات المصرية .

واستلمت بعد الظهر امرا بالتوجه صوب الميتلا لاستقصاء الوضع هناك . اذا قالوا لي «ربما تكون الدورية بحاجة اليك» .

وكانت المسافة التي تفصلنا عن الممر تبلغ حوالي ثمانية كيلومترات . توجهت في احدى سيارات الجيب الى المنطقة حيث وجدت ان القوة التي يقودها دويدي مازالت لم تدخل المجال المصري حتى ذلك الوقت . ورغم انه كان هناك اتصال مع القوة المحاصرة في الميتلا التي يقودها موطيه غور ، الا ان صورة الوضع كانت مبهمة . كل الذي عرفناه ان القوة الاسرائيلية المطوقة في وضع خطير ، بيد اننا لم نعرف شكل الاستعدادات المصرية وماهية القوة المصرية ولم تنجح الدورية التي ارسلت للقيام بالاحاطة في الانضمام الى القوة المحاصرة ، حيث عادت الى المنطقة المواجهة للممر ، نتيجة لمواجهتها نارا شديدة وتكبدها عددا من الخسائر .

واخذنا نتشاور انا ودويدي حول كيفية اكتشاف موقع المصريين الدقيق وتخمين قوتهم . وانضمت الينا سرية عوفيدلدجينسكي قادمة من المنطقة التي كنا فيها . وقامت بعض الطائرات المصرية النفاثة بمهاجمتها من الجو وصبت علينا القنابل والصواريخ . وقبل دقيقة او دقيقتين من ذلك ، كانت طائراتنا تحوم في الجو ، غير انها عادت للتزود بالوقود ، لذلك استطاعت الطائرات المصرية تنفيذ مهامها دون اي عائق . حيث اصابت تلك الطائرات المصرية وبدقة متناهية شاحنة تحمل ذخيرة التي احدث انفجارها دويا كبيرا . وبعض عجلاتنا الاخرى . حيث اصيب بعض رجالنا بجروح .

واقترح دويدي ان يصار الى ارسال متطوع باتجاه القوة المحاصرة ، يصل اليها ويعود ليخبرنا بما حدث هناك . تطوعت للقيام بذلك . غير ان دويدي رفض ذلك . ثم تطوع سائق دويدي الذي يدعى كين درور لتنفيذ المهمة . وسار بسيارة الجيب باتجاه الغرب . بعد ذلك دوى صوت انفجار شديد ، عبر منطقة الانحراف . ولم نر كيف انفجرت سيارة الجيب ، كما اننا لم نشاهد السائق بعد .

ثم ارسلنا مجموعة مقاتلين في بعض العجلات نصف المجنزرة بقيادة دان زيف . وقد عبرت المجموعة المنطقة ووصلت الى موطيه غور ثم عادت ، ونجحنا حتى ذلك الوقت بتحديد ثلاثة مواقع مصرية بصعوبة بالغة ، حيث تمكنا من اصابتها بمدافعنا عديمة الارتداد . غير ان دان زيف جلب تفاصيل دقيقة حول القوة المحاصرة والقوات المصرية .

واخذنا نخطط لشن هجوم ليلي بسريتين من فوجنا احداها بامرة عوفيد والثانية بقيادة ليفي حوفش . وفي الليل هجم عوفيد من اليسار ، بينما هجم ليفي من اليمين . وقامت السريتان بعد ساعتين من الشروع بالهجوم . بتدمير القوات المصرية والالتحام بالقوة المحاصرة التي يقودها موطيه غور . ولم يكن للمصريين مكان يهربون اليه . فقوة موطيه امامهم وقواتنا من خلفهم . وقد استشهد عوفيد في هذه العملية .

واخذ فوجنا على عاتقه مسؤولية مسك المنطقة . وواصلنا في الغداة تطهير المنطقة . ووجدنا ان هناك منطقة صغيرة اخرى في الهضاب يتمركز فيها المصريون . ودفعنا ثمنا باهظا من الدماء تمثل بستة وثلاثين قتيلا واعداد تفوق هذا العدد بكثير من الجرحى ، جراء الثقة المبالغ فيها ، بان المنطقة خالية من القوات المصرية . لقد كان ذلك بمثابة خطأ . كما انه كان درسا استخباريا خطيرا ، الذي كلف حياة العديد من الاشخاص .

واعددنا في الحال في منطقة تمركزنا مدرجا لطائرات «الداكوتا» حيث اخلينا الشهداء والجرحى . كما جرى نقل فوج موطيه الى الشمال .

واستلمت في مساء الخميس امرا بالتحرك مع فوجي الى منطقة راس سودار . وجمعنا العجلات الموجودة تحت تصرفنا من اسرائيلية ومصرية ، ووضعنا عليها الاشارات المتفق عليها مسبقا لغرض تمييزها من الجو والارض . وكانت الاشارة مشتركة مع البريطانيين والفرنسيين . وبدأنا عند حلول الظلام بالسير نحو راس ـ سودار . وكانت ليلة حالكة الظلام . وكنا نمتلك خرائط محدودة جدا من ناحية الدقة . وتغلبنا خلال الليل على عوائق الطريق . وعندما اشرقت الشمس ، كان رأس سودار منتصباً امامنا . ودخلنا المنطقة دون اية مقاومة . ولم يكن هناك اي من المصريين العسكريين منهم او المدنيين . وتزودنا بالوقود من محطة تعبئة الوقود . كما وجدنا هناك بعض الطعام . وبقينا هناك بعض الوقت الى ان استلمنا امرا جديدا . والتقينا بالمصريين الذين فروا من (ابورودس) والطور خشية من اللواء التاسع الذي توجه الى هناك . وهم لم يعلموا بأن راس سودار قد سقط بايدينا . وها قد ظهرت شاحنة زرقاء جديدة تقل بعض مهندسي النفط الايطاليين . وقد شرحت لهم بعض الامور حول الحرب ، وحول اهمية الشاحنة بالنسبة

لي ، وهم بطبيعة الحال على استعداد لصالح مجهودنا الحربي ، للتنازل عنها ، الا انهم بحاجة الى لحم ابيض . انها مشكلة بالنسبة لهم .

واعلنت احدى طائرات (الداكوتا) اثناء الليل امرا في جهاز الاتصال يقضي بالتحرك نحو الجنوب الى الطور . وابقيت فصيلا واحدا لمسك منطقة راس سودار . وتوجهنا منذ الصباح الباكر نحو الطريق التي يصل طولها حوالي ثلاثمائة كيلوا متر . ولم نواجه اية مشاكل في مجال الملاحة . اذ لم يكن هناك سوى طريق واحد على طول الساحل . ولم نكن نملك اية معلومات حول التشكيلات العسكرية التي امامنا وحول حالة مختلف تفرعات الطريق .

واستقبلنا سكان منطقة ابو زنيمه بفرحه وبتصفيق شديد . واظهر استقصاء بسيط ، انهم اعتقدوا باننا سوريون وجئنا لانقاذ حياتهم من قبضة الاسرائيليين . وقلنا لهم الحقيقة ، فاصبح الشارع فارغا بسرعة شديدة . حتى بعض الدجاج المتفرق الذي شاهدناه في الشارع الرئيسي والذي جعلني اعد بعض الخطط لكيفية تحضيره بصورة مجدية ، اختفى ولم يعد له وجود .

وتزودنا بالوقود من محطة تعبئة الوقود العائدة لمنطقة ابو زنيمة ثم واصلنا مسيرنا الى (ابورودس) . وقد وجدنا هناك الوقود والطعام ايضا . واخذت تزداد في الطريق المواجهات مع الجنود المصريين الهاربين من منطقة شرم الشيخ والطور والذين بدأت اعدادهم تزداد باضطراد .

ووصلنا منطقة الطور في المساء تقريبا . وكانت قوتنا قد احتلتها قبل ذلك دون اية مقاومة . وقد جاءت هذه التسمية لها عن مثل اسرائيلي بسيط . واصدرت تعليماتي بالانتظام في مطار المدينة لقضاء الليل هناك والانتظار لحين صدور اوامر في الصباح .

ولم يكن لنا اي طعام . اذ لم نمر في طريقنا من ابورودس الى الطور باية مدن اخرى ، وعليه لم نتجهز باي شيء . ولم يستطع الحاكم العسكري تقديم اية مساعدة لي سوى باسدائه النصيحة التالية ، هناك متجر واحد في المدينة . ربما تجد به شيئا ما . وكانت توجد عندنا نقود مصرية غنمناها من الفوج الذي ابدناه في مختلف المواقع في طريق سيرنا . وكنا نحتفظ بالنقود في اكياس الرمل . واخذت احد هذه الاكياس في طريقي الى الحانوت المصري . وانتصبت امام عيني رفوف المتجر وهي محنية جراء ثقل المعلبات الموضوعة بكثرة عليها (على الرفوف) .

وقد اشتريت كل شيء واعطيت للمصري الشيء الذي اذهله (نقود كثيرة) . اذ لم يكن لي مزيد من الوقت لغرض المساومة على الاسعار . ورميت امامه مايحتويه كيس الرمل من نقود كثيرة وقلت له ان يأخذ المبلغ الذي تساويه البضاعة . وعندذاك كان اندهاشه

اكبر . وانا شخصيا لم اعرف مقدار النقود الموجودة هناك . واخذ بحذر سبع ليرات مصرية ولم يمس النقود المتبقية . ولم استقص معه موضوع النقود ، كذلك لم اكن خبيرا باسعار المعلبات المصرية .

وكانت العلب بشتى الالوان ، حيث أحدثت فرحة لدى افراد الفوج . وبغية عدم الحاق الجور باي شخص ولتنويع الاطعمة ، قمت بتوزيع على كل سرية عشر علب بنفسجية واثنتي عشرة اخرى صفراء وثمان خضراء . ثم يتم في السرايا تقسيم الطلب على مجموعات الجنود بالتساوي . وجرى اضرام النيران من الاغصان المتساقطة من الاشجار استعدادا للحفلة الكبرى . وفي ذلك الوقت سمعت من احد الاتجاهات انينا جراء خيبة امل «ان هذه العلب هي مربى وليست خضراوات» . ومن الجانب الثاني «كذلك الحال بالنسبة للعلب البنفسجية» ثم «الصفراء ايضا» وباختصار فقد اشتريت بالليرات المصرية السبع كل ما موجود من مربى في المتجر المصري . ولا اعتقد فيما اذا تذوق اي جندي من جنود فوجنا المربى ثانية منذ ذلك الحين .

وفي الوقت الذي يجب ان يقضي فيه الفوج الذي يعاني من التعب والجوع ليلة بالنوم ، جاءنا احد الاشخاص وهويحمل قصاصة ورقية وفيها امر يقضي «بالتحرك عند الصباح الى شرم الشيخ واحتلالها» . وهذه هي المرة الثانية التي استلم فيها امر دون اي ايجاز عن العملية . وليس هناك من اسأله عن ذلك .

وتحركنا عند الضياء الاول نحو شرم الشيخ . حيث علينا قطع مسافة ثمانين كيلو مترا . وكانت جميع اطارات العجلات نصف المجنزرة ممزقة . اذ اخذنا نسير على دواليبها الحديدية . وبدأت تشتد المواجهات مع المصريين . عندما دخلنا الى ممرات الجبال ، في الطريق من الطور الى شرم الشيخ . وقد جرح ضابط الاتصال على مستوى الفوج . وكلما نقترب من منطقة شرم الشيخ ، تظهر لنا العديد من العوائق والالغام وتفرعات الطرق المربكة والتي يصعب اجتيازها .

والتقيت بوجه معروف لديّ . فقد جذب انتباهي احد الجنود المصريين من بين المجموعة المصرية التي اسرناها . وطلبت منه ان يرفع سرواله الى الاعلى . اذ يوجد في رجله اثر لجرح ، مثلما خمنت . لقد وقع هذا الجندي في الاسر عندنا قبل سنة من ذلك التاريخ ، ابان العملية التي نفذناها في المنطقة المنزوعة السلاح من نيتسينا . انه لقاء غريب .

ولم تكن في شرم الشيخ اية مقاومة . وقد وقع العديد من الجنود المصريين في الاسر ، بما في ذلك عدد من الضباط . كما استولينا على هيئات التموين . ولاول مرة في حياتي ،

احتسيت الكوكاكولا . وكان هناك العديد من علب الطعام المحفوظة ، وهي اطعمة حقيقية وليست مربى . حيث تجهزنا بالاطعمة حسب الاصول .

وخلال تجوالنا في المنطقة وجدنا خارطة وقطعاً دائرية ووثائق الطائرة العائدة للطيار يونتان اتكس ، وهو الاسير الاسرائيلي الوحيد في حملة قادش الذي سقط قرب رأس نتسري . وقمنا باستجواب الضباط المصريين الكبار والطبيب المصري الذي كان معهم ، حيث حكوا لنا الحقيقة ، وهكذا اتضح في وقت لاحق جداً ، ان اتكس قد تم اخلاؤه من شرم الشيخ قبل وقت قصير من وصولنا حيث جرى نقله الى مصر بواسطة سفينة .

وكان لقائي مع ابناء تل ـ عداشيم لقاءاً مؤثراً ، الذين وصلوا مع اللواء التاسع وقاموا قبلنا باحتلال النصف الشمالي من شرم الشيخ ، بينماقمنا نحن باحتلال الجزء الجنوبي . وقد استشهد خلال الطريق شاب من تل ـ عداشيم يدعى ماكس بيشار .

وامرني افراهام يافيه آمر اللواء التاسع بترك شرم الشيخ والعودة الى الطور . ولايمكن ان يخطر ببالي ، انه ينوي ابعادنا عن مخازن الجيش المصري التي تحتوي كل ما هو جيد .

انه الامر الذي يصدر ، مهما يكن ، فهو امر . وفي طريقنا الى الطور ، لاحظنا توجه عجلة مصرية نحونا . فقفزنا بسرعة الى جانب الطريق ، وأخذنا نوجه الاسلحة ، وقبيل قيامنا بالهجوم تقريباً ، إذا بموشيه دايان رئيس هيئة الاركان العامة وبعض من كبار الضباط يجلسون في تلك العجلة المصرية في طريق توجههم الى شرم الشيخ . وكان من الممكن ان تحدث مواجهة في تلك الاثناء . . ومن شدة حماسي قدمت لدايان العلم المصري الذي كان مرفوعاً في شرم الشيخ كهدية .

وبعد ليلة اخرى في الطور ، جرى نقلنا الى الشمال عن طريق رحلة ليلية واخذت اتحدث مع الطيارين في كابينتهم . واظهر الطيارون علامات بارزة لعدم الارتياح الذي انتابهم وراحوا يتحركون في مقاعدهم بعد ان نفذ صبرهم . ولم افهم ما الذي يزعجهم . وسألتهم عن ذلك ، فأجابوا علي سؤالي ، بتوجيه سؤال لي «منذ متى لم تغتسل ؟ » كانت تنبعث مني رائحة الحرب التي هي مزيج من العرق والدم والغبار والزيوت . فمنذ لحظة هبوطنا بالمظلات في الميتلا وحتى هذه الرحلة الليلية لم نحلق ذقوننا ولم نغتسل ولم نغير ملابسنا وجواربنا .

في منطقة تل ـ نوف ، انتهت بالنسبة لي حملة «قادش» . ولم اعلم الا هناك بانني كنت آخر شخص رأى اساف سمحوني قائد المنطقة الجنوبية قبل مماته . فقبل ساعات معدودات من طيراننا من منطقة الطور باتجاه الشمال ، هبطت هناك طائرة سمحوني ،

التي كانت من طراز بايبير ذات اربعة مقاعد ، لغرض التزود بالوقود . وقد اعطيته قصاصة ورقية ليرسلها الى بيتي . وعندما حلقت طائرته ، اخذت طائرة بايبير اخرى ورافقته . وقد حلقت فوق البحر لمدة خمس دقائق . وقد حلق سمحوني والاشخاص الذين كانوا معه ، نحو حتفهم . حيث ضلوا الطريق ، واخذ وقودهم ينفذ . الامر الذي جعلهم يهبطون بشكل اضطراري وتحطمت الطائرة بمن فيها .

وبعد مرور وقت قصير من ذلك ، نجوت من مصير مشابه بمعجزة ، حيث حلقت في طائرة من طراز بايبير لغرض اجراء استطلاع في سيناء ، قبل ان يقوم جيش الدفاع الاسرائيلي بالجلاء من الصحراء . حيث لاحظنا في منطقة الكونتيلا وجود حروف ال (اس . او . اس) ومجموعة من الاشخاص تلوح بقمصانها . وقد كان هؤلاء مجموعة من المتنزهين الاسرائيلين الذين صادفوا حقلاً للالغام ، وقد انتابهم في الواقع ذهول شديد . وقمنا بالهبوط قربهم . ثم اتضح ، باننا في مركز حقل الالغام والمعجزة وحدها هي التي انقذت الطائرةمن الانفجار عند ارتطام عجلاتها بالالغام . نزلت من الطائرة ووقفت على العجلات واخبرت الاشخاص المذهولين بعدم التحرك من اماكنهم بواسطة الصياح نحوهم . واكدت لهم بانني سأطلب النجدة لهم لانقاذهم من حقل الالغام .

بعد ذلك اخذت تقلقني مشكلة بسيطة اخرى ، وهي كيف سنحلق من هنا دون حدوث انفجار ؟ ورحت اتطلع للشخص الذي كان معي من رجال سلاح الجو وهو ينظر الي وكلانا يعرف ان المعجزات لا تحدث ، بشكل عام ، باستمرار لشخصين وخلال عدة دقائق . وتغلبت على جميع المخاوف ، وخرجت من الطائرة بحذر ، واشكر الله على انها خفيفة الى هذا الحد ، حيث امسكت بذنبها (الطائرة) ورحت اغير اتجاههابابطأ الى ١٨٠° ، حيث اصبحت مقدمتها الى الخلف وذنبها الى الامام . ثم عدت الى الطائرة . وبدأتُ بالحركة ، واخذت اسير على اثار العجلات التي تركت في الارض وقت الهبوط ، ثم حلقنا بدون حادث .

بعد ذلك حدث اخلاء سيناء . اذ قبلت اسرائيل حكم الدول العظمى . وكنا ، انا وضابط استخبارات اللواءآخر من ترك منطقة قوسيمة . حيث دخلت المنطقة قوات الامم المتحدة . وتركنا لقوات الامم المتحدة لافتة كبيرة مكتوبة باللغة الانكليزية على قطعة من الكارتون ومثبتة على احدى اشجار اليوكالبتوس . فقد اعلنا للامم المتحدة باننا افضل جيش في العالم ولن يحققوا الانتصار علينا مطلقاً . لقد تركنا المنطقة بحدونا الاسف . وعبرنا عن اسفنا في العبارات التي ثبتت على شجرة اليوكاليبتوس .

عدنا بعد ذلك الى معسكرنا الجديد الكائن قرب كفار ـ يونا وعند اخلائنا لسيناء ، نفذنا العديد من العمليات على طول قاطع غزة وامام جنوب جبل الخليل ، تمثلت

بالكمائن والدوريات ووضع الحواجز ضد المخربين والحيلولة دون تهريب المخدرات من سيناء الى اسرائيل . وقد كان معسكرنا يقع بالقرب من مستوطنةنيريم .

وكانت اغلب عمليات الفوج يتم تنفيذها خلال ساعات الليل . وكنا نهتم خلال ساعات النهار باجراء التدريبات والرياضة والجولات الاستطلاعية . وكانت توجد في المعسكر خمسة إبل حصلنا عليها من احدى المواجهات السابقة ، حيث يستخدمها المهربون لحمل على ظهورها كمية كبيرة من المخدرات . وكانت تجول هذه الابل دون اي عائق في منطقة المعسكر الخاصة بالفوج . وكانت مربية الاطفال واطفال الروضةالخاصة بمستوطنة نيريم ، يأتون لزيارتنا . وفجأة ، ودون سابق انذار ، يهجم احد الابل صوب المربية والاطفال من خلال غوائه وصراخه المخيف . وامسكت بهراوة ووقفت بين الجمل والاطفال لحمايتهم منه ، واخذت هذه الضوضاء تسبب لي الازعاج . واندفع الاطفال في غضون ذلك الى احدى الخيم المجاورة ، والصراع يدور بين هذا الجمل الوحشي وبيني حول موقع الصدارة في الفوج . كان يوجد في الفوج عرض مجاني بين آمر الفوج والجمل . ويقف وكيلي مارسيل توبياس الى الجانب ، وهو لايفهم اي شيأ مما يجري ، غير انه يعرب عن رأيه بلغته الخاصة قائلاً : «نعم ، ان آمرنا يلعب مع جمل جميل» . وفي النهاية ضاقت الارض بالجمل فولى هارباً من هناك .

واجريت في احدى المرات طلعة استطلاعية في الطائرات ولاحظت مارسيل يقف قرب احد البرك . وحلقت فوقه بشكل منخفض جداً الامر الذي اضطره على الانبطاح داخل البركة ، كمكافأة على تعليقه السابق .

بعد ذلك نقلنا نشاطناالعملياتي الى الحدود الشمالية حيث قمنا بالعديد من العمليات على الحدود السورية ، في المناطق الكائنة يسار دردره وفي عمق الحولة واجرينا تدريبات عنيفة مع العديد من التمارين المظلية على مستوى الفوج وضمنه .

واخذت في عام ١٩٥٨ فترة توقف عن ممارسة النشاط العملياتي المتواصل حيث اشتركت بدورة القيادة والاركان التي استغرقت سنة واحدة . وكانت هذه السنة من الناحية الشخصية فترة دراسة ممتازة . حيث حققت ماتمنيته لنفسي واحسست بانني لن أخيب امل قادتي بي في المدرسة .

عدت الى اللواء ، حيث شغلت منصب وكيل آمر اللواء . وقد عملت كوكيل لثلاثة آمراء لواء ذوي صيت هم : حكا (اسحق حوفي احد رؤوساء الموساد الاسرائيلي السابقين . . . المترجم) والي زعيرا ، ومناحيم (مان) افيرام .

وخلال ذلك تم ازالة الغبن البسيط الذي لحقني ، فقد انهيت تدريباتي في مجال الطيران في سنة ١٩٥٧ ، غير انني عندما اشرفت الدورة على نهايتها تغيبت بشكل

قسري عن حضور التعداد النهائي لها ولم احصل على الشهادة والاجنحة (شارة الطيران) . وفي الوقت عينه وقع حادث برج مراقبة البريد ، حيث اقيم في مكان الحادث حالياً مستوطنة سنيار في الشمال . وقد بقي هناك سلاح يخص جيش الدفاع الاسرائيلي ، وطلب من فوجي الاستحواذ عليه واعادته الى اسرائيل . وبعد مرور وقت ما اجريت طلعة استطلاعية في النقب واجتزت بصورة خاطئة الحدود في سيناء . وقد لاحظني مراقب الامم المتحدة ، وسجل رقم الطائرة وقدم شكوى من خلال شبكة الاتصالات المألوفة . وقام حاييم لاسكوف رئيس هيئة الاركان العامة باستدعائي الى مكتبه وبحضور عيزر وايزمان قائد سلاح الجو ، طلب تقديم توضيح لما حدث . فحكيت له بصراحة ، بانني كنت احلق على ارتفاع واطئ واجتزت الحدود بشكل خاطئ ثم عدت في الحال . واثنى لاسكون علي حول افادتي المباشرة ، واضاف قائلا «الان تحصل على جناح الطيران الذي لم تنله بسبب حادث برج مراقبة البريد» . وفي الحال استل وايزمان جناح الطيران وطلب مني تعليقه على الجانب الايسر من صدري . ولم اوافق بأي حال من الاحوال ، بأن هذا الجانب كان محجوزاً لجناح المظليين . وكلمة مني واخرى من عيزر واضطربت النفوس . وقد طلب عيزر مني اخلاء الجناح واجبته ، ان اي قوة في العالم لاتستطيع تحريك جناح المظليين الامر . حين ذاك اراد عيزر تثبيت جناح الطيران فوق جناح المظليين . في الجانب ذاته ، غير ان رئيس هيئة الاركان العامة ، قال انه من غير المألوف وضع جناحين في ذات الجانب من الصدر . وفي النهاية وافقنا على ان هذه الحالة تلتزم الخروج عما هو مألوف حيث تم وضع جناح الطيران على الجانب الايمن من صدري .

ومثلما يعرف جميع اصدقائي وخاصة جميع خصومي ، ان اللغات الاجنبية تعد نقطة ضعفي ولم تتوج بالنجاح الكبير المحاولتان اللتان قمت بهما من اجل التغلب على هذا العائق . فقد تحدد مسبقاً ، انه عند انهاء دورة القيادة والاركان اشترك في دورة عسكرية عليا في فرنسا . وتوجهت لتعلييم اللغة الفرنسية ، لم اعرف اللغة الفرنسية . وانقطعت عن مواصلة التعليم . ورجعت الى القيادة والاركان . حيث عملت بمنصب وكيل آمر لواء واهملت اللغة الفرنسية بحسرة .

مع «المارينز» في الولايات المتحدة

طلبت في عام ١٩٦٠ وخلال حديث مع لاسكوف رئيس هيئة الاركان العامة السفر الى الولايات المتحدة للاشتراك في مدرسة القيادة والاركان التابعة لل «مارينز» (المارينز جنود مشاة البحريةالامريكية. . . . . المترجم) . ولم يذهب قبلي الى هناك اي

شخص من جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد وافق لاسكوف . واشتركت بدورة اساسية محددة في اللغة الانكليزية ، بيد انه كان من الصعوبة عليّ حينذاك ان افهم شيئاً . (كذلك حتى الوقت الحاضر لا اهتم بالترجمة من اللغة الانكليزية الى اللغة العبرية وبالعكس) . بدأت اتعلم قليلاً من الانكليزية ، وتم الاتفاق على ان يقوم الملحق الامريكي البحري باختباري . وقد دعاني الى تناول وجبة غذاء في احد المطاعم الكائن في تل ـ ابيب . واتفقنا على ان يتحدث معي بالغة الانكليزية وارد عليه باللغة الانكليزية ايضا اثناء تناولنا للوجبة الجيدة ، وفي النهاية هو الذي يحدد فيما اذا كنت جديرا بالسفر للاشتراك بدورة «المارينز» .

وجلست امام الرجل الامريكي الذي يعد بطل حرب ، وقائداً لاحدى الغواصات الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية ومحنكا بالمعارك ضد اليابانيين ، وهو يعرف بوضوح ان حلمي بالاشتراك في هذه الدورة القيمة يقرر في الوقت الذي نتحدث فيه كلانا بطلاقة . ولم استطع فهم «امريكيته» (اي أللغة الامريكية) ، كما انه لم يستوعب بدقة التعابير «الانكليزية الخاصة بابن تل ـ عداثيم» . وفجأة وبتودد وسعة صدر ، توقف عن تناول مأدبة «تغذيته» وقال لي بلغة عبرية طليقة «استمع ، مع انكليزيتك هذه ، لن نستطيع انهاء وجبتنا ، انت تسافر للاشتراك في الدورة في الولايات المتحدة ، وهناك تتعلم اللغة الانكليزية وانا اثق بانك ستكون على احسن مايرام» . وعند ذاك اردت تقبيله .

في حزيران عام ١٩٦٠ ، سافرت برفقه عائلتي الى الولايات المتحدة . وتوجهت الى كونتيكو في سيارة بريهر الملحق العسكري في واشنطن . وتم تسجيلي في الدورة . ووجدنا بيتاً صغيرا (باركر هاوس) مليئا بالنداوة والرطوبة والذي يفتقر الى بعض الخدمات . ويبدو المنزل جميلا من الخارج . واجرينا عليه بعض التصليحات لغرض السكن فيه ، وخرجت الى المدينة الصغيرة ، ترايئنجل ، وانا احمل

قائمة مشتريات تحتوي في مقدمتها سيارة ومكنسة . ولم اقتن قبل ذلك على الاطلاق اية

سيارة . ولم تكن لي البتة قبل ذلك سيارة خاصة . وكانت النقود الموجودة عندي موزعة بدقة وفقا للحاجيات . وجئت الى احدى ساحات بيع السيارات المستعملة . ورحت اقدم نفسي وانحنى البائع قليلا اعرابا عن حسن نيته ، ثم قلت «اريد سيارة بمائتي دولار ؟ وان تكون مضبوطة ودون اي نقص !» وقد كانت من طراز شفرليت موديل ١٩٥٠ . ورحت اتفحصها ، فقد كان المحرك يعمل ، والزيت نظيف ، والعجلات بحالة جيدة ، والمقاعد سليمة . دفعت المبلغ ، ورحت اسير بها . ثم اشتريت مكنسة وبعض الاقداح ، وقفلت راجعا الى البيت . وبعد مرور وقت قصير ، اتضح لي ان سيارتي تساوي مائه دولار لاغير . الا انني لم اضمر في قلبي اي شي للرجل الذي باعها لي . ألم اقل انني اريد شراء سيارة بمائتي دولار ، هذا ماحدث معه .

كانت الدورة تضم ستة عشر تلميذا اجنبيا من امريكا الجنوبية والشرق الاقصى ودول حلف الناتو . وانا الوحيد من الشرق الاوسط . ودرسنا لمدة اسبوعيين الانكليزية الاساسية ، وهي عبارة عن دورة تحضيرية تسبق الدورة المركزية حيث تتضمن ، اللغة الانكليزية ، وعادات المكان وبنية «المارينز» واساليب التصرف وكل مايجب ان يعرفه المرء عن الحياة في الدورة وما يحيط به .

ان «المارينز» يعد قصة مثيرة سواء حينذاك ، او في الوقت الحاضر ايضا . فاطار الوحدة فيه تختلف عن جميع الاطر العسكرية الاخرى . حيث يستطيع جندي انزال البحرية الامريكية (احد افراد المارينز) ان يكون هذا اليوم آمر فصيل وغدا طيارا ، وهذا اليوم آمر سرب ، وغدا آمر فوج . اذ يعتبر التنوع في المهام كبيراً جدا والمقدرة عالية ، والفخر بالوحدة يصل الى السحاب .

وكان جميع الامريكيين في الدورة برتبة رائد على الاغلب . وكنت حينذاك احمل رتبة مقدم . بيد انني قمت بإنزال رتبتي الى رائد كي لااكون مميزا عن الاخرين . بهذا الشكل شعرت بارتياح . وكنت مقبولا جدا لدى الامريكيين سواء التلاميذ منهم ام المعلمين . واقيمت علاقات قربى بين آمر المدرسة الذي كان برتبة عقيد وبيني . وبعد مرور وقت قصير اصبح آمر المدرسة مرشحا لشغل منصب قائد «المارينز» . وعندما لم يتم تعينه بهذا المنصب اعتزال الخدمة العسكرية حيث توفي بالسكتة القلبية بعد عدة ايام من اعتزاله . ونحتفظ حتى الوقت الحاضر بعلاقات وطيدة مع زوجته .

وانتقلنا من (باركر هاوس) الملي بالرطوبة ، بعد وقت قصير من قدومنا ، الى شقة اخرى ، هي عبارة عن كوخ خشبي وسط غابة صغيرة مخصص لسكن عائلتين ، حيث كان معي احد العرفاء من القاعدة ، وبقينا فيه حتى انتهاء الدورة التي دامت حوالي سنة .

وقد اثارتني الدراسة في المدرسة حيث كانت تشتمل على التكتيك والاستراتيجة وموضوعات الحرب النووية . وتضمنت الدورة على اجراء جولات في انحاء الولايات المتحدة . وقد شعرت كانني احد ابناء الدولة . واكتشف وجود تشابه كبير بين «المارينز» وسلاحنا المظلي ، من حيث اسلوب التصرف والتفكير ، والاستعدادات غير المحدودة بتحمل اي عبٍ ، والالتزام بالهدف ، والشعور بان مقدرة المقاتل لاحدود لها .

وقد اجهتني في البدء بعض اصعوبات في مجال اللغة ، وكانت اتذكر غير مرة وجبة الغذاء مع المحلق البحري في تل ـ ابيب ، بيد انني تغلبت على ذلك بل استطعت ان القي المحاضرات حول بلدي وحول مشاكلة المركزية ، مثلما يتوجب ان يقوم به اي متدرب اجنبي . وفي اطار التمارين التكتيكية ، كان هناك ايضا تمرين عن ارض ـ اسرائيل . وكانت المعطيات النظرية تحدد انه يجري الطلب من «المارينز» تقديم المساعدة لاسرائيل ازاء تعرضها لهجوم . وبعد عدة ايام شعرت وكأنني في اسرائيل . وقد جاء جميع تلاميذ الدورة يطلبون مشورتي في كيفية التحرك . واين يتم اقامة القواعد ومن اية نقطة تتم استعدادات الهجوم .

وكانت السنة التي قضيتها في الولايات المتحدة طافحة بالبهجة . رغم ذلك انتايتنا بعض المشاعر القاتلة تقريبا . حيث تم غلق المدرسة في فترة اعياد الميلاد ، ومنح التلاميذ اجازة . وقررنا . انا وعائلتي ، السفر الى ميشيغان التي تبعد حوالي ١٢٠٠ كم لننزل ضيوفا عند اقرباء عائلة زوجتي . واخذ البرد يزداد ضراوة وبدأ الثلج يتجمع الى ارتفاعات مذهلة . وحدد بعض الامريكيين من هواة العلوم الاحصائية ، انه لم يحدث منذ سنوات عديدة مثل هذا الشتاء القارص . وضغطنا داخل سيارتنا التي نسميها «كارل» (بهذه التسمية نسمي السيارات القديمة والجديدة) جميع حاجياتنا والقطة فضلا عنا . وادت الصعوبات التي واجهناها في الطريق الى عدم التمتع بالرحلة . اننا لم نواجه مثل درجات الحرارة المنخفضة هذه التي تصل الى اربعين تحت الصفر وجبال الثلج التي يبلغ ارتفاعها مترا او مترين ، سوى في بعض الاحيان في عيمق يزراعيل وفي صحراء سيناء . وكان هناك من يتوقع بانني اعرف ان في مثل هذا البرد يتجمد الوقود وعليه يتوجب خلطه بمادة ضد الانجماد ، الا انها كانت توقعات وهمية . وتعطلت السيارة ، حيث قمت بوضع المادة المضادة للأنجماد وواصلنا السير . ثم تعطلت السيارة ثانية في الطريق الدولي الذي يربط بين الولايات . وتحدد تعليمات الدخول الى هذا الطريق المثبته في الافتة انه «لايجوز ترك السيارة . او تعليم منديل على هوائي السيارة !» ونحن والاطفال معنا ، وهذا البرد . واخذنا نتجمد ببطء ، ولكن كنا بمأمن . واخذنا نغطي ارجلنا بالصحف والاوراق والاسمال والبطانيات . وراح البرد يسخر منا والاطفال

يبكون . الى ان جاء احد افراد الشرطة بدراجته النارية ، توقف وراح يتحدث بجهاز الاتصال . ومضت عشر دقائق اخرى ، ربما كانت اطول فترة في حياتي ، ثم وقفت قربنا عجلة انقاذ اذ وضعوا لنا في الوقود علبة من لمادة المضادة للانجماد واستوفوا منا خمسة دولارات نقدا (لايعطي اي شيء في الولايات المتحدة الامريكية بشكل مجاني ، وهو اسلوب ممتاز ، ومن الافضل تطبيقه في اسرائيل) وهكذا تم إصلاح عيب السيارة وواصلنا السير .

واستقبلنا كونستانتين ، وهي مدنية اقرباء زوجتي ، بتعابيرها البيضاء . فهناك ثلج كثيف يعلوها . وما أعاننا على ذلك البرد القارص سوى دماثة اخلاق وحرارة الاقرباء المتمثلين بالزوجة التي تعمل طبيبة بيطرية والزوج الذي هو مدرس في احدى المدارس الثانوية وطيار هاوٍ ، حيث تغلبنا على ذلك دون ان نصاب بالكآبة .

والحقيقة هي ان رخصة مزاولة الطيران الحاصل عليها زوج ابنت عم زوجتي ، قد جذبت انتباهي . لقد حصلت منذ امد بعيد على رخصة امريكية لمزاولة هواية الطيران ، ولايجوز تفويت هذه الفرصة . وقد تجاوب مع نصيحتي حيث قمنا باستئجار طائرة صغيرة وحلقنا باتجاه مدينة كالمزو . واثارني منظران هما : ان المنطقة تبدو كلها بيضاء الى حد انك لاتستطيع ان تميز على سطح الارض اية شقة للهبوط ، ومنظر الشمس وهي تتجه نحو الغروب .

وصلنا الى كالمزو ، والى مايجب ان ندعوه بهذا الاسم حسب التخمين ، ثم اقفلنا راجعين الى كونستانتين لكننا لم نجدها لانه لم يكن هناك مدرج ولامطار ولا اية شقة هبوط ولابرج للمراقبة كما انه لم يكن هناك اي جهاز اتصال ولا اية اجهزة للملاحة . فقلت لمارتين الذي كان بحيرة من امرة تقريبا «ألاتعرف مدينتك ، وانا لاعرفها» . فرد عليّ وتعابير وجهه تشير الى الاستسلام «لا اعرف اية منطقة ولا ارى شيئاً ولست اعرف شيئاً» .

فقلت له «طيب ، بوسعنا القيام بمحاولة واحدة وفي حالة عدم نجاحنا حينذاك يودع احدنا الآخر . والان نعود الى كالمزو ونرجع ثانية ونحسب بدقة زمن الرحلة . فاما نجد كونستانتين او نهبط هبوطا اضطرارياً اعمى على الارض الثلجية والله يكون بعوننا» .

ولم يكن لمارتين اية مشورة اكثر منطقية ، حيث وافق على اقتراحي بتحريك راسه فيها شيء بارز من الشك .

وكانت اشعة الشمس الاخيرة باهتة . وعدنا الى كالمزو ، ورحنا نحسب الاتجاه ووقت الرحلة . ثم رجعنا الى كونستانتين ، حيث اطبق الظلام على المنطقة وها هو من تحتنا المدرج المنفذ ، عبارة عن مساحة من الارض سوداء وقصيرة . ولامست عجلات

الطائرة الارض واخذت تسير فوقها ثم توقفت . وقال لي صاحب مرأب الطائرات في المطار الصغير «لم ار في حياتي هبوطا سريعا كهذا» فقلت له «لو كنت تشعر مثلما اشعر في الاعلى لهبطت اسرع من ذلك» .

تعد الولايات المتحدة ، وكما هو معروف ، دولة عملاقة ، لكن مع ذلك تعتبر تل ـ عداشيم في اي حال من الاحوال احدى المناطق المهمة في العالم ، وقد استطعت كذلك ان اثبت ذلك . مثلما سنرى هنا ، ففي احدى الجولات التي اجريناها في القاعدة التابعة للقوات الامريكية الخاصة ، التقيت عريفين يتحدثان اللغة العبرية . وقد قص لي احدهما ، انه كان في اسرائيل كمهاجر جديد ، من الذين تم نقلهم بصورة غير شرعية ، في اواخر الثلاثينيات ، ثم هاجر الى الولايات المتحدة وها هو يخدم في الجيش الامريكي بوصفه مترجما من اللغة العبرية الى الانكليزية وبالعكس . وواصل ذلك العريف حديثه ، وانا اتابعه حيث قال ان اصله من جيكوسلفاكيا وقد كان في اسرائيل في منطقة ما صغبره غير بعيدة عن حيفا . وهنا خطر هاجس في فكري ، وتذكرت ايام الطفولة ، فقد كانت في قريتنا مجموعة من المهاجرين غير الشرعيين الجيكيين . وراح العريف يقوي ذاكرتي وهو يقول «لقد كان هناك احد المزارعين ويدعى إيتان والذي يضع الغليون في فمه بصورة متواصلة يهتم بنا ويسد كل نواقصنا» . وحانت اللحظة التي اكشف فيها للعريف عن هويتي حيث اخذ يعانقني والدموع من عينيه .

ومررت باحساس مماثل في كندا ، خلال احدى الجولات الرسمية في القاعدة العسكرية الكندية . وحلقنا باتجاه الغرب الى وينيفج بطائرة بريطانية ، ولم يكن معي في الطائرة سوى مرافقي الرسمي وعدد من المضيفات . وكلمة من هنا واخرى من هناك ، حتى راح مرافقي يقص عليّ انطباعه منذ فترة خدمته في الشرطة البريطانية الخاصة إبان الانتداب في ارض اسرائيل ، كيف جرى استدعاءهم الى الساحل زمن قيام اليهود بانزال المهاجرين الجدد من السفينة «شفتاي لودجينسكي» وكيف قاموا بالقاء القبض عليهم جميعهم واجلوهم الى قبرص . وكيف كانت هناك مجموعة من البلماح التي القي القبض على قسم منها وقضى فترة ما في قبرص .

وارحته بوضع نهاية لهذه القصة المثيرة حيث كشفت له ، بانني كنت ضمن تلك المجموعة ، وفي القسم الذي نجح بالهرب ولم يتم نفيه الى قبرص . اي نوع من اللقاء هذا في سماء كندا .

وعرجنا في طريق عودتنا الى اسرائيل ، على المانيا . وقد لقينا من لدن الاشخاص الذين استضافونا معاملة ودية خاصة . رغم ان اغلبهم كان من الشباب الذين لايمكن ان يكونوا متورطين في قتل شعبي في اوربا قبل عشرين عاما ، الا ان ذلك الامر وضع

حاجزا بيني وبينهم . ولم اكن بغضاً شخصيا ضد هؤلاء الشباب ، الا انني كذلك لم استطع اسقاط جميع الحواجز . وحاولنا في هامبورغ ، قبل وقت قصير من عودتنا الى اسرائيل ، في احد ايام الاحد السفر بواسطة القطار الى نهر هالبا للاستحمام على الشاطئ وقد تجمع عدد غفير من الالمان على ابواب عربات القطار . حيث تقاتلوا بصورة وحشية لايمكن وصفها للحصول على مقعد في القطار . فهاهم الاشخاص المثقفون يتصارعون كالحيوانات ضاربين عرض الحائط كل المقاييس والآدب . واستطعت ان افهم امرا هو ان المنظر الذي اشاهده بام عيني اثق به .

وعدت الى اسرائيل بعد قضاء سنة رائعة في الولايات المتحدة الامريكية والقيام ببعض الرحلات الى كندا وزيارة المانيا . وتم تعييني بمنصب رئيس شعبة العمليات في هيئة الاركان العامة . وقضيت سنتين في هذا المنصب حيث شاركت في العديد من التخطيطات على مستوى هيئة الاركان العامة . وحافظت على العلاقة مع المظليين وشاركت في تمارين الهبوط بالمظلات لكنني تعمقت اكثر فأكثر في جميع اجنحة الجيش وصنوفه مستغلا المعلومات التي اكتسبها سواء كقائد حربي او باعتباري خريج دورة القيادة والاركان الاسرائيلية ودورة القيادة والاركان في مدرسة «المارينز» . وقد درست طيلة هاتين السنتين التاريخ العام ، والتاريخ العسكري وجغرافية الشرق الاوسط في جامعة تل ـ ابيب .

اسد خطير في اثيوبيا

وعند انهاء فترة شغلي لمنصب رئيس شعبة العمليات ، ثم تثبيتي كعضو في وفد جيش الدفاع الاسرائيلي الى اثيوبيا . وطلبت اعفاءي من هذه الرحلة بيد ان اسحق رابين الذي كان يشغل حينذاك منصب رئيس شعبة العمليات رفض ذلك .

هبطنا في اديس ابابا . ونزلنا في فندق صغير ذي طابع اوربي ، وتم تسجيل اسمائنا في دفتر الاستقبال . واكتشفت من خلال النظرة التي القيتها على السجل الذي دونت فيه اسماء النزلاء ، ان اخي الذي درب الاثيوبيين حول كيفية تنظيم حرس حدودهم ، مدون اسمه في السجل . صعدت الى غرفته ، وطرقت على الباب ، ففتح الباب واستقبلني وصابون الحلاقة يغطي وجهه . وانتابتنا فرحة كبيرة .

وتم استقبال الوفد في فناء قصر هيلاسلاسي . وانا احب الحيوانات جداً وهي تشعر بذلك وتبادلني اياه بعد تعارف قصير . وكانت توجد في فناء القصر اقفاص خاصة

بالاسود . واقتربت من احد تلك الاقفاص ، ومددت يدي من خلال القضبان الحديدية ورحت اداعب اسداً ضخماً من المنطقة الكائنة خلف اذنه . وهو يزأر بغضب . ولم اعتقد ، بانني كنت اقوم بشيء شاذ . وهناك من حكى لي بعد ذلك ، ان الامبراطور تطلع من احدى النوافذ وذهل بمشاهدته مايقوم به الضيف الاسرائيلي واخذ يقول «من هذا الشخص ؟ ان هذا الاسد يعد من اخطر الاسود التي القينا القبض عليها في وقت ما في اثيوبيا . . .» .

وتم بعد ذلك اجراء استقبال لنا في احد المعسكرات قرب العاصمة اديس ابابا . وأعدوا من اجل ذلك اصطبلات الخيول . ونثروا القش النظيف على اكوام الروث ، ووضعوا على المناضد كميات مذهلة من جميع اصناف اللحوم ، شرائح صغيرة وكبيرة وبعض الخنازير بكل الاحجام ولحماً مثروماً ، غير ان هناك علامة فارقة مشتركة على جميع هذه الاصناف ، وهي ان هذا اللحم لايعد كاشيرا (اي لايجوز لليهودي تناوله) على الاطلاق ، فهو لحم محذور ، ولم نستطيع تذوقه . وبغية تلطيف معيشتنا ، كان هناك كذلك خبزهم الذي يطلق عليه (اينجيرا) والمصنوع من الدخن . وهذا الخبز عبارة عن رغيف كبير ودائري الشكل والذي طعمه اشبه بالوحل الممزوج بالتبن . ولاحظنا على وجوه مضيفينا علامات بارزة من الاهانة جراء عدم تذوقنا لاي نوع من اطعمتهم . ومن اجل تلطيف طعم اللحم غير المشوي بصورة تامة وخبز (الاينجيرا) ، اخذنا نضع عليها نوعاً من الصلصة ، دون الاهتمام بشيء آخر ، فكثيراً ماينسى المرء كل انواع الاطعمة وقد ينسى كذلك حتى جدته وجميع عائلته واسم دولته وسبب مجيئه .

وانتقلنا بالطائرة من اديس ابابا الى هرار . ثم توجهنا في اليوم التالي في سيارات الجيب برفقة بعض الضباط الاثيوبين الي جيجيكا في صحراء اوكدن . وكان الطريق الشبه صحراوي مثيراً جداً . فقد حولته القرود والغزلان والطيور من جميع الاصناف التي يمكن ان تخطر ببالك ، الى بهجة كبيرة . وسمح لنا حاكم جيجيكا بالتجوال في صحراء اوكدن ، واعطى لنا بسعة صدر ، اذناً لاخذ الاسلحة الباردة الاقواس والسهام والرماح ، من ابناء القبائل التي تعيش هناك . واعتاد ابناء القبائل اخفاء اسلحتهم عن نظر الجيش الاثيوبي ، لذلك لم يفلح الحاكم على الاطلاق في الاستيلاء على تلك الاسلحة .

وكان حظنا اكثر اشراقاً . واطلق الاثيوبيون في معسكر لاحدى القبائل الذي هو عبارة عن اكواخ خشبية دائرة الشكل يلتصق بها الوحل من كل الجوانب ، عدة عيارات نارية في الهواء ، اذ تعد هذه العيارات النارية كافية لهرب جميع ابناء القبيلة من اكواخهم . وكانت هناك امرأة عجوز واحدة لايعرف عمرها ، لم تدخل جراء ذلك ولم

تهرب . وتبادل معها الاثيوبيون بعض الكلمات ، حيث بدت تشير تعابير وجهها انها فهمت قصدنا . نهضت وقادتنا الى اماكن خفية ، حيث خرجنا من هناك بالعديد من المشتريات التي تضمنت الاقواس والسهام والرماح والحراب والسيوف ، وكلها من صنع محلي . ولم يصدق حاكم جيجيكا مايراه .

ولم تشبع اعيننا من مشاهدة المناظر الطبيعية الساحرة قرب بحيرة طانا التي هي منبع النيل الازرق . ودفعنا في الطريق ضريبة لاحد القرود الضخمة من فصيلة (السعادين) ، الذي اغلق الشارع الضيق بجسمه واوقف السيارة الاولى من خلال رفع يده ، ولم يخل الطريق الى ان حصل على اجرة مرور تمثلت كالمعتاد بعدد من الموز والبسكويت . بعد ذلك اقمنا علاقة صداقة مع القرد حيث وافق على التقاط صور معنا .

وكانت لنا «بهجة اخرى مع القرود» في احدى الواحات الجميلة في منطقة تدعى اكرودت والتي تقع على مِسافة غير بعيدة عن الحدود السودانية . وقد قال لنا الاثيوبيون في المناسبات السابقة ، ان لحم القرد من فصلية (السعادين) في نظرهم يعد لطيفاً ، وانه فعلاً طعام مرغوب فيه . ولكن طالما انهم لم يحاولوا اشراكنا بهذا الشعور المذاقي ، فاننا لزمنا الصمت . وهانحن نصل الى احدى الواحات ، حيث اوقف الاثيوبيون السيارة ، وراحوا يشيرون صوب بعض النخيل المرتفعة التي تتحرك القرود من فصيلة (السعادين) فوقها ، وبدأوا يقولون لنا ، انهم سيقومون الان باصطياد بعض هذه القرود ويعدون لنا وجبة طعام محترمة .

وينبغي هنا اسداء نصيحة ، من نوع آخر تسببت بوقوع «حادث دبلوماسي» . فقد كان يوجد لكل واحد منا بندقية . حيث وجهت بندقيتي نحو السماء واطلقت عدة اطلقات متفرقة ، حيث كانت كافية لكي تؤدي الى هرب جميع القرود بارتباك صاخب . ورأيت ظاهرة جديرة بالاهتمام ، وهي ان القرود الضخمة والتي تبدو اشبه برؤوساء القبائل . قد قفزت من الاشجار وسط صخب التهديد وراحت تطرد جميع «جمهور القرود» الى خارج مدى الخطر ، الى الجانب الآخر من الهضبة . وهي (القرود الضخمة) لم تتحرك ولم تخل المنطقة حتى اختفت آخر القرود الصغيرة والاناث . ان هذا الامر يعد قيادة من الدرجة الاولى لم تدرسه ولم تكتسبه من اية مدرسة عسكرية .

ولم يكن في صوت الاثيوبيين اي احتجاج ، بيد انني استطعت ملاحظة نبرة ازدراء بقولهم : «لقد اطلقت النار في وقت مبكر جداً ، لذلك فقد خسرنا وجبة غذاء غير عادية» .

وقد قمنا بزيارة مختلف المواقع الاثرية . والتقينا باشخاص مهمين . ولم ألحظ

بتصرفات الرفاق الآخرين في الوفد اي سلوك غريب ، غير انني لم استطع ان اقدر في وقت لاحق جداً ، وبالتحديد عند قرب انتهاء موعد الزيارة ، الا قدرة سيطرتهم الذاتية . وقد كانوا يعرفون ، وانا لااعرف ، ان ابني البكر يوحنان ، قد مات جراء اصابته بداء الربو في بيتي في تل ـ عداشيم . ولم يدلوا لي بأي شيء . ولم يقولوا سوى انه جراء اسباب مختلفة تقرر تقليص مدة الزيارة الى اثيوبيا . وهكذا عدنا الى اسرائيل في قوت مبكر عما هو مخطط للزيارة . وكان ينتظرني في المطار زوجتي والآخرون حيث جرى اخباري بذلك النبأ القاسي ، وكان ابني يبلغ عشر سنين ونصف من العمر .

لقد قضيت سنة ١٩٦٣ كلها في خارج اسرائيل . وسبقت رحلة الارجنتين ، رحلة اثيوبيا ، على رأس وفد اسرائيلي لمسابقات التزحلق في الهواء . وقد كان ذلك في شباط عام ١٩٦٣ . وكنت رئيس الوفد لبطولة التزحلق في الهواء العالمية .

وسافرنا من بوينس ايرس العاصمة في السيارة الى منطقة المسابقات الكائنة في (حونيان) التي هي عبارة عن مدينة صغيرة في وسط بمباس التي تعد ارضاً منبسطة تخلو من اية هضبة يستفاد منها لغرض التحليق . قمنا بأستئجار المنزلقات وبدأنا بالتدريبات الشاقة .

ورحنا نتناول اللحم في جميع الوجبات ، صباحاً وظهراً ومساءاً . ثم اردنا التنويع حيث اخذنا نأكل شرائح الخبز والبندورة ، وكان مضيفونا واثقين ، بأن افكارنا مشوشة .

ولم نأخذ قسطاً وافراً من الراحة في هذه الزيارة . اذا امتدت الينا ايدي اللاسامية الطويلة والبغيظة في تلك المنطقة كذلك . حيث بدأت الكتابات ذات الطابع النازي والاصلبة المعكوفة واعلام اسرائيل الممزقة ، تثير غضبنا مثلما ينبغي ، غير ان مضيفينا بقت اللامبالاة تطغى عليهم . وقد طلبنا من مرافقتنا الدائمة ان يتم وضع حد لهذه الاعمال . وكل الذي استطاعت ان تفعله لنا ، تمثل بشطب تلك الكتابات او تغطيها بالاصباغ ، الا ان هذه الاعمال تجددت بعد مرور وقت قصير .

وكان يوجد عندي نهم كبير للدراسة والثقافة . فبعد انهاء المدرسة الشعبية في تل ـ عداشيم ، حالت الاحداث التي صادفتني دون اكمال تعلمي بشكل منتظم . وادت الدراسة في دورة القيادة والاركان الاسرائيلية والامريكية وفي جامعة تل ـ ابيب ، الى زيادة شهيتي في مجال الثقافة . وعند انهائي مدة سنتين في منصب رئيس شعبة العمليات ، طلبت قبولي في الدورة الاولى لكلية الامن القومي . وقد استجاب المسؤولون لطلبي . وبذلك تنازلت عن امكانية شغل منصب آمر لواء جولاني خلفاً لموطيه غور . وكان هناك اشبه باتفاق صامت بان يصار ، عند انهائي الدراسة في كلية الامن القومي ، الى تعييني بمنصب آمر لواء المظليين النظامي .

مكائد في كلية الامن القومي

لقد تم افتتاح كلية الامن القومي في القدس . وكانت تلك السنة بمثابة سنة دراسية جديرة بالاهتمام للغاية ، لان آفاقها تعد واسعة حيث تضمنت الامور الآتية : مشاكل الدولة من الناحية القومية ، والتعرف على الجهاز المدني ، والنزاع اليهودي ـ العربي ، والمجالات الاقتصادية واالامنية وماشابه ذلك من موضوعات وقضايا .

ولم تخلو سنة الدراسة في كلية الامن القومي من الاعمال الهزلية القوية جداً والاقل قوة . اذ ليس بوسع الاشخاص الشباب الانهماك في الدراسة فقط . فهم يقومون كذلك بتطوير انماط حياتية ، بيد ان ذلك لايأتي من اجل المساس بجديتهم وحماسهم كتلاميذ .

وقد حدثت عدة قصص منها ، ففي احدى الليالي الحالكة الظلام والباردة والممطرة بغزارة ، تم استضافة احدى مجموعات تلاميذ الدورة في بيت عوزي نركيس آمر كلية الامن القومي ، وراحت مجموعة اخرى التي بقيت في الكلية تحيك مؤامرة ضد احد افراد المجموعة الاولى ويدعى بار ـ كيورا وهو شخص حسود وتفتقر سيارته الى التصليح ، الذي يستضيفه عوزي في بيته . وكان احد رفاقنا قادراً على تقليد اي صوت او لهجة . حيث قام بالاتصال هاتفياً ببيت نركيس ، وقدم نفسه على انه جاره وقال من خلال سماعة الهاتف «ان الجو غير لطيف ، الا انني خرجت الان بسيارتي من مرأب بيتي ولم ار اي شيء جراء الظلام الدامس واصطدمت باحدى السيارات الجاثمة . ورأيت انها لاتحمل رقماً عسكرياً ، وربما يوجد صاحبها عندك ؟» فراح عوزي يوضح الامر للضيوف . حيث اصيب كيورا بالانفعال . لقد تضررت سيارته ، هكذا سمعنا القصة بعد ذلك من لدن رفاقنا ، وهرع الى الخارج ، وهو مذهول وخائف ، يتوجس طريقه وسط المطر الغزير ، حيث اخذ يتلمس سيارته الرطبة من كل جانب ، ثم رجع الى جماعته وقال لنركيس «كل شيء على مايرام ، لقد تم ترتيب هذا الموضوع ضدي . وسأرتب امراً ما ضدهم» .

وبينما نحن فرحين ومبتهجين ومحتفلين بمداعبتنا الصغيرة ، ومتناسين ان هذه المداعبة تكون في الكثير من الاحيان ثنائية المسار ، فبعد مرور ساعة او يزيد في ذات الليلة المظلمة والرطبة ، رن جرس الهاتف في الغرفة التي نحن موجودون فيها ضمن كلية الامن . ورفعت انا بالصدفة ، سماعة الهاتف ، واذا بكيورا يقول : «حسن ، لقد رتبتم هذا الامر ضدي . غير انه قد حدث امر واحد يعد غير لطيف . فقد خرج عوزي الى الخارج ليتبين ماحدث للسيارة ، وانزلق في الطريق الصقيل الى داخل احدى برك الماء

العميقة واصيب بجرح وهو يتألم . واردت ان تعرفوا بهذا الامر . وهو كذلك مزعوج بعض الشيء . . . » . واخذت تتضخم عندنا عبارة «مزعوج بعض الشيء» هذه لتصل الى ابعاد ليس لها علاقة بالموضوع . بعد ذلك انتقل كل شخص منا الى سريره ، وراح يتخيل آمر الكلية يصل في الصباح وهو يستند على عكاز ، ومصاب بجرح وغاضب ويسأل فقط سؤالاً واحداً «من الذي فعل ذلك ؟» انها مداعبة ازاء مداعبة ، غير ان مداعبة كيورا اعطت نتائج افضل .

واستعدوا لحفلة انتهاء الدورة ، سعى بعض الاشخاص بصورة سرية لاعداد بعض الافلام ذات الطابع الخاص عن خريجي الدورة وقادتهم . وكانت النتائج مذهلة وستبقى في الذاكرة لسنوات طويلة .

ويجري عرض الافلام ، حيث يتناول احدها موشيه يوفال (طاب ذكراه ـ وهو معلم مدني) وهو يخرج كالمعتاد في الصباح من بيته الكائن في القدس في طريقه الى الكلية . حيث يحمل حقيبة «جيمس بوند» بيده . ثم يوقفه عند احد الارصفة عملاق يرتدي ملابس يبدو كأنه احد شباب المدارس الدينية حيث سرواله يصل الى حد ركبيته ، وجورابه ابيض ، وقبعته فضفاضة ، وله شفتان غليظتان ، وهكذا يلتقي موشيه يوفال الرجل القصير والنحيف بعملاق ، فيصاب بالفزع . ويخرج العملاق ورقة ويعطيها الى موشيه ، يبغي ارشاده للعنوان المدون في الورقة . (كان العنوان يشير الى احد الاماكن المعروفة في لندن) . وينظر موشيه الى هنا والى هناك ، ثم يعتذر ، لانه لايعرف . ثم يقول له لا أعرف هذا المكان . ويطلب ان يواصل المسير في طريقه . غير ان العملاق يحتجز طريقه ويأخذ بقوة من يد موشيه حقيبة «جيمس بوند» ، ثم يلقيها على الرصيف ويخبر موشيه بشكل عنيف قائلاً :

«لاتتحرك من هنا حتى تخبرني اين يكون هذا العنوان» . ويبدأ موشيه بالقاء نظرة هنا وهناك . من اين يأتي من يساعده ؟ وفي الواقع ، انه لايعرف اين يكون هذا العنوان . ويقرأ العملاق العنوان بصوت عالٍ ، مرة واخرى ويقول «انت تعرف حتماً !» ، حتماً ، لكنني لا أعرفه . ويواصل بذل محاولات خطف حقيبته والهرب ، الا ان محاولته تكون فاشلة . ويطلب موشيه الرحمة لنفسه . حيث يتحتم عليه الوصول الى الكلية . غير ان قلب العملاق لايلين . ويطلب موشيه الصفح من العملاق بقوله «لكني حقاً لا أعرف» . فيرد عليه العملاق بتعابير تدل على «انتهاء اللعبة» قائلاً «انت تتباهى بانك تعرف لندن مثلما تعرف كف يدك . ان هذا العنوان ، يعد مكاناً مشهوراً في لندن . انت لاتعرف لندن» .

ثم يتم عرض فيلم آخر ، خلال ساعات الصباح تتجه آلة التصوير المخفية صوب

بيت عوزي نركيس آمر كلية الامن القومي ، وتدخل الى بيته . حيث يتم فتح باب البيت ، وعوزي واطفاله يخرجون للركوب في سيارتهم . وكان يقف قرب سيارته شخصان من «منظفي الشوارع» ، وقد وضعت على الغطاء المتألق لمحرك السيارة علبة كارتونية طافحة بالقمامة الرطبة . تنبعث منها روائح مقززة . هنا تركز آلة التصوير على وجه عوزي نركيس ، الذي يعرب عن السخط والغضب والغيظ . ثم يصرخ عوزي بشدة قائلاً «ماهذا الموضوع هنا ؟» فيرد عليه أحد «عمال التنظيف» بسذاجة قائلاً : «نحن من البلدية ، ونقوم بتنظيف الشارع» . فيقول عوزي «لكن ، هل يعني ذلك ان تضعون الاوساخ على السيارة . . .» وبدل الرد على عوزي ، يقوم احد «المنظفين» بغرز كفه في كومة القمامة الموجودة في الطريق ويأخذ منها كمية مناسبة وبنثرها على العلبة الكارتونية الموضوعة على غطاء محرك السيارة ، حيث تتدفق المياه القذرة منها الى جميع الجوانب .

ويقرر عوزي عمل شيء ما . حيث يحاول مسك العلبة الكارتونية القذرة ولازالتها من فوق السيارة . ويبدأ احد المنظفين باعاقته . غير ان عوزي يغضب بشدة وهذا الغضب يمنحه قوة ، حيث يمسك بطرفي العلبة الكارتونية ويرفعها الى الاعلى . عند ذاك يظهر ان العلبة تفتقر الى قاعدة . لذلك تنتشر القمامة ومياهها الوسخة على جميع غطاء محرك السيارة كله . وغطى رذاذ القمامة الزجاجة الامامية للسيارة . ثم حاول عوزي ، الذي بدا شبه مرتبك ، ان يخطف مكنسة من ايدي احد «عمال التنظيف» لتنظيف غطاء محرك السيارة والزجاجة الامامية . غير ان «عامل التنظيف» يسحبها منه بعنف . حيث يقول «آسف جداً ، انها من ممتلكات البلدية ، ولايسمح لغيرنا باستخدامها» . ثم يتوعده عوزي بالعقوبات والامور الاخرى وبصرخات التهديد العنيفة . لقد عرف عوزي انه خسر هذه المعركة . حيث يفتح باب السيارة ويضع ابنته الذكية في الداخل ويغلق الباب . كذلك يتوقف احد «عمال التنظيف» عن كنس النفاية من فوق السيارة . ثم يتحرك عوزي بسيارته ويبيعد كأنه يهرب من وباء . ويودعه احد عمال التنظيف بقوله «ما الذي يجعلك عصبياً بهذا الشكل ؟ اننا ننظف الشوارع حسب» .

كما يجري عرض فيلم آخر ، حيث يعود في المساء رفائيل فردي احد المعلمين في كلية الامن الى بيته ، بعد يوم مفعم بالعمل . وقد كان فردي في السابق يشغل منصب آمر الشرطة العسكرية (الشرطة العسكرية تقابل عندنا الانضباط العسكري . . . . المترجم) . فهو اذن رجل نظام وقانون وقيافة وانضباط ، يستقصي ادق الامور ويؤمن (بالعدل) ، لان الدقة بالامور الصغيرة في جهاز جيش الدفاع الاسرائيلي الضخم ، تحدد مصير الامور الكبيرة . ثم يطرق باب بيت فردي ، احد افراد الشرطة العسكرية ،

حيث يطلب من فردي الخروج . ويقول له جندي الشرطة العسكرية بمنتهى الجدية ، انه تحوم شبهات حول سيارة فردي كونها متورطة في حادث اصطدام مع سيارة رئيس الحكومة ، وانه (اي جندي الشرطة العسكرية) ارسل لاستقصاء الامر والتحقيق فيه . ويبدو فردي مذهولاً وهو يقول حادث اصطدام ؟ مع رئيس الحكومة ؟ ويعتذر جندي الشرطة العسكرية وهو يقول انت تعرف الواجب . ويفهم فردي ذلك . ثم يضيف جندي الشرطة العسكرية ، يجب اتمام المهمة ، حيث يتوجب فحص فرامل سيارة فردي . ثم يقوم احد الضباط بفحص فرامل السيارة من خلال السير والفرملة يبدو ان الفرامل سليمة . وتظهر آلة التصوير الخفية وجه فردي وعليه علامات التوتر . ثم يعيد جندي الشرطة العسكرية السيارة لفردي . ثم ينبعث صوت يقول لفردي : «رفائيل فردي ، انت ضابط الشرطة العسكرية ، ارجو ان تنظر مامكتوب على سيارة جندي الشرطة العسكرية ، ارجو ان تنظر مامكتوب على اكمام الضابط الذي فحص السيارة» . عند ذاك تطلع فردي . حيث كتب على الشريط الموضوع على اكمام الضابط العبارة التالية (كلية الامن القومي) . وليس هناك اي ذكر لعبارة (ضابط الشرطة العسكرية) . كما وكتبت على الزجاجة الامامية لسيارة الجيب العسكرية العبارة التالية (مسترا سفعيت ـ وهي عبارة خاطئة والمقصود فيها الشرطة العسكرية) بحروف حمراء على اساس باللون الابيض . ثم يعود فردي الى بيته بخطى حثيثة .

آمر لواء مظليين نظامـــي

انتهت الدراسة في الجامعة . في أيار ١٩٦٤ تلقيت من حاقي (اسحاق حوفي) أمر تعييني بمنصب آمر لواء المظليين النظامي . شعرت بالفخر . كان ذلك لواءً مقدراً . عملنا كثيراً في عمليات الامن الغامرة على طول الحدود وكذلك بعمليات الانتقام ، رداً على هجمات المخربين . وهكذا قامت قوة من اللواء ، بامرة وكيل آمر اللواء ، بالاغارة على مطحنة الحنطة بجنين وبمركز الشرطة فيها ، وقوة اخرى ، بقيادتي ، بتفجير احدى عشرة بئراً للماء بجوار قلقيلية . وكانت هناك عمليات خرجنا لتنفيذها وابطلت ونحن في الطريق لانفاذها . وكانت لنا احداث على الحدود الاردنية وكذلك في منطقة القدس وكذلك في الشمال ، مع السوريين ، خصصنا وقتاً كثيراً للتدريب ولتمارين هبوط بالمظلات ، ومنقولة جواً ، من الجو ومن البحر ، اوصلت اللواء الى درجة عالية من الاداء وتنظيم مرموق .

استثمرنا الذكاء في مواقف انعزال تام وتيه . ان قوة المظليين وقدرتهم في هبوطهم جواً او نزولهم من البحر في مؤخرة العدو ، وراء خطوطه ـ وفي بعض الاحيان ينقطع اتصالهم عن كل القوات الاخرى ، ولايستطيعون تلقي التموين بالتجهيزات والمؤون وعليهم ان يقاتلوا وان يحققوا النتائج في مثل هذه الظروف القاسية ايضاً . وفي ايام السلم وفي التمارين من العسير خلق وضع حقيقي مثل هذا ، وقد حدث هذا لنا في «تمرين ابراهام» : فقد هبط اللواء كله في حقل ابراهام ، قرب عوفداه . اعددنا هناك فوراً مدرجاً لطائرات النقل وللطائرات الصغيرة . وهبطت طائرات سمتية في المنطقة . وقمنا بتنفيذ تمارين بمختلف المستويات بتشكيلات اللواء ـ بدءً من الفصيل وحتى الفوج . وقد خيم علينا جو شتوي وعاصف ، وفي خلال الاسبوع ، الذي امضيناه هناك ، كنا مقطوعين تماماً لمدة يومين . اكتفينا بما كان لدينا وواصلنا تنفيذ خطة التمارين .

ومن اجل التعرف عن كثب على الظروف المختلفة ، نفذنا تمارين مركزة في منطقة العربة ، او النقب ، او في الشمال . وكان كل تمرين يختلف عن سابقه بلونه ، وبمدته ، بأفكار جديدة وبامتحانات قاسية ، فرضناها على الوحدات .

في احد التمارين بمستوى الفوج في منطقة العربة ذهبت مع وكيلي ، اريق رغف ، رحمة الله ، ومع ملحق عسكري امريكي ، كان ضيفاً علينا ، لمشاهدة تمرين احد الافواج . أمضينا في الطريق ليلة كاملة مع الفوج في التمرين . وصلنا ـ وشرب الامريكي زجاجة شراب . شربنا ، وأنهينا ، ونمنا . فتحنا العينين في الضياء الاول ـ لافوج هناك ، لاتمرين ، ولانفساً حية ، كنا وحدنا في منطقة صخرية ضيقتنا في النوم ليلة حلوة . اجهدنا ارجلنا لمسافة خمسة عشر كلم ، الى ان وصلنا الى مقر اللواء .

حتى الشجعان من المظليين يذكرون ، ان المظلة قد لاتنفتح . وانت تذكر بهذا من وقت لاخر ، بسبب خبرات مأساوية حدثت للاخرين وايضاً بسبب ان ذلك حدث لك بصورة شخصية . وكلما هبطت اكثر تزداد المخاوف ، ولكن عندئذ ايضا تبقى الذكريات والتجارب الشخصية برفقتك اربع مرات في خدمتي الطويلة في المظليين عرفت هذه الخبرة بصورة شخصية . في المرة الاولى ـ قبل ان اغادر الى الولايات المتحدة بيومين في دورة «للمارينز» نفذنا تمرين هبوط بجوار حديراه . وكانت ليلة حالكة . آمر اللواء المظلي ، حاقا ، هبط اولاً . انا بعده . ظلام دامس . المظلي المجرب يستطيع ان يقدر بحواسه الزمن حتى تنفتح المظلة . مظلتي لم تنفتح . تحسست بيدي كلتيهما من اجل ان امسك بالاحزمة التي فوقي . ليس من احزمة . انا اهبط في الظلام وبسرعة . احسست اني سقطت وسط . . . مظلة تحتي انا اشعر الان ان حاقا وانا نهبط سوية

بمظلة . ان الامل في ان نبقى نحن الاثنين على قيد الحياة قليل . سقوطي داخل مظلته تسبب في اغلاقها . نحن نهبط بسرعة . انا عالق داخل المظلة . انا احاول ان اخرج في كل الاتجاهات ، لاحرر نفسي من هذه المشاركة القاتلة . لااعلم كم نبعد عن الارض . وفي اللحظة التي شعرت بها تحررت واني اطير لوحدي ، بسرعة ، منفصلا عن المظلة الاخرى ، فتحت يد المظلة الاحتياطية بسرعة فائقة . بعد مرور ثانية وربما اقل من ذلك ارتطمت بالارض ، بجوار حاقا . وقص على انه كانت له في الجو تجربة صعبة ان احدهم سقط في مظلته وادى الى انطوائها وانه احس انه يسقط بسرعة . فقط قرب الارض عادت مظلته وانبسطت وهبط بسلام .

في مرة اخرى هبطنا في وادي بسور . وكان مايزال هناك ضوء النهار . لم تنفتح المظلة . فتحت المظلة الاحتياطية . وكان ينتظر بمهمة ضابط ارضي مارسيل طوبيل . حدثني عن مظلي لم تنفتح مظلته . رأى ذلك من الارض . امتدح المظلي الذي تصرف بلباقة وسحب يد المظلة الاحتياطية . «محظوظ» «انه لم يفقد رباطه جأشه» . حدثته عمن كان ذلك المظلي .

وفي المرات الاخرى لم يكن هناك من هو شاذ وفريد ـ اصبح من البسيط جذب يد المظلة الاحتياطية (مرة في الليل ومرة في النهار) .

تزايد التوتر على الحدود وتناقص بالتناوب وانتقل من منطقة لاخرى . وكان من مواطن القلق الدائمة جنوب جبل حبرون (الخليل) الذي كان يستخدم منطقة عمليات للـ «فدائيين» الذي ازعجوا اسرائيل .

بعد ازعاج كهذا فرض علينا كانت المهمة ان نغير على قرية رفات جنوب جبل حبرون وننسف عشرة بيوت كنا معتادين على تنفيذ مثل هذه العمليات . وصلنا الى القرية حسب الخطة ونسفنا البيوت المعينة بالتصوير الجوي ، بعد ان اخليناها من السكان . جمعنا السكان في اطراف القرية . ومن اجل تهدئة الاطفال وزع الجنود بينهم الحلويات . فهدؤا واستكانوا . وانتشرت قصة توزيع الحلويات على الاطفال اياماً طوالا .

بعد مدة ليست طويلة سارت عربة من لوائنا على لغم جنوب جبل حبرون . قتل وجرح جنود . وفي يوم الجمعة ليلاً جاءنا امر لتنفيذ عملية انتقام ذات صدى واسع في قرية سموع وما جاورها . كان كثير من افراد اللواء في اجازة . ان مهمة جمع كل الجنود ، واعدادهم كما يجب للعملية ، وعبور الحدود يوم الاحد في السادسة صباحاً ، بدت في اعين الكثيرين مسألة غير ممكنة . قلت : اللواء يعبر الحدود في الساعة السادسة يوم السبت .

ثم قامت احدى طائرات «ايروفلوت» بنقلنا الى فيلنا . ولم يكن في المطار اي شخص سوانا . وقدمت لنا في مطار فيلنا وجبة كبيرة . بعدها واصلنا السفر الى موسكو ، لوحدنا ولم يتحدث اي شخص معنا بكلمة واحدة . وساد هناك صمت عند تناولنا الطعام . فكل ماتشتهيه تتناوله .

وجرى اسكاننا في موسكو في فندق «موسكو» . ونزلنا ثانية انا وكفوستا في غرفة واحدة . ولم يكن ممكناً ارتكاب خطأ مابين مختلف الاجهزة الموجودة في هذا الفندق .

اخذنا نتجول بالمدينة . ورحنا نجري في كل صباح بعض التدريبات في مطار توشينو . وبعيداً عن انظار الاطباء الاسرائيليين ، استأنف قفزاتي الحرة بالمظلة . ووضع الروس تحت تصرفي مظلة هبوط (باراشوت) . وخصصت لنا طائرة روسية من طراز (اين - ٢) ، وعندما كنا نريد التدريب ، كان الطيار الروسي يقود الطائرة وبجواره مساعد طيار من مجموعتنا .

وكان يرافق جميع اعضاء الوفد ، سائق دراجة روسي الذي يوجد عربة مرتبطة بدراجته . وكان سائق دراجتنا رجلاً كبيراً في السن . حيث كان يجمعنا من انحاء المطار بعد هبوطنا . كنت اجيد التحدث بعض الشيء باللغة الروسية منذ طفولتي واخذت تتحسن لغتي الروسية ، كلما طال مكوثنا في روسيا . وقد اصبحت اتحدث باللغة الروسية بحرية تامة بعد مرور ثلاثة اسابيع .

وكنا نعود بعد التدريبات الى الفندق ، حيث نغتسل ونتناول طعامنا ثم نتنزه في المدينة وضواحيها ، ضمن جولات منظمة من قبل الروس . وكانت النظرة الينا نادرة جداً . واغدق الروس علينا بدفء قلبي . وكان يستقبلنا الاطفال والكبار بفرحة غامرة في كل مكان نحل به .

وتعد موسكو مدينة عملاقة وهي تذهل بنظافتها وتتباهى «بالمترو» الموجود في شوارعها الذي لاتشوبه شائبة . وفي طريق العودة وجهت الينا دعوة لمشاهدة «المترو» الموجود في باريس . واحسرتاه على الثقافة الغربية .

وتهتم بطلباتنا في الفندق امرأة عجوز تدعى «بابوشكا» وتوجد في كل طابق من طوابق الفندق امرأة مسؤولة عن نزلائه مثل «بابوشكا» . وكانت عيونها ترقبنا باندهاش خلال توجهنا في كل يوم صوب الحمام الكائن في مؤخرة الرواق ، والذي يعد مشتركاً لجميع نزلاء الطابق وقد تقول مع نفسها كل يوم اغتسال ؟ وبطبيعة الحال فأنها لن تقتنع حتى لو فسرنا ذلك باننا نقفز من الطائرة وتتوسخ اجسامنا في المطار .

وكانت شوارع موسكو صقيلة وتعج بالسكارى . ويوجد في الفناء الخلفي للفندق مركز لجمع السكارى . وتدور بين الاشخاص السكارى وافراد الشرطة مفاوضات

صاخبة يرافقها مشادات كلامية ، وفي النهاية ، وبغية تسوية سوء التفاهم يغرق الجميع بمشروب الفودكا ويسكرون معاً . انها بهجة سكان موسكو .

وتم تخصيص حافلة صغيرة لنا . يقودها سائق شاب وجريء وطيب القلب يدعى «ميخائيل ستيفنوفيتج» من اوكرانيا . وكان ميخائيل في المنحدرات يضغط على الكابح ، فنقول له «خفف ضغطاً على الكابح يامیخائيل» . فيرد ميخائيل علينا بقوله «سنحصل على مزيد من الوقود من الحكومة» . وكانت ترافقنا بشكل دائم فتاة تدعى انيا وهي طالبة محبوبة ، تلغو بعض الشيء باللغة الانكليزية . ونشك بانها تجيد التحدث باللغة العبرية ، ولكنها تحاول اخفاء الامر عنا .

واسقطنا بسرعة الحواجز مع انيا التي كانت نموذجاً شعبياً بسيطاً من خلال حديثها . ومنذ لحظة حصولنا على ثقتها ، اخذت تنهال علينا قصصها التي تناولت كيف اقام العمال استاداً لكرة القدم بشكل قسري واطلق عليه اسم لينين ، وكيف تجري الحياة في موسكو ، وكيف هي حالة الاحياء الجديدة التي نشاهدها في الطريق والتي هي جميلة المنظر من الخارج ، بيد انها مكتظة بالساكنين في الداخل وجدرانها متآكلة ومنهارة .

ولم نحرز نجاحاً كبيراً في مسابقات الهبوط بالمظلة بالذات . فقد كان هناك احد عشر وفداً . وكان ترتيبنا الاخير . غير اننا كنا في المقدمة في سباق القفز الحر فقط .

ولم يكن في مطار توشينو برج مراقبة . وجلست عند نهاية المدرج بابوشكا العجوزة . وبشكل عام فقد كانت غارقة بقرائة احد الكتب . وعندما سمعت ضجيج محركات الطائرة التي تطلب اذناً للهبوط ، رفعت عينيها من الكتاب . وقام احد الاشخاص بالتلويح للطيار بعلم ابيض ـ دليلاً على ان المدرج خالٍ ، ولو جرى التلويح له بالعلم الاحمر فان ذلك يعني ان المدرج مشغول . قام الطيار بجولة اخرى ثم عاد ليهبط .

واضفت علينا الزيارات التي قمنا بها للمتاحف الكائنة في الساحة الحمراء شعوراً من البهجة ، حيث تعتبر من المناظر الغاية في الجمال ومن الفنون التي لاتنسى . وكذلك شاهدنا في المتاحف قادة الاتحاد السوفيتي السابقين . حيث كان ستالين مسجى هناك ، وقد بدى التهديد في عينيه وهو في نعشه الزجاجي .

وتحتم علي الايفاء بما امرني به والدي ، حيث اعطاني عنواناً لاحد الآقارب الذي فارقه منذ عام ١٩٠٤ ، عندما ترك والدي روسيا .

ويعد امر الاستدلال على العنوان في موسكو اقل تعقيداً مما هو عليه الامر في العفولا ، على سبيل المثال . ووقفت في باب خروج الفندق ، ورحت افكر بكيفية بدئي للتفتيش عن العنوان . وحصل امام عيني حادث لاحد السكارى الذي سقط في احدى برك الماء وانتشر الماء الى جميع الجوانب . ثم اقترب مني احد الاشخاص وسألني بلطف

فيما اذا يستطيع تقديم المساعدة لي . فاعطيته العنوان . واقترح علي مساعدتي ، فوافقت بسذاجة . وقام بتوقيف احدى سيارات الاجرة ، حيث سلمت سائقها العنوان . وتبادل ذلك الشخص مع السائق بعض الكلمات ثم انطلقت في سيارة الاجرة . ان موسكو التي تعرفنا عليها من خلال جولاتنا اخذت تختفي حتى الان ، فقد وصلت الى ضواحي المدينة . فهنا لاتوجد شوارع واسعة ولاأرصفة جميلة . انها حي فقير ، حيث تعد بيوته قديمة جداً ، وطرقاتها مكسوة بالتراب .

ثم توقفنا ، عند المنزل رقم خمسة . وهاقد تذكرت جيداً اسم الشارع . وقال مرافقي «هنا هل أتي معك سيارة الاجرة تنتظر» .

كان هناك باب خشب ومشابه لباب المتبن ، وعلق عليه سلسلة ثقيلة . طرقت الباب ، مرة ، واخرى ، ولامجيب سوى الهدوء . وفي النهاية سمعت اصواتاً من الجانب الثاني . وفتح الباب . حيث وقف رجل عجوز جداً . مجعد الوجه ، وسألني عما اريد . فأجبته باللغة العبرية . ولست اعرف لماذا تصرفت بهذا الشكل . ربما لان أبي ، قال لي ، ان احد اقرباءنا البعيدين يعرف بعض الكلمات العبرية . وقلت له «انا من ارض ـ اسرائيل» . عند ذاك تيقظت العينان الخامدتان ، واخذ يدب بها ومض الحياة . انه الرجل الذي اقصده ، لقد عرفته بطبيعة الحال .

ثم دعانا للدخول الى البيت . وكان البيت عبارة عن غرفة واحدة تصرخ بفقرها . فالمطبخ والخدمات مشتركة لعدة عوائل . انها اوهام الحياة السوفيتية ، فهذا الرجل كان طبيباً معروفاً ويشغل منصب كبير الجراحين في مستشفى موسكو المركزي . وأرسل اثناء التهمة التي لفقت للاطباء في روسيا الى سيبيريا . ثم عاد بعد مرور سنتين . وقد فقد كل حقوقه . وانتقل من شقته الواسعة الى حي فقير وهو يعيش عيشة فقر مدقع .

وسأل الشيخ باللغة العبرية «لماذا احضرت هذا الرجل معك ؟» فقلت له ، بانه قد تطوع لمساعدتي . واوضح لي الطبيب بقوله «انه من السلطات» . ورحنا نتحدث باللغة العبرية ، حيث يخشى مضيفي من ان تكون هذه اللغة مفهومة له كذلك اي (لرجل السلطات الروسية هذا) . وشيئاً فشيئاً يتحرر الشيخ من مخاوفه . حيث يطلب مني ان اقص له عن ارض اسرائيل . انه لايكتفي عما احدثه . وكانت كل كلمة وكل اسم وكل منطقة في اسرائيل وكل مستوطنة ، توقظ قبساً آخر في عينيه الخامدتين والمتقدمتين في السن . وقد تحدثت له عن حرب التحرير وعن البلماح وعن جيش الدفاع الاسرائيلي . وفجأة ظهر اشراق من السعادة على وجهه .

ثم رافقنا الى باب بيته . وراح يربت على كتفي ويهمس قائلاً «قد لااستطيع الهجرة الى ارض ـ اسرائيل ، فحافظوا على هذه الثروة» . وتعهدت له بما اراد . وقد تذكرته ،

في بعض الاحيان ، خلال الاوقات الصعبة . وقد كان ذلك بمثابة التزام .

وقد قص لي الشيخ عن ابنتيه ، اللتين نقطتان خارج موسكو ، بيد انه لم يحدد في اي مكان .

وفي يوم ما ، بعد اعتزالي الخدمة العسكرية ، وانا احاضر في احد احياء حيفا ، اقتربت مني امرأة كبيرة وسلمتني قصاصة ورقية في يدي . ربما هناك مشكلة شخصية ؟ واردت ان اقول لها ، انني انهيت واجبي (اي المنصب الذي كنت اشغله) ، غير ان لساني توقف . ثم فتحت القصاصة الورقية وقد كتب فيها العبارة التالية «لقد قمت بزيارة والدي في موسكو في عام ١٩٥٦» . فصرخت بها قائلاً : «لماذا صمتِ حتى هذا اليوم ؟» فاجابت «لانك كنت شخصاً مهماً جداً . كذلك شقيقتي موجودة في اسرائيل» . يالها من فرصة حقيقية .

وبعد حوالي شهرين ، القيت محاضرة في احدى المدارس الثانوية في كريات اليعيزر . وبعد المحاضرة ، اقتربت نحوي احدى التلميذات والدموع في عينيها وقالت لي «انك زرت جدي الموجود في موسكو» . وكدت ابكي معها .

□

وفي طريق عودتنا الى اسرائيل قادمين من موسكو مكثنا اربعاً وعشرين ساعة في وراشو ، حيث زرنا الجيتو اليهودي . وقد تأثرت جداً . ثم واصلنا طريقنا عبر فرنسا باعتبارنا ضيوفاً لدى الفرنسيين . ووصلنا الى احدى قواعد المظليين الكائنة جنوب فرنسا . وقفزنا بالمظلات في منطقة صعبة ، حيث كانت مغطاة بالاشواك . وقد مر ذلك بسلام ايضاً . رجعنا الى اسرائيل ، حيث تم تعييني بمنصب آمر فوج (٨٩٠) المظلي . اذ نفذنا العديد من العمليات الانتقامية ضد مراكز الشرطة الاردنية مثل قرندل ، وراوه ، وحسان ، وقلقيلية وغيرها ، كانتقام ضد ماتقوم به مجموعات المخربين القادمة من الاردن ، وكانت جميع العمليات التي نفذناها متناهية الدقة .

وقد جرح مئير هار ـ تسيون في العملية ضد مركز شرطة راوه الكائن على طريق بئر ـ السبع ـ دهرايه ، وقام الدكتور انكلبيتس باجراء عملية له في المكان ذاته . وقد حصل الطبيب على «وسام الجدارة» جراء العملية الجراحية المشهورة . واسترد مئير عافيته .

واستشهد موسى عفرون الذي كان يشغل منصب آمر سرية في فوج (٨٩٠) ، خلال العملية التي نفذت ضد مركز شرطة حسان . وكان عفرون قبل وقت قصير من ذلك ، قد انهى واجبه ، حيث انتقل لشغل منصب آخر ، بيد انه جاء الى الفوج لمرافقته في عملية حسان .

كما نفذت عملية صعبة ضد مركز شرطة قلقيلية قبل حوالي اسبوعين من حدوث حملة «قادش» في عام ١٩٥٦ . وقد القي على عاتق الفوج المذكور آنفاً (فوج ٨٩٠) المهمة الاساسية المتمثلة باحتلال مركز الشرطة . وكان فوجنا في منحدرات مستوطنة آيل الكائنة شمال قلقيلية ، كقوة احتياطية . وتم تكليف دورية الاستطلاع على مستوى اللواء بتنفيذ مهمة تطويق بعيدة قرب احد المعسكرات المتروكة الكائنة شرق قلقيلية . وقد اشتبكت بمعركة ضروس مع بعض القوات الاردنية التي جاءت كتعزيزات لمساعدة القوات المتواجدة في مركز الشرطة . وتكبدت الدورية عددا من الخسائر ، وكانت هناك خشية من ان يكون قد تم تصفية الدورية . وهب فوجنا لنجدة الدورية سيراً على الاقدام . ولكن خلال الطريق صدر لنا امر بالعودة . حيث توجهت قوة اخرى بقيادة حوفي وكيل آمر اللواء ، على عجلات نصف مجنزرة لتقديم العون الى الدورية التي هي في طريق عودتها ، وقد واجهت في تسوفين ، وهو موضع اردني ، ناراً شديدة حيث تكبدت خسائر فادحة .

وكانت عملية قلقيلية من أصعب العمليات التي عرفناها من ناحية الخسائر ، بل هي أصعب من جميع العمليات ، اذ بلغ عدد القتلى في اللواء ثمانية عشر شخصاً .

حملة «قادش»

لقد كانت عملية قلقيلية خاتمة العمليات الانتقامية ضد مراكز الشرطة الاردنية . ودون قصد ، اخذنا نستعد لحملة «قادش» . ورحنا ننفذ مختلف الاستعدادات ، ولم نتمكن من ادراك مغزاها وعلاقتها بعملية حربية ذات حجم واسع مثل ، حملة «قادش» .

وفي يوم السبت المصادف السابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٥٦ ، وقبل يومين من البدء بالحملة ، اكتشفت امراً بسيطاً وجرى توجيه امر لي بكتمانه وعدم اماطة اللثام عنه للاشخاص الادنى ، وهذا الامر هو : فقد شاهدت في غرفة عمليات اللواء فسيفساء من الصور الجوية منشورة على ثلاثة اوجه جدران الغرفة والصور هي من الحدود الدولية الاسرائيلية ـ المصرية وحتى مضايق الميتلا ، التي تبعد مسافة حوالي ستين كيلومتراً عن قناة السويس . وتابعت بنظري الفسيفساء ، وادركت المحاور . لقد توضحت الخطوط العامة للصورة ، حيث يقوم فوجنا بانزال جوي في يوم الاثنين المقبل المصادف التاسع والعشرين من تشرين الاول ، في قلب شبه جزيرة سيناء قرب مفترق الطرق المجاور للمخرج الشرقي لمضايق الميتلا ، ويستقر هناك للدفاع . وفي الوقت

عينه ، يقوم لواء مظلي بعبور المنطقة الصعبة في الحدود المصرية ـ الاسرائيلية قرب الكونتيلا ويتقدم بكل آلياته صوب منطقة انزالنا ، لكي ينضم الينا .

وقد خطرت ببالي بعض الافكار ، وهي اننا سنقوم بالانزال على مسافة بعيدة من الحدود الاسرائيلية وعلى مسافة قصيرة من الحدود المصرية . وسنكون في منطقة الانزال لوحدنا ولا احد يعرف كم من الوقت سيستغرق ذلك . وسيضطر اللواء الى السير لمسافة طويلة الى ان ينضم الى فوجنا . وسيواجه اللواء في المنطقة بعض القوات المصرية الامر الذي يضطره الى الاشتباك بمعارك لغرض تمهيد الطريق له .

وفي امسية السبت استلم الفوج امراً لاعداد نفسه للقيام بمهمة انزال . وقد اصابنا بعض الارتباك ، اذ هناك مقدار معين من الامور التي يمكن اخذها في مثل هذا الانزال . ويتوجب تمنطق رجال الانزال باحزمة خاصة تلائم ظروف الانزال . ولكن هذه المرة سنقوم بالانزال على مسافة بعيدة . ولا احد يعرف متى يمكننا الحصول على باقي المعدات والذخيرة . وكان هناك ميل طبيعي ما لحمل العديد من الحاجيات لكي نكون مجهزين حسب الاصول ، الى اطول وقت ممكن .

وفي الصباح الباكر ليوم السبت وهو يوم الانزال ، المصادف التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٦ ، هبطت طائرات النقل الفرنسية في المطار العسكري . وكان يوجد في داخلها المعدات التي ستلقى الينا في الليلة مابين يوم الاثنين والثلاثاء ، في اعقاب هبوطنا بالمظلات في منطقة الميتلا . وقام رائد فرنسي باطلاعي على المعدات الموجودة في الطائرات حيث تشمل مدافع عديمة الارجاع وسيارات جيب ، وهاونات عيار ١٢٠ ملم ، واغذية ، وماء ، وذخيرة ، ووقوداً . ولم نكن نعرف من قبل المدافع عديمة الارجاع عيار ١٠٦ ملم . لذلك قمنا بانزال احدها من الطائرة . وسلمناه الى احد الفصائل . وراح الفصيل يتدرب على استخدامه لعدة ساعات . وفي حالة انهاء الفصيل التدريب حتى وقت طيراننا ، فانه (الفصيل) سيصحبنا ، اما اذا لم ينته من ذلك ، فسيقوم بالهبوط بالمظلات في وقت لاحق . كذلك لم تفتقر الطائرات الى الاماكن المخصصة لوضع القناني الكبيرة المملوءة بالخمر الفرنسي . اذ لايخرج الفرنسيون الى اية عملية بدون هذا المشروب المحبب .

ومن المستحيل عدم حدوث الارتباك في مثل هذا النوع من العمليات . وكان الهبوط مخططاً في الجانب الغربي للميتلا ، لكن تم اكتشاف بعض الخيم هناك ، وجرى نقل منطقة الانزال الى الشرق . وقد قيل لي خلال التعداد الذي سبق الصعود الى الطائرات ، ان تلك هي الخيم الخاصة بعمال الطرق ، ولكن جرى تغيير منطقة الانزال في وقت لاحق . وصعدنا ، بعد الظهر الى الطائرات البالغ عددها ست عشرة طائرة من

نوع «داكوتا» . ولاحظنا ونحن نطير فوق الكونتيلا وحينما اجتازت الطائرات الحدود ، في الاسفل وجود سحب من الدخان والغبار ، لقد عبر لواءنا الحدود . وينتابنا هذا الشعور ثانية المتمثل باننا سنصل في وقت مبكر جداً وسنكون هناك وحدنا الى ان يقطع اللواء طريقاً طويلاً وصعباً في توجهه نحونا .

نهضت ووقفت في المقدمة قرب الباب . ودائماً يداهم المرء . فوق موقع الهبوط بالمظلة انفعال بسيط ، حتى اذا كان سيقفز خلفه العديد من الاشخاص . ويبدو الامر هنا بسيطاً جداً عند بدء عملية عسكرية واسعة النطاق وفي مثل هذا البعد عن اسرائيل . فانت تقفز الى شيء غير معروف في منطقة العدو . وكانت كابينة الطيار في الطيارة المزدوجة بهيكلها ، تقع امامي بالضبط وعلى مسافة عدة امتار . واخذت يالتلويح الى الطيار المساعد بيدي . فامسك يده بكلتلا يديه ، وكأنه يقول ماذا تنوي ان تفعل . . . .

وانا في الجو اخذت اشاهد الاضوية الحمراء والخضراء . وها انا اتجه نحو الاسفل الى مفترق طرق الميتلا . وكان الوقت الخامسة عصراً ، حيث اخذت الشمس بالمغيب . وكانت تسمع بعض العيارات النارية المتفرقة . وارتطمت رجليي بالارض ، واخذت اتحرر من المظلة (الباراشوت) . ورحنا باجراء تنظيم سريع . واخرجنا الاسلحة من الرزم . ثم احتللنا عدة مواضع في منطقة التنظيم . وانتشرت السرايا . وحل الظلام . وبدأنا بوضع الحواجز وزرع الالغام . ثم رحنا نتخندق ، ونتحصن . وكانت توجد هناك بعض التحصينات وخنادق المواصلات منذ زمن الاتراك . وقد سهل هذا الامر علينا العمل . واحتلت قوتان منا بعض المواضع في حامية باركر الكائنة في الغرب والطريق المؤدية الى بئر حسنة في الشمال . وقمت بتأشير المنطقة المخصصة لاستلام التموين الذي سيجري القاؤه من الطائرات . وهنا سيهبط كذلك الفصيل الذي لم يكمل تدريباته على استخدام المدفع عديم الارجاع . وقمنا ، بسرعة بتهيأة مدرج لهبوط طائرة صغيرة ، التي يجب ان تجلب ضابط استخبارات على مستوى الفوج . فهو ليس بوسعه الهبوط بمظلة . نتيجة لاصابته بكسر في قدمه خلال الهبوط الذي قام به قبل عدة اسابيع .

وحدثت اولى المواجهات مع المصريين بعد وقت قصير من التمركز في اماكننا . ولم يدركوا الامور التي كانت تجري . وقد اجهزنا عليهم تماماً . واخذنا سياراتهم . واصبحت بايدينا غنائم كثيرة تحددت بشاحنة كبيرة تحتوي على احواض الماء الصالح للشرب . واستلمنا خلال الليل التموين المظلي الذي شمل المدافع والهاونات وسيارات الجيب والذخيرة والمعدات وكذلك فصيلنا الذي اصبح افراده خبراء باستخدام المدافع

عديمة الارجاع عيار ١٠٦ ملم . واصيب بعض افراد الفصيل بجروح عند الهبوط بالمظلة ، تمثلت بخلع وكسر الارجل .

ولم يصل ضابط الاستخبارات . اذ كنا ننوي اعادة اثنين او ثلاثة من الجرحى في طائرة (البايبير) التي تجلبه . الا ان طائر (البايبير) لم تصل . يبدو ان الطيار لم يستدل خلال الظلام على المدرج الكائن قرب الميتلا . وتحتم على الطيار الهبوط هبوطاً اضطرارياً في منطقة ما من سيناء دون ان يعرف موقعها بالتحديد ، نتيجة لبدء الوقود بالنفاذ وللحيلولة دون تحطم الطائرة . وقد هبط بسلام ودون حدوث اي شيء . ونزل الطيار وضابط الاستخبارات من الطائرة ، والتفا بالبطانيات وناما نوماً عميقاً . ولم تسهدهما حقيقة انهم موجودون في ارض العدو ولايعرفان بالضبط اين موقعهما . وفتحا (الطيار وضابط الاستخبارات) اعينهما عند الضياء الاول ، حيث لم يكن الوضع مشجعاً الى حد كبير ، فقد كانا قريبين من العريش ، واعتقدا انه من الممكن ان يتم اسرهما من قبل المصريين . وكانت توجد في خزان وقود الطائرة كمية قليلة جداً من الوقود . لذلك ، استقلا الطائرة وحرك الطيار المحرك وتوجها نحو الحدود الاسرائيلية ، واستطاع الطيار وضابط الاستخبارات ان يميزا في منطقة نيتسينا بعض قوات جيش الدفاع الاسرائيلي ، التي تشق طريقها نحو الميتلا للانظمام الينا . وهبط الطيار قرب احدى هذه القوات وتحطمت طائرته . فقد كان معتاداً على الهبوط خلال الليل فقط ، في الظلام الدامس ، وليس خلال ضوء النهار . وخرج الطيار وضابط الاستخبارات من الطائرة المتحطمة دون اية اصابة ، وقامت احدى القوات الاسرائيلية بجلبهما . واضطجعت خلال الليل لانام . انها مقدرة مألوفة . ويجب ان ترزم القوات حاجاتها قبل الدخول في متاهات المعارك . حيث يتوجب نبذ التوتر والانفعال الذي يسبق الرزم . ثم تقوم بحفر خندق لك . وتغطيه بقطع الكارتون الخاصة برزم التموين المظلي . بعد ذلك يتم فرش مظلة (باراشوت) او مظلتين . والالتفاف ببعض البطانيات . وليلة سعيدة قرب الميتلا .

ورحت اتفحص عند الضياء الاول مجال المنطقة التي نحن فيها . وحدثت مواجهات بسيطة اخرى مع الجنود المصريين . يبدو ان هؤلاء هم الجنود الفارون من مواجهة لوائنا ، وعند عودتهم الى الميتلا اصطدموا بنا . وقد لاحظت عملا غريبا يقوم به الجنود وهو : انهم اخذوا يتفحصون ارزاق المعركة التي القاها الفرنسيون من الجو . حيث يرمون احدى هذه الرزم (رزم ارزاق المعركة) جانباً ، والاخرى يفتحونها . ثم يرمون رزمة او رزمتين ، واخرى يفتحونها . اقتربت منهم لارى ما يحدث . لقد اعد الفرنسيون نوعين من ارزاق المعركة ، نوعاً للمسيحيين والاخر للمسلمين . . . اذ يجد شبابنا في رزم ارزاق المعركة المخصصة للمسيحيين قناني الكونياك الصغيرة . اما الرزم

المعدة للمسلمين ، فهي تفتقر الى ذلك . ويفضل الجنود الرزم المخصصة للمسيحيين .

وقد وصلت الينا احدى الطائرات الصغيرة ، وقمنا بارسال الجرحى معها . وشنت طائرتان مصريتان من طراز ميك ـ ١٥) غارة علينا . وامطرت المنطقة بوابل من القنابل والاطلاقات من مدافعها الرشاشة . وشبت النيران بطائرتنا الصغيرة . حيث اصيب الطيار وجزء من الجرحى ببعض الجراح ثانية . ولم نحاول مرة اخرى اخلاء الجرحى . حيث تم وضعهم في محطة جمع الخسائر الخاصة بالفوج ضمن المنطقة التي نتواجد فيها :

وظهر في الصباح الباكر بخار بسيط انتشر في انحاء المنطقة اشبه بالضباب . وواجهت اربع طائرات مصرية من نوع (فمباير) صعوبة في تحديد موقعنا . بيد ان

طائرتين من سلاح جونا من طراز (ميستر) اسقطتها بسهولة خلال مطاردة جوية قصيرة . وفي وقت لاحق جدا وجدنا احد الطيارين الاربعة المصريين وقمنا باسره .

واخبرنا الطيارون الذين كانوا يحومون في طائراتهم فوقنا لحمايتنا من الهجمات الجوية المصرية ، بان الجيش المصري توجه الى داخل مضايق الميتلا . وهاجمت قوة مصرية اثناء الظهر وحدتنا المرابضة في حامية باركر . وكنا نشاهد من موقعنا الهجوم المصري . ثم قاموا بقصفنا بالهاونات . وردينا عليهم النار بالمثل . وتم احباط هجومهم ولم يكرروا ذلك .

وصدرت الاوامر لطائراتنا بمهاجمة الجيش المصري في الميتلا . وشن الطيارون هجماتهم حتى حلول الظلام ، دون انقطاع وقاموا بارسال تقارير حول اصاباتهم الجيدة التي احرزوها .

واخذنا نلحظ في يوم الثلاثاء المصادف الثلاثين من تشرين الاول وعند منتصف الليل اضوية لواءنا وهي تقترب نحونا من اتجاه ناحال . وكتبنا على احدى قطع الكارتون الخاصة برزم التموين المظلي العبارة التالية «قف امامك الحدود!» بهذه الصورة استقبلنا اللواء الذي انضم الينا عند منتصف الليل .

وفجأة تبدد جو الهدوء «الموسيقي» . اذ يمتلك اللواء الكامل نمط الحياة الخاصة به ، حيث ينطلق الصراخ والاوامر وضجيج الاليات التي تسير . وعند بزوغ فجر اليوم الرابع لاحظت بعضا من جنود فوجي وهم يحملون على اكتافهم رزما غريبة هي خراف مجمدة ، وتعد هذه الخراف الغنائم التي جلبها معه اللواء من مخازن التبريد العائدة للجيش المصري في ناحال . وحظرت استخدام اللحم المستوي عليه . فالشيء الذي لايكون لجميع جنود الفوج لايكون لاحدهم كذلك .

وعند ظهر اليوم الرابع ، انتظمت قوة الفوج المذكورة آنفا لمواصلة السير نحو الغرب

باتجاه السويس . وبدأت ، في الواقع ، بهذه الصورة معركة الميتلا . ولم يشارك فوجنا بهذه «الحملة» .

وواجه الفوج الذي تقدم نحو الميتلا بعض التشكيلات المصرية اذ كانت هناك قوة مصرية تقدر بفوجين . غير ان طياري سلاح الجو الذين هاجموا القوة المصرية ، افادوا بتقاريرهم المقدمة قبل ذلك ، بانها قد دمرت ، ولم يكن ممكنا من الجو تمييز الجنود المصريين الذين كانوا مستعدين في الجحور والكهوف الموجودة بين الصخور في الممر . وسمح المصريون للدورية الاسرائيلية اجتياز الخط المصري الاول ثم هاجموها بنار حامية من الامام والخلف عندما اصبحت الدورية مجمعة في مركز القوات المصرية .

واستلمت بعد الظهر امرا بالتوجه صوب الميتلا لاستقصاء الوضع هناك . اذا قالوا لي «ربما تكون الدورية بحاجة اليك» .

وكانت المسافة التي تفصلنا عن الممر تبلغ حوالي ثمانية كيلومترات . توجهت في احدى سيارات الجيب الى المنطقة حيث وجدت ان القوة التي يقودها دويدي مازالت لم تدخل المجال المصري حتى ذلك الوقت . ورغم انه كان هناك اتصال مع القوة المحاصرة في الميتلا التي يقودها موطيه غور ، الا ان صورة الوضع كانت مبهمة . كل الذي عرفناه ان القوة الاسرائيلية المطوقة في وضع خطير ، بيد اننا لم نعرف شكل الاستعدادات المصرية وماهية القوة المصرية ولم تنجح الدورية التي ارسلت للقيام بالاحاطة في الانضمام الى القوة المحاصرة ، حيث عادت الى المنطقة المواجهة للممر ، نتيجة لمواجهتها نارا شديدة وتكبدها عددا من الخسائر .

واخذنا نتشاور انا ودويدي حول كيفية اكتشاف موقع المصريين الدقيق وتخمين قوتهم . وانضمت الينا سرية عوفيدلدجينسكي قادمة من المنطقة التي كنا فيها . وقامت بعض الطائرات المصرية النفاثة بمهاجمتها من الجو وصبت علينا القنابل والصواريخ . وقبل دقيقة او دقيقتين من ذلك ، كانت طائراتنا تحوم في الجو ، غير انها عادت للتزود بالوقود ، لذلك استطاعت الطائرات المصرية تنفيذ مهامها دون اي عائق . حيث اصابت تلك الطائرات المصرية وبدقة متناهية شاحنة تحمل ذخيرة التي احدث انفجارها دويا كبيرا . وبعض عجلاتنا الاخرى . حيث اصيب بعض رجالنا بجروح .

واقترح دويدي ان يصار الى ارسال متطوع باتجاه القوة المحاصرة ، يصل اليها ويعود ليخبرنا بما حدث هناك . تطوعت للقيام بذلك . غير ان دويدي رفض ذلك . ثم تطوع سائق دويدي الذي يدعى كين درور لتنفيذ المهمة . وسار بسيارة الجيب باتجاه الغرب . بعد ذلك دوى صوت انفجار شديد ، عبر منطقة الانحراف . ولم نر كيف انفجرت سيارة الجيب ، كما اننا لم نشاهد السائق بعد .

ثم ارسلنا مجموعة مقاتلين في بعض العجلات نصف المجنزرة بقيادة دان زيف . وقد عبرت المجموعة المنطقة ووصلت الى موطيه غور ثم عادت ، ونجحنا حتى ذلك الوقت بتحديد ثلاثة مواقع مصرية بصعوبة بالغة ، حيث تمكنا من اصابتها بمدافعنا عديمة الارتداد . غير ان دان زيف جلب تفاصيل دقيقة حول القوة المحاصرة والقوات المصرية .

واخذنا نخطط لشن هجوم ليلي بسريتين من فوجنا احداها بامرة عوفيد والثانية بقيادة ليفي حوفش . وفي الليل هجم عوفيد من اليسار ، بينما هجم ليفي من اليمين . وقامت السريتان بعد ساعتين من الشروع بالهجوم . بتدمير القوات المصرية والالتحام بالقوة المحاصرة التي يقودها موطيه غور . ولم يكن للمصريين مكان يهربون اليه . فقوة موطيه امامهم وقواتنا من خلفهم . وقد استشهد عوفيد في هذه العملية .

واخذ فوجنا على عاتقه مسؤولية مسك المنطقة . وواصلنا في الغداة تطهير المنطقة . ووجدنا ان هناك منطقة صغيرة اخرى في الهضاب يتمركز فيها المصريون . ودفعنا ثمنا باهظا من الدماء تمثل بستة وثلاثين قتيلا واعداد تفوق هذا العدد بكثير من الجرحى ، جراء الثقة المبالغ فيها ، بان المنطقة خالية من القوات المصرية . لقد كان ذلك بمثابة خطأ . كما انه كان درسا استخباريا خطيرا ، الذي كلف حياة العديد من الاشخاص .

واعددنا في الحال في منطقة تمركزنا مدرجا لطائرات «الداكوتا» حيث اخلينا الشهداء والجرحى . كما جرى نقل فوج موطيه الى الشمال .

واستلمت في مساء الخميس امرا بالتحرك مع فوجي الى منطقة راس سودار . وجمعنا العجلات الموجودة تحت تصرفنا من اسرائيلية ومصرية ، ووضعنا عليها الاشارات المتفق عليها مسبقا لغرض تمييزها من الجو والارض . وكانت الاشارة مشتركة مع البريطانيين والفرنسيين . وبدأنا عند حلول الظلام بالسير نحو راس ـ سودار . وكانت ليلة حالكة الظلام . وكنا نمتلك خرائط محدودة جدا من ناحية الدقة . وتغلبنا خلال الليل على عوائق الطريق . وعندما اشرقت الشمس ، كان رأس سودار منتصباً امامنا . ودخلنا المنطقة دون اية مقاومة . ولم يكن هناك اي من المصريين العسكريين منهم او المدنيين . وتزودنا بالوقود من محطة تعبئة الوقود . كما وجدنا هناك بعض الطعام . وبقينا هناك بعض الوقت الى ان استلمنا امرا جديدا . والتقينا بالمصريين الذين فروا من (ابورودس) والطور خشية من اللواء التاسع الذي توجه الى هناك . وهم لم يعلموا بأن راس سودار قد سقط بايدينا . وها قد ظهرت شاحنة زرقاء جديدة تقل بعض مهندسي النفط الايطاليين . وقد شرحت لهم بعض الامور حول الحرب ، وحول اهمية الشاحنة بالنسبة

لي ، وهم بطبيعة الحال على استعداد لصالح مجهودنا الحربي ، للتنازل عنها ، الا انهم بحاجة الى لحم ابيض . انها مشكلة بالنسبة لهم .

واعلنت احدى طائرات (الداكوتا) اثناء الليل امرا في جهاز الاتصال يقضي بالتحرك نحو الجنوب الى الطور . وابقيت فصيلا واحدا لمسك منطقة راس سودار . وتوجهنا منذ الصباح الباكر نحو الطريق التي يصل طولها حوالي ثلاثمائة كيلوا متر . ولم نواجه اية مشاكل في مجال الملاحة . اذ لم يكن هناك سوى طريق واحد على طول الساحل . ولم نكن نملك اية معلومات حول التشكيلات العسكرية التي امامنا وحول حالة مختلف تفرعات الطريق .

واستقبلنا سكان منطقة ابو زنيمه بفرحه وبتصفيق شديد . واظهر استقصاء بسيط ، انهم اعتقدوا باننا سوريون وجئنا لانقاذ حياتهم من قبضة الاسرائيليين . وقلنا لهم الحقيقة ، فاصبح الشارع فارغا بسرعة شديدة . حتى بعض الدجاج المتفرق الذي شاهدناه في الشارع الرئيسي والذي جعلني اعد بعض الخطط لكيفية تحضيره بصورة مجدية ، اختفى ولم يعد له وجود .

وتزودنا بالوقود من محطة تعبئة الوقود العائدة لمنطقة ابو زنيمة ثم واصلنا مسيرنا الى (ابورودس) . وقد وجدنا هناك الوقود والطعام ايضا . واخذت تزداد في الطريق المواجهات مع الجنود المصريين الهاربين من منطقة شرم الشيخ والطور والذين بدأت اعدادهم تزداد باضطراد .

ووصلنا منطقة الطور في المساء تقريبا . وكانت قوتنا قد احتلتها قبل ذلك دون اية مقاومة . وقد جاءت هذه التسمية لها عن مثل اسرائيلي بسيط . واصدرت تعليماتي بالانتظام في مطار المدينة لقضاء الليل هناك والانتظار لحين صدور اوامر في الصباح .

ولم يكن لنا اي طعام . اذ لم نمر في طريقنا من ابورودس الى الطور باية مدن اخرى ، وعليه لم نتجهز باي شيء . ولم يستطع الحاكم العسكري تقديم اية مساعدة لي سوى باسدائه النصيحة التالية ، هناك متجر واحد في المدينة . ربما تجد به شيئا ما . وكانت توجد عندنا نقود مصرية غنمناها من الفوج الذي ابدناه في مختلف المواقع في طريق سيرنا . وكنا نحتفظ بالنقود في اكياس الرمل . واخذت احد هذه الاكياس في طريقي الى الحانوت المصري . وانتصبت امام عيني رفوف المتجر وهي محنية جراء ثقل المعلبات الموضوعة بكثرة عليها (على الرفوف) .

وقد اشتريت كل شيء واعطيت للمصري الشيء الذي اذهله (نقود كثيرة) . اذ لم يكن لي مزيد من الوقت لغرض المساومة على الاسعار . ورميت امامه مايحتويه كيس الرمل من نقود كثيرة وقلت له ان يأخذ المبلغ الذي تساويه البضاعة . وعندذاك كان اندهاشه

اكبر . وانا شخصيا لم اعرف مقدار النقود الموجودة هناك . واخذ بحذر سبع ليرات مصرية ولم يمس النقود المتبقية . ولم استقص معه موضوع النقود ، كذلك لم اكن خبيرا باسعار المعلبات المصرية .

وكانت العلب بشتى الالوان ، حيث أحدثت فرحة لدى افراد الفوج . وبغية عدم الحاق الجور باي شخص ولتنويع الاطعمة ، قمت بتوزيع على كل سرية عشر علب بنفسجية واثنتي عشرة اخرى صفراء وثمان خضراء . ثم يتم في السرايا تقسيم الطلب على مجموعات الجنود بالتساوي . وجرى اضرام النيران من الاغصان المتساقطة من الاشجار استعدادا للحفلة الكبرى . وفي ذلك الوقت سمعت من احد الاتجاهات انينا جراء خيبة امل «ان هذه العلب هي مربى وليست خضراوات» . ومن الجانب الثاني «كذلك الحال بالنسبة للعلب البنفسجية» ثم «الصفراء ايضا» وباختصار فقد اشتريت بالليرات المصرية السبع كل ما موجود من مربى في المتجر المصري . ولا اعتقد فيما اذا تذوق اي جندي من جنود فوجنا المربى ثانية منذ ذلك الحين .

وفي الوقت الذي يجب ان يقضي فيه الفوج الذي يعاني من التعب والجوع ليلة بالنوم ، جاءنا احد الاشخاص وهويحمل قصاصة ورقية وفيها امر يقضي «بالتحرك عند الصباح الى شرم الشيخ واحتلالها» . وهذه هي المرة الثانية التي استلم فيها امر دون اي ايجاز عن العملية . وليس هناك من اسأله عن ذلك .

وتحركنا عند الضياء الاول نحو شرم الشيخ . حيث علينا قطع مسافة ثمانين كيلو مترا . وكانت جميع اطارات العجلات نصف المجنزرة ممزقة . اذ اخذنا نسير على دواليبها الحديدية . وبدأت تشتد المواجهات مع المصريين . عندما دخلنا الى ممرات الجبال ، في الطريق من الطور الى شرم الشيخ . وقد جرح ضابط الاتصال على مستوى الفوج . وكلما نقترب من منطقة شرم الشيخ ، تظهر لنا العديد من العوائق والالغام وتفرعات الطرق المربكة والتي يصعب اجتيازها .

والتقيت بوجه معروف لديّ . فقد جذب انتباهي احد الجنود المصريين من بين المجموعة المصرية التي اسرناها . وطلبت منه ان يرفع سرواله الى الاعلى . اذ يوجد في رجله اثر لجرح ، مثلما خمنت . لقد وقع هذا الجندي في الاسر عندنا قبل سنة من ذلك التاريخ ، ابان العملية التي نفذناها في المنطقة المنزوعة السلاح من نيتسينا . انه لقاء غريب .

ولم تكن في شرم الشيخ اية مقاومة . وقد وقع العديد من الجنود المصريين في الاسر ، بما في ذلك عدد من الضباط . كما استولينا على هيئات التموين . ولاول مرة في حياتي ،

احتسيت الكوكاكولا . وكان هناك العديد من علب الطعام المحفوظة ، وهي أطعمة حقيقية وليست مربى . حيث تجهزنا بالاطعمة حسب الاصول .

وخلال تجوالنا في المنطقة وجدنا خارطة وقطعاً دائرية ووثائق الطائرة العائدة للطيار يونتان اتكس ، وهو الاسير الاسرائيلي الوحيد في حملة قادش الذي سقط قرب رأس نتسري . وقمنا باستجواب الضباط المصريين الكبار والطبيب المصري الذي كان معهم ، حيث حكوا لنا الحقيقة ، وهكذا اتضح في وقت لاحق جداً ، ان اتكس قد تم اخلاؤه من شرم الشيخ قبل وقت قصير من وصولنا حيث جرى نقله الى مصر بواسطة سفينة .

وكان لقائي مع ابناء تل ـ عداشيم لقاءاً مؤثراً ، الذين وصلوا مع اللواء التاسع وقاموا قبلنا باحتلال النصف الشمالي من شرم الشيخ ، بينماقمنا نحن باحتلال الجزء الجنوبي . وقد استشهد خلال الطريق شاب من تل ـ عداشيم يدعى ماكس بيشار .

وامرني افراهام يافيه آمر اللواء التاسع بترك شرم الشيخ والعودة الى الطور . ولايمكن ان يخطر ببالي ، انه ينوي ابعادنا عن مخازن الجيش المصري التي تحتوي كل ما هو جيد .

انه الامر الذي يصدر ، مهما يكن ، فهو امر . وفي طريقنا الى الطور ، لاحظنا توجه عجلة مصرية نحونا . فقفزنا بسرعة الى جانب الطريق ، وأخذنا نوجه الاسلحة ، وقبيل قيامنا بالهجوم تقريباً ، إذا بموشيه دايان رئيس هيئة الاركان العامة وبعض من كبار الضباط يجلسون في تلك العجلة المصرية في طريق توجههم الى شرم الشيخ . وكان من الممكن ان تحدث مواجهة في تلك الاثناء . . ومن شدة حماسي قدمت لدايان العلم المصري الذي كان مرفوعاً في شرم الشيخ كهدية .

وبعد ليلة اخرى في الطور ، جرى نقلنا الى الشمال عن طريق رحلة ليلية واخذت اتحدث مع الطيارين في كابينتهم . واظهر الطيارون علامات بارزة لعدم الارتياح الذي انتابهم وراحوا يتحركون في مقاعدهم بعد ان نفذ صبرهم . ولم افهم ما الذي يزعجهم . وسألتهم عن ذلك ، فأجابوا علي سؤالي ، بتوجيه سؤال لي «منذ متى لم تغتسل ؟ » كانت تنبعث مني رائحة الحرب التي هي مزيج من العرق والدم والغبار والزيوت . فمنذ لحظة هبوطنا بالمظلات في الميتلا وحتى هذه الرحلة الليلية لم نحلق ذقوننا ولم نغتسل ولم نغير ملابسنا وجواربنا .

في منطقة تل ـ نوف ، انتهت بالنسبة لي حملة «قادش» . ولم اعلم الا هناك بانني كنت آخر شخص رأى اساف سمحوني قائد المنطقة الجنوبية قبل مماته . فقبل ساعات معدودات من طيراننا من منطقة الطور باتجاه الشمال ، هبطت هناك طائرة سمحوني ،

التي كانت من طراز بايبير ذات اربعة مقاعد ، لغرض التزود بالوقود . وقد اعطيته قصاصة ورقية ليرسلها الى بيتي . وعندما حلقت طائرته ، اخذت طائرة بايبير اخرى ورافقته . وقد حلقت فوق البحر لمدة خمس دقائق . وقد حلق سمحوني والاشخاص الذين كانوا معه ، نحو حتفهم . حيث ضلوا الطريق ، واخذ وقودهم ينفذ . الامر الذي جعلهم يهبطون بشكل اضطراري وتحطمت الطائرة بمن فيها .

وبعد مرور وقت قصير من ذلك ، نجوت من مصير مشابه بمعجزة ، حيث حلقت في طائرة من طراز بايبير لغرض اجراء استطلاع في سيناء ، قبل ان يقوم جيش الدفاع الاسرائيلي بالجلاء من الصحراء . حيث لاحظنا في منطقة الكونتيلا وجود حروف ال (اس . او . اس) ومجموعة من الاشخاص تلوح بقمصانها . وقد كان هؤلاء مجموعة من المتنزهين الاسرائيلين الذين صادفوا حقلاً للالغام ، وقد انتابهم في الواقع ذهول شديد . وقمنا بالهبوط قربهم . ثم اتضح ، باننا في مركز حقل الالغام والمعجزة وحدها هي التي انقذت الطائرةمن الانفجار عند ارتطام عجلاتها بالالغام . نزلت من الطائرة ووقفت على العجلات واخبرت الاشخاص المذهولين بعدم التحرك من اماكنهم بواسطة الصياح نحوهم . واكدت لهم بانني سأطلب النجدة لهم لانقاذهم من حقل الالغام .

بعد ذلك اخذت تقلقني مشكلة بسيطة اخرى ، وهي كيف سنحلق من هنا دون حدوث انفجار ؟ ورحت اتطلع للشخص الذي كان معي من رجال سلاح الجو وهو ينظر الي وكلانا يعرف ان المعجزات لا تحدث ، بشكل عام ، باستمرار لشخصين وخلال عدة دقائق . وتغلبت على جميع المخاوف ، وخرجت من الطائرة بحذر ، واشكر الله على انها خفيفة الى هذا الحد ، حيث امسكت بذنبها (الطائرة) ورحت اغير اتجاههابيطء الى ١٨٠° ، حيث اصبحت مقدمتها الى الخلف وذنبها الى الامام . ثم عدت الى الطائرة . وبدأتُ بالحركة ، واخذت اسير على اثار العجلات التي تركت في الارض وقت الهبوط ، ثم حلقنا بدون حادث .

بعد ذلك حدث اخلاء سيناء . اذ قبلت اسرائيل حكم الدول العظمى . وكنا ، انا وضابط استخبارات اللواءآخر من ترك منطقة قوسيمة . حيث دخلت المنطقة قوات الامم المتحدة . وتركنا لقوات الامم المتحدة لافتة كبيرة مكتوبة باللغة الانكليزية على قطعة من الكارتون ومثبتة على احدى اشجار اليوكالبتوس . فقد اعلنا للامم المتحدة باننا افضل جيش في العالم ولن يحققوا الانتصار علينا مطلقاً . لقد تركنا المنطقة يحدونا الاسف . وعبرنا عن اسفنا في العبارات التي ثبتت على شجرة اليوكاليبتوس .

عدنا بعد ذلك الى معسكرنا الجديد الكائن قرب كفار ـ يونا وعند اخلائنا لسيناء ، نفذنا العديد من العمليات على طول قاطع غزة وامام جنوب جبل الخليل ، تمثلت

بالكمائن والدوريات ووضع الحواجز ضد المخربين والحيلولة دون تهريب المخدرات من سيناء الى اسرائيل . وقد كان معسكرنا يقع بالقرب من مستوطنةنيريم .

وكانت اغلب عمليات الفوج يتم تنفيذها خلال ساعات الليل . وكنا نهتم خلال ساعات النهار باجراء التدريبات والرياضة والجولات الاستطلاعية . وكانت توجد في المعسكر خمسة إبل حصلنا عليها من احدى المواجهات السابقة ، حيث يستخدمها المهربون لحمل على ظهورها كمية كبيرة من المخدرات . وكانت تجول هذه الابل دون اي عائق في منطقة المعسكر الخاصة بالفوج . وكانت مربية الاطفال واطفال الروضةالخاصة بمستوطنة نيريم ، يأتون لزيارتنا . وفجأة ، ودون سابق انذار ، يهجم احد الابل صوب المربية والاطفال من خلال غوائه وصراخه المخيف . وامسكت بهراوة ووقفت بين الجمل والاطفال لحمايتهم منه ، واخذت هذه الضوضاء تسبب لي الازعاج . واندفع الاطفال في غضون ذلك الى احدى الخيم المجاورة ، والصراع يدور بين هذا الجمل الوحشي وبيني حول موقع الصدارة في الفوج . كان يوجد في الفوج عرض مجاني بين آمر الفوج والجمل . ويقف وكيلي مارسيل توبياس الى الجانب ، وهو لايفهم اي شيأ مما يجري ، غير انه يعرب عن رأيه بلغته الخاصة قائلاً : «نعم ، ان آمرنا يلعب مع جمل جميل» . وفي النهاية ضاقت الارض بالجمل فولى هارباً من هناك .

واجريت في احدى المرات طلعة استطلاعية في الطائرات ولاحظت مارسيل يقف قرب احد البرك . وحلقت فوقه بشكل منخفض جداً الامر الذي اضطره على الانبطاح داخل البركة ، كمكافأة على تعليقه السابق .

بعد ذلك نقلنا نشاطناالعملياتي الى الحدود الشمالية حيث قمنا بالعديد من العمليات على الحدود السورية ، في المناطق الكائنة يسار دردره وفي عمق الحولة واجرينا تدريبات عنيفة مع العديد من التمارين المظلية على مستوى الفوج وضمنه .

واخذت في عام ١٩٥٨ فترة توقف عن ممارسة النشاط العملياتي المتواصل حيث اشتركت بدورة القيادة والاركان التي استغرقت سنة واحدة . وكانت هذه السنة من الناحية الشخصية فترة دراسة ممتازة . حيث حققت ماتمنيته لنفسي واحسست بانني لن أخيب امل قادتي بي في المدرسة .

عدت الى اللواء ، حيث شغلت منصب وكيل آمر اللواء . وقد عملت كوكيل لثلاثة آمراء لواء ذوي صيت هم : حكا (اسحق حوفي احد رؤوساء الموساد الاسرائيلي السابقين . . . المترجم) والي زعيرا ، ومناحيم (مان) افيرام .

وخلال ذلك تم ازالة الغبن البسيط الذي لحقني ، فقد انهيت تدريباتي في مجال الطيران في سنة ١٩٥٧ ، غير انني عندما اشرفت الدورة على نهايتها تغيبت بشكل

قسري عن حضور التعداد النهائي لها ولم احصل على الشهادة والاجنحة (شارة الطيران) . وفي الوقت عينه وقع حادث برج مراقبة البريد ، حيث اقيم في مكان الحادث حالياً مستوطنة سنيار في الشمال . وقد بقي هناك سلاح يخص جيش الدفاع الاسرائيلي ، وطلب من فوجي الاستحواذ عليه واعادته الى اسرائيل . وبعد مرور وقت ما اجريت طلعة استطلاعية في النقب واجتزت بصورة خاطئة الحدود في سيناء . وقد لاحظني مراقب الامم المتحدة ، وسجل رقم الطائرة وقدم شكوى من خلال شبكة الاتصالات المألوفة . وقام حاييم لاسكوف رئيس هيئة الاركان العامة باستدعائي الى مكتبه وبحضور عيزر وايزمان قائد سلاح الجو ، طلب تقديم توضيح لما حدث . فحكيت له بصراحة ، بانني كنت احلق على ارتفاع واطئ واجتزت الحدود بشكل خاطئ ثم عدت في الحال . واثنى لاسكون علي حول افادتي المباشرة ، واضاف قائلا «الان تحصل على جناح الطيران الذي لم تنله بسبب حادث برج مراقبة البريد» . وفي الحال استل وايزمان جناح الطيران وطلب مني تعليقه على الجانب الايسر من صدري . ولم اوافق بأي حال من الاحوال ، بأن هذا الجانب كان محجوزاً لجناح المظليين . وكلمة مني واخرى من عيزر واضطربت النفوس . وقد طلب عيزر مني اخلاء الجناح واجبته ، ان اي قوة في العالم لاتستطيع تحريك جناح المظليين الامر . حين ذاك اراد عيزر تثبيت جناح الطيران فوق جناح المظليين . في الجانب ذاته ، غير ان رئيس هيئة الاركان العامة ، قال انه من غير المألوف وضع جناحين في ذات الجانب من الصدر . وفي النهاية وافقنا على ان هذه الحالة تلتزم الخروج عما هو مألوف حيث تم وضع جناح الطيران على الجانب الايمن من صدري .

ومثلما يعرف جميع اصدقائي وخاصة جميع خصومي ، ان اللغات الاجنبية تعد نقطة ضعفي ولم تتوج بالنجاح الكبير المحاولتان اللتان قمت بهما من اجل التغلب على هذا العائق . فقد تحدد مسبقاً ، انه عند انهاء دورة القيادة والاركان اشترك في دورة عسكرية عليا في فرنسا . وتوجهت لتعلييم اللغة الفرنسية ، لم اعرف اللغة الفرنسية . وانقطعت عن مواصلة التعليم . ورجعت الى القيادة والاركان . حيث عملت بمنصب وكيل آمر لواء واهملت اللغة الفرنسية بحسرة .

مع «المارينز» في الولايات المتحدة

طلبت في عام ١٩٦٠ وخلال حديث مع لاسكوف رئيس هيئة الاركان العامة السفر الى الولايات المتحدة للاشتراك في مدرسة القيادة والاركان التابعة لل «مارينز» (المارينز جنود مشاة البحريةالامريكية. . . . . المترجم) . ولم يذهب قبلي الى هناك اي

شخص من جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد وافق لاسكوف . واشتركت بدورة اساسية محددة في اللغة الانكليزية ، بيد انه كان من الصعوبة عليّ حينذاك ان افهم شيئاً . (كذلك حتى الوقت الحاضر لا اهتم بالترجمة من اللغة الانكليزية الى اللغة العبرية وبالعكس) . بدأت اتعلم قليلاً من الانكليزية ، وتم الاتفاق على ان يقوم الملحق الامريكي البحري باختباري . وقد دعاني الى تناول وجبة غذاء في احد المطاعم الكائن في تل ـ ابيب . واتفقنا على ان يتحدث معي بالغة الانكليزية وارد عليه باللغة الانكليزية ايضا اثناء تناولنا للوجبة الجيدة ، وفي النهاية هو الذي يحدد فيما اذا كنت جديرا بالسفر للاشتراك بدورة «المارينز» .

وجلست امام الرجل الامريكي الذي يعد بطل حرب ، وقائداً لاحدى الغواصات الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية ومحنكا بالمعارك ضد اليابانيين ، وهو يعرف بوضوح ان حلمي بالاشتراك في هذه الدورة القيمة يقرر في الوقت الذي نتحدث فيه كلانا بطلاقة . ولم استطع فهم «امريكيته» (اي أللغة الامريكية) ، كما انه لم يستوعب بدقة التعابير «الانكليزية الخاصة بابن تل ـ عداثيم» . وفجأة وبتودد وسعة صدر ، توقف عن تناول مأدبة «تغذيته» وقال لي بلغة عبرية طليقة «استمع ، مع انكليزيتك هذه ، لن نستطيع انهاء وجبتنا ، انت تسافر للاشتراك في الدورة في الولايات المتحدة ، وهناك تتعلم اللغة الانكليزية وانا اثق بانك ستكون على احسن مايرام» . وعند ذاك اردت تقبيله .

في حزيران عام ١٩٦٠ ، سافرت برفقه عائلتي الى الولايات المتحدة . وتوجهت الى كونتيكو في سيارة بريهر الملحق العسكري في واشنطن . وتم تسجيلي في الدورة . ووجدنا بيتاً صغيرا (باركر هاوس) مليئا بالنداوة والرطوبة والذي يفتقر الى بعض الخدمات . ويبدو المنزل جميلا من الخارج . واجرينا عليه بعض التصليحات لغرض السكن فيه ، وخرجت الى المدينة الصغيرة ، ترايئنجل ، وانا احمل

قائمة مشتريات تحتوي في مقدمتها سيارة ومكنسة . ولم اقتن قبل ذلك على الاطلاق اية

سيارة . ولم تكن لي البتة قبل ذلك سيارة خاصة . وكانت النقود الموجودة عندي موزعة بدقة وفقا للحاجيات . وجئت الى احدى ساحات بيع السيارات المستعملة . ورحت اقدم نفسي وانحنى البائع قليلا اعرابا عن حسن نيته ، ثم قلت «اريد سيارة بمائتي دولار ؟ وان تكون مضبوطة ودون اي نقص !» وقد كانت من طراز شفرليت موديل ١٩٥٠ . ورحت اتفحصها ، فقد كان المحرك يعمل ، والزيت نظيف ، والعجلات بحالة جيدة ، والمقاعد سليمة . دفعت المبلغ ، ورحت اسير بها . ثم اشتريت مكنسة وبعض الاقداح ، وقفلت راجعا الى البيت . وبعد مرور وقت قصير ، اتضح لي ان سيارتي تساوي مائه دولار لاغير . الا انني لم اضمر في قلبي اي شي للرجل الذي باعها لي . ألم اقل انني اريد شراء سيارة بمائتي دولار ، هذا ماحدث معه .

كانت الدورة تضم ستة عشر تلميذا اجنبيا من امريكا الجنوبية والشرق الاقصى ودول حلف الناتو . وانا الوحيد من الشرق الاوسط . ودرسنا لمدة اسبوعيين الانكليزية الاساسية ، وهي عبارة عن دورة تحضيرية تسبق الدورة المركزية حيث تتضمن ، اللغة الانكليزية ، وعادات المكان وبنية «المارينز» واساليب التصرف وكل مايجب ان يعرفه المرء عن الحياة في الدورة وما يحيط به .

ان «المارينز» يعد قصة مثيرة سواء حينذاك ، او في الوقت الحاضر ايضا . فاطار الوحدة فيه تختلف عن جميع الاطر العسكرية الاخرى . حيث يستطيع جندي انزال البحرية الامريكية (احد افراد المارينز) ان يكون هذا اليوم آمر فصيل وغدا طيارا ، وهذا اليوم آمر سرب ، وغدا آمر فوج . اذ يعتبر التنوع في المهام كبيراً جدا والمقدرة عالية ، والفخر بالوحدة يصل الى السحاب .

وكان جميع الامريكيين في الدورة برتبة رائد على الاغلب . وكنت حينذاك احمل رتبة مقدم . بيد انني قمت بإنزال رتبتي الى رائد كي لااكون مميزا عن الاخرين . بهذا الشكل شعرت بارتياح . وكنت مقبولا جدا لدى الامريكيين سواء التلاميذ منهم ام المعلمين . واقيمت علاقات قربى بين آمر المدرسة الذي كان برتبة عقيد وبيني . وبعد مرور وقت قصير اصبح آمر المدرسة مرشحا لشغل منصب قائد «المارينز» . وعندما لم يتم تعينه بهذا المنصب اعتزال الخدمة العسكرية حيث توفي بالسكتة القلبية بعد عدة ايام من اعتزاله . ونحتفظ حتى الوقت الحاضر بعلاقات وطيدة مع زوجته .

وانتقلنا من (باركر هاوس) الملي بالرطوبة ، بعد وقت قصير من قدومنا ، الى شقة اخرى ، هي عبارة عن كوخ خشبي وسط غابة صغيرة مخصص لسكن عائلتين ، حيث كان معي احد العرفاء من القاعدة ، وبقينا فيه حتى انتهاء الدورة التي دامت حوالي سنة .

وقد اثارتني الدراسة في المدرسة حيث كانت تشتمل على التكتيك والاستراتيجة وموضوعات الحرب النووية . وتضمنت الدورة على اجراء جولات في انحاء الولايات المتحدة . وقد شعرت كانني احد ابناء الدولة . واكتشف وجود تشابه كبير بين «المارينز» وسلاحنا المظلي ، من حيث اسلوب التصرف والتفكير ، والاستعدادات غير المحدودة بتحمل اي عبٍّ ، والالتزام بالهدف ، والشعور بان مقدرة المقاتل لاحدود لها .

وقد اجهتني في البدء بعض اصعوبات في مجال اللغة ، وكانت اتذكر غير مرة وجبة الغذاء مع المحلق البحري في تل ـ ابيب ، بيد انني تغلبت على ذلك بل استطعت ان القي المحاضرات حول بلدي وحول مشاكلة المركزية ، مثلما يتوجب ان يقوم به اي متدرب اجنبي . وفي اطار التمارين التكتيكية ، كان هناك ايضا تمرين عن ارض ـ اسرائيل . وكانت المعطيات النظرية تحدد انه يجري الطلب من «المارينز» تقديم المساعدة لاسرائيل ازاء تعرضها لهجوم . وبعد عدة ايام شعرت وكأنني في اسرائيل . وقد جاء جميع تلاميذ الدورة يطلبون مشورتي في كيفية التحرك . واين يتم اقامة القواعد ومن اية نقطة تتم استعدادات الهجوم .

وكانت السنة التي قضيتها في الولايات المتحدة طافحة بالبهجة . رغم ذلك انتايتنا بعض المشاعر القاتلة تقريبا . حيث تم غلق المدرسة في فترة اعياد الميلاد ، ومنح التلاميذ اجازة . وقررنا . انا وعائلتي ، السفر الى ميشيغان التي تبعد حوالي ١٢٠٠ كم لننزل ضيوفا عند اقرباء عائلة زوجتي . واخذ البرد يزداد ضراوة وبدأ الثلج يتجمع الى ارتفاعات مذهلة . وحدد بعض الامريكيين من هواة العلوم الاحصائية ، انه لم يحدث منذ سنوات عديدة مثل هذا الشتاء القارص . وضغطنا داخل سيارتنا التي نسميها «كارل» (بهذه التسمية نسمي السيارات القديمة والجديدة) جميع حاجياتنا والقطة فضلا عنا . وادت الصعوبات التي واجهناها في الطريق الى عدم التمتع بالرحلة . اننا لم نواجه مثل درجات الحرارة المنخفضة هذه التي تصل الى اربعين تحت الصفر وجبال الثلج التي يبلغ ارتفاعها مترا او مترين ، سوى في بعض الاحيان في عيمق يزراعيل وفي صحراء سيناء . وكان هناك من يتوقع بانني اعرف ان في مثل هذا البرد يتجمد الوقود وعليه يتوجب خلطه بمادة ضد الانجماد ، الا انها كانت توقعات وهمية . وتعطلت السيارة ، حيث قمت بوضع المادة المضادة للأنجماد وواصلنا السير . ثم تعطلت السيارة ثانية في الطريق الدولي الذي يربط بين الولايات . وتحدد تعليمات الدخول الى هذا الطريق المثبته في الافتة انه «لايجوز ترك السيارة . او تعليم منديل على هوائي السيارة !» ونحن والاطفال معنا ، وهذا البرد . واخذنا نتجمد ببطء ، ولكن كنا بمأمن . واخذنا نغطي ارجلنا بالصحف والاوراق والاسمال والبطانيات . وراح البرد يسخر منا والاطفال

يبكون . الى ان جاء احد افراد الشرطة بدراجته النارية ، توقف وراح يتحدث بجهاز الاتصال . ومضت عشر دقائق اخرى ، ربما كانت اطول فترة في حياتي ، ثم وقفت قربنا عجلة انقاذ اذ وضعوا لنا في الوقود علبة من لمادة المضادة للانجماد واستوفوا منا خمسة دولارات نقدا (لايعطي اي شيءٌ في الولايات المتحدة الامريكية بشكل مجاني ، وهو اسلوب ممتاز ، ومن الافضل تطبيقه في اسرائيل) وهكذا تم إصلاح عيب السيارة وواصلنا السير .

واستقبلنا كونستانتين ، وهي مدنية اقرباء زوجتي ، بتعابيرها البيضاء . فهناك ثلج كثيف يعلوها . وما أعاننا على ذلك البرد القارص سوى دماثة اخلاق وحرارة الاقرباء المتمثلين بالزوجة التي تعمل طبيبة بيطرية والزوج الذي هو مدرس في احدى المدارس الثانوية وطيار هاوٍ ، حيث تغلبنا على ذلك دون ان نصاب بالكآبة .

والحقيقة هي ان رخصة مزاولة الطيران الحاصل عليها زوج ابنت عم زوجتي ، قد جذبت انتباهي . لقد حصلت منذ امد بعيد على رخصة امريكية لمزاولة هواية الطيران ، ولايجوز تفويت هذه الفرصة . وقد تجاوب مع نصيحتي حيث قمنا باستئجار طائرة صغيرة وحلقنا باتجاه مدينة كالمزو . واثارني منظران هما : ان المنطقة تبدو كلها بيضاء الى حد انك لاتستطيع ان تميز على سطح الارض اية شقة للهبوط ، ومنظر الشمس وهي تتجه نحو الغروب .

وصلنا الى كالمزو ، والى مايجب ان ندعوه بهذا الاسم حسب التخمين ، ثم اقفلنا راجعين الى كونستانتين لكننا لم نجدها لانه لم يكن هناك مدرج ولامطار ولا اية شقة هبوط ولابرج للمراقبة كما انه لم يكن هناك اي جهاز اتصال ولا اية اجهزة للملاحة . فقلت لمارتين الذي كان بحيرة من امرة تقريبا «ألاتعرف مدينتك ، وانا لاعرفها» . فرد عليّ وتعابير وجهه تشير الى الاستسلام «لا اعرف اية منطقة ولا ارى شيئاً ولست اعرف شيئاً» .

فقلت له «طيب ، بوسعنا القيام بمحاولة واحدة وفي حالة عدم نجاحنا حينذاك يودع احدنا الآخر . والان نعود الى كالمزو ونرجع ثانية ونحسب بدقة زمن الرحلة . فاما نجد كونستانتين او نهبط هبوطا اضطرارياً اعمى على الارض الثلجية والله يكون بعوننا» .

ولم يكن لمارتين اية مشورة اكثر منطقية ، حيث وافق على اقتراحي بتحريك راسه فيها شيءٌ بارز من الشك .

وكانت اشعة الشمس الاخيرة باهتة . وعدنا الى كالمزو ، ورحنا نحسب الاتجاه ووقت الرحلة . ثم رجعنا الى كونستانتين ، حيث اطبق الظلام على المنطقة وها هو من تحتنا المدرج المنفذ ، عبارة عن مساحة من الارض سوداء وقصيرة . ولامست عجلات

الطائرة الارض واخذت تسير فوقها ثم توقفت . وقال لي صاحب مرأب الطائرات في المطار الصغير «لم ار في حياتي هبوطا سريعا كهذا» فقلت له «لو كنت تشعر مثلما اشعر في الاعلى لهبطت اسرع من ذلك» .

تعد الولايات المتحدة ، وكما هو معروف ، دولة عملاقة ، لكن مع ذلك تعتبر تل ـ عداشيم في اي حال من الاحوال احدى المناطق المهمة في العالم ، وقد استطعت كذلك ان اثبت ذلك . مثلما سنرى هنا ، ففي احدى الجولات التي اجريناها في القاعدة التابعة للقوات الامريكية الخاصة ، التقيت عريفين يتحدثان اللغة العبرية . وقد قص لي احدهما ، انه كان في اسرائيل كمهاجر جديد ، من الذين تم نقلهم بصورة غير شرعية ، في اواخر الثلاثينيات ، ثم هاجر الى الولايات المتحدة وها هو يخدم في الجيش الامريكي بوصفه مترجما من اللغة العبرية الى الانكليزية وبالعكس . وواصل ذلك العريف حديثه ، وانا اتابعه حيث قال ان اصله من جيكوسلفاكيا وقد كان في اسرائيل في منطقة ما صغبره غير بعيدة عن حيفا . وهنا خطر هاجس في فكري ، وتذكرت ايام الطفولة ، فقد كانت في قريتنا مجموعة من المهاجرين غير الشرعيين الجيكيين . وراح العريف يقوي ذاكرتي وهو يقول «لقد كان هناك احد المزارعين ويدعى إيتان والذي يضع الغليون في فمه بصورة متواصلة يهتم بنا ويسد كل نواقصنا» . وحانت اللحظة التي اكشف فيها للعريف عن هويتي حيث اخذ يعانقني والدموع من عينيه .

ومررت باحساس مماثل في كندا ، خلال احدى الجولات الرسمية في القاعدة العسكرية الكندية . وحلقنا باتجاه الغرب الى وينيفج بطائرة بريطانية ، ولم يكن معي في الطائرة سوى مرافقي الرسمي وعدد من المضيفات . وكلمة من هنا واخرى من هناك ، حتى راح مرافقي يقص عليّ انطباعه منذ فترة خدمته في الشرطة البريطانية الخاصة إبان الانتداب في ارض اسرائيل ، كيف جرى استدعاءهم الى الساحل زمن قيام اليهود بانزال المهاجرين الجدد من السفينة «شفتاي لودجينسكي» وكيف قاموا بالقاء القبض عليهم جميعهم واجلوهم الى قبرص . وكيف كانت هناك مجموعة من البلماح التي القي القبض على قسم منها وقضى فترة ما في قبرص .

وارحته بوضع نهاية لهذه القصة المثيرة حيث كشفت له ، بانني كنت ضمن تلك المجموعة ، وفي القسم الذي نجح بالهرب ولم يتم نفيه الى قبرص . اي نوع من اللقاء هذا في سماء كندا .

وعرجنا في طريق عودتنا الى اسرائيل ، على المانيا . وقد لقينا من لدن الاشخاص الذين استضافونا معاملة ودية خاصة . رغم ان اغلبهم كان من الشباب الذين لايمكن ان يكونوا متورطين في قتل شعبي في اوربا قبل عشرين عاما ، الا ان ذلك الامر وضع

حاجزا بيني وبينهم . ولم اكن بغضاً شخصيا ضد هؤلاء الشباب ، الا انني كذلك لم استطع اسقاط جميع الحواجز . وحاولنا في هامبورغ ، قبل وقت قصير من عودتنا الى اسرائيل ، في احد ايام الاحد السفر بواسطة القطار الى نهر هالبا للاستحمام على الشاطئ وقد تجمع عدد غفير من الالمان على ابواب عربات القطار . حيث تقاتلوا بصورة وحشية لايمكن وصفها للحصول على مقعد في القطار . فهاهم الاشخاص المثقفون يتصارعون كالحيوانات ضاربين عرض الحائط كل المقاييس [illegible] ب . واستطعت ان افهم امرا هو ان المنظر الذي اشاهده بام عيني اثق به .

وعدت الى اسرائيل بعد قضاء سنة رائعة في الولايات المتحدة الامريكية والقيام ببعض الرحلات الى كندا وزيارة المانيا . وتم تعييني بمنصب رئيس شعبة العمليات في هيئة الاركان العامة . وقضيت سنتين في هذا المنصب حيث شاركت في العديد من التخطيطات على مستوى هيئة الاركان العامة . وحافظت على العلاقة مع المظليين وشاركت في تمارين الهبوط بالمظلات لكنني تعمقت اكثر فأكثر في جميع اجنحة الجيش وصنوفه مستغلا المعلومات التي اكتسبها سواء كقائد حربي او باعتباري خريج دورة القيادة والاركان الاسرائيلية ودورة القيادة والاركان في مدرسة «المارينز» . وقد درست طيلة هاتين السنتين التاريخ العام ، والتاريخ العسكري وجغرافية الشرق الاوسط في جامعة تل ـ ابيب .

اسد خطير في اثيوبيا

وعند انهاء فترة شغلي لمنصب رئيس شعبة العمليات ، ثم تثبيتي كعضو في وفد جيش الدفاع الاسرائيلي الى اثيوبيا . وطلبت اعفاءي من هذه الرحلة بيد ان اسحق رابين الذي كان يشغل حينذاك منصب رئيس شعبة العمليات رفض ذلك .

هبطنا في اديس ابابا . ونزلنا في فندق صغير ذي طابع اوربي ، وتم تسجيل اسمائنا في دفتر الاستقبال . واكتشفت من خلال النظرة التي القيتها على السجل الذي دونت فيه اسماء النزلاء ، ان اخي الذي درب الاثيوبيين حول كيفية تنظيم حرس حدودهم ، مدون اسمه في السجل . صعدت الى غرفته ، وطرقت على الباب ، ففتح الباب واستقبلني وصابون الحلاقة يغطي وجهه . وانتابتنا فرحة كبيرة .

وتم استقبال الوفد في فناء قصر هيلاسلاسي . وانا احب الحيوانات جداً وهي تشعر بذلك وتبادلني اياه بعد تعارف قصير . وكانت توجد في فناء القصر اقفاص خاصة

بالاسود . واقتربت من احد تلك الاقفاص ، ومددت يدي من خلال القضبان الحديدية ورحت اداعب اسداً ضخماً من المنطقة الكائنة خلف اذنه . وهو يزأر بغضب . ولم اعتقد ، بانني كنت اقوم بشيء شاذ . وهناك من حكى لي بعد ذلك ، ان الامبراطور تطلع من احدى النوافذ وذهل بمشاهدته مايقوم به الضيف الاسرائيلي واخذ يقول «من هذا الشخص ؟ ان هذا الاسد يعد من اخطر الاسود التي القينا القبض عليها في وقت ما في اثيوبيا . . .» .

وتم بعد ذلك اجراء استقبال لنا في احد المعسكرات قرب العاصمة اديس ابابا . وأعدوا من اجل ذلك اصطبلات الخيول . ونثروا القش النظيف على اكوام الروث ، ووضعوا على المناضد كميات مذهلة من جميع اصناف اللحوم ، شرائح صغيرة وكبيرة وبعض الخنازير بكل الاحجام ولحماً مثروماً ، غير ان هناك علامة فارقة مشتركة على جميع هذه الاصناف ، وهي ان هذا اللحم لايعد كاشيرا (اي لايجوز لليهودي تناوله) على الاطلاق ، فهو لحم محذور ، ولم نستطيع تذوقه . وبغية تلطيف معيشتنا ، كان هناك كذلك خبزهم الذي يطلق عليه (اينجيرا) والمصنوع من الدخن . وهذا الخبز عبارة عن رغيف كبير ودائري الشكل والذي طعمه اشبه بالوحل الممزوج بالتبن . ولاحظنا على وجوه مضيفينا علامات بارزة من الاهانة جراء عدم تذوقنا لاي نوع من اطعمتهم . ومن اجل تلطيف طعم اللحم غير المشوي بصورة تامة وخبز (الاينجيرا) ، اخذنا نضع عليها نوعاً من الصلصة ، دون الاهتمام بشيء آخر ، فكثيراً ماينسى المرء كل انواع الاطعمة وقد ينسى كذلك حتى جدته وجميع عائلته واسم دولته وسبب مجيئه .

وانتقلنا بالطائرة من اديس ابابا الى هرار . ثم توجهنا في اليوم التالي في سيارات الجيب برفقة بعض الضباط الاثيوبين الي جيجيكا في صحراء اوكدن . وكان الطريق الشبه صحراوي مثيراً جداً . فقد حولته القرود والغزلان والطيور من جميع الاصناف التي يمكن ان تخطر ببالك ، الى بهجة كبيرة . وسمح لنا حاكم جيجيكا بالتجوال في صحراء اوكدن ، واعطى لنا بسعة صدر ، اذناً لاخذ الاسلحة الباردة الاقواس والسهام والرماح ، من ابناء القبائل التي تعيش هناك . واعتاد ابناء القبائل اخفاء اسلحتهم عن نظر الجيش الاثيوبي ، لذلك لم يفلح الحاكم على الاطلاق في الاستيلاء على تلك الاسلحة .

وكان حظنا اكثر اشراقاً . واطلق الاثيوبيون في معسكر لاحدى القبائل الذي هو عبارة عن اكواخ خشبية دائرة الشكل يلتصق بها الوحل من كل الجوانب ، عدة عيارات نارية في الهواء ، اذ تعد هذه العيارات النارية كافية لهرب جميع ابناء القبيلة من اكواخهم . وكانت هناك امرأة عجوز واحدة لايعرف عمرها ، لم تدخل جراء ذلك ولم

تهرب . وتبادل معها الاثيوبيون بعض الكلمات ، حيث بدت تشير تعابير وجهها انها فهمت قصدنا . نهضت وقادتنا الى اماكن خفية ، حيث خرجنا من هناك بالعديد من المشتريات التي تضمنت الاقواس والسهام والرماح والحراب والسيوف ، وكلها من صنع محلي . ولم يصدق حاكم جيجيكا مايراه .

ولم تشبع اعيننا من مشاهدة المناظر الطبيعية الساحرة قرب بحيرة طانا التي هي منبع النيل الازرق . ودفعنا في الطريق ضريبة لاحد القرود الضخمة من فصيلة (السعادين) ، الذي اغلق الشارع الضيق بجسمه واوقف السيارة الاولى من خلال رفع يده ، ولم يخل الطريق الى ان حصل على اجرة مرور تمثلت كالمعتاد بعدد من الموز والبسكويت . بعد ذلك اقمنا علاقة صداقة مع القرد حيث وافق على التقاط صور معنا .

وكانت لنا «بهجة اخرى مع القرود» في احدى الواحات الجميلة في منطقة تدعى اكرودت والتي تقع على مسافة غير بعيدة عن الحدود السودانية . وقد قال لنا الاثيوبيون في المناسبات السابقة ، ان لحم القرد من فصلية (السعادين) في نظرهم يعد لطيفاً ، وانه فعلاً طعام مرغوب فيه . ولكن طالما انهم لم يحاولوا اشراكنا بهذا الشعور المذاقي ، فاننا لزمنا الصمت . وهانحن نصل الى احدى الواحات ، حيث اوقف الاثيوبيون السيارة ، وراحوا يشيرون صوب بعض النخيل المرتفعة التي تتحرك القرود من فصيلة (السعادين) فوقها ، وبدأوا يقولون لنا ، انهم سيقومون الان باصطياد بعض هذه القرود ويعدون لنا وجبة طعام محترمة .

وينبغي هنا اسداء نصيحة ، من نوع آخر تسببت بوقوع «حادث دبلوماسي» . فقد كان يوجد لكل واحد منا بندقية . حيث وجهت بندقيتي نحو السماء واطلقت عدة اطلقات متفرقة ، حيث كانت كافية لكي تؤدي الى هرب جميع القرود بارتباك صاخب . ورأيت ظاهرة جديرة بالاهتمام ، وهي ان القرود الضخمة والتي تبدو اشبه برؤوساء القبائل . قد قفزت من الاشجار وسط صخب التهديد وراحت تطرد جميع «جمهور القرود» الى خارج مدى الخطر ، الى الجانب الآخر من الهضبة . وهي (القرود الضخمة) لم تتحرك ولم تخل المنطقة حتى اختفت آخر القرود الصغيرة والاناث . ان هذا الامر يعد قيادة من الدرجة الاولى لم تدرسه ولم تكتسبه من اية مدرسة عسكرية .

ولم يكن في صوت الاثيوبيين اي احتجاج ، بيد انني استطعت ملاحظة نبرة ازدراء بقولهم : «لقد اطلقت النار في وقت مبكر جداً ، لذلك فقد خسرنا وجبة غذاء غير عادية» .

وقد قمنا بزيارة مختلف المواقع الاثرية . والتقينا باشخاص مهمين . ولم ألحظ

بتصرفات الرفاق الآخرين في الوفد اي سلوك غريب ، غير انني لم استطع ان اقدر في وقت لاحق جداً ، وبالتحديد عند قرب انتهاء موعد الزيارة ، الا قدرة سيطرتهم الذاتية . وقد كانوا يعرفون ، وانا لااعرف ، ان ابني البكر يوحنان ، قد مات جراء اصابته بداء الربو في بيتي في تل ـ عداشيم . ولم يدلوا لي بأي شيء . ولم يقولوا سوى انه جراء اسباب مختلفة تقرر تقليص مدة الزيارة الى اثيوبيا . وهكذا عدنا الى اسرائيل في قوت مبكر عما هو مخطط للزيارة . وكان ينتظرني في المطار زوجتي والآخرون حيث جرى اخباري بذلك النبأ القاسي ، وكان ابني يبلغ عشر سنين ونصف من العمر .

لقد قضيت سنة ١٩٦٣ كلها في خارج اسرائيل . وسبقت رحلة الارجنتين ، رحلة اثيوبيا ، على رأس وفد اسرائيلي لمسابقات التزحلق في الهواء . وقد كان ذلك في شباط عام ١٩٦٣ . وكنت رئيس الوفد لبطولة التزحلق في الهواء العالمية .

وسافرنا من بوينس ايرس العاصمة في السيارة الى منطقة المسابقات الكائنة في (حونيان) التي هي عبارة عن مدينة صغيرة في وسط بمباس التي تعد ارضاً منبسطة تخلو من اية هضبة يستفاد منها لغرض التحليق . قمنا بأستئجار المنزلقات وبدأنا بالتدريبات الشاقة .

ورحنا نتناول اللحم في جميع الوجبات ، صباحاً وظهراً ومساءاً . ثم اردنا التنويع حيث اخذنا نأكل شرائح الخبز والبندورة ، وكان مضيفونا واثقين ، بأن افكارنا مشوشة .

ولم نأخذ قسطاً وافراً من الراحة في هذه الزيارة . اذا امتدت الينا ايدي اللاسامية الطويلة والبغيظة في تلك المنطقة كذلك . حيث بدأت الكتابات ذات الطابع النازي والاصلبة المعكوفة واعلام اسرائيل الممزقة ، تثير غضبنا مثلما ينبغي ، غير ان مضيفينا بقت اللامبالاة تطغى عليهم . وقد طلبنا من مرافقتنا الدائمة ان يتم وضع حد لهذه الاعمال . وكل الذي استطاعت ان تفعله لنا ، تمثل بشطب تلك الكتابات او تغطيها بالاصباغ ، الا ان هذه الاعمال تجددت بعد مرور وقت قصير .

وكان يوجد عندي نهم كبير للدراسة والثقافة . فبعد انهاء المدرسة الشعبية في تل ـ عداشيم ، حالت الاحداث التي صادفتني دون اكمال تعلمي بشكل منتظم . وادت الدراسة في دورة القيادة والاركان الاسرائيلية والامريكية وفي جامعة تل ـ ابيب ، الى زيادة شهيتي في مجال الثقافة . وعند انهائي مدة سنتين في منصب رئيس شعبة العمليات ، طلبت قبولي في الدورة الاولى لكلية الامن القومي . وقد استجاب المسؤولون لطلبي . وبذلك تنازلت عن امكانية شغل منصب آمر لواء جولاني خلفاً لموطيه غور . وكان هناك اشبه باتفاق صامت بان يصار ، عند انهائي الدراسة في كلية الامن القومي ، الى تعييني بمنصب آمر لواء المظليين النظامي .

مكائد في كلية الامن القومي

لقد تم افتتاح كلية الامن القومي في القدس . وكانت تلك السنة بمثابة سنة دراسية جديرة بالاهتمام للغاية ، لان آفاقها تعد واسعة حيث تضمنت الامور الآتية : مشاكل الدولة من الناحية القومية ، والتعرف على الجهاز المدني ، والنزاع اليهودي ـ العربي ، والمجالات الاقتصادية واالامنية وماشابه ذلك من موضوعات وقضايا .

ولم تخلو سنة الدراسة في كلية الامن القومي من الاعمال الهزلية القوية جداً والاقل قوة . اذ ليس بوسع الاشخاص الشباب الانهماك في الدراسة فقط . فهم يقومون كذلك بتطوير انماط حياتية ، بيد ان ذلك لايأتي من اجل المساس بجديتهم وحماسهم كتلاميذ .

وقد حدثت عدة قصص منها ، ففي احدى الليالي الحالكة الظلام والباردة والممطرة بغزارة ، تم استضافة احدى مجموعات تلاميذ الدورة في بيت عوزي نركيس آمر كلية الامن القومي ، وراحت مجموعة اخرى التي بقيت في الكلية تحيك مؤامرة ضد احد افراد المجموعة الاولى ويدعى بار ـ كيورا وهو شخص حسود وتفتقر سيارته الى التصليح ، الذي يستضيفه عوزي في بيته . وكان احد رفاقنا قادراً على تقليد اي صوت او لهجة . حيث قام بالاتصال هاتفياً ببيت نركيس ، وقدم نفسه على انه جاره وقال من خلال سماعة الهاتف «ان الجو غير لطيف ، الا انني خرجت الان بسيارتي من مرأب بيتي ولم ار اي شيء جراء الظلام الدامس واصطدمت باحدى السيارات الجاثمة . ورأيت انها لاتحمل رقماً عسكرياً ، وربما يوجد صاحبها عندك ؟» فراح عوزي يوضح الامر للضيوف . حيث اصيب كيورا بالانفعال . لقد تضررت سيارته ، هكذا سمعنا القصة بعد ذلك من لدن رفاقنا ، وهرع الى الخارج ، وهو مذهول وخائف ، يتوجس طريقه وسط المطر الغزير ، حيث اخذ يتلمس سيارته الرطبة من كل جانب ، ثم رجع الى جماعته وقال لنركيس «كل شيء على مايرام ، لقد تم ترتيب هذا الموضوع ضدي . وسأرتب امراً ما ضدهم» .

وبينما نحن فرحين ومبتهجين ومحتفلين بمداعبتنا الصغيرة ، ومتناسين ان هذه المداعبة تكون في الكثير من الاحيان ثنائية المسار ، فبعد مرور ساعة او يزيد في ذات الليلة المظلمة والرطبة ، رن جرس الهاتف في الغرفة التي نحن موجودون فيها ضمن كلية الامن . ورفعت انا بالصدفة ، سماعة الهاتف ، واذا بكيورا يقول : «حسن ، لقد رتبتم هذا الامر ضدي . غير انه قد حدث امر واحد يعد غير لطيف . فقد خرج عوزي الى الخارج ليتبين ماحدث للسيارة ، وانزلق في الطريق الصقيل الى داخل احدى برك الماء

العميقة واصيب بجرح وهو يتألم . واردت ان تعرفوا بهذا الامر . وهو كذلك مزعوج بعض الشيء . . . » . واخذت تتضخم عندنا عبارة «مزعوج بعض الشيء» هذه لتصل الى ابعاد ليس لها علاقة بالموضوع . بعد ذلك انتقل كل شخص منا الى سريره ، وراح يتخيل آمر الكلية يصل في الصباح وهو يستند على عكاز ، ومصاب بجرح وغاضب ويسأل فقط سؤالاً واحداً «من الذي فعل ذلك ؟» انها مداعبة ازاء مداعبة ، غير ان مداعبة كيورا اعطت نتائج افضل .

واستعدوا لحفلة انتهاء الدورة ، سعى بعض الاشخاص بصورة سرية لاعداد بعض الافلام ذات الطابع الخاص عن خريجي الدورة وقادتهم . وكانت النتائج مذهلة وستبقى في الذاكرة لسنوات طويلة .

ويجري عرض الافلام ، حيث يتناول احدها موشيه يوفال (طاب ذكراه ـ وهو معلم مدني) وهو يخرج كالمعتاد في الصباح من بيته الكائن في القدس في طريقه الى الكلية . حيث يحمل حقيبة «جيمس بوند» بيده . ثم يوقفه عند احد الارصفة عملاق يرتدي ملابس يبدو كأنه احد شباب المدارس الدينية حيث سرواله يصل الى حد ركبيته ، وجورابه ابيض ، وقبعته فضفاضة ، وله شفتان غليظتان ، وهكذا يلتقي موشيه يوفال الرجل القصير والنحيف بعملاق ، فيصاب بالفزع . ويخرج العملاق ورقة ويعطيها الى موشيه ، يبغي ارشاده للعنوان المدون في الورقة . (كان العنوان يشير الى احد الاماكن المعروفة في لندن) . وينظر موشيه الى هنا والى هناك ، ثم يعتذر ، لانه لايعرف . ثم يقول له لا أعرف هذا المكان . ويطلب ان يواصل المسير في طريقه . غير ان العملاق يحتجز طريقه ويأخذ بقوة من يد موشيه حقيبة «جيمس بوند» ، ثم يلقيها على الرصيف ويخبر موشيه بشكل عنيف قائلاً :

«لاتتحرك من هنا حتى تخبرني اين يكون هذا العنوان» . ويبدأ موشيه بالقاء نظرة هنا وهناك . من اين يأتي من يساعده ؟ وفي الواقع ، انه لايعرف اين يكون هذا العنوان . ويقرأ العملاق العنوان بصوت عالٍ ، مرة واخرى ويقول «انت تعرف حتماً !» ، حتماً ، لكنني لا أعرفه . ويواصل بذل محاولات خطف حقيبته والهرب ، الا ان محاولته تكون فاشلة . ويطلب موشيه الرحمة لنفسه . حيث يتحتم عليه الوصول الى الكلية . غير ان قلب العملاق لايلين . ويطلب موشيه الصفح من العملاق بقوله «لكني حقاً لا أعرف» . فيرد عليه العملاق بتعابير تدل على «انتهاء اللعبة» قائلاً «انت تتباهى بانك تعرف لندن مثلما تعرف كف يدك . ان هذا العنوان ، يعد مكاناً مشهوراً في لندن . انت لاتعرف لندن» .

ثم يتم عرض فيلم آخر ، خلال ساعات الصباح تتجه آلة التصوير المخفية صوب

بيت عوزي نركيس آمر كلية الامن القومي ، وتدخل الى بيته . حيث يتم فتح باب البيت ، وعوزي واطفاله يخرجون للركوب في سيارتهم . وكان يقف قرب سيارته شخصان من «منظفي الشوارع» ، وقد وضعت على الغطاء المتألق لمحرك السيارة علبة كارتونية طافحة بالقمامة الرطبة . تنبعث منها روائح مقززة . هنا تركز آلة التصوير على وجه عوزي نركيس ، الذي يعرب عن السخط والغضب والغيظ . ثم يصرخ عوزي بشدة قائلاً «ماهذا الموضوع هنا ؟» فيرد عليه أحد «عمال التنظيف» بسذاجة قائلاً : «نحن من البلدية ، ونقوم بتنظيف الشارع» . فيقول عوزي «لكن ، هل يعني ذلك ان تضعون الاوساخ على السيارة . . .» وبدل الرد على عوزي ، يقوم احد «المنظفين» بغرز كفه في كومة القمامة الموجودة في الطريق ويأخذ منها كمية مناسبة وبنثرها على العلبة الكارتونية الموضوعة على غطاء محرك السيارة ، حيث تتدفق المياه القذرة منها الى جميع الجوانب .

ويقرر عوزي عمل شيء ما . حيث يحاول مسك العلبة الكارتونية القذرة ولازالتها من فوق السيارة . ويبدأ احد المنظفين باعاقته . غير ان عوزي يغضب بشدة وهذا الغضب يمنحه قوة ، حيث يمسك بطرفي العلبة الكارتونية ويرفعها الى الاعلى . عند ذاك يظهر ان العلبة تفتقر الى قاعدة . لذلك تنتشر القمامة ومياهها الوسخة على جميع غطاء محرك السيارة كله . وغطى رذاذ القمامة الزجاجة الامامية للسيارة . ثم حاول عوزي ، الذي بدا شبه مرتبك ، ان يخطف مكنسة من ايدي احد «عمال التنظيف» لتنظيف غطاء محرك السيارة والزجاجة الامامية . غير ان «عامل التنظيف» يسحبها منه بعنف . حيث يقول «آسف جداً ، انها من ممتلكات البلدية ، ولايسمح لغيرنا باستخدامها» . ثم يتوعده عوزي بالعقوبات والامور الاخرى وبصرخات التهديد العنيفة . لقد عرف عوزي انه خسر هذه المعركة . حيث يفتح باب السيارة ويضع ابنته الذكية في الداخل ويغلق الباب . كذلك يتوقف احد «عمال التنظيف» عن كنس النفاية من فوق السيارة . ثم يتحرك عوزي بسيارته ويبيعد كأنه يهرب من وباء . ويودعه احد عمال التنظيف بقوله «ما الذي يجعلك عصبياً بهذا الشكل ؟ اننا ننظف الشوارع حسب» .

كما يجري عرض فيلم آخر ، حيث يعود في المساء رفائيل فردي احد المعلمين في كلية الامن الى بيته ، بعد يوم مفعم بالعمل . وقد كان فردي في السابق يشغل منصب آمر الشرطة العسكرية (الشرطة العسكرية تقابل عندنا الانضباط العسكري . . . . المترجم) . فهو اذن رجل نظام وقانون وقيافة وانضباط ، يستقصي ادق الامور ويؤمن (بالعدل) ، لان الدقة بالامور الصغيرة في جهاز جيش الدفاع الاسرائيلي الضخم ، تحدد مصير الامور الكبيرة . ثم يطرق باب بيت فردي ، احد افراد الشرطة العسكرية ،

حيث يطلب من فردي الخروج . ويقول له جندي الشرطة العسكرية بمنتهى الجدية ، انه تحوم شبهات حول سيارة فردي كونها متورطة في حادث اصطدام مع سيارة رئيس الحكومة ، وانه (اي جندي الشرطة العسكرية) ارسل لاستقصاء الامر والتحقيق فيه . ويبدو فردي مذهولاً وهو يقول حادث اصطدام ؟ مع رئيس الحكومة ؟ ويعتذر جندي الشرطة العسكرية وهو يقول انت تعرف الواجب . ويفهم فردي ذلك . ثم يضيف جندي الشرطة العسكرية ، يجب اتمام المهمة ، حيث يتوجب فحص فرامل سيارة فردي . ثم يقوم احد الضباط بفحص فرامل السيارة من خلال السير والفرملة يبدو ان الفرامل سليمة . وتظهر آلة التصوير الخفية وجه فردي وعليه علامات التوتر . ثم يعيد جندي الشرطة العسكرية السيارة لفردي . ثم ينبعث صوت يقول لفردي : «رفائيل فردي ، انت ضابط الشرطة العسكرية ، ارجو ان تنظر مامكتوب على سيارة جندي الشرطة العسكرية ، ارجو ان تنظر مامكتوب على اكمام الضابط الذي فحص السيارة» . عند ذاك تطلع فردي . حيث كتب على الشريط الموضوع على اكمام الضابط العبارة التالية (كلية الامن القومي) . وليس هناك اي ذكر لعبارة (ضابط الشرطة العسكرية) . كما وكتبت على الزجاجة الامامية لسيارة الجيب العسكرية العبارة التالية (مسترا سفعيت ـ وهي عبارة خاطئة والمقصود فيها الشرطة العسكرية) بحروف حمراء على اساس باللون الابيض . ثم يعود فردي الى بيته بخطى حثيثة .

آمر لواء مظليين نظامـــي

انتهت الدراسة في الجامعة . في أيار ١٩٦٤ تلقيت من حاقي (اسحاق حوفي) أمر تعييني بمنصب آمر لواء المظليين النظامي . شعرت بالفخر . كان ذلك لواءً مقدراً . عملنا كثيراً في عمليات الامن الغامرة على طول الحدود وكذلك بعمليات الانتقام ، رداً على هجمات المخربين . وهكذا قامت قوة من اللواء ، بامرة وكيل آمر اللواء ، بالاغارة على مطحنة الحنطة بجنين وبمركز الشرطة فيها ، وقوة اخرى ، بقيادتي ، بتفجير احدى عشرة بئراً للماء بجوار قلقيلية . وكانت هناك عمليات خرجنا لتنفيذها وابطلت ونحن في الطريق لانفاذها . وكانت لنا احداث على الحدود الاردنية وكذلك في منطقة القدس وكذلك في الشمال ، مع السوريين ، خصصنا وقتاً كثيراً للتدريب ولتمارين هبوط بالمظلات ، ومنقولة جواً ، من الجو ومن البحر ، اوصلت اللواء الى درجة عالية من الاداء وتنظيم مرموق .

استثمرنا الذكاء في مواقف انعزال تام وتيه . ان قوة المظليين وقدرتهم في هبوطهم جواً او نزولهم من البحر في مؤخرة العدو ، وراء خطوطه ـ وفي بعض الاحيان ينقطع اتصالهم عن كل القوات الاخرى ، ولايستطيعون تلقي التموين بالتجهيزات والمؤون وعليهم ان يقاتلوا وان يحققوا النتائج في مثل هذه الظروف القاسية ايضاً . وفي ايام السلم وفي التمارين من العسير خلق وضع حقيقي مثل هذا ، وقد حدث هذا لنا في «تمرين ابراهام» : فقد هبط اللواء كله في حقل ابراهام ، قرب عوفداه . اعددنا هناك فوراً مدرجاً لطائرات النقل وللطائرات الصغيرة . وهبطت طائرات سمتية في المنطقة . وقمنا بتنفيذ تمارين بمختلف المستويات بتشكيلات اللواء ـ بدءً من الفصيل وحتى الفوج . وقد خيم علينا جو شتوي وعاصف ، وفي خلال الاسبوع ، الذي امضيناه هناك ، كنا مقطوعين تماماً لمدة يومين . اكتفينا بما كان لدينا وواصلنا تنفيذ خطة التمارين .

ومن اجل التعرف عن كثب على الظروف المختلفة ، نفذنا تمارين مركزة في منطقة العربة ، او النقب ، او في الشمال . وكان كل تمرين يختلف عن سابقه بلونه ، وبمدته ، بأفكار جديدة وبامتحانات قاسية ، فرضناها على الوحدات .

في احد التمارين بمستوى الفوج في منطقة العربة ذهبت مع وكيلي ، اريق رغف ، رحمة الله ، ومع ملحق عسكري امريكي ، كان ضيفاً علينا ، لمشاهدة تمرين احد الافواج . أمضينا في الطريق ليلة كاملة مع الفوج في التمرين . وصلنا ـ وشرب الامريكي زجاجة شراب . شربنا ، وأنهينا ، ونمنا . فتحنا العينين في الضياء الاول ـ لافوج هناك ، لاتمرين ، ولانفساً حية ، كنا وحدنا في منطقة صخرية ضيفتنا في النوم ليلة حلوة . اجهدنا ارجلنا لمسافة خمسة عشر كلم ، الى ان وصلنا الى مقر اللواء .

حتى الشجعان من المظليين يذكرون ، ان المظلة قد لاتنفتح . وانت تذكر بهذا من وقت لاخر ، بسبب خبرات مأساوية حدثت للاخرين وايضاً بسبب ان ذلك حدث لك بصورة شخصية . وكلما هبطت اكثر تزداد المخاوف ، ولكن عندئذ ايضا تبقى الذكريات والتجارب الشخصية برفقتك اربع مرات في خدمتي الطويلة في المظليين عرفت هذه الخبرة بصورة شخصية . في المرة الاولى ـ قبل ان اغادر الى الولايات المتحدة بيومين في دورة «للمارينز» نفذنا تمرين هبوط بجوار حديراه . وكانت ليلة حالكة . آمر اللواء المظلي ، حاقا ، هبط اولاً . انا بعده . ظلام دامس . المظلي المجرب يستطيع ان يقدر بحواسه الزمن حتى تنفتح المظلة . مظلتي لم تنفتح . تحسست بيدي كلتيهما من اجل ان امسك بالاحزمة التي فوقي . ليس من احزمة . انا اهبط في الظلام وبسرعة . احسست اني سقطت وسط . . . مظلة تحتي انا اشعر الان ان حاقا وانا نهبط سوية

بمظلة . ان الامل في ان نبقى نحن الاثنين على قيد الحياة قليل . سقوطي داخل مظلته تسبب في اغلاقها . نحن نهبط بسرعة . انا عالق داخل المظلة . انا احاول ان اخرج في كل الاتجاهات ، لاحرر نفسي من هذه المشاركة القاتلة . لااعلم كم نبعد عن الارض . وفي اللحظة التي شعرت بها تحررت واني اطير لوحدي ، بسرعة ، منفصلا عن المظلة الاخرى ، فتحت يد المظلة الاحتياطية بسرعة فائقة . بعد مرور ثانية وربما اقل من ذلك ارتطمت بالارض ، بجوار حاقا . وقص على انه كانت له في الجو تجربة صعبة ان احدهم سقط في مظلته وادى الى انطوائها وانه احس انه يسقط بسرعة . فقط قرب الارض عادت مظلته وانبسطت وهبط بسلام .

في مرة اخرى هبطنا في وادي بسور . وكان مايزال هناك ضوء النهار . لم تنفتح المظلة . فتحت المظلة الاحتياطية . وكان ينتظر بمهمة ضابط ارضي مارسيل طوبيل . حدثني عن مظلي لم تنفتح مظلته . رأى ذلك من الارض . امتدح المظلي الذي تصرف بلباقة وسحب يد المظلة الاحتياطية . «محظوظ» «انه لم يفقد رباطه جأشه» . حدثته عمن كان ذلك المظلي .

وفي المرات الاخرى لم يكن هناك من هو شاذ وفريد ـ اصبح من البسيط جذب يد المظلة الاحتياطية (مرة في الليل ومرة في النهار) .

تزايد التوتر على الحدود وتناقص بالتناوب وانتقل من منطقة لاخرى . وكان من مواطن القلق الدائمة جنوب جبل حبرون (الخليل) الذي كان يستخدم منطقة عمليات للـ «فدائيين» الذي ازعجوا اسرائيل .

بعد ازعاج كهذا فرض علينا كانت المهمة ان نغير على قرية رفات جنوب جبل حبرون وننسف عشرة بيوت كنا معتادين على تنفيذ مثل هذه العمليات . وصلنا الى القرية حسب الخطة ونسفنا البيوت المعينة بالتصوير الجوي ، بعد ان اخليناها من السكان . جمعنا السكان في اطراف القرية . ومن اجل تهدئة الاطفال وزع الجنود بينهم الحلويات . فهدؤا واستكانوا . وانتشرت قصة توزيع الحلويات على الاطفال اياماً طوالا .

بعد مدة ليست طويلة سارت عربة من لوائنا على لغم جنوب جبل حبرون . قتل وجرح جنود . وفي يوم الجمعة ليلاً جاءنا امر لتنفيذ عملية انتقام ذات صدى واسع في قرية سموع وما جاورها . كان كثير من افراد اللواء في اجازة . ان مهمة جمع كل الجنود ، واعدادهم كما يجب للعملية ، وعبور الحدود يوم الاحد في السادسة صباحاً ، بدت في اعين الكثيرين مسألة غير ممكنة . قلت : اللواء يعبر الحدود في الساعة السادسة يوم السبت .

جمعنا الجنود من اجازاتهم بكل وسيلة وطريقة . دربناهم في «معسكر ناتان» قرب بئر السبع . خرجنا يوم السبت قبل الفجر وفي السادسة عبرنا الحدود باتجاه السموع . كانت العملية مشتركة بين وحدات شارون (الدبابات) وبيننا .

احتللنا السموع . عزلناها عن كل ما حولها . وكانت هناك معارك حامية مع الجيش العربي الاردني . نسفنا ما كلفنا بنسفه وفي ساعات الظهيرة قطعنا التماس وعبرنا الى بئر السبع بمسيرة المنتصرين بنموذج صغير . دفعنا ثمنا غاليا لهذه العملية : قتل آمر الفوج يوآب شاحام . وجرح عدد من الجنود في هذه العملية رأيت للمرة الاولى في حياتي طيارة «ميراج» من طائراتنا تطارد طيارة «هنتر» اردنية وتسقطها .

وفي نهاية ١٩٦٦ طلبت مقابلة رئيس الاركان العامة اسحاق رابين . بقيت سنتين ونصف آمر اللواء ، وبدؤا يتحدثون عن التغيير في المنصب . طلبت من رئيس الاركان : «انني اشعر باننا نقترب من الحرب . اطلب الاذن ان ابقى نصف سنة اخرى في منصبي آمر للواء» . فوافق رابين .

الباب الثاني

حرب الايام الستة

الباب الثاني
حرب الايام الستة

في استعراض يوم الاستقلال في اورشليم في ايار ١٩٦٧ ، تلقى رئيس الحكومة ووزير الدفاع ليفي اشكول ورئيس اركان الجيش اسحق رابين المعلومات الاولية عن حشد القوات المصرية في سيناء قال لي رابين : نحن داخلون في فترة توتر . وكأنه اكد المخاوف التي اظهرتها في حديث معه جرى قبل ذلك ببضعة شهور .

بينما كان المستوى السياسي مرتبكاً ومتخبطاً ، منذ ١٥ ايار فصاعداً ، ومفسراً التحركات المصرية ، وترحيل الامم المتحدة من سيناء وقطاع غزة ـ كان لواءنا ينتقل من جحفل الى جحفل ومن الانظمام من وحدة الى وحدة اخرى ، بتطابق مع الاهداف ، واختلفت الاخبار بين الحين والاخر حتى تم الحاقنا في النهاية بجحفل العميد طل كان من المتوقع ان نتوجه جنوبا ولمجابهة الحرب نفذنا انزالا مظليا للوحدة في كثبان پلمحيم . كل الاركان نزلوا بالمظلات بقياداته وافراده وامراء الوحدات . ابنة اختي نزلت اولاً وقد كانت موظفة في الوحدة . والموظفة التي معي كانت الثانية . اما انا فكنت الثالث وخلفي كل البقية .

بينما كنت اتدلى بهدوء من تحت مظلة الباراشوت واتقرب من الرجال . اذا بي اسمع صرخات ذعر من افواه البنات اللواتي نزلن بثوانٍ معدودة قبلي . هبطت ، وازحت الباراشوت واسرعت اليهن فوجدتهن متهيجات وشاحبات . هن هبطن بجانب ثعبان سام ضخم وجد له في ذلك الوقت ملجأ تحت شجيرة في تل رملي صغير .

نظرت في الداخل ـ اظلمت عيناي : زاحف نادر في عظمه، مما يعرض للخطر حياة كل من يهبط هناك . اخذت من احدى البنات خوذتها الفولاذية . هناك قربت المسافة بيني وبين الثعبان . لم يكن معي اطلاقاً اي سلاح وكذلك لم يكن مع الاخرين . في انزالنا هبطنا بلا سلاح . خطتي كانت : ان انهك قوى الثعبان في جحره ، آن انتظر اللحظة المناسبة ، فامسك بذنبه والوح به في الهواء واطوح برأسه في الرمال حتى اقتله .

القيت الخوذة الفولاذية في وسط الشجيرة ، فاجتمع الثعبان . اخذت الخوذة ثانية . رأيت ان نهاية الذنب ممتدمن الشجيرة . حرفت يدي لاخذ به ، ولكنه ارتد في اللحظة الاخيرة : الرأس والفم المفغور قريبان جداً من الذنب . هل فهم الثعبان خطتي ؟

صبراً ، صبراً فقط . هذه حرب استنزاف وليس هنا هجوم جبهوي عند انقضاء خمس واربعين دقيقة كان كلانا واهنين . العرق يتصبب من جسمي ، ولكن الثعبان كان متعباً اكثر مني . ردات فعله تسير ببط واحتراسه يتضائل . اللحظات الحاسمة تقترب سريعاً . لاتوقف . ضربت الخوذة الفولاذية مرات ومرات ، بدون سأم وبدون توقف . وتوقف الثعبان عن الاجابة بالمثل ، هو ليس بمجتمع . سلم بهزيمته . وفجأة رأيت ان طرف ذنبه ممتد خارجاً الان : امسكت بالذنب ، جذبته خارجاً ـ وقلبي طائر من طوله وسمكه . ولكني قد نجحت . اخذت به بكلتا يدي ، لوحت به في الهواء وضربت راسه الكبير بالرمل ، الوح واضرب ـ حتى لفظ انفاسه ، ربطت ذنبه بخنصري وجررته الى الطريق الى السيارة التي جاءت لجمعنا . تلك كانت الحرب التي سبقت الحرب الفطيمة في حزيران ١٩٦٧ .

نزلنا جنوبا . اهدافنا مازالت غير محدده ، ولكن رائحة الحرب كانت تحوم في الهواء . تجولنا من منطقة الى اخرى . الاهداف تتغير ثانية نحن نساعد المستوطنين في حدود القطاع لحفر خنادق ومواضع وللتحصن ، الحرب تقترب ـ وانا اناضل لسلامة اللواء . فرقوا مني قطعاً حية ، في اللواء ثلاثة افواج وكذلك اربع وحدات ، وفشلت ، قبلا اخذوا سرية المدرعات ، التي في ذلك الوقت فقط انتهينا من تهيئتها . بعد ذلك كنت اكافح في سبيل الاحتفاظ بسرية استطلاع اللواء ، وفشلت . عندما اعلموني انه يتوجب على ان اتنازل عن احد الافواج ـ فكأنما هبطت علي عاصفة لم اعرف مثلها من قبل : عن اي الافواج استطيع ان اتخلى ؟ وايها ارسل للقتال مع قوات اخرى ؟ ومن علي فرزه وازاحته من هيكل التشكيل ، الذي اعتدت عليه لحوالي ثلاث سنوات . انا ربيتهم جميعاً وتعهدت القواد وشكلت معهم علاقة حميمة واعددتهم ليوم الامتحان هذا . فمن استطيع ان اتخلى عنه . ذلك تخبط يعيشه الامر .

لو قيض لي ان افتح اليوم مكنون قلبي وأخبر لماذا قررت ان اتنازل كما تنازلت وارسلت فوجاً واحداً ، هو فوج برزاني (آمر حرس الحدود في وقت متأخر جداً) . فاني اعرف الان ان الرجال يتعرضون للوقوع في الاذى . ولكنني مجبر على القول كيف كانت القضية اية وحدة تستطيع ان تعمل باسلوب متميز . احسن بكثير من فوج آخر . ابي آس سوف يشعر بالاهانة ويتألم كثيراً لو أرسلته من اللواء ومن اختاره ليحارب بين يدى في الحرب . وليس هناك جوانب قاطعة لاي واحد من هذه الاعتبارات . ولكن احد الافواج لم يكن يشك في اجابة كاملة على البراهين الثلاثة للامتحان . وقد قاسيت الصعوبات الى ان قررت . فوج برزاني كان فوجاً ممتازاً ـ جنود ممتازون وامراء بارزون . وقد قاتل في الحرب بشكل عجيب .

قبل الحرب بيوم عرفت ايضاً بصعوبات قاسية ذهبت الى عربة العميد طل ، بسطت الخرائط وقلت له : لست متفقاً مع اتجاه هجوم اللواء . انا أريد ان اغيره . نظر طل في الخرائط وفي الخطة التي اقترحتها ـ ولم يتردد : كذلك انا لم اكن مرتاحاً من الهدف السابق . والتغيير أمر مقبول .

اجتمعنا في الظل ورأينا حوالي الثامنة صباحاً طائراتنا في طريقها للهجوم على اهداف في مصر وسيناء . وتحت شبكة التمويه تجمع الامراء ، وكان اللاسلكي صامتاً . وقريباً من التاسعة صباحاً تسلمت الامر بالتحرك . الخطة كانت أن اطوق من الجنوب التشكيلات المصرية المدافعة عن رفح ثم الاتجاه شمالا والاشتباك بقتال معهم بمداهم الضيق ، حتى نصل الى مفرق رفح .

تحركنا بصورة تشكيل صندوقي ، الدبابات في المقدمة بشكل ذراعين ، المظليون على مصفحاتهم يتبعون الذراعين مجموعة قيادتي في الوسط . سرية من قوة الهندسة تحركت بين الدبابات ، في جناح (ضلع) الاتصال الذي يربط بين رتلي التشكيل الصندوقي .

عبرنا الحدود ، وكانت الارض قاسية جداً على حركتنا كانت هناك امامنا تلال ورمال عميقة . الدبابات التي كان لها قدرة عبور جيدة اكثر من تلك التي تملكها المصفحات ، تقدمت بمسافة . وبعد وقت قصير رمت بالنيران النهايات الجنوبية للتشكيلات المصرية . وصلنا منتصف طريق رفح ـ نيصنه ، الذي دمر في عملية قادش في ١٩٥٦ . ثم اتجهنا شمالا . الدبابات احتجبت من امامنا وانفصلت عنا .

وبعد الاتجاه شمالا بوقت قصير بدا قتال فوج الشباب الطليعي المحارب الذي تقدم بشكل مستقيم على نهاية التشكيل المصري . وهذا كان الفوج اليمين في التشكيل الصندوقي كنت أمر امام دبابة ستالين ، التي بدت لي سالمة . واذا بـ «ستالين» اخرى تنفجر . ثم بعدها اخرى تحترق وانا لاافهم من اين نبتت كل هذه الدبابات ، واحدة بعد اخرى .

بعد ذلك اتضح لي انه كان هناك مجموعة احداث نادرة الوقوع ، انقذنا من مشكلة صعبة جداً وكأنه كان هناك ملاك جالس عندنا وهو يوجه الاحداث بصورة شخصية عندما امتحنا المصريين بتطويقنا لهم من الجنوب ، قرر آمر لوائهم الجنوبي ان تقوم سرية دباباته «ستالين» بالتحرك جنوبا وان تتشكل ضدنا . «ستالين» هي اثقل دبابة في العالم ، مجهزة بمدفع رهيب عيار ١٢٢ ملم وهذه السرية تنظمت امامنا ، وهي كانت ستوقع بنا دماراً . الا ان رجال سرية دبابات داني شني ، من كتيبة الدبابات التي كانت معنا اتجهوا بنظرهم شمالا في طريق حركتهم ، وراوا مؤخرة الدبابات المصرية . ومن مديات قصيرة ـ مئات الامتار وربما اقل من ذلك ـ دمرت دبابات داني الدبابات «ستالين» واحدة

واحدة ، حتى الاخيرة التي بينهم . الميدان لم يكن ميدان قتال اذان دبابات ستالين لم تتمكن

من رمي ولا قذيفة واحدة وبمرور دقائق محدودة كانت امامنا مجرد خردوات . قدمت تقريراً لآمر اللواء ، تاليك : يوجد لك عندنا هدية . كل دبابات «ستاين»دمرت . لولا داني شني وحركته السريعة لكانت تلك الدبابت قد دمرتنا . لم يكن بايدينا اي سلاح يستطيع ان يجاريها في المدى . حسب المعلومات ، التي كانت عندنا قبل الحرب ، تحركت تلك الدبابات من «قوة شاذلي» ، من فتحة ـ رفح جنوبا . لم نكن نعرف انهم عادوا لرفح . ولولا قوة داني شني لما عرفنا هذا الامر الا في وقت متأخر جدا .

كنا مستمرين في الحركة من الجنوب الى الشمال . والحرب ملتهبة بكل اتساع جبهة تقدمنا . الميدان مليئ بالمصريين ، خطوط المؤخرة ، سرايا مدفعية ،مراكز قيادة وجنود مصريون يركضون بكل ما تستطيعه النفس وهم يتركون المعركة . اللواء الشمالي يقاتل بمنطقة قرية شان . مركز قيادة اللواء في المركز ولواء الشباب الطليعي المحارب على التشكيل المصري من اليمين . قلت لرجالي في عجلة القتال المدرعة : انظروا هذه الاشجار ، اشجار الكاليبتوس ـ هنا بالضبط حاربت في حرب الاستقلال . هنا نصبنا كمينا لبقية سلاح المدفعية المصرية . بسبب المشاكل السياسية والتوتر وان وضع اسرائيل لم يمكنها من ان تنتصر انتصارات حاسمة ـ ونحن احيانا نرمي الى منطقة قريبة ، سبق ان قاتلناهم فيما مضى . وبشكل عام فان الاختلافات لم تكن كبيرة فقد وجدنا هناك ما وجدناه في الحرب السابقة .

وصلت مع مجموعة القيادة التابعة لي تماما الى ساحة كمين حرب الاستقلال . مجموعة القيادة ـ عجلتي المدرعة والى جانبها قوات ثانوية كانت ترمي بشكل لاهدوء فيه . قاتلنا بشكل متصل كل صنوف التشكيلات المصرية ـ مواضع محصنة ومدفعية وجنود مشاة . وهم يركضون ، واقفون ، مضطجعون وجالسون . قلت الذخيرة ونفذت والحرب مازالت على اشدها . وفوج الشباب الطليعي المحارب كان في معركة مقلقة ومربكة جداً . ولم استطع ان آمره بالانسحاب الى قوة مجموعة القيادة .

امرت الفوج الثاني ، والشمالي ، ان يوجه لي سرية . فاخترقت الينا . وواصلنا القتال . اتجهنا من الجنوب الى الشرق واخيراً قاتلنا وجهاً لوجه ، وفيها شارك آمر اللواء ، الضباط ، ضباط الصف ، والجنود . وصلنا مفرق ـ رفح . وقاتلنا في هذا الميدان عن انفسنا . رميت بالرشاشة «عوزي» بلا توقف . شاب عاقل ، ضابط استخبارات اللواء ، موله شاحام ، سبق ان اكبرته بين المظليين خلد المعركة بآلة تصويره ، فالتقط صوراً غير اعتيادية .

الاسير المصري الاول في هذا الميدان امسك به تماماً على ايدي طاقم القيادة الذي في عجلتي المدرعة ـ ضابط صف مصري مبتسم امضى كل ذلك اليوم القاسي في الميدان يمضغ بسكويتات ومص سكريات من انواع الميدان التي عندنا وجرعة ماء صغيرة من مياهنا .

طلب مني تاليك ان اعد تقريرا عن سير ساحات المعارك . اقاموا الميكرفون خارج عجلة القتال المدرعة . فسمع اطلاق النار الكثيف وامر كورودیش ان يوجه قوة الى المؤخرة وان يسرع لمساعدتنا . فقلت لتاليك باننا سنرتب الامور بنفسنا . نحن لسنا بحاجة الى مساعدة . ضابط الحملة جرح في وسط عجلتي المدرعة . وهو طلب فقط اذا وجدت كلاشنكوف ان نحفظها له ، لاجله . عندئذ كانت الكلاشنكوف اثمن الموجودات وكل المقاتلين اشتاقوا لها .

في المفرق التقيت تاليك . قدمت له تقريراً عن معركتنا وسمعت من فمه عن معارك القوات الاخرى .

بالاتصال ناداني رجال فوج الشباب الطليعي المحارب . وكانوا في ضيق شديد ، فآمر الفوج جريح . وكان عندهم اصابات كثيرة . كان الفوج راسخاً في مكانه ولايستطيع ان يتقدم ويلتحق بقواتنا في مفرق رفح .

دخلت في دبابة آمر فوج الدبابات وامرته ان يتحرك . وسوية مع دبابات اخرى ، من المفرق الى الجنوب لامداد فوج الشباب الطليعي المحارب . فاحتج بانه ليس لديه غير قليل من الوقود . وان ذخيرته نافذة «لايهمني» قلت نريد ان ننقذ الفوج .

عدت مئات من الامتار جنوب المفرق جوبهنا بالتشكيل المصري . وكان هذا الطرف الشمالي للتشكيل ، الذي كان الشباب الطليعي المحارب يحاربه من الجنوب . حالاً بالمقدار الضئيل من الوقود المتبقي هجمت الدبابات . المدافع كانت صامته اذ لم تكن هناك قذائف مدفع . فتحنا الابراج ومن وسطها رمينا بالرشاشات عوزي وبمدافع رشاشة لنجتاز التشكيل المصري الكثيف . تقدمنا جنوباً لنجتاز فوج الشباب الطليعي المحارب وقدم لنا فوج هواوين اللواء مساعدة وانزل نيراناً سريعة عليهم . مالت الشمس للمغيب . وفجأة كما في العصا السحرية (الملاك الذي عمل لنا اشياء حسنة مازال باقيا كما يبدو فوق الساحة . يختبر الاحداث المفاجئة ويرتب المساعدة . . .) قامت مجاميع الجنود المصريين وبدأوا هروباً كبيراً ، بشكل يصعب وصف مداه . ساد هدوء غريب في المنطقة . هذا الانتقال من اتساع الميدان ، اصوات الانفجارات ، صياح المقاتلين الى الصمت المطبق ـ هو شعور مذهل في ذاته . جموع المصرين هربوا غرباً . وبعد مرور بضع دقائق التقينا الشباب من فوج الشباب الطليعي المحارب . معانقات

وقبلات وثرثرات عاطفية ـ وهذا من اللقاءات التي هي ضرورية للشعور والفهم .

معاً مع جنود الفوج الخمسين (٥٠) ، قتلاه وجرحاه ، عدنا الى مفرق رفح . وانضم الينا الفوج الذي قاتل في قرية شان (٨٩٠) . وجهنا المصابين . اعتنينا بالذخيرة . شعاع الشمس نفذ الى العظام ، جلست على غطاء محرك لعجلة القتال المدرعة ، لامتصاص الحرارة العالية ـ اقترب الي ضابط من فوج ٨٩٠ . وكان مضطربا وبصعوبة انبأني ان ابن اخي ، الذي كان امر سرية بـ ٨٩٠ سقط في الميدان في قرية شان .

في الصباح ، وقبل خروجنا للمعركة ، وبينما كنا ننتظر الاوامر جاء الي من تحت شبكة التمويه وجلب لي قنينة شراب . كان قريباً مني وانا قريب منه . ولكن في ذلك الوقت كنت مضطراً لان ابعد نفسي عن الالم . وحرم علي ان اشغل نفسي بالحزن اذ من الضروري علي ان انظم اللواء من جديد والاستعداد للاهداف القادمة . نحن فقط في بداية الحرب .

ليلة قصيرة . وابقيت الفوج الذي قاتل في قرية شان لتطهير رفح . اكثر قوات اللواء مستمرة في اتجاه الشمال للاسناد في احتلال غزة . سافرنا على امتداد السكة الحديد ودخلنا خان يونس من الجنوب . وصعدت الدبابة التي في المقدمة على «سندويج الغام» وتضررت بشده . واجبرنا على ابقائها في مكانها اذ ستأتي ساعتها .

دخلنا شارع غزة الرئيسي . من اليمين وضع فوجنا بامرة برزاني ، الذي اجبرت على ان اتنازل عنه قبل بداية الحرب . تحركنا وسط غزة حتى ساحل البحر . لم نواجه مقاومة مهمة . ثم توجهنا جنوبا وعدنا لاطراف خان يونس .

وهناك انكشف امام اعيننا منظر . كانه منظر معارك جاهزة ، خارج كل منطق ، وبعيد عن كل ما هو موضوع للتوقع . اتضح لي انه بعد ان شققنا طريقنا من خان يونس الى غزة وابقينا خلفنا الدبابة المصابة في المدخل الجنوبي خان يونس ـ تلك الدبابة لم تخل من كل مقاتليها . مقاتل وحيد بقي في وسط الدبابة . كومة ـ كومة هجم عليه المصريون والفلسطينيون ، من وسط تشكيل خان يونس . وجربوا ابادته بكل انواع السلاح الذي بايديهم . قاتل بشدة في سبيل حياته . واطلق بالتناوب بمدفعه وبمدفعه الرشاش ، انزل بهم الدرع دمارا ـ الى ان عدنا في اليوم التالي من غزة وخلصناه من ساحة المعركة . مقاتل منفرد وسط دبابة منفردة في ساحة عدو ـ برهان واحد من عدة براهين على قوة مقاتل اصر وتمسك وكذلك على البقية التي في الدبابة .

السرية الاخيرة ، في احدى المرات ، والتي كانت ملحقة بفوج الشباب الطليعي المحارب ، تاهت في طريقها وجوبهت بنيران قوية في الضواحي الشمالية لخان يونس .

خلصناها . كل قوة اللواء عسكرت بالطريق الرئيسي في المناطق الشرقية لخان يونس . اعددنا هدفنا لليوم التالي : تطهير خان يونس .

ضايقنا الجوع وبدأت المعدة تقرقر وليس من وجبة ميدان من لحظة ابتداء المعارك للآن مرت ٣٦ ساعة واي طعام لم يدخل افواهنا . في ميادين القتال لاشعور بالجوع . لاوقت انت تقاتل في مخاطر محسوسة جداً وقريبة جداً . ولكن في فترات التوقف في الميدان تذكر البطن كذلك باحتياجاتها . ولكن ليس لدينا هذه المرة ما نهدئ به الجوع . الكل فارغ كل وحدة تسعى لتنظم وجبه من كل ما يجيء في اليد . كذلك رجال القيادة (الاركان) جياع . من ذاك الذي ينجح في ان يضع يده على بطتين تائهتين . ولم يعرف ما يفعل بهما وكذلك لم يظهر الاخرون حماساً شديداً . فقط «امر اللواء» من تل العدس خبير بذلك . اخذت البطتين ذبحتهما نتفت ريشهما نظفتهما ثم قطعتهما وبدأت اشوي وعند ذلك فقط انضم الي رجال القيادة (الاركان) للاحتفال .

وفي الليل اثناء النوم المرتبك شعرت بضغط على صدري . فتحت عيني فاذا بذكر بط كبير واقف على صدري ، يزفر بشدة وسط وجهي كانه يسأل : «اين بطاتي»؟ اطلاقات من خان يونس ابعدت النوم من اعيننا . مع الصباح وعندما كنا نتهيأ للخروج الى هدفنا في خان يونس . انضمت الينا دبابتان تائهتان بعدتا عن لوائهم وهما تتحريان المعركة . انضمام اي الدبابات لم اقبله للواء المظليين . فرتبت لهم امتحان قبول : في ضواحي خان يونس حوالي ثلاثة آلاف متر من عندنا نصب برج ماء ، وفقط الدبابة التي تصيب البرج بقذائفها الاولى تقبل في اللواء . شدوا ، وهيئوا استعداداتهم . ونحن ثبتنا الناظور على العيون . قذيفة ثقب في البرج قذيفة وثقب ثان قبلنا الدبابتين معنا الى نهاية الحرب .

تقوينا بالدبابتين وهاجمنا في الصباح خان يونس ، وتغلبنا بسهولة نسبياً ، على كل العوائق والحواجز التي اقامها المصريون والفلسطينيون وسط المدينة . ووصلنا في الساعة الثانية عشرة ظهراً ساحل البحر . وارى ان اذكر هنا ، ان الاتصال بيننا وبين القيادة ادير بصورة غريبة . فانه لم يكن لنا اتصال مستمر مع القيادة ولم نستطيع ان نستلم منها التعليمات بشكل مباشر او تقديم التقارير عن احتلالات اللواء . كل الاتصالات اديرت بواسطة محطة ـ اذاعة متوسطة قامت بايصال التعليمات الينا ولكن كانت تجيب على اسئلتنا بعد ان يتصل رجالها بقيادة الجحفل . لم اكن انصح بهذا النظام من اتصال في ساعة المعركة . فقد كانت مصدراً للفوضى ـ فعدم فهم واضاعة لوقت ثمين وفي احدى المرات كنا قريبين من الوقوع في كارثة كبيرة : على ساحل البحر بخان يونس وجدنا غنيمة مصرية كبيرة . شاحنات جديدة محملة سلاحاً . انا ترددت عما افعل

بالغنيمة ـ والوسيط الرجل الذي في محطة الراديو الذي بيننا وبين القيادة يرسل الي تعليمات :

«دبابات مصرية مغادرة ، كما يبدو ، من غزة باتجاه الجنوب . تحرك بسرعة . التقي بها ودمرها» . تعليمات غريبة . قلت للوسيط : «امس كنا في غزة ولم يكن سوى دبابة مصرية واحدة . ليس هناك دبابات مصرية . هذا غير ممكن الوقوع» . فأجابني بلهجة اعتذار : «انا فقط وسيط . . .» «حسناً ، قلت له ، بلغ اني استلمت الامر وانا متحرك للالتقاء بالدبابات المصرية» .

تحركنا مع عدد محدود من الدبابات على طول ساحل البحر ومع سيارات جيب والحاملات في الهضاب التي على قطاع الساحل ـ شمالاً . فحصت الساحة بالناظور لمنع اية مفاجأة . وبغرابة كشفت بدير البلح دبابة ، وكان مدفها موجهاً نحونا . امرت دباباتنا ان تقف ، وعينت لهم الهدف . عدت ولصقت الناظور بعيني وصرخت : «لا ترموا ! لاترموا !» لم يكن لدي شك ان الدبابة التي اعدت لنا مدفعها كانت لنا . تحرك مدفعها ببطء عبرنا وفوهته تقذف بعد ثوان معدودة قذيفته الاولى . ثم كشفت دبابة اخرى لنا ثم اخرى ايضاً وحسب حركتها وزاوية مدافعها ، عرفت بشكل قاطع اننا مرصودون في اعين دبابات العدو ، وانهم ينتظرون اللحظة المناسبة لتدميرنا . الشعور واضح . انا استطيع ان امنع النار من جانبنا ، ولكن كيف امنع النار من جانبهم . لحظات تشحذ الالم ، وربما كانت اقسى لحظات في الحرب . هل نعود على اعقابنا ؟ هم سيكونون واثقين من ان دبابات مصرية جابهتهم وتركوا التماس الميداني ويرسلون في اعقابنا قذائفهم القاتلة .

هل نتحرك الى الامام ـ اذن احجز قتلاً مخيفاً على ايدي الاخوة . حاولت ان اجد اتصالاً . ابداً . لا اتصال . قررت ان اودع نصيبنا في ايدي آمر الدبابات التي امامنا ، وامرت ان توجه مدافع دباباتنا جانباً . الافتراض ، او ربما من الافضل القول الامل الكبير ، بسيط : ان القائد الاسرائيلي سوف يرى ان مدافعنا موجهة للجانب ، او ان يفهم انها دبابات اسرائيلية متصلة لارشاد مدافعه ، او في اسوأ الاحوال ، يستمر بالظن ان دبابات مصرية امامه ولكن وجهتهم غير مخصصة لميدان القتال . وادرك الآمر . فأمر بمنع اطلاق النار احساس عجيب من التخفيف . اللقاء مع الدبابة المنفردة «MX» ، من ذلك اللواء ، التي التقيناها امس بتوجهنا لخان يونس ـ كانت تصرخ بضوضاء . اتضح انهم تسلموا معلومات . ان المصريين يقومون بهجوم مضاد بالدبابات على طول الساحل ، لغرض الانضمام لغزة . وقد امروا بمنع انضمامنا وحركتنا تماماً بالضبط وفق المعلومات التي تسلموها . عدنا الى مكان التعسكر الليلي الذي كان لنا من امس ، على

طريق خان يونس ، ونحن نتوقع التعليمات . طلبت وسمحوا لي بان اعود الى مفرق رفح وللتنظيم هناك . وكان في المكان كل المستويات القتالية التي تعود لجموع طل . فانتهزناها فرصة ، وضممنا الينا فوج هواوينا . عند السحر تسلمنا تعليمات للتحرك على محور العريش ـ اسماعيلية ـ قنطرة ، للانضمام لقواتنا في منطقة رمانه ، لتسلم القوات تحت امرتي ولنواصل الى قناة السويس .

طريق العريش ـ رمانه ـ بلوزه ـ قنطرة ، تحركنا جنوباً . طائرة «ميج ٢١» مصرية تدوي ، تتجول بحمولتها . ولكنها لاتصيب ، ثم تختفي . علامة التعرف على اللواء ـ «حامض» . قبل ان نغادر تل ـ نوف ونبدأ في المعركة ـ كان لي مصدر مدد مفصل ومتفق عليه مع امر سرب ميراج لنا . مجرب ، انه اذا سمع بالاسلكي ارض ـ جو الكلمات «حامض احمر» ، فانه يفرغ نفسه من كل مايشغله ويسرع الى . هذا الملاك استمر ، كما يبدو ، في مرافقتنا : فبعد هجوم طائرات الميج قلت في جهاز اللاسلكي : «هنا حامض احمر . كانت معي طائرات ميج واختفت» . لدهشتي ، سمعت في جهاز اللاسلكي صوت رفيقي «حسناً . نحن هنا في المنطقة» .

في تقدمنا جنوباً انضممنا الى قواتنا قبل بلوزه . وقفت امام عجلة القتال المدرعة ، وتكلمت باللاسلكي المتوقفة حسب اوامري ـ وسمعت ثانية صوت آمر السرب . قلت له : «حامض احمر ، هذه علامتي ، انا ٩٧ هنا ، بجانب عربة القتال المدرعة . طائرات ميج حلقت فوقنا . وانا اطلب ان تطير غرباً ، على محور الطريق واكشف ان وجد من هنا وحتى القناة قوات للعدو» .

«خدمات تفصيلية» . طار ثم عاد : «امامك دبابات . هاجمناها . عندنا نقص في الوقود وسنعود للقاعدة» . «خابر البيت وخبرهم ان كل شيء على مايرام» . طلبت منه ذلك . فاجابني : «انني اراك بجانب عجلة القتال المدرعة . سأتلفن لبيتك» .

تقدمت ساعة بعد الظهر . وكان جميلاً التوجه الى بلوزه ، قنطرة والقناة . مجموعة دبابات الاولى من يمين الطريق والثانية من شماله . مجموعة القيادة ـ على الطريق ، في مقدمة الرتل ، وخلفنا ايضاً مجموعة دبابات وخلفها فوج الشباب الطليعي المحارب . من شمالنا في ساحة مستنقعية سبخة ، احد المدافع عديمة الارتداد التي تعود للواء .

بزاوية العين كشفت من جانب اليمين مخارج صواريخ «سمل» ضد الدبابات . حدقت بالناظور ، ثبت : «هذا الصاروخ يمر من فوقنا ـ جاوزته . «وهذا الصاروخ يمر من شمالنا» . جاوزته . «انذار . هذا الصاروخ خطر ، هو مستقيم الينا» . أصاب عمود تلفون مجاور ، وانفجر على عدة امتار من عربة القتال المدرعة العائدة لي . وقد كنا موجهين المدفعية نحو الصواريخ المصرية مع استمرار حركتنا . بزاوية العين الثانية كنت

اتفحص امامنا ، في محور تقدمنا ، المصريين خنادقهم يطلقون علينا باسلحتهم الشخصية . في هذه اللحظة . وهذا يحدث دائماً في لحظة محددة ، ولاجلك فان تلك اللحظة تكون واحدة حاسمة ومن وسط ملايين لحظات المعركة . نزل لي امام عيني ستار بني وانا سقطت وسط عربة القتال المدرعة . واخذت بترنح بصورة دائرية من فوق سائق العربة المدرعة وحاولت ان ارتفع . فشعرت وكأنني كما لو كنت معلقاً في مرتفعات على يدي الواحدة ، استمريت بقوة الى الاسفل ، وغبت وسط العربة المدرعة وفكرت تفكيراً غريباً : انا حي . انا متأكد انني حي . انا اشعر بالستار البني في العينين . لو كنت ميتاً لاصبح هذا الستار اسود .

«جُرح رفائيل»

«جرح رفائيل» . «جرح رفائيل» ، سمعت رجال العربة المدرعة . بقي ضابط واحد في العربة المدرعة . واطلق بمدفع رشاش على مركز المصريين . واخرجني ضابط من العربة المدرعة ، سحبوني واراحوني في ظل العربة المدرعة . ثم تهيأ لي ان اسمع كلمة واحدة : «اسرائيل» . قصدت ان اسرائيل گرنيت سيستلم القيادة . فهو الضابط الاعلى مقاماً هناك .

وفهمت كل ما وقع حولي . تلقيت طلقة في الرأس . شعرت انهم ضمدوني . لم اكن استطيع ان اجيب او اتكلم . الشمس تضرب في عيني ، فطلبت منهم بحركات اليدين ان يحركوني الى خارج اشعة الشمس ، فنقولني الى الخلف . هبطت الهليوكوبتر . حملوا النقالة لفتحتها . عرفت الطيار . صديق جيدلي . حاولت ان الوح له باليد فما استطعت . حاولت ان اهمس له فما استطعت . انا بوعيي ، ولكني لا أستطيع ان اعمل شيئاً .

نقلوني الى العريش ومن هناك الى المستشفى في بئر السبع . وافراد من كتائب الشباب دفعوا النقالة الى وسط المستشفى .

سمعتهم متهيجين : «نحن ندفع عقيداً» . سمعته كله ولكني فقط لم استطع ان اجيب .

ذلك كان في اليوم الرابع للحرب . وكنت وسخاً جداً . اذ لم نغير ملابس ، فقط تخلصنا من الملابس الداخلية الوسخة كل يوم ، وبلا بديل . في غرفة التوزيع شعرت ان الاخوات (الممرضات) يجردنني من الملابس ويتعجبن : «هو بدون جواريب ، هو بدون قميص ، هو بدون سروال داخلي» . غرفة العمليات الجراحية . الكل اخضر . والفكرة الاخيرة قبل النوم العميق هي : ان صديقي ، الطيار ، كان اميناً بشكل كافٍ لان يخبر زوجتي انه رآني ، صحيحاً وسالماً ، وهو كان اميناً عندما قال حقاً (وحقيقة

ذلك كانت : هو خابر زوجتي وقال لها انه رآني بجانب العربة المدرعة وانني لوحت له بيدي . بعد مرور وقت قصير خابروها بانني اصبت وانني في المستشفى) .

استعدت قوتي وفتحت عيني . على الخزانة كانت موضوعة خمس شظايا . قال الطبيب لي : «هذا لايمكن ان يكون من هذه الاصابة . من اين الشظايا ؟» . تفحصتها بتأمل : «آه» . قلت : «هذه اصابتني في الرأس في حرب الاستقلال ، قبل ١٩ سنة ، فقط لم يخرجوها حينئذ» . وفي الاخير اخرجوها الى هواء العالم ، فقط بعد ١٩ سنة .

كذلك اخرجوا الطلقة . وقد شقت الجمجمة في قسمها العلوي . ميلمتر او ميلمتران فوق اغشية الدماغ (السحايا) . اعتقد انه لحسن الحظ ، اني رجل متوسط القامة اذ لو كنت اعلى بمليمترين لما كنت مؤهلاً لان اقص كل ذلك . خبرة قاسية كانت لي في المستشفى . اكثر صعوبة من الاصابة نفسها وكل مايتصل بها : في صباح احد الايام ادخلوا لغرفتي جريحاً . ولم استطع ان اميزه . كان مغطى ببطانيات وضمادات . فلا يرى شيء . قصت لي الاخت : العقيد شلومو التون . تنفسه توقف صديق قريب . وكانت لي امور كثيرة للحديث معه ، لاقص له ولاسمع منه . ولكنه كان فاقد الوعي . طلبت مني الاخت : «كلمه . قص له . تحدث معه» . وانا تكلنت : «شلومو ، هذا انا ، روفائيل» . ثانية وثالثة كنت احاول ان اشق الستار . لكنه مات بعد مرور بضعة ايام ، في غرفتي ، وامام عيني .

عوفيت بسرعة . وفي اليوم الرابع او الخامس كنت اتمشى . وبسبعة ايام بعد الاصابة بشرني الاطباء بانتهاء فترة العناية . سافرت لفترة نقاهة قصيرة الى البيت . وفي نهاية حزيران كنت في زحمة الاعمال .

شاركت باستنتاجات المعركة ودروسها في قيادة الجنوب . اقمنا في معسكرات رفح التي ورثناها من الامم المتحدة . وفي منتصف تموز سلمت قيادة اللواء لداني مط ، وتعينت بوظيفة منظم دروس الحرب في هيئة الاركان العامة . ولكن الوظيفة لم تكن تلائمني . رغبت بالعودة للعمل في الميدان . ولكني نفذت مهام المنصب كأحسن ما استطعت .

فترة النقاهة كانت قصيرة ، بعد الحرية من المستشفى ببئر السبع ، اعد لي لقاء عاطفي وودي جداً مع صديق عزيز وحبيب . النرويجي يان ، الذي بينه وبيني عقدت علاقات حارة ، عندما كنا معاً في كورس قادة للمارينز في الولايات المتحدة . في احد الايام استلمنا منه رسالة فيها بشرى : انه تطوع للخدمة كمراقب في الامم المتحدة بعد حرب الايام الستة . حاولت اقتفاء اثره . وسرت اشاعة انه موجود في مرتفعات الجولان . عندما ارسلت الى البيت من المستشفى رحلنا ، ابني وانا ، في دورة خلفه في

مرتفعات الجولان ، ولكن المعركة لم تهدأ هناك بعد . وبعد استقراء وبحث وجدناه في نقطة مراقبة للامم المتحدة بجانب القنيطرة .

ولقاء وجداني كهذا من الصعب حقاً وصفه . بدأت الاحاديث تجري وضغط علي يان بان نشرب سوية ، حقيقة ان الاطباء حرموا علي كل المشروبات الكحولية ولكن لقاءات من هذا النوع مخصصة منذ الازل لخرق الممنوعات .

شربنا واحتفلنا . وقص علي يان بأنه عند وصوله الى مرتفعات الجولان بدأ بحثه عني ، حتى التقى بضابط اتصال اسرائيلي ، صديق عزيز لي من ايام الطائرات التي بدون محرك ، وقد كشفت له اني جرحت برأسي . وقد قلق جداً على نصيبي ، فاخذ يوماً سيارة وسافر . هو ذكر اسم القرية ، منزل من الناصرة وسافر الى تل العدس . وتجول بعض الوقت بجوار مستوطنات الا انهم لم يشفوا غليله بالدخول . وهو لم يعرف وضعي وخاف كثيراً قبل اللقاء ، ومن بين ذلك الوقت وحتى لقائنا لم يكف قلقه الآن ، مادمنا التقينا لن نفترق . التقينا في نطاق العائلة لقاءات ، في طبرية وفي تل العدس . بعد ذلك وضعوه مراقباً في الجانب السوري وللقائنا كان يصل بطريق لبنان . ومع انتهاء منصبه الرسمي ، وصل الينا يان مع عائلته واقاموا كرفانهم على العشب الذي في بيتنا وعشنا سوية هكذا حتى قرر يان ان موعد السفر الى بيته قد ازف . وحينما حان سافر : الفي كيلومتر سلك بسيارته طريق سورية ، تركية ، واوربا ، في العودة الى النرويج .

الباب الثالث

مطاردون في الوادي
واستنزاف في السويس

الباب الثالث
مطار دون في الوادي
واســـتنزاف في السويـــس

زاحفون على الظهر

في اجتماع الضباط في آوخر اكتوبر ١٩٦٧ ، فهمت من حديث طارئ بين اريل شارون ومساعد رئيس اركان الجيش بارليف شيئاً عن الوضع القاسي في وادي الاردن . لم اتردد في الطلب بتعييني كآمر القطاع وكآمر لواء احتياط ـ مظلي . طلبت ورغبت . عينوني في ٣ نوفمبر ١٩٦٧ . الصباح الاول في الساحة . القطاع كان منتشراً . فلاتنظيم قوات . ولا مراكز قيادة . ولاتوجد مواقع (مخافر) ولاوسيلة اتصال . وجدت هناك وحدة مظليين من لوائي في واجب امني غزير ، وكان عملها طارئاً . وبدون اي نظام . قلت لامري ، باني محتاج الى شهور للتنظيم ولبناء القطاع والخط والاعمال المهمة في الساحة ـ لغرض ايقاف محاولات تسلل المخربين من عبر الاردن الى الاراضي التي استولينا عليها في حرب الايام الستة . بدأنا في الواقع من صفر محقق . التنظيمات كانت صعبة . بدأ الشتاء ملاحقاً ، مع فيضانات كثيرة .

وفي كل مسيرة التنظيمات كانت هناك حوادث وصعوبات مع الجيش الاردني والمخربين . ولكني استطعت القول بقناعة : انه بعد شهور من وصولي كان القطاع جاهزا للعمل كما هو ظاهر . في تلك الليلة جابهنا خلية مخربين كبيرة ـ تسعة او عشرة ، واكثرهم قتلوا . وبعضهم تمكن من الفرار . فذهبنا في اثرهم . . . نزلنا الى نهر الاردن . عند ضفة المياه وجدنا ثياباً ، سلاحاً وغذاءً ، تركه خلفهم شاردو خلية المخربين . تأكدنا انهم قطعوا نهر الاردن . فدرنا وعدنا الى القاعدة . بعد ايام تعلمنا دروساً مهمة . في حادثة اخرى أمسك مخرب . وهو قص بانه كان من تلك الخلية . وهم لم يعبروا الاردن ولكنهم رموا التجهيزات واستتروا بالعشب المتشابك . وبينما كنا واقفين هناك ، على ضفة المياه وكنا نتحدث الى بعضنا كيف عبروا الاردن . كنا لهم اهدافاً قريبة . قال المخرب الذي امسكناه : «لولا اننا رمينا سلاحنا لاستطعنا ابادتكم جميعاً بصلية نار قصيرة واحدة . شعرت بزاحفين يتحركون نحوي على الظهر . في ذلك الموقف ، بجانب المياه ، كان هناك عميد هيئة اركان ، امر اللواء وقواد آخرون ليس

الاعتماد ، واني ، على الريح . واجب هو القيادة في كل حادث كهذا ، مادام المخربون موجودين في كل مكان مستور ممكن ويهددون حياتك . وهذا الدرس كان ذا فائدةلنا في المعركة القاسية في وادي الاردن . بدأت فترة الحرب على خط المياه ـ ردع ، تضييق وملاحقة . كذلك نفذنا عمليات من عبر الاردن شرقاً ، وكان هدفها مطاردة المخربين في اراضيهم ، عندما بان لنا أن المخربين يؤخذون بالهزيمة ، نصبنا فخاخاً مختلفة وضعناها في الجهة الثانية من الاردن وانتظرنا . خلية مخربين مرت امام اعيننا . اصوات سعادة ، اصوات انفجار . الخلية أبيدت . نصبنا كمائن والمخربون يقتلون ، في احدى المرات وضعنا الغاماً ضد الافراد وفجرت شاحنة للمخربين الالغام فانفجرت اطاراتها . فتصايحت جماعة المخربين للتحري عما سبب الانفجار . النتائج كانت واضحة . من بقي حياً منهم ـ وذلك وضعنا من البداية ـ ركض بكل قواه ليبحث عن ساتر وسط بيت صغير ، ليس بعيداً عن مكان انفجار الشاحنة . انتظرنا حتى تجمع هناك كل الذين نجوا . احدى دباباتنا ، موضعها مستور ، اخذت وقتا كافياً لتضبط مدفعها نحو البيت الصغير . واطلقت عدة قذائف .

كانت تلك حرب الحكمة والمفاجآت ، وليس ممكناً ادارة معركة من هذا النوع بالطرق التقليدية . في تلك الفترة لم تكن هناك زمرة نجحت في تنفيذ هدف . المخربون الذين عبروا الاردن للتمرد على اجراءات التضييق ـ أبدناهم بمطاردات ، وكان بحث فوري وبلا تفسير للخداع والمكر والقرارات ، من اجل الوقوف في التجارب . وللتأكد بان المخربين سوف لايزرعون موتاً في مستوطناتنا . في اجراءات مختلفة بدئت في تلك الفترة ، عرفنا تقريباً دائماً اين عبرت زمرة المخربين الاردن . لم يكن هناك سياج من الاسلاك بعد . عندما لم ننجح في ايقاف تسللها ـ تعقبناها بكل الاجراءات التي لسلطاتنا . وقد وضعنا في وادي الاردن حوالي مائة من المطاردين ولوصفهم جميعاً ، يضيق المقام . ولكن سأتحدث عن بعضهم . استطاعت زمرة من المهربين المسلحين ان تعبر النهر . واشتبكت في الليل بكمين لنا . وفي الاشتباكات كانت بينهم اصابات . ولكن استمروا غرباً وابتلعتهم الجبال . ومع اول ضوء اخذت طائرة خفيفة ، وانضم الي ضابط . وبدأنا بتمشيط المنطقة حتى كشفناهم يسيرون مع بغال على منحدر تل ، ويبحثون عن طريق للوصول الى قريةعربية قريبة ، ليجدوا عندها ملجأ . ولم تكن قواتنا في منطقة قريبة . وبانقضاضات حادة اربكت طريق تقدمهم وناديت قواتنا . وللخروج من الدوائر تدحرجت البغال المحملة نحو المنحدر . ووجد المهربون امكنة اختفاء في شقوق الصخور ، ثم جمعتهم القوة التي وصلت بالهليكوبتر .

استيقظت الشكوك ، في ان راهباً في دير قصر اليهود ، على ضفة الاردن بجانب

اريحا . شارك بعمل مع المخربين الذين مكثوا عنده بعد عبور النهر ، غيروا ملابسهم ، ثم تزودوا ـ وهو سفرهم للتسلل داخلاً الى المناطق ، غرباً لاريحا . وكان ملزماً بان يجعل شكوكنا حقيقية او ان يدحضها . اذ دخل الدير دليل بدوي وضابط . ومجموعة من الجنود والضباط ، بامرتي ، كنت خارج الدير ، متهيئاً لكل عملية . الضابط الذي انضم الى الدليل لم يعرف العربية . كما انه كان واضح الوجه مشرقه . فغطينا وجهه بكوفية . وحكى الدليل للراهب ان لرفيقه ألم اسنان رهيب وانه لايستطيع التفوه بكلمة .

وكانت ليلة مطر شديد وبندر ان تخفض درجة الحرارة في هذه المنطقة الدليل والضابط يقرعون باب الراهب ونحن مضطجعون خارجاً ، مطر يسقط من فوق وقماش كتان من اسفلنا ، والبرد قارص . ساعة . ساعتان ، لاأثر للدليل او الضابط او الراهب . قلقت على حظ رجالنا ، وعظم خوفي لدرجة اني اشرت للقوة بالاقتحام . قاموا ـ وبالضبط في تلك الثانية رأينا رجالنا يخرجون من بيت الراهب وباسنان ترتجف من البرد ، من الغضب ، او من اجلهم ، طلبت اجابة على سؤالي لماذا مكثوا هكذا . وهم قصّوا ، ان الراهب قدرهم بوجبة ممتازة لم تدخل افواههم مثلها من قبل وكانوا سيلتهمون بشدة كل المأكولات . وبصورة خاصة الرز العجيب ، حتى ان الراهب إبتسم وقال : «شهية كهذه ، مع الم اسنان كهذا ، شيئ كهذا لم ار من قبل» . الا ان شكه لم يستيقظ البتة وتخوفاً : ناقش الراهب مع رجالنا تفصيلات التغلغل الى اريحا . في مكان قريب توجد بئر قديمة بجانب الطريق . وهناك قيل لهم ان يستتروا طول الليل وفي الصباح يرحل الراهب على دراجته الى اريحا وينظم هناك نقاط اللقاء . وعندما يعود بنفس الطريق ويرن بجرس الدراجة يخرجون ويجتمعون بجانب سيارة سوف تصل اليهم .

نادينا قوة من طائرات استكشافية . واجلسنا شبابا اخرين عند البئر وزمرة اخرى نصبناها في اماكن خفية حوله . لم نكشف لهم تفاصيل القضية التعليمات كانت ان يعملوا فقط حسب الاوامر .

وفي الصباح . كان الراهب في طريقه على دراجته الى أريحا عند مرور بعض الوقت عاد . غيّر باتجاه البئر ، رنّ بالجرس ولاجواب . عاد ورنّ . وليس من شيئ . بعد عدة مرات رحل لبيته . ذهبنا وضغطنا عليه . حقيقة ان السيارة التي كانت ضرورية لجمع جنديينا لم تصل ، ولكن كان في ايدينا الادلة المطلوبة لادانته وبشهادة الدليل والضابط ، لم يكن قادرا ان يفتح فمه ، وسلم سريعاً رجال الزمرة في أريحا ، الذين يقودون من البئر الى داخل أريحا . كل المشتركين اوقفوا .

تلك كانت الفترة الاكثر قساوة في حياتي . استعداد ٢٤ ساعة في اليوم . ان اكون في

كل مكان ، وان اركض في كل مطاردة . ان اكون موجودا دائماً مع القوات المعنية او المتعقبة في جو مضايق مزعج بالبرد والمطر والفيضانات في الشتاء ، وحرارة قاتلة في الصيف ـ واجبناً الى درجة الاحساس باختفاء القوة ، على حدود اللا ممكن . في احدى المرات النادرة جدا التي نمت فيها ليلة واحدة في البيت (مع الاحساس المزعج ، في تلك الساعات بالضبط تدار عمليات مهمة بينما انا امنح نفسي ساعات من التدليل في بيتي ، خرجت مبكرا في الصباح ، وفي طريقي عند العودة الى الوادي ، التقيت زمرة كانت مشغولة بتفحص آثار ولتمييزها ان كانت طازجة ام قديمة . طازجة ـ قررنا استناداً الى العلامات . ودخلنا مباشرة في «ادارة مطاردة» . بدون توقع تنظيم قوات اضافية او للتحسين خلال المطاردة . اية قوة توجد في الميدان وتكشف آثار تسلل ، تبدأ بالمطاردة . وكان للوقت اهمية عليا . فقبل كل شيء الالتصاق بالاثار ، لخلق اتصال ثم كشفها . في وقت واحد تنتظم كذلك قوات اخرى وبقدوم لحظة المجابهة يُبَرمَج يكونون جاهزين للدخول في العملية . ولكن ايضاً اذا لم يكونوا جاهزين ـ تقاتل المخربين الزمرة التي كشفتهم .

كنا مجموعة صغيرة . تحركنا في اثار زمرة المخربين من طريق الوادي غرباً . من منحدر قاس ارتفعت الشمس ، والحرارة مثبطة وكان لنا اولاد ممتازون . بدو ممن كان عملهم بتدفّق ، وخدمتهم لاتقيم بالذهب . سرت الى جانب الدليل . نتصارع الحرارة . والذباب ، والبرغش ، والشوك ـ كنا نشق طريقنا . نجمع العلامات التي تركها هنا المخربون قبلنا . عقب سيجارة . غطاء علكة . الدليل يحني ، ويتفحص ، ويقول : «هم متعبون ، وفقاً لطريقة سيرهم» . قلت : «اذا كانوا متعبين ، فلن يبعدوا في السير . تعال نوسع خطواتنا ونصل اليهم بسرعة اكبر» .

بعد الصعود الصعب من طريق الوادي غربا ، اتسع السهل انبساطاً . بدايات القرى العربية في الضفة الغربية لم تكن بعيدة واذا نجح المخربون في الوصول الى احدى القرى ، يهدأ الموقف باختفائهم عن اعيننا . التحقت بنا قوات اضافية . في الميدان المنبسط امامنا هضبات صغيرة وفيها مغارات كثيرة وسراديب . وضعت الناظور على عيني ومشطت الميدان بدقة . ولم تكن هناك علامة ملموسة . هناك قيمة للتجربة . حاولت ان افكر ، وكأني أحد المخربين ، الهاربين بانفسهم ، اين كنت سأختفي .

وتجربة كهذه ليست مأمونة الخطأ . اذ ان طريقة تفكير المخربين وطريقتي مختلفتان . ولكن من الضروري الهرب . احدى الهضبات ظهرت في عيني مأمونة . أمرت بتطويقها اخذت قوة اخرى ، واحطت بالهضبة وتسلقت من عبرها الثاني . وصلنا الى مركز الهضبة فاذا من تحتنا بئر . فرمينا بداخلها رمانة . فاذا من هناك يد تلوح بـ «كوفّية» .

طلبوا الاستسلام اخرجنا من هناك ستتهم . كلهم مسلحون ومحملون بالعتاد من كف الرجل وحتي الرأس ، وفي ملكيتهم مواد متفجرة كثيرة . الدليل كان صادقاً . فهم كانوا متعبين جدا وقرروا ان يجمعوا قواتهم في البئر .

لم يكن المخربون المتسللون دائماً ذوي قدرة بدنية ، فهم سرعان ما يميلون للتعب . كذلك فان الحافز لقسم من المتسللين لم يكن عالياً . والواقع ، من ان كل مجموعات التسلل انتهوا بالابادة أو الوقوع في الاسر ، انهك المخربين واضعفهم .

نحن جمعنا انتصارات . وهم هزائم . ولكن لم استطع ان اتحمل هذا العار . زمرة مخربين تسللوا ، عرفنا ذلك بالطبع ، ثم اختفت اثارهما . فكان لي كرب عظيم في القلب .

كنا طائرين بهلكوبتر . معي قائد سرب طائرات الاستكشاف مع رجال آخرين . طلبت من الطيار ان يطير في طريق معلم . كطرفة عين صادت العين بئرا في مرتفع وعليقة كثيفة تغطيها . هذا هو مكان اختفاء طبيعي . اشرت للطيار ان يحط على المرتفع ، من على البئر .

اقتربنا الى البئر ، بحذر . بدأت بسحب العليقة التي تكسو البئر . فاستقبلت وجهي صلية من داخل البئر ، ونحن اجبنا برمّانات معدودة الى الداخل . ستة مخربين كانوا هناك . احدهم طلب الاستسلام . وخمسة قتلوا . كانوا لابسين اكثر من اللازم من الدكرون الجديد اللامع . مجهزين بسلاح جيد . فقط مستوى القتال كان منخفضاً .

في مرحلة متأخرة جداً ، وبعد سلسلة طويلة من الهزائم . عظم المخربون زمر المتسللين من ستة الى اثني عشر وحتى اربعة عشر ، في افتراض انه افضل لهم في القتال . من اختبارنا المواجهة مع قوة كبيرة فيها مقدار عظيم جداً من الخطر .

زمرة كبيرة كهذه تسللت شمالا من أريحا . وأخذنا نطاردها مشياً . هم تحركوا الى موضع نصبت فيه اليوم موضع مراقبة . وفقاً للالتصاق والتمشيط اطمأنينا أنهم لم يخرجوا من هذا الميدان . جولة استكشافية بالهليكوبتر كشفتهم مختبئين في ممر ضيق يابس . طوقتهم القوات ورمى المخربون باتجاه الهليكوبتر واصابوها . قال لي الطيار : «الملاحون اصيبوا . وانا مضطر للهبوط في النقطة التي نحن فيها موجودون» .

القوات التي طوقت المخربين ابادتهم ونحن هبطنا على هضبة ولكن انقسمت : قسمها الاكبر ابيد على ايدي قواتنا . ولكن مخربين اثنين اختفيا في مساحة معلومة من القوة الرئيسية ، وهم تخلفوا قبل الهبوط اكتشفنا أن زمرة المخربين تخلفت للهليكوبتر واصابوها . نحن تفحصنا هذين الاثنين ونحن مازلنا في الجو . انا رميت باتجاههم ولم اجد .

نزلنا بمسافة ٥٠٠ متر من المخربين الاثنين . انا مع مخبر وجنديين والذين كانوا معي في الهليكوبتر ، وشرعنا في مطاردة خلف المخربين ـ جنوباً ، الى حيث مخيمات اللاجئين شمال أريحا . نادينا قوات اضافية ، قطعنا الطريق ـ هزيمة : اختفي الاثنان كما لو ان الارض فضت فاها وبلعتهما . في الطريق وجدنا كلا شنكوف وكشفنا آثار دم . وطول النهار شغلنا بتمشيطات في داخل مخيمات اللاجئين ، ومع هبوط الظلام ، عرفت ان جهودنا باءت بالفشل .

اذا كان المخربن قد عبرا النهر وعادا للاردن ، فستجدهم هناك ايدي آخرين ، حالاً وبسرعة انتشرت اشاعة في الوادي كله ، ان المخربين غدرا ووشيا برفاقهم الاثني عشر الذين قتلوا . اتضح ان المخربين الناجين ، اللذين كانا آمري المجموعة . لم يستترا في الممر وانما في اعلى الهضبة ومن هناك اطلقوا باتجاه الهليكوبتر . بعد مرور وقت قصير امسكا في الاردن وقتلا على ايدي رفاقهم ، عقوبة للخائنين .

يوم الاستقلال ١٩٦٨ . عرض كبير لجيش الدفاع الاسرائيلي في اورشليم ، بعد الانتصار العسكري اللا مع في ١٩٦٧ . آثار مخربين في القسم الشمالي من الوادي . ثلاثة مخربين قتلوا ، عدنا على اعقابنا الى الاردن . وليس من زمرة الثلاثة المخربين . فتشنا البقية ـ خوفاً من ثلاثة آخرين .

من ضفة المياه عَيَّنا حركة في عمود منحدر جداً من جهة النهر الثانية . فتحنا النار باتجاه العمود . احد المخربين تدحرج للاردن . غطّينا حركة القوة الصغيرة التي قامت بعبور الاردن وابادت المخربين الآخرين . انا اتصلت باورشليم ، الى مسرح الاستعراض ، وطلبت قائد المنطقة . وهو حكى لي ، انه تلك اللحظة بدأ الاستعراض . فاعلمته باننا ابدنا زمرة المخربين .

حوادث يوميا مع الاردنيين . مدفعية . طرق ملغومة ، وقوى كثيرة مطلوبة للانسان ، نفسية وجسمانية . بدون توقف . بدون راحة لجسمك والا فهي لحظة ضعف .

في مايس ١٩٦٨ نفذنا عملية الكرامة . هدف القوة التي قدتها كان السيطرة على المواضع الاردنيه التي من عبر الاردن وان اغلق محور الوادي في الجانب الاردني في المفرق الحدودي ، من شرق دامية . وفرض على قوة اخرى ان تعبر الاردن بجسر اللبني وان تهاجم مخيم للاجئين في الكرامة ، على مراكز المخربين الكبيرة التي فيه . والتي منها يخرج كل الشر ومنها تسللت اكثر الزمر لوادي الاردن .

وقد عُمل خطأ في هذه العملية : الجيش الاسرئيلي رمى بلاغات قبل العملية ، انذر اهل المنطقة وطلب منهم مغادرة الكرامة حتى لا يُصابوا . كذلك المخربين أنذروا

وكثيرون منهم ، بضمنهم عرفات . الذي كان عندئذٍ ، وفق التقديرات ، في الكرامة ، رفعوا أرجلهم واختفوا من هناك . كانت خطتي في ان اعمل بمفاجأة نهائية ، في ضوء النهار ، بدون نار تعّزز ، لاحداث ثغرة على جسر دامية ، على الطريق ، مع قوة مدرعة وآلية . لعبور المواضع الاردنية والهجوم عليهم من العنق .

١٠٩ نظام متفق عليه لعلاقات التفاهم وجسور مفتوحة لم تعد هناك حينئذ بين الدولتين ، اسرائيل والاردن . كل الاتفاقيات كانت سرية ومؤقتة . في الليل كانوا يضعون الغاماً على جسر دامية . ومع السحر كانوا يزيلونها ، لكي تتمكن الشاحنات المحملة بالخضروات من الحركة على الجسر ، شرقاً . انتظرنا صباحاً لازالة الالغام وتحركنا بسرعة . عبرنا الاردن بمباغتة كاملة واستولينا على المواقع الاردنية . قوة اخرى عبرت المواقع واغلقت طريق الوادي الاردني . اختلافات النار مع الدبابات والمدفعية الاردنية سببت لنا الخسائر .

دباباتنا «شرمان» كانت قديمة ولم تستطع ان تصمد في الميدان مع دبابات اردنية حديثة من نوع «باتون» ، التي اصابتنا من مديات بعيدة في ساعات بعد الظهر صعدت مجموعة دبابات نظامية من الكرامة وانضمت الينا . وهم اصابوا بمدافعهم وابادوا الدبابات الاردنية . بعد نزول الظلام اتجهنا غرباً . وفي تلك العملية لم تستطلع كما ينبغي تطورات الميدان مع الاردنيين . فقد قاتلوا بشدة . في جزء المعركة الآخر ، في الجنوب ، تركنا دبابات مصابة ، وقد كان لنا ثلاثة قتلى ، وفي الجزء الرئيسي من الميدان ، في الكرامة ، سقط ٢٨ من رجالنا .

حوالي تسعة شهور ، تشرين الثاني ١٩٦٧ وحتى تموز ١٩٦٨ ، كنت قائد القوات في الوادي . فقط تسعة شهور ، ولكن كان من الضروري وجودي هناك ، في هذه الفترة العاصفة ، لغرض تفهم اي وقت طويل كان هذا . بفضل الغام ، وحواجز ، ومواضع محصنة على طول الخط . ولكن الاكثر من هذا كله بسبب التيقظ ٢٤ ساعة في اليوم ، مع هذا الباعث القوي للوجود في كل مكان . للمشاركة في كل حادثة طارئة وللالتصاق بالهدف ، استطعت الانفصال في يوليو ١٩٦٨ من الوادي باحساس عظيم بالقناعة : بانه اذا استطاعت زمرة ان تعبر الوادي ، فانها لم تنجح في تنفيذ هدفها . كذلك كانت لنا خسائر ، ولكن لم يكن احدها في المطاردة . تركت الوادي وعينت كضابط مظلي كبير . اربع سنوات اشتغلت في هذا المنصب . وثابرت على مستويين يختلف كل منهما عن الآخر في طابعه : سلسلة طويلة من العمليات الانتقامية العسكرية ـ بتدمير المصريين ـ وفي ذلك كنت معتاداً وذا تجربة . والاختبار الثاني : في الجيش الاسرائيلي تطورت علاقة استهزاء وتقليل قيمة تجاه قوة المشاة والمظليين .

كل الانتباه ، الآمال والجهود النقدية والانسانية اتجهت لتقوية الدرع الذي جاء تثمينه منسجماً من دوره المخضع في حرب الايام الستة ـ غرق في ناطحات السحاب . وتنفيذاً لهذا التطور كان ميل نحو التقليل من مركز ضابط مظلي كبير (قائد مظلي) وبتر صلاحياته . مع الاسف كانت حرب يوم الغفران درساً لنا ، على ضحاياها الكثيرين ، للتقوية ، اذ ان تحويل الثقل من المقاتل المشاة نحو الدرع وترك الجندي المشاة ، كان خطأ فادحاً ، ونتيجته ثمن غال .

رغم الصعوبات ـ واحياناً امام اسوار من النكران ـ لم ادخر شيئاً مشدداً يقود المظليين وقوة المشاة (بعد مرور وقت اتسعت حياتي قليلاً ، كقائد مظلي انقلب لقائد مظلي وقائد قوة مشاة) . لتنشئة المقاتل ، وتحسين مستواه الاحترافي ، ولنفح فيه الروح الكبيرة للتفاخر باحتراف الجندية ، كمقاتل عزيز النفس . اما علاقة الالغاء والاستخفاف ، التي تضايق ليس القواد فقط ، وانما كذلك الجنود ـ نفذنا سلسلة طويلة من العمليات العسكرية ، والتي حتى معظم المستهزئين بالجندي المشاة المقاتل ، لايستطيعون ان يتجاهلوا انتصاراتها .

هجوم على الجزيرة الخضراء

ناصر ، حاكم مصر ، قلب حرب الاستنزاف الى اداة او وسيلة رئيسة في سياساته . لم تكن لديه القوة المطلوبة لابعاد جيش الدفاع الاسرائيلي من سيناء . وفترة طويلة من الهدوء في الميدان كانت تسكن نشاط وحيوية العالم ، وتخلق سلسلة متصلة من التمرينات لعملها ، بان اسرائيل مستولية على سيناء وانها غير مستعدة للانسحاب من هناك ـ الا مقابل شروط سلام وترتيبات امنية واضحة . كان ، اين ، هناك ضرورة حيوية لجباية ثمن مرتفع من ناصر تعويضاً عن اصابات جيش الدفاع الاسرائيلي في القناة ، من اجل اقناعه بان الطريق التي اختارها مرصوفة بالمخاطر لمصر اكثر بكثير من تلك التي لاسرائيل . ولاجل هذه الضرورة لم يكن كافياً التحقيق على مايبعث المقت من قبل القوة الجوية ، والتي كانت (القوة الجوية) سيادتها في المنطقة في البداية كاملة الا انها اصبحت مشكوكاً فيها مع نصب صواريخ ارض ـ جو سوفيتية . من اللحظة التي اخذ فيها الاتحاد السوفيتي على نفسه مسؤولية امن المجال الجوي للقاهرة والاجزاء المجاورة للقناة . في تلك الظروف كانت هناك عمليات ارض حيوية لاكمال تنظيم الانسحاب والعقوبة .

في بعض العمليات شاركت بنفسي ، وفي اخرى اكتفيت بالتخطيط والتوجيه . في الواقع بعض هذه العمليات . في عملية في نجع حمادي فجرنا اعمدة الضغط العالي للقوة الكهربائية ، ارتفاعها اربعون متراً ، بسبب وضع شحنات تدمير . لم يكن هناك ميدان قتال . في عملية اخرى دمرت محطة نقل المعلومات في نجع حمادي . معسكر مصري ، في عمق مصر . ودمر على ايدي قوة مدفعية هاون ، انزلت بهدوء من هليكوبتر ثم طارت في عودتها الى قاعدتها ، قبل ان يستفيق المصريون من الصدمة . في مرات كثيرة انزلنا قوات في داخل العمق المصري ، نفذنا تخريبات ، وضعنا كمائن للمواصلات المصرية على طول القناة وخليج السويس . ادخلت كذلك الكوماندوز البحرية لبعث النشاط المنفذ في مصر .

احتلال الجزيرة الخضراء ، في مدخل قناة السويس ، كان معقداً وصعباً . فهي جزيرة صخرية صغيرة . اربعون متراً طولها وثمانية امتار عرضها ، وكلها محصنة بالخرسانة وفيها وضعت مضادات جوية خرجنا في ليلة مظلمة جداً ، في زوارق مطاطية ، من راس سودار . ابحرنا في طريقنا في الظلمة للاستكشاف في قلب الخليج ، حيث منه انطلق الكوماندوز البحرية للابحار الى زاوية الجزيرة . حسب الخطة كان على الكوماندوز الوصول الى الزوايا المحددة والتسلق الى داخل الحصن ، في المكان المنفرد الذي اعطي الامر للتنفيذ . اكثر القوة تصل بالزوارق المطاطية وتنظم للمهاجمين على الجزيرة . الخطة جرت بالضبط بدقة ساعة ممتازة . والابحار كان دقيقاً جداً ، ولوحة الوقت نفذت بكاملها وبدون اي تحريف . في مرحلة الهجوم ، والجزيرة مازالت بعد في ايدي المصريين . فتح المصريون قصفاً شديداً ، على الجزيرة من الحافة المصرية . ستة من جنودنا سقطوا في الميدان . اخلينا القوات من الجزيرة ، بعد اتمام التنفيذ ، وكان صعباً جداً : المصريون ارسلوا اطلاقات تنوير وانزلوا قصفاً ثقيلاً جداً على الجزيرة نفسها وعلى الزوارق المطاطية المنحرفة باتجاه سيناء . مع الفجر خرجنا من مدى المدافع المصرية ، ولكن فقدنا الاتصال مع بعض الزوارق واحسسنا بحظ رجالها . فقط في وقت متأخر جداً اتضح ، بانها لم تتجه جنوباً بقلب الخليج ، بل باستقامة شرقاً . من الشمال لراس سودار وهناك نزلوا على الساحل . ومع ان العملية تتوجت بالنجاح ـ فأن الثمن كان عالياً ، ستة قتلى ، ألقى ظلالاً على العملية . ولم ندفع مثل هذا الثمن في اي من العمليات التي اعقبتها .

خططت العملية بجزيرة شدوان في دقة متناهية ، وكما استوجبت الظروف الخاصة في الميدان : هذه جزيرة ليست كبيرة ، في منتصف الطريق بين رأس محمد ودرب قدقة ، والذي يسد مداخل خليج السويس في الشمال . وانحدراها كانحدار جبل . والسطوح

المستوية التي نستطيع ان نعمل فيها قليلة جداً ، مدافع عنها على ايدي المصريين . الصور الجوية كشفت لنا اراضي مستوية صغيرة ، صغيرة جداً بدرجة الجبل حوالي ٥٠٠ متر من التجمع المصري . وصلنا الى نتيجة ، انه في هذه الاراضي المستوية بالامكان انزال هليكوبتر واحدة . في مثل هذه الظروف لامجال للحديث عن عملية ليل او لتنفيذ عملية نهار ، وانما لاتخاذ خطوات ، لامكانية ان تقوم هليكوبتر بالهبوط بمدى قصير كهذا من مواضع العدو بدون اصابات ، وكيف ان القوة المنزلة تصبح متمكنة من ان تنظم نفسها بعد الانزال وتشرع في القتال .

الحل كان : حجب المواضع المصرية بالدخان ، وطائرات القوة الجوية تقوم بقصفها . في وقت انزال طائرات الهليكوبتر في السطح . نزل المقاتلون وشرعوا بالقتال في سفح الجبل ، من نقطة الانزال باتجاه الفنار في نهاية الجزيرة . العملية نفذت بدقة ونجاح ـ باستثناء ظاهرة واحدة كان سببها عدم اتخاذ الحذر وربما كان استخفافاً : بحافة موضع مصري صعدت وحدة لنا على الغام ضد الاشخاص . وجرح افراد . وقتل ضابط اسرائيلي في منطقة الفنار .

وفي الغد اخلينا السطح . اخذنا معنا الرادار المصري واسرى مصريين وبعض الاسلاب . وزوارق الطوربيد المصرية التي حاولت الاقتراب من الجزيرة اغرقت على ايدي القوة الجوية . في الليل حاولت طائرات A . L . 28 مصرية ان تقصف بالقنابل . في الصباح وجدنا جندياً مصرياً اصيب بشظايا قنبلة مصرية . اما الاسرى المصريون فقد اعدناهم فقط بعد حرب يوم الغفران ، في آخر ١٩٧٣ .

في العمليات الكثيرة عبر قناة السويس اكتسبت قيم مكنوزة ، باتجاه طرد المصريين وتشويش طرقهم وتحضيراتهم : ورسخت نماذج عالية من العمليات نفذت بشكل خاص . امراء وجنود جمعوا خبرة وطرق القتال تحسنت .

عمليات عسكرية تقدح ، ايحاناً ، الخيال وتثير شهرة عالمية لتنفيذها ، ليس بالضبط بسبب صعوبة تنفيذها او سلامة تخطيط حذر ، ولكن بسبب خصوصيتها وبعد النظر في تنفيذها . كهذه كانت . بلاشك ، عملية الرادار السوفيتي ، الذي فصلناه في مصر وجلبناه بكامله الى الوطن ، لاسرائيل .

قبل عملية التفكيك والانقاذ ، كانت تجابه القوة الجوية ، لانه عندما تعبر طائراتنا الخليج للقصف في عمق مصر ، كانت تكشف بسرعة . النتيجة : يوجد لمصر وسائل كشف على ساحل الخليج ، في مكان سري ، غير معروف لنا ، وهذا الجهاز يكشف طائراتنا التي تعبر الخليج .

الصور الجوية كشفت موضعاً مصرياً على طول الساحل . استقرينا على ان هذا

الموضوع يقدم التقارير عن عبور الطائرات للمنظومة المضادة للجو العائدة للمصريين والتي اقيمت على ايدي السوفييت . بدأنا بتخطيط وسائل للاستيلاء على الموضع المصري وتدميره . ولكن بطريق الصدفة ، كشف ضابط صغير ، في بحث متمعن ، في الصور الجوية ، رادارآ سوفيتياً ، مموه جيداً ، ليس على الساحل نفسه ، ولكن بمسافة ليست كبيرة منه ، وسط مصر ، حوالي كيلو مترين او ثلاثة ، من غرب الموضع الذي على الساحل . الآن اصبح واضحاً ، ان هذا الرادار هو

الذي يكشف تسلل طائراتنا . مع هذه الصور في يدي ، دخلت الى رئيس الاركان العامة ، اللواء حاييم بارليف ، بسطت الصور على منضدته وطلبت الاذن ان اغير مهمة الغزو . واضفت ، بأن نحاول لاتدمير الرادار ولكن ان نجلبه الى اسرائيل . بعد ان اذن رئيس الاركان العامة بتغيير المهمة ، بدأنا في عملية حماسية للاستعداد للتنفيذ . قطع غنيمتنا كانت شحنات عربات وحافلات سوفيتية من انواع مختلفة . ووفقاً للصور الجوية للرادار المبحوث عنه ، عينا التجهيزات المطلوبة لنا بالغنيمة وبدأت سلسلة طويلة من التمارين كيف يفصلون شاحنة كهذه من هيكل العربة الملحق بها ، وكيف يلحقونه بهليكوبتر وكيف يطيرونه ، سلمياً وكاملاً ، الى اسرائيل . التدريبات على الموديل عملت بطائرات هليكوبتر ثقيلة . رفعنا الموديل وانزلناه ، بسرعة فائقة ككل مايحسن مستوى التنفيذ وجمعنا خبرة .

بقدوم يوم العملية نزلت القوة ، تحركت الى مكانها بدون ان تكشف ، هاجمت الموضع واستولت عليه . بابعاد الحافلات من هياكل ادوات العربة يستطيع الجنود فقط ان يذهلوا : موديلنا اشبه بالضبط للموجود في الميدان . عملية الفصل والالحاق بالهليكوبترات اتمت وهم خرجوا في طريقهم . ولكن ، وفق التريبات الدقيقة والتنفيذ الكامل جهزت العملية دليلاً اضافياً (لم يكن مطلوباً لاصحاب الخبرة) لانه في العملية ، التي فيها كل شيء مخطط لادق التفاصيل ويسير بالمزاوجة لما «مكتوب في الكتاب» ، غير ممكن توقع كل العوائق وغير ممكن التلقيح ضدها وطلبها ، ويضاف الى العلم والمهارة ، كذلك قليل من الحظ . طاروا الى الوطن . هليكوبترات ثقيلة تحرث السماء وتملأ الفضاء بهديرها احد الهليكوبترات يحمل معه حافلة الرادار الذي وزنه عدة اطنان تهدر وتتقدم وعندما كان فوق مياه الخليج احس الطيار بحدوث عائق خطير للطائرة في نظام الهيدروليك . وفق كل القواعد ، الاوامر ومايوجب المنطق ، ليس للطيار وضوح الا ان يفصل الحمولة الثقيلة وان ينزل للمياه . فقط بعد ذلك يتمكن الطيار من التسابق مع العائق ، لينقذ نفسه وادواته . الا ان التحدي كبير جداً والامل ساحر جداً ، وقرر الطيار ان يأخذ الخطر ولاينزل الحافلة الى الخليج . فاستمر بالطيران ووصل الى الساحل

الذي من امام . الساحل الاسرائيلي . قرر ان لا يطير الى قاعدة خروجه . فانزل حافلة الرادار على الارض ، خلص نفسه من الحافلة ونزل الى جانبها .

صباح ممطر استقبل وجوهنا في الارض . جلبنا الرادار السوفيتي ، على ارجله وكل اجزائه . نزلنا بقاعدة للقوة الجوية . سمعت رئيس الاستخبارات العسكرية يتحدث مع رئيس الاركان العامة ، واتضح لي انه في تلك الليلة «سرقت» كذلك سفن الصواريخ الاسرائيلية في شربورگ ، فرنسا . هذا كان «ليل اللصوص» . سفن الصواريخ كانت لنا . لم نستطع ان نأذن لفرنسا ان تمنعها عنا . الرادار السوفيتي لم يكن لنا ، ولم نستطع ان نأذن لمصر وللسوفييت ان يعيقوا عمليات طائراتنا . عمليات من نوع آخر نفذنا في الاردن وسوريا . في المرحلة التي استعملت كضابط مظللين وقوة مشاة كبير . في ثلاث عمليات خاصة دمرنا جسوراً في الاردن وفي جنوب البلاد ، بين العقبة ومعان والكرك . كانت العمليات محكمة واحوجت تدريباً اساسياً ومهارة عالية : على الجسر دفنت شحنة شديدة الانفجار . اعملت الشحنة ، وجثا الجسر . كان من الضروري منع احتمالات ان توجد في وقت العملية على الجسر بجانبه مباشرة عربة اردنية ـ وكذلك حتى لاتعاق عمليتنا بضيق غير متوقع وكذلك حتى نمنع ضحايا باطلة من مواطنين ابرياء . بعيداً عن مكان الحادثة ، من نقطتي الاستعداد للسفر على الجسر فتحنا قنابل ـ دخان . لاعاقة السواق من الاستمرار بسفرهم . نثرنا على الطرق مسامير مثلثة . فمن قرر اختراق ستار الدخان ، لمواصلة طريقه كان يثقب عجلاته ويضطر للوقوف .

عمليات معلقة ، على غرار العمليات التي في العمق المصري ، نفذت كذلك في سورية . العملية كانت من نوع واحد . انزلت قوة من الهليوكبترات على مسافة معلومة من المكان ، وكان يحدد مكانه بسرعة . في الارض المسطحة في عمق سورية ، ويهيء مدافعه الهاون ويفتح النار الشديدة والسريعة على المخيم السوري او على قوة عسكرية سورية . كمية نار مخصصة والقوة تحمل مدافعها الهاون على الهليكوبترات وتخلي نفسها من الميدان قبل ان يخلق ميدان تماس مع قوات سورية .

على طول هذه الفترة اديرت على الحدودين ، السورية والاردنية ، كذلك عمليات روتينية ـ هجوم جوي ، قصف مدفعية ودبابات . بدأت فترة خطف الطائرات على ايدي المخربين . عندما خطفت طائرة الـ «عال» ووجهت الى الجزائر ، بحث احتمال ارسال قوة بالجو الى الجزائر لتحرير الطائرة في رحلتها . ولكن بسبب صعوبة التغلب على بعد الطيران ـ تركنا الفكرة وتوقفنا عن التخطيط لعملية عسكرية لتحرير الطائرة .

هجوم على بيروت

في يوم خميس دعوني الى الاركان العامة ووضعوا علي واجباً . وهو من قبل تنفيذه وحتى ذلك الحين : الهجوم على مطار بيروت الدولي وتدمير كل الطائرات التي تحمل علامات هوية عربية هناك . وأمرت بتنفيذ العملية على ان لاتتأخر عن نهاية السبت ـ حوالي ٤٨ ساعة من لحظة تسليم الامر لي .

استلمت المعلومات المزودة من الاستخبارات عن المطار تفحصت الصور الجوية ، تحدثت مع رجال كانوا هناك وعرفوا اجزاءً مختلفة من المطار . زرت مطر بن غوريون في اللد . تفحصت الطائرات التي هبطت هناك ـ من نوع الطائرات التي توجد في بيروت ـ لاجل كشف مبنى الطائرة ، واين يجب دفن المتفجرات الشديدة وماهي الطريقة الاكثر تدقيقاً لتدمير الطائرة . حددت قوات للعملية . قررت بشأن طريقة ربط الشحنات بالطائرات : شحنتان في كل طائرة ـ واحدة في مقصورة العجلات الامامية والثانية في قاعدة (اساس) الهبوط التي في احد الجناحين . وبذلك يحترق خزان الوقود ومقصورة الطيار . وتدمر الطائرة ولو ان جزءاً من الذنب يبقى سليماً .

ثُبت وقت العملية : ثلاثون دقيقة بالضبط من لحظة الهبوط في المطار وحتى اخلائه تماماً .

ثلاث قوات تعمل في المطار . كل قوة تنزل من هليكوبترات في احدى نهايات المطار وتبدأ للعمل بتهيئة الساحة الرئيسية . الى المطار يقود طريق واحد ذو ممرين . نحن اليوم نعرفه جيداً وعن قرب . اتممنا الطريق بالطريقة المعروفة من الاردن : هليكوبتر تطير بانخفاض وتلقي قنابل دخان ، وتنثر مسامير مثلثة ـ لمنع استعجال جلب قوات الى المطار .

حلقت في الظلام بعد نهاية السبت ، بتأخير ١٥ دقيقة . عبرنا مستوطناتنا الساحلية وخط الساحل . في البر اتجهنا شمالاً ، بعيداً عن خط الساحل ، في طيران منخفض . في نقطة معلومات توجهت الهليكوبترات باتجاه المطار الذي كان مضاءً ، كما يبدو ، بنور ساطع . هبطت القوات في الاماكن المحددة لها . وعادت طائرات الهليكوبتر الى الوطن واخرى اخذت مواضعها في نقطة محددة بعيدة في البحر . وفق الجدول الزمني المضبوط ، جاهزة لجمعنا بانتهاء العملية .

المطار يضج بالحركة ، وكان ممتلئاً بالناس ، تراكتورات صغيرة تحمل شحنات ، عربات متراصة تحمل حقائب ، واطقم صيانة تعتني بالطائرات المستقرة ـ اعمال مميزة في مطار .

بدأت القوات باعمال التخريب حالاً بعد هبوطها . عينت موضع (زمرة القيادة) بجانب بناء اطفاء الحريق والسجن الاحمر ، مقابل المحطة ، في نهاية الساحة التي استقرت فيها اغلب الطائرات . وللجماعات اللبنانية ـ رجال مطافئ ، سواق وآخرين ـ أذنت بالصعود الى الشرفة في الطابق الثاني وللتأمل في المنظر . في سيارات اطفاء الحريق خرجنا . وعبرت القوات من طائرة الى طائرة ، وثبتوا الشحنات في المكانين المحددين لذلك ، حسب ماثبت من الاول ـ وفجرت .

باكمال تسع وعشرين دقيقة من لحظة الانزال تمت العملية . واشتعلت في المطار الطائرات كحرائق هائلة . د س ١٠ انفجرت الى شظايا . واجزاؤها طارت لكل اتجاه ، وغطت الساحة ببساط من الشظايا . عارضة حديدية طولها عدة امتار سقطت على بعد سنتيمترات معدودة منا . عادت طائرات الهليكوبتر . دخلت المطار وهبطت . واخليت قوة اولى ، قوة ثانية . القواد وأنا في الاخير . كلهم صعدوا . أنا في البداية شرعت في الصعود اخيراً ، وفجأة رأيت ضابطاً ينزل من الهليكوبتر ، ركض الى جانبي الشارع ، وقطف اغصاناً من شجرة وعاد الى الطائرة . «ماذا تفعل ايها المجنون ؟!» سألته . «دليل على اننا كنا هنا ، حقيقة» ـ اجابني وقفز الى داخل الطائره .

في الطريق الى الوطن قدمت تقريراً الى رئيس الاركان العامة بارليف حسب ما اتفقنا عليه : (أ) ١٤ . (ب) كلها ذات علاقة (عدد الطائات المدمرة وكلها عربية) . بعد ذلك اتضح اني اخطأت وأنا سعيد لاني اخطأت . في الطائرة الـ ١٤ لم توضع الشحنات . لحسن الحظ . الطائرة مستقرة وسط المرأب . طائرة (كباسه) قديمة . اختبأ فيها هناك رجال كثيرون جداً ونحن لم نعرف ذلك الا في وقت متأخر . ولو كان فيها شحنات متفجرة لتسببت في وقوع خسائر كبيرة جداً في الانفس ، ولم نرد ان يحصل مثل ذلك .

نزلنا في قاعدة الخروج . وكان هناك رئيس الاركان العامة ووزير الدفاع . قدمت تقريراً عن نتائج الغزوة . احسست ان ، وزير الدفاع ، موشي دايان ، هاج من الغضب . عرفت الرجل وتعابير وجهه . وهو لم ينبس ببنت شفة ، ومعروف عنه جيداً ان هدوءه مغلف بتوتر شديد . ولكن في النهاية لم يستطع ان يتمالك نفسه من ان يهاجمني بكلمات قاسية : «لماذا لم تدمروا المطار ، لماذا ؟!» صدمت بذهول . علاقاتي مع موشي دايان لم تكن ابداً علاقات محبة من النظرة الاولى ، او من اية نظرة اخرى ولكن هنا حاولت ان اجيب ، بانهم لم يصدروا لنا تعليمات لتدمير المطار وان ذلك لم يكن جزءً من واجبنا . رئيس الاركان العامة هبّ لمساعدتنا : «لم يأمروهم بتدمير المطار . لم يكن هناك استعداد كهذا . وهم نفذوا مهمتهم كما القيت عليهم» . وحتى هذه اللحظة لم يسكن

فكر دايان . وهو مازال يطلق غضبه . كم مميز لهذا الرجل ان يقول كلمات ليس لها اي معنى ويبحث عن الذرائع لجرح الضباط والجنود ، وهيجانه هذا ابقى في نفسي شعوراً قاسياً جداً .

قبل عودتي من «زيارة» لارض اجنبية ذكرت في تلك الليلة بسفرتين اخريين لبلدان اجنبية ـ مصدر هدنة ، تختلفان جداً في طبيعتيهما الواحدة عن الاخرى . السفرة الاولى كانت بفترة قصيرة قبل عملية الهجوم في نجع حمادي خرجت على رأس وفد عسكري في جولة تفقدية لجيوش عدد من البلدان الاوربية . في واحدة منها نزلت بالمظلة من منطاد . ايضاً خبرة نزول بالمظلات . في بلد آخر رأينا تمرين كوماندو . فوجئت ، عندما صاح بي أحد الجنود من ذلك البلد بالعبرية : «انظر الي ، انظر الي !» نظرت : قال ، بانه مكث في كيبوتز مرحابيا ، كان سعيداً بتكلمه العبرية .

في الفترة التي بين الجولات التفقدية طرت الى النرويج ضيفاً عند صديقي يان ، في مدينة صغيرة شمال اوسلو ، في مقدمة ممر اوسلو البحري ، اكتوبر ١٩٦٨ الاولمبياد في مكسيكو شد النرويجيين الى محطات التلفزيون . وانا تكيفت . ليالي طويلة وباردة . قنينة ويسكي ذات الغالون ، كومة من السريمبس عالية الابتهاج شديدة . كل ذلك بعيد من حروبنا . من التوتر الدائم .

ولكن الحرب تعقبتني : وصل رسول لبيت يان . يبحثون عن ضيفك . اذ يوجد للضيف تلفون مستعجل بالسفارة الاسرائيلية في اوسلو . لم يكن في بيت يان تلفون . في كل المدينة يوجد تلفون واحد . في البدالة ، سفرني يان الى اوسلوا . في السفارة اعلموني : تلفون من الملحقية العسكرية في لندن يوجهك بالعودة الى البلاد .

افترقت عن يان ، اعلمت بقية رفاق الوفد ، بان يستمروا في جولتهم الى السويد بدوني . كوبنهاجن . زيورخ ، اللد . في المطار اعلموني : «ماخططناه في نجع حمادي ينفذ» ، الآن انا اعرف اني عدت الى الوطن . فلا ويسكي في القنينة ذات الغالون . ولا سريمبس . ولكن توجد حرب . لست اشتكي : كل شعب ونصيبه .

مع المقاتلين الاكراد في العراق

بعد مرور عام تقريباً ذهبت لمشاهدة حرب اخرى ، مقاتلون اخرون وتكوين اخر . فقد ساعدت اسرائيل ولسنوات طوال المقاتلين الاكراد في حربهم من اجل الاستقلال في العراق . وقد زار زعيم النضال الكردي ، الملا مصطفى البرزاني وولده اسرائيل ، ومكثوا فيها ، حيث تم تدريبهما من قبل جيش الدفاع الاسرائيلي . وارسلت اسرائيل

بدورها السلاح للمقاتلين الاكراد ، بالاضافة الى المدربين الذين كان معظمهم من المظليين تقريباً ، حيث عاشوا هناك وعلموا المقاتلين الاكراد كيفية استخدام السلاح . وطلب البرزاني توسيع ابعاد الحرب في العراق وتغيير طابعها ، حيث لاتقتصر على حرب العصابات فقط وانما القيام بهجمات مكشوفة ضد القوات العراقية . وتم ارسالي لتقصي ظروف القتال في هذه المنطقة الخاصة .

سافرت جواً الى طهران ، ومن هناك سافرت في رحلة مدنية باتجاه الغرب ، الى بلدة خانة ، على الحدود العراقية ـ الفارسية . وفي المساء ركبنا سيارات من طراز «لاندروفر» ، واجتزنا الحدود الى العراق ووصلنا الى مقر قيادة البرزاني .

وعند نزولي من السيارة كنت تعباً بعض الشيء ومنفعلاً قليلاً . وقدم الشخص الاول الذي اقترب مني نفسه الى قائلاً «السلام ، اسمي ايتان» . فاجبته «السلام ، اسمي ايتان ايضاً» .

وقد كان طبيباً اسرائيلياً ، ويقيم مع الوفد الاسرائيلي التابع لقيادة البرزاني .

وكانت الخدمة ممتازة ، وخصصوا لنا خيمة واسعة . ولم يدخر المضيفون اي جهد ليوفروا لنا ماكنا نحتاجه . وتم تشكيل وفد يتألف من ثلاثة اشخاص ، شخص فارسي ، مبعوث من لدن النظام في ايران ، واسرائيلي محلي ذي خبرة في الخدمة عند البرزاني وانا . وتم تخصيص عدد من الجنود الاكراد لحمايتنا . وصعدت المجموعة الثمينة في سيارتين «لاندروفر» ، واجتزنا الحدود عائدين الى فارس ، حيث قضينا يوماً كاملاً في الطريق نحو الجنوب ، الى المكان الذي يطلق عليه سرادشت . ومن هناك اجتزنا الحدود الثانية الى العراق ووصلنا الى قلعة دزة ، وهي منطقة عراقية واقعة على نهر دوكان ، ويمسكها الاكراد . وكان الطريق جبلياً وملتوياً . وكانت العجلات تئن وهي تسير . وكانت علامات الحرب واضحة . وكانت البغال ممزقة بتأثير الهجمات الجوية والتجهيزات متناثرة في المنطقة .

وقضينا الليل في البلدة المهجورة ، التي لم يبق فيها سوى القليل من السكان . جميعهم مجندون في الجيش الكردي ، من سن العاشرة وحتى المشيب ، اما النساء والاطفال فقد تم ابعادهم عن منطقة القتال . وعند الصباح غادرنا المنطقة راجلين واجتزنا النهر وسرنا على طول امتداده باتجاه سد دوكان وصوب المواقع العراقية .

وكانت طائرات عراقية من طراز «سوخوي» تحلق في الجو ، حيث قامت بقصف اهداف لاتبعد كثيراً عن خط مسارنا . وعند ما اقتربنا الى المواقع العراقية الواقعة في قمم الجبال سقطت علينا قديفة مدفع . فقد شاهدنا العراقيون من الاعلى . ووجدت ملجأ لي في ظل صخرة كبيرة ولم اتخل عن كاميرتي . وقمت بتصوير عملية سقوط

القذائف وكذلك الشخص الايراني الذي كان هائجاً من فرط الخوف . في مقابله كان المقاتلون الاكراد قد اعتادوا على عمليات القصف ، حيث اتخذوا لهم ملجأ وانتظروا بهدوء الى ان خفت القصف . وعدنا الى القرية .

وكان يلفني احساس غريب ، حيث لم يخبرن اي شخص بهدف ، رحلتنا وماهي الغاية الاخيرة . لقد كنت بصحبة اناس غرباء ، لم نناضل معاً على الاطلاق . وكانت خلفيتنا مختلفة قليلاً ، وكنت اناشد الاكراد الذين يرافقوننا ، للكشف عن مسعانا . وكانوا يرددون بغموض : الى الجبال . وتساءلت كم من الوقت سنبقى في مسارنا . ويبدو انهم كانوا يردون بكلمات مقتضبة .

وقررت مع نفسي ، اذا كانوا هم هكذا ، فسأكون مثلهم ايضاً . لن اسأل ، ولن اتحدث . واذا استمر مسيرنا اسبوعاً ، اسير اسبوع كذلك . واذا لم يكن عندكم خطة ـ نسير بدون خطة . واذا كان عندكم خطة ـ نفذوها وانا معكم .

وكان على مايبدو ان لديهم خطة . الاانهم غير ملزمين باشراك الغريب فيها . وكنا نسير ، ونتسلق الطرق الجبلية صعوداً . وكان الاكراد يحملون معهم بنادق ذات سبطانة طويلة ، ربما تصل الى المترين . ولم يكن مهماً حداثة البندقية او قوة الشخص الذي يستخدمها او دقتها ومداها ـ اذ ان المهم هو طول السبطانة . فكلما كانت اكثر طولاً ، كلما كانت اكثر جودة وكانوا يطلقون على البنادق التشيكوسلوفاكية القديمة اسم «برنو» وكان كل كردي عبارة عن خزانة ملابس متحركة . فاذا كان فقيراً يكون عنده قميصان وزوجان من البناطيل ، حيث يلبس احدهما على الاخر . فاذا اصطلح حالة اصبح عليه اربعة قمصان واربعة ازواج من البناطيل ـ يلبس احدهما فوق الاخر . اما اذا كان «غنياً» فانه يملك ثمانية قمصان وثمانية ازواج من البناطيل ـ ويصبح خزانة ملابس متحركة .

وفشلت . فقد قررت ان لااوجه اية اسئلة ، بيد انني لم اتغلب على فضولي وتساءلت : «ماذا ، هل الجو بارد ام ماذا ؟» فاجابوا : «كلا ، ليس بارداً . كل مافي الامر هو انه ليس لدينا مانضع ملابسنا فيه ، ليست لدينا بيوت . هكذا فان كل مانملكه كنا نضعه علينا دائماً» .

كنا نتسلق انا و «صناديق الملابس» الجبال وننظر الى الاسفل ، الى الوادي والى قطيع الاحصنة الذي كان يحرسه اثنان من الغلمان الاكراد . وكان الاكراد قليلي الكلام والمشاعر . فكل شيء من اجل الحرب . فبعد حديث قصير ، صادروا الاحصنة وسرجوها بامتعتهم . واصبحنا الان قافلة من الركاب . واصطحبنا غلاماً واحداً فقط ماشياً . وكنا نسير في منطقة جبلية رائعة الجمال واجتزنا غابات من اشجار التوت

والاجاص البري . وكانت المنطقة مليئة بالينابيع وعلى افواهها حجر وقدح من المعدن . فكانوا يدحرجون الحجر ، ويغطسون القدح ويروون العطشان ، ثم يعيدون الحجر ويضعون القدح عليه .

ولم تكن لديهم ارزاق طواريء او طعام او بسكويت . لم يكن لديهم اي شيء . ولكنهم أوقفوا الاحصنة بالقرب من شجرة محملة بالاجاص البري . وصعدوا على الاسرجة وقطفوا اجاصاً طازجاً ـ اية سعادة هذه . اين هي الحرب ؟ وسرنا ساعات طوال . وأنّت عظامنا من فرط التعب . فكنا ننزل من الاحصنة عندما تتوتر اعضائنا ، ونسير بقية الطريق راجلين .

ووصلنا الى قرية صغيرة ، تنتشر فيها بيوت بائسة . لم اطلب شيئاً ، اذ من المؤكد ان يشتري الاكراد طعاماً من هنا . بيد انهم لم يفعلوا . وكانوا يتصرفون باساليب تبدو غريبة في نظري ، وجيدة في نظرهم . فكانوا يتشاورون فيما بينهم ، وقرروا بسرعة لاي بيت يتوجهون . وجلسنا عند باب البيت ولم يطرقوا الباب ، ولم يطلبوا شيئاً . كانوا يتبادلون سيكارة ، وينفثون حلقات من الدخان ويتحدثون بهدوء . ثم فتح الباب واطل منه امرأة ، وبعد ان القت نظرة سريعة اختفت ثانية . وبدأت معدتي الخاوية تئن من شدة الجوع . ماالذي يفعله الاكراد هنا ؟ لن اسأل ولو كلمة واحدة .

وفتح الباب ثانية . وجاءت الصينية الاولى ، ومعها صحن مليء بالبيض . بالاضافة الى الخضراوات الممتازة . وكنا نأكل بصمت ومثابرة . وختم الشاي الرائع وليمة الملوك هذه . وقاموا دون ان ينبسوا ببنت شفة ، لاسلام ، ولاشكر . وامتطوا السروج وساروا . ولم يعد في مقدوري ان اتمالك نفسي ، حيث خرقت الصمت ثانية متسائلاً : «اولئك اناس فقراء ، وقد اكلنا طعامهم ، لماذ لم تدفعوا لهم ؟» فحملقوا بي بنظرات غريبة تنم عن الدهشة وربما الاشمئزاز ، وقالوا : «انهم ليسوا في حاجة الى المال . فمادام عندهم الاغنام ـ عندهم الجبنة . ومادام عندهم الحنطة ـ عندهم الخبز . ومادام عندهم الارض ـ عندهم الخضروات . مالذي يفعلونه بالنقود ؟ ان هذا الامر يعد مشاركة في الحرب .

وعند المساء وصلنا الى منطقة كبيرة نسبياً . وكان الدرب الموصل اليها معبداً . وكان الوقت منتصف الليل . وكان الغلام الذي اخذنا الاحصنة منه يمشي وراءنا منذ الصباح . فكان يقطع الجبال ، ولم تبدو عليه اية علامات للتعب ، ولم يبد اي احتجاج . فاعادوا اليه الاحصنة ، فلم يتلكأ ، بل قفل عائداً مع احصنته كما جاء .

وبقينا في انتظار مركبة تجمعنا ، حيث تناولنا طعاماً هنيئاً من لحم الغنم المشوي

والجبنة وقفلنا عائدين بسيارة الى مقر قيادة البرزاني ونحن منهوكي القوى ، وسقطنا على الارائك في الخيمة ، واستغرقنا في النوم قبل ان تصل رؤوسنا المضاجع .

وعند الصباح كانوا على اتم الاستعداد لاستقبالنا . وقرر البرزاني وفقاً للهمس الذي كان يدور ـ زيارتي في خيمتي ، وهو الامر الذي لم يحدث سابقاً ، كما فهمت . وطلبت مهلة لاعداد نفسي للزيارة . فاغتسلت وحلقت ذقني في الجدول الذي كان يسري بالقرب من الخيمة . ولبست ملابس الاكراد ، وكنت في متعة لايمكن وصفها مع «الشروال» الواسع . كانت راحة غير اعتيادية ، حيث ان في مقدرورك ان ترفع رجلك ، وان تقفز وتنام ، دون ان يتفتق لك شيئاً من ملابسك ، ودون ان ينفتح سروالك من الامام . فقد كان كل شيء واسعاً . وبدأت اصلي من اجل ان يعودوا في اسرائيل الى هذه الملابس ذات مرة . ماعليك سوى ان تربط الحزام ـ وكل شيء سيكون على مايرام .

استقبلنا الزعيم الكردي عند باب الخيمة . وكان البرزاني يسير في المقدمة ببطء ، كان مهيباً ذا زعامة وسلطة . وكان ولداه يسيران الى جانبيه ، ومن خلفه مرافقوه الشخصيون . وتعانقنا وقدم لي سيفاً معقوفاً . ومرصعاً بنقوش من الذهب . وكان المترجم يترجم عن لسانه : «انا اقدم لك هذا السيف لاننا نحترمك جداً ونعرف بانك قدمت المساعدة لنا . وانا اقدم لك هذا السيف العريق رمزاً للتقدير . لقد قص علي مرافقوك حول تصرفك اثناء القصف العراقي في قلعة دزه» .

وتعانقنا بعد ذلك ثانية وتبادلنا عبارات المجاملة والتهنئة وقام المصورون اللطفاء باحياء الموقف بالتقاطهم الصور التذكارية . وعندما افترقنا علمت ان السيف الفخم لم يكن بمثابة مكافأة لي على اعمال جيدة في السابق فقط . وانما لامالة مشاعري نحو رغبات الزعيم القوي في المستقبل ، وكان يطمح برأي ايجابي مني .

واتممنا استعداداتنا لاداء الجزء المركزي من جولتي . وخرجنا في دورية على امتداد الطريق في شمال كردستان ، والذي يربط بين العراق وايران وعند منحدر هذا الطريق ، في العمق العراقي . تقع بلدة راوندوز ، التي تتمركز فيها فرقة عراقية ، وتستهدف القوات العراقية هذه مهاجمة الاكراد ، ومن اجل ذلك كانوا في حاجة الى رأيي في هذا الشأن . وتقدمنا بحذر باتجاه الحاجز الكردي الاخير ، الواقع قبالة القوات العراقية . ولم يكن هناك اي سبب يدعونا للتعجب من اساليب الحرب الغريبة هذه ، التي تختلف في قواعدها عن الحرب التي نخوضها . فقد وصلنا الى الحاجز الكردي الاخير امام القوات العراقية ـ وكان «حاجزاً» لكل شيء وكان عبارة عن شذابة شجرة ، او فرع من

شجرة اليوكالبتوس ، ملقى على عرض الشارع . حيث يجلس مقاتل كردي ، مسلح ببندقية برنو ذات السبطانة الطويلة في مخبأ يكمن في صخرة ويقوم بمراقبة الاعداء ، اي القوات العراقية . واخذنا بمراقبة القوات العراقية في هضبة صغيرة ، ومن هناك «ابحرنا» شمالا بواسطة احصنة الى المنطقة التي كان يقيم الاكراد فيها معسكرات ومدافع في حضن الطبيعة .

وقضينا الليل عند منحدر احد الجبال العالية . ومنحدر شديد كان هناك . وبشكل غير متوقع تتوارد الى الذهن خواطر بانك ستتدحرج نحو الاسفل واختار كل واحد منا نوع شجرة لاسناد القدمين عليها عند النوم ، حيث ان رؤوسنا كانت الى الاعلى باتجاه اعلى السفح . وارجلنا تضغط بشدة الى فرع الشجرة نحو اسفل المنحدر فالنوم بحذر يعد شعوراً جديداً . حيث يصعب عليك السيطرة عند دورانك قلياً الى اليمين او اليسار لئلا نسقط نحو الاسفل .

وعند الصباح دغدغ شذى رائع انوفنا وبدأ الاكراد بشوي الخبز وبقلي البيض . وتناولنا وليمة الملوك في حضن الطبيعة ونسينا ان الحرب تجري والدماء تسفك هنا . فقد كان شيء ينبض بالحياة الريفية .

وكانت محطتنا القادمة : مخيم كردي . في حضن الطبيعة ، حيث الحياة البسيطة والاشخاص البسطاء المدهشون كانوا صعبي المراس ، لطفاء المظهر وذوي كرامة يكتفون بالقليل ومستعدون للتضحية بحياتهم في الحرب من اجل حقهم في الاستقلال يقتصدون في كلامهم وتشعر بميل سريع نحوهم دون اللجوء الى اساليب التقرب المتواصلة .

وقررنا اجراء مسابقة دولية في اطلاق النار ، حيث كان الفارسي يمثل ايران ، واحد الاكراد يمثل كردستان ، وانا امثل جيش الدفاع الاسرائيلي . وكان الهدف غلاف علك موضوع على عصا . على بعد ٢٥ م وكانت بنادقهم الطويلة هي السلاح وكان الاضطراب يسود الاكراد حول كيفية توضيح مسألة تبذيرهم للذخيرة لقادتهم . وكان عدد الاكراد ثلاثة . واخذت على نفسي مسؤولية المجازفة . وبدأنا باطلاق النار ، فاخطأ الكردي ، وكذلك الايراني وفرح الاكراد اذ على الرغم من انهم كانوا يتلقون المساعدة من الايرانيين الا انهم يكرهونهم وجاء دور جيش الدفاع الاسرائيلي فاطلق النار واصاب الهدف وارتفعت مكانته عاليا . وصرخ الحاضرون فرحاً .

وراودني شعور مؤثر عند السفح ليلاً . فقد اثار الصبية الاكراد المقاتلون في داخلي اهتماماً خاصاً وتقديراً . كانت اعمارهم تتراوح بين العاشرة والحادية عشرة ، وكانوا كتومين بشكل بارز ، وذوي قدرة على التحمل من الدرجة الاولى . ليس هناك امر

صعب او غير ممكن . كانت ارادتهم صلبة كالحديد . وقد اسر احدهم قلبي بشكل خاص . كان غلاماً جميلاً للغاية ، ذا نظرة ساحرة كان ينصت ويستوعب وهوصامت وكان في محفضتي مطواة سويسرية الصنع ، مع شفرات ومفاتيح لمختلف الاستخدامات تعد مطمح كل غلام اسرائيلي اعتيادي . وفكرت الا يستحق غلام كردي كهذا ان يحصل مني على المطواة . وبدأت النار تشع بالدفء وتبعثرت الاغصان . وبدأ الاكراد بترديد الاغاني الخاصة بهم . وساد السكون بعد ذلك فاخرجت المطواة وقدمتها الى الغلام ابن العاشرة . ولم يكن في الامكان اخطاء نظرته ، فقد انقدت عيناه . وكان مندهشاً للحظة . اذ بسط يديه ثم عاد وسحبها . فهذا الغلام الكردي ، يمتلك كرامة وهو لايستلم هدايا من شخص غريب . وناشده المسنون الذين كانت لهم مكانة خاصة في المجتمع الكردي ، لقبول الهدية الا انه كان عنيداً ولم يرض . واستمر التوسل ساعات طوال ، اذ حتى الشيوخ لم يكن تقديرهم جيداً بخصوص صلابة وقدرة الغلام على مجابهة الاغراء . وفي الساعات الاولى من الصباح لان الغلام ومد يده وامسك المطواة باصابعه النحيلة وهو يحول نظره عني لئلا اشاهد فشله . وتعلمت في هذه الليلة عن طباع واخلاق الكردي اكثر مما تعلمته في قراءة الكتب المتواصلة .

وعدت الى اسرائيل عن طريق طهران . ففي طهران كنت ضيفاً رسمياً لدى الايرانيين ، وضيفاً غير رسمي لدى المدربين الاسرائيلين ، الذين كانوا يدربون المزارعين الاكراد . وشعرت بالاسف ، اذ ان النتيجة التي قدمتها خيبت امل البرزاني والمضيفين الاكراد . فقد كانوا مقاتلين مدهشين ، وفخورين واقوياء ، الا انه لم يكن في مقدورهم استيعاب وسائل القتال الحديثة ، وتنفيذ عمليات مكشوفة ضد الجيش العراقي .

وفي ربيع عام ١٩٧٠ ، وقبل شهرين من الاتفاق الاسرائيلي ـ المصري بشأن وقف اطلاق النار الذي وضع الخاتمة لحرب الاستنزاف في قناة السويس ، ثم تنفيذ الهجوم الكبير الذي قامت به كتيبة «شيكـد» من قيادة المنطقة الجنوبية ، في الجانب الغربي من القناة . وتعد هذه العملية ذات مدى واسع من حيث ابعادها ، فقد كانت غارة ليلية ، اشترك فيها المشاة فقط . فقد اجتازت القوة القناة من شمال القنطرة وهاجمت مواقع وقوات مصرية في منطقة واسعة على امتداد القناة . وبدأت جموع المصريين في الهروب من المنطقة . وكان تأثير العملية واضحاً ، اذ توقفت بعدها الغارات والكمائن المصرية في الجانب الاسرائيلي ، شرقي القناة ، ولم تستأنف ثانية .

والامر المثير في القضية هو ان هذه العملية تم تخطيطها بكافة تفاصيلها من قبل قيادة المنطقة الجنوبية وباشتراكي ، بوصفي كبير ضباط سلاح المظليين والمشاة وذلك قبل فترة

طويلة نسبياً من تنفيذها وقد حدث التأخير نتيجة لاختلافات مبدئية في الرأي بين مستويات القيادة ، حيث عارض رئيس الاركان العامة مسألة تنفيذ العملية لاسباب مختلفة ، ولم تثمر محاولات اقناعه بحيوية العملية واحتمالات نجاحها ونتائجها الايجابية . ويبدو انه ليس هناك ضرورة للكلام لان رئيس الاركان العامة هو الذي يحدد وان رأيه الوحيد يأخذ بنظر الاعتبار دون جميع الاراء الاخرى . وكان الخلاف هو ذروة النقاش حيث هاجم قائد منطقة الجنوب ، اريك شارون ، وانا بالاضافة الى عدد من الضباط الكبار رئيس الاركان العامة بجميع التعابير الممكنة وطلبنا منه بشدة ان يصادق على عملية الاغارة الليلة . ولم يتحرك برليف ، الا انه وازاء الهجوم المركز وافق على ان يطرح الخلاف على طاولة وزير الدفاع موشيه دايان . وسمع دايان واستوعب الخطة . وانصت الى اسباب معارضة برليف ، واجاب باختصار : «لماذا لم تطرحوا هذه العملية علي الى هذا اليوم؟!» الغيت معارضة برليف ، وبدأت الاستعدادات بسرعة كبيرة ونفذت العملية بنجاح كبير .

وفي منتصف عام ١٩٧٢ ، وبعد حوالي اربع سنوات على منصب كبير ضباط سلاح المظليين والمشاة ، ومشبع بخبرة قتالية مستمرة ومتنوعة ، ولي خبرة بتطور اساليب القتال والاسلحة الحديثة ، طلب رئيس الاركان العامة وضع نهاية لمهنتي العسكرية ولخدمتي في جيش الدفاع الاسرائيلي . وارسل في دعوتي الى مكتبه وقال لي بلهجة حاسمة : «رفول ، هذا يكفي . عليك ان تذهب الى البيت . انت الان جنرال [كنت احمل رتبة عميد ثان] وستستلم تقاعد جنرال . هذه هي نهاية خدمتك» . لقد نزلت علي اقواله كالرعد . لم تكن لي اية نيه للاعتزال كنت اطمح في خدمة متواصلة وبمناصب كبيرة اخرى . وافترقت عن برليف دون ان اجيب . اذ ربما اعتقد باني في حاجة الى وقت لاهضم تعليماته . وتشاورت مع نائب رئيس الاركان العامة ورئيس شعبة العمليات ، عيزر وايزمان ، واشار لي بان اتجاهل اقوال برليف . وكانت تلك مشورة حسنة ، حيث عملت بها . اذ تم عزل برليف بعد فترة من الوقت وعين دادو [دافيد اليعازر] رئيساً للاركان العامة بعده .

وخابت توقعاتي في ان تبدأ الان فترة جديدة وتتغير العلاقة الغريبة تجاه المظليين وسلاح المشاة وكذلك العلاقة الشخصية ازائي على وجه السرعة فسلاح الدروع كان ومازال السلاح الفعال . حيث املى رغباته وكانت احتياجاته تستجاب في الدرجة الاولى . وانخفض وزن سلاح المشاة .

وكانت سنوات الخدمة الاربع كضابط سلاح المشاة كافية بالنسبة لي . وبحثت عن امكانية استبدال الوظيفة . رغبت ان اكون رئيساً لقيادة منطقة الشمال ، الا ان العميد

موطي غور ، قائد المنطقة ، لم يفتح ذراعيه امامي وعارض بهذا مسألة تعييني بهذا المنصب . وفي احدى اجتماعات القيادة العامة تبادلت الملاحظات مع رئيس الاركان العامة اليعازر على قصصات باللغة العربية . وتعد هذه بمثابة «الكتابة الخاصة» السرية بيننا . سألته فأجاب ـ واتفقنا ، بأن اعين قائداً للفرقة المدرعة الاحتياط في الشمال ونفذ التعيين بالاضافة الى مواصلة الدراسة في العلوم السياسية في جامعة حيفا .

وبدأت بتدريب الفرقة ، واقمت ميداناً للدبابات وساحات لاجراء التدريبات ، الامر الذي اثار غضب «مؤسسة الدروع» عليّ ، اذ كيف واتتني الجرأة وانا ـ المظلي وليس الدرع ـ على اقامة ميدان كهذا ، الذي يعد من ابرز اختصاصات الدروع . لقد تجرأت ، وكانت المحصلة جيدة وعملية . واستولى الغضب الشديد على برن ، قائد سلاح الدروع ، الذي جاء لزيارتنا ، والقى بكتب التوجيه الخاصة بنا بقوة متناهية ، وملأ الدينا زعقياً . وخجل رجال الدروع لتصرف قائدهم ، ووقفوا حاسري الرؤوس ، واخفوا وجوههم في الارض . فقد كانت ثورة حمقاء وطفولية . وكان ذلك الحادث قبل اشهر معدودة من حرب يوم الغفران . وعندما نشبت الحرب ، وتأرجح مصير دولة اسرائيل على أكفة الميزان ، قال رجالي : «ان هذا الميدان قد انقذنا . لقد كنا مُدَّربين» .

ولم يدعني برن (العميد ابراهام ادن) وشأني . اذ بعد مرور فترة قصيرة على ثورته في ميدان الفرقة ، أرسل في طلبي الى مقر قيادة الدروع في تل أبيب ، وشن عليّ «حرب البيرية» . وطلب مني ، بلطف في البداية ثم تدريجيا بغضب متزايد ، ان ارفع بيرية المظليين الحمراء ، واعتمر بيرية الدروع السوداء ، لكوني قائد فرقة مدرعة رفضت . فتملكه الغضب وتكلم بصلافة شديدة حول امور لاعلاقة لها البتة مع لون البيرية واتحت له مواصلة غضبه الى ان انتهى فقلت له : «انا مظلي وسأبقى مظلياً ، وفي اي دور اقوم به انت لم تعيني قائداً للفرقة المدرعة ولن تنزل لي بيريتي الحمراء» قمت بعدها وخرجت وعلى رأسي البيرية الحمراء ، كما هو حالي دائماً .

وفي فبراير ١٩٧٣ ، انهت الفرقة تدريباتها . وكان احد الالوية يجري عملية تحوير الدبابات الى معدات اكثر تطوراً . وقد ساد التوتر ربيع وصيف ١٩٧٣ . وتمركزت الفرقة في معسكرات جديدة في القاطع الشرقي . وكان في مواجهتها السوريون حيث بدأوا تكثيف قواتهم الكبيرة . واحسست في اعماقي بان الحرب ستكون هنا . لن يكون حادثا وانما معركة . هذا ماكنت اشعر به ، وهذا ماقلته لاعضاء القيادة في الفرقة ، ولقادة الالوية والكتائب ، وفي كل مجموعة اوامر ، وفي كل تعليمات نهائية .

الباب الرابع

حرب يوم الغفران

الباب الرابع
حرب يوم الغفران

السوريون يهجمون

قبل اسبوع من الحرب . كان في مقدوري انذاك ان اسمع الساعة وهي تتكتك : الحرب ، الحرب ، الحرب . وكان من الصعب عليّ ان افهم كيف ان القيادة العليا لاتشعر مثلي . فقد كانت الدلائل ظاهرة الى حدما ، وواضحة الى حدما .

قبل اسبوع من الحرب . كان الخدر يسري في مشاعرنا لم نعمل كل ماكان ضرورياً ان نعمله . ففي تمرين التعبئة الذي كنا نجربة في احد الالوية تم تسليح دبابات كتيبة واحدة . حيث بقيت الدبابات انذاك في مستودعات الطوارئ بدون ذخيرة . اذ كنت قد استلمت الموافقة على الكتيبة المسلحة . وفي يوم الأحد ، في أوائل الاسبوع الذي نشبت الحرب القاسية في نهايته ، في يوم الغفران ، توجهت الى رئيس هيئة اركان المنطقة الشمالية وقلت له : «ان الحرب تقترب ، وليس لدينا الوقت الكثير . لنزرع الالغام . لنزرع ملايين الالغام في الايام القليلة الباقية . ينبغي تعبئة المنطقة باكملها ونزرع الالغام في هضبة الجولان . هيا لنزرع !» وأومأ رئيس هيئة الاركان برأسه موافقا . بعدها بدأ النشاط بشكل واسع . وشرع بزراعة الالغام ليس في الكمية والحجم اللذين طلبتهما ، ولكن الاقل من هذا اثبت حيويته بالنسبة لايام معدودات .

لقد شعرت بالحرب بكل عظمة من عظامي . فقد سمحوا لي بابقاء الدبابات مدججة بالسلاح في مستودعات الطوارئ بعد تسريح كتيبة الاحتياط . وكان ضابط الاستخبارات يدخل اليّ كل صباح كي يطلعني على التطورات في استعدادات السوريين . ففي كل صباح كنا نقول احدنا للاخر : «لقد نقص يوم على بدء الحرب» . لم يكن هناك ادنى شك بصحة هذا القول .

وفي نهاية الاسبوع ، تقدم اللواء السابع نحو الشمال . وقد جاء بدون دبابات ، ثم جُهّز بدبابات فرقتي [لاتوجد فرقة بالتنظم العسكري الاسرائيلي ، بيد انه يتم تشكيل مايعادل فرقة عند وقت الحرب يطلق عليها اسم أوكَداه . المترجم] ـ في البدء بدبابات السنتوريون المسلحة ، ثم بدبابات اخرى بعد ذلك .

وفي مساء يوم الجمعة ، عشية يوم الغفران ، كان ضباط اللواء السابع وضباط قيادتي مجتمعين في مكتبي ، حيث تبادلنا الكثير من الاحاديث ، ورفعنا كوؤسنا بتهنئة بسيطة «النصر في الحرب» ، ثم عاد الضباط الى جنودهم .

ولم يتم التصديق على التعبئة الا في صبيحة الغداة . حيث بدأ النشاط المحموم انذاك لاعداد الدبابات والتجهيزات . وتم استدعاء قادة الالوية والكتائب الكبار على عجل . حيث ان المهمة المحددة لناهي : ان تكون فرقتي واللواء المحلي النظامي واللواء السابع الذي وصل من الجنوب ـ هي المسؤولة عن حماية الجولان من الهجوم السوري .

وفي يوم السبت ، يوم الغفران ، وفي الساعة الواحدة ظهراً وصل اليّ نائبي مين (العميد الثاني مناحيم ، أفيرام ، والذي كان قائداً في سلاح المظلات) . واستقبلته عند بوابة المعسكر . وتساءل مين بلهجة تنطوي على قدر ما من التهيج «اين الحرب ؟» . ونظرت في هدوء في ساعتي واجبت ، «ستبدأ الحرب بعد ساعة بالضبط ، في الساعة الثانية» . ولم اندهش عما اذا كان مين قد فكر بانني اخبرته بمعلومات في حوزتي . حيث انه لم تكن عندي اية معلومات كهذه ، او من اي نوع كان . لقد اخبرته بتقديراتي فقط .

لقد ابتدأت الحرب بعد ساعة بالفعل ، اي في الساعة الثانية . وسقطت بالقرب منا قذائف المدفعية بعيدة المدى ، عيار ١٨٠ ملم . وعملنا بسرعة مجنونة . لم اكن اعرف اي شيء عن ابعاد الحرب ونوايا العدو وحجم الهجوم واهدافه . وبدأنا في استقبال جنود احتياط . وتم وضع الحاجيات في الدبابات . وعند الساعة الرابعة بعد الظهر مّر قائد المنطقة العميد حوفي (ولقبه حاقا) وتوجهنا سوية مع رجال قيادتنا الى هضبة الجولان ، الى منطقة نفاح ، في غضون ذلك ابقيت نائبي ورئيس قيادتي في مكتبي وذلك من اجل تنظيم الفرقة وتنفيذ اوامري التي سأرسلها من هضبة الجولان .

وقد وردت الينا تقارير في نفاح مفادها بان النيران نشبت على عرض الجبهة ، والدبابات السورية تجتاح بجموعها صوب الهضبة وبقيت الصور غامضة ، حيث لم يتوارد الى معالمنا شيء عن حجم الحرب ، وما هو مركز ثقل الهجوم السوري . وبقيت مرابطا لقائد المنطقة الذي ادار الحرب حتى منتصف الليل ، ثم نقل مسؤولية ذلك اليّ وغادر .

بعد ذلك بدأت في الوصول قوات تابعة للفرقة ، حيث وجّهت من قبلنا الى قواطع القتال التي تسودها أوضاع خطيرة وذلك وفقا للتخمينات ـ وليس وفقا لمعلومات تفصيلية . وقد وجّهت القوات الى القاطع الجنوبي على وجه الخصوص . حيث ان

الضغط كان اقل ثقلا في القاطع الشمالي ، وذلك وفقا للتقارير الجزئية والناقصة . في الوقت ذاته اتخذ اللواء السابع مواقعه في القاطع الاوسط .

وعندما غادر قائد المنطقة في منتصف الليل ونقل اليّ مسؤولية حماية الجولان ، علمت باننا غارقون حتى اعناقنا في وحل عميق . وكنا نعتاش على الاشاعات . لم يكن هناك اي شخص يعرف ان يقول اموراً واضحة وصريحة ومدفقة . هناك من تحدث عن دبابات سورية تطأ مواقعنا . ولم يعلم اي شخص منا شيئاً عن مركز ثقل الهجوم السوري . وهناك من تحدث عن وجود طائرات عمودية في جبل الشيخ . وقال احد الاشخاص ، «انها طائرتنا» . لم يكن هناك اي شخص يعلم ان جبل الشيخ قد اصبح بيد السوريين .

بعد ان استلمت مسؤولية قيادة الفرقة ، ارسلت تعليماتي الاولى الى قائد اللواء (١٨٨) بن شوهام ، التي كانت تنص على ان يخرج من ملجأه الذي كان يقود لواءه من داخله ، حيث كان منتشراً في هضبة الجولان باكملها ، وان يقود قواته في القاطع الجنوبي . وكان هناك امر واضح في تلك الساعة القاسية والغامضة وهو ، ان الوضع في القاطع الجنوبي كان اقسى من جميع القطاعات في الجبهة . علاوة على ذلك كان قائد المنطقة قد أمر قبل ذلك باخلاء المواقع في القاطع الجنوبي . وتم اخلاء الاطفال والنساء من هضبة الجولان . حيث ان المستوطنات لم تكن منظمة ومحصنة كما ينبغي ولم يتم اصلاح هذا العيب الخطير الا بعد الحرب فقط . وعليه فان المستوطنات لم تكن في وضع يسمح لها بالمشاركة في صد السوريين خلال الحرب . وقد اتسعت المناقشات حول هذا الشأن في الايام التي سبقت الحرب ، وفي النهاية كان القرار بصالح وجهة النظر التي تقول ان سلاح الدروع هو الذي سيقوم بكل شيئ ، ويشاركه سلاح الجو في معالجة الامور التي لايتمكن من اداءها لوحده . وتبدو عملية الدفاع الاقليمي القديمة ، والتي اجتازت اختبارات كثيرة ، عملية لالزوم لها وبمثابة هدر للوقت . وهانحن نتلقى صفعات وحشية على وجوهنا ، فقد اثبت الواقع ان الدروع لاتملك القدرة الكاملة ، وسلاح الجو كان محدداً في عملياته وفي قدرته على صد هجمات مكثفة كهذه في منطقة مشبعة بالصواريخ ضد الطائرات التي لم تتم مهاجمتها وتدميرها سلفاً .

لقد حرصت على استغلال ساعات الليل المعدودة ، وحتى ضياء الصباح الاول ، بحماس من اجل تنظيم مركز القيادة للسيطرة على هضبة الجولان باكملها ، ولجمع التقارير بشكل منظم حول الوضع في القواطع المختلفة ، بالاضافة الى احداث التغيرات في الخرائط وفقا لاستعدادات القوات السورية . وبدأت في توجيه قواتنا وفقا لوضع القوات السورية التنظيمي والهجومي . وكانت الكتيبة التي سلّمت دباباتها الى اللواء

السابع في حاجة الى دبابات اخرى ، ثم استلمتها في مفترق غولاني ، وكانوا بعيدين عن الجبهة . واصدرت تعليماتي اليهم بتقصير الطريق والصعود الى الدبابات في محور العال . وقد كشف لي الملاك الطيف الذي كان يرفرف في السماء ويتابع خطواتي عن الاشارة الاولى ولم يتركني في تلك الساعة الحرجة ، فقد وصلت الكتيبة التي كان يقودها يوسي عامير الى المنطقة الواقعة قبالة الطرف السوري بالضبط ، مقابل القوات الامامية للفرقة السورية التي هاجمت ذلك القطاع . حيث ان الطرف السوري كان قد عبر رمات مغشيميم وكان قريباً جداً من المنحدر المؤدي الى بحيرة طبرية ، بالقرب من هضبة يوآب . وقد صدت الكتيبة الزحف السوري ولم اكن راغبا في التفكير بما سيحصل لو ان الطرف السوري كان قد نجح في عبور بحيرة طبريا . فالقوات المتقدمة للفرقة السورية تم صدها في مفترق حسنية . بيد انه لم تكن هناك اية قوة امامهم في محور رمات ـ مغشيميم ـ عين جاب . وقد سحقت القوات السورية في ساعات الليل قوات صغيرة ومتفرقة للواء (١٨٨) . وفي ساعات الصباح اصطدمت مع الكتيبة التي يرأسها يوسي عامير ، وتم صد هجومهم ، وكانوا على قيد خطوة من تحقيق الهدف السوري وهو : بحيرة طبريا .

وقد اصدر شخص ما تعليماته في اخلاء عين ـ جاب وتل القصير . ووصلت قوات اسرائيلية اخرى لمحور يهوديا ـ حسنية ، حيث اصطدمت مع السوريين الاوائل الذين اجتازوا غربي محور النفط ، وتم صدهم . وقد قتل في هذه المعركة نائب قائد اللواء ، جدعون تسمبل ، ابن قريتي ، ويصغرني قليلاً .

وفي فجر يوم الاحد ، اتضحت امامي صورة الوضع : لقد سقط جبل الشيخ . وعزز القاطع الشمالي موقفه ، في الوقت الذي كان الضغط السوري ثقيلا في القاطع الجنوبي والاوسط . وكان محور النفط ـ الواقع بين مفرق حسنية ونفاح ـ بيد السوريين ، الذين اتخذوا مواقعهم جيداً في المنطقة .

ولم تكن حربنا منظمة بعد . فالدبابات والمقاتلون كانوا يصلون الجبهة تبعاً . حيث ان التعليمات تفيد بان كل من نظم له دبابة او اثنين ، يذهب بها الى الجبهة دون ان ينتظر اكتمال الهيكل القتالي . وكانت الدبابات تسير في كل صوب وتم توجيهها نحو النقاط الحرجة . ودمر الجزء الكبير منها في اول تماس ناري لها مع القوات السورية في غضون ذلك عزز الجزء الباقي مواقعه وكبد السوريين خسائر كبيرة ، وعمل على اضعاف الضغط السوري ، بيد انه لم يوقف تقدم السوريين .

وفي الصباح وصلت الدبابات السورية الى اسوار نفاح ، واصبحنا محاصرين ، ولم تكن لدينا المعدات اللازمة لمقاتلتهم . واستعد السوريون لمهاجمة الاسوار ، حيث ان

دباباتهم ستسقطها خلال ثوان . ولم تكن لدي الرغبة للسقوط في الاسر السوري . وكان من الصعب ادارة الحرب من هنا وانقاذ اسرائيل من براثن السوريين . وكنا نملك عدداً من ناقلات الاشخاص المدرعة ، واصدرت اوامري بالخروج والصعود في العجلات والتوجه نحو الشمال ، غربي عليقة ، حيث كان هناك ميدان للدبابات . ومن هناك سأتصل بالقوات ولن اكون خاضعاً لضغط الدبابات السورية المباشر .

في ذلك الوقت كنت اواجه مشكلة اخلاقية . فالدبابات السورية كانت تقصف نفاح قصفاً مركزاً . كانوا يتخذون لهم مواقعاً على الاسوار ويطلقون . وكان لدينا عدد من ناقلات الاشخاص وسيارة جيب واحدة ، وان من سيذهب في سيارة الجيب سيكون مكشوفاً لقنابل السوريين ، فهل يكون لي الحق بان اصدر تعليماتي لاي شخص كان للانسحاب في سيارة الجيب ؟ كلا . حيث انني لست مخولا باصدار التعليمات في مثل هذه الظروف الالنفسي فقط . ووفقاً لذلك صعدت المجموعة القيادية المتقدمة في ناقلات الاشخاص المدرعة ، وبدأت في تشغيل سيارة الجيب ، وخرجنا الى الطريق وقد حدث امران هناك ، اولهما ، وجود طاقم خاص بتلفزيون اجنبي كان يصور عملية خروجنا من نفاح ولم يبذلوا جهداً في اخفاء سرورهم وفرحهم بمصيبتنا وصاحوا : «ها ، انتم هاربون ؟ هل انتم منسحبون؟» . كنت انذاك في حاجة الى قدر من ضبط النفس ، لمواجهة اغراء الضغط على زناد الرشاشة الموجودة في الجيب . اما الحادث الثاني فهو ، ان السوريين يطلقون النار وراءنا . وكانت دباباتنا المعطوبة من جراء تقطع سلاسلها تجتاز عمليات الترميم في منطقة الهليكوبترات في نفاح ، وتطلق على السوريين . لم يكن في مقدورها التحرك ، كانت تطلق النار فقط . كان يسود المنطقة الضوضاء والدخان الاسود الكثيف ورائحة الحرب الثقيلة ، وعلى جانب الطريق كان هناك بستان فواكه صغير ، وحيوانات مرتعبة وتتدافع بينها وهي مخفية الرأس . ومرت في فكري خاطرة : لماذا ينبغي عليها ان تدفع ثمن الحرب وهي البريئة ؟

وصلنا عليقة وقت الظهيرة تقريباً . وبدأنا في التنظيم ، واجرينا الاتصال مع القوات ، وسمعنا ايضاً مالذي حدث بالقرب من قناة السويس . والان ، وبعد ان اتضحت ابعاد الحرب وحجمها ، والتنسيق بين الجيشين المصري والسوري ، تعزز الاحساس لدينا ، بان هذه هي حرب مصيرية لوجود اسرائيل . لم تحدث حرب مصيرية كهذه منذ حرب التحرير . وان نتائج هذه الحرب لن تحدد حدود الدولة او اراضيها ، وانما ستحدد وجود اسرائيل او عدمه . واقسمت ان لااعبر نحو الضفة الغربية لنهر الاردن وانا حي ، الى ان يخرج اخر جندي سوري من الجولان . واذا حكم علي ان اكون المقاتل الاخير هنا ـ سأقاتل واموت .

pages cannot be separated for imaging صفحات لا يمكن فصلها من أجل تصويرها

الامة كلها) . ولم تكن المواقع في القاطع الشمالي ، من سفوح جبل الشيخ وحتى حرمونيت ، خاضعة لضغط كبير للغاية . وقد حدث ان تسللت قوة كوماندو سورية كبيرة الى منطقة حرمونيت ذاتها والقرية الدرزية بقعاته . واغلق السوريون طريق جبل الشيخ ـ مسعادة ـ نفاح ، وهناك عند المواقع الغربية لحرمونيت اصطدمت معها قوة من اللواء السابع ، التي تكبدت خسائر فادحة في المعركة .

وفي هذه المرحلة ، لم يكن يشغلني تواجد قوات الكوماندو السورية في بقعاته الى هذا الحد . فقد بدأ الضغط السوري يتطور بدرجة كبيرة ، وبشكل هجوم مدرع في غور هباخا . وقد تعرض القاطع لنيران المدفعية الكثيفة ، ولهجوم الصواريخ والطائرات السورية . ولم تتوقف تلك النيران ولو للحظة واحدة . وفي ظهيرة يوم الاثنين افادتنا التقارير الواردة من مواقعنا الموجودة في مؤخرة السوريين بوجود قوة كبيرة من الدبابات وناقلات الاشخاص المدرعة وسيارات الجيب والناقلات والمدافع ، تتقدم نحو الجبهة ، حيث اجتازت السياج الامني وخط الحدود واقتربت من الخندق الاول لمنع عبور الدبابات ، ثم حقول الالغام المزروعة في غور هباخا . وانتشر اللواء السابع على عرض الجبهة ، من حرمونيت جنوباً وحتى القنيطرة شمالاً ، كذلك في الهضاب الواقعة شمالي القنيطرة ، وهو يخوض معركة صد بطولية . وقد عزز الموقع رقم (١٠٧) ، الموجود في مؤخرة العدو ، من موقعه ، وهو يقاتل ويرسل تقاريره تباعاً حول مايجري . ودمر المقاتلون في المواقع الدبابات السورية بقذائف البازوكا ، حيث لم يكن في حوزتهم سلاح مضاد للدبابات اجود منه .

وفي المقدمة كانت الدبابات السورية تمارس ضغطاً كبيراً للغاية . فكانوا يجتازون حقول الالغام ، وكانوا يحتشدون في نقاط العبور فوق الخنادق المانعة لعبور الدبابات ، حيث يتم تجسيرها بواسطة جسور خاصة وكان اللواء السابع يناضل من اجل حياته ويصد الهجوم السوري ببطولة . بيد ان الضغط السوري العظيم لم يكن ليوهن وذلك بفعل القوات الجديدة التي كانت تتدفق من المؤخرة . وقد افلح السوريون تدريجياً في تقريب دباباتهم الى مواقع اللواء السابع ، واجتازت قسم من الدبابات المواقع . في الوقت الذي وجدت فيه دبابات سورية اخرى طريقاً الى حرمونيت وطوقت الجناح الاساسي للواء السابع .

ولم تكن مؤخرة اللواء السابع تبعد كثيراً عن مقر قيادة الفرقة الجوال التابع لي . وكانت الدبابات تتحرك نحو الخلف للتزود بالذخيرة من جديد . ولم يكن في مقدور الناقلات المحملة بالذخيرة التقدم خوفاً من القصف السوري المكثف .

ولم يخفف الظلام من حدة الضغط السوري ، حيث نتجت اوضاع حرجة وخطيرة ،

صفحات لا يمكن فصلها من أجل تصويرها pages cannot be separated for imaging

فقد مرت الدبابات السورية على بعد امتار معدودات من دباباتنا ولم تميزها . في نفس الوقت اصاب قائد الكتيبة (٧٧) . كهلاني ، دبابة سورية كانت تقف على بعد متر واحد او اثنين منه . وفي حالات معينة وعندما تحتك مدافع الدبابات الواحدة بالاخرى ، كانت المعارك تجري وجهاً لوجه . واتضحت امامنا الصورة في صبيحة يوم الثلاثاء ، حيث كشفت لنا عن غرابة المعركة ليلاً ، فالدبابات السورية ، بعضها مصاب والاخر سليم ، كانت تقف في مؤخرة اللواء السابع ووجهها نحو الغرب ، في المنطقة الممتدة على طول طريق ماروم ـ غولان ـ الروم . واستمرت قواتنا في الوصول الى الجهة طوال الليل . واستمرت عملية ترميم الدبابات ، وكل دبابة يتم تصليحها ، تعاد فوراً الى الحرب . والقادمون من خارج البلاد كانوا يصلون الجبهة مباشرة من الطائرة . وكان الجرحى يسرعون في مغادرة المستشفيات بعد ان يحصلوا على العلاج ، بالاضافة الى ارسال طواقم الدبابات الى الجبهة على وجه السرعة .

وفي صباح يوم الثلاثاء ، اليوم الرابع للحرب ، كان الوضع حرجاً . صحيح انه قد تم طرد السوريين نحو حدودهم في القاطع الجنوبي ، وذلك بفضل الفرقة التابعة لموسى بيلد ، التي وصلت الجولان من مقر قيادة القاطع الاوسط ، الا ان الوضع في قاطعنا قد تفاقم بشكل اسوء مما كان عليه ، مع تعاظم حدة الهجوم السوري ، حيث ان اللواء السابع كان بدون تعزيزات وكان يفقد قواته باضطراد ، ونفذت ذخيرته ، وامتنعت الناقلات عن جلب الذخيرة الى الدبابات وذلك بفعل القصف السوري .

وكان يسودنا احساس مروع حيث ان كل دبابة تخلي مكانها لتنقل نحو الخلف للتزود بالذخيرة ، كانت تترك وراءها ثغرة ، استطاع السوريون الاختراق عبرها . وكان الرجال مستنزفي القوى ، حيث لم يغمض لهم جفن منذ اربعة ايام . اذ ان خيرة المقاتلين في العالم ، والذين يتملكهم احساس عميق من المسؤولية لمصير دولتهم ، ويجندون كل ذرة من القوة والارادة يبدأون بفقدان قدرتهم . فهاهم السوريون قريبون ، ويقصرون المسافات ليلاً .

وكان الاشخاص من حولي متمالكين انفسهم . بيد انهم بدأوا في مناشدتي اجتاحهم اليأس : «رفول ، نحن مرغمون على الانتقال نحو الخلف . ليس هناك خياراً» . لن ننسحب . لنتحرك نحو الخلف فقط . ولم يكن لدي جواب قاطع . ليس في مقدوري ان اقول لهم ، بانهم ليسوا على حق ، ليس في مقدوري ان اقول لهم بان هناك املاً في هذه المعركة لم يكن في مقدوري الا ان اقول لهم : «يارفاقي ، لننتظر خمس دقائق اخرى ، او عشر داقائق اخرى ، وسنعزز موقعنا ، ويتمزق السوريون» .

لقد تحدثت في الفقرات السابقة عن الملاك الذي كان يتجول في السماء . الا يظهر

الان ونحن في اشد الحاجة اليه ؟ هاهو يعود ثانية ، ذلك الملاك الطيب ، الا انه كان يقلد هذه المرة صوت يوسي بن حنان ، وكنا في ذروة الخطر ، حيث فقدنا الامل في صد الدروع السورية . ها انا اسمع صوت يوسي ـ ولكني لااصدق . كنت اسمع صوته عبر جهاز الاتصال ـ ولكني كنت اعتقد بانني سقطت ضحية السراب جراء التعب . والجدير بالذكر ان يوسي بن حنان يعد من الضباط الممتازين ، كان قائد كتيبة في هضبة الجولان ، وعندما انهى خدمته ، سافر للنزهة في جبال الهملايا . وعندما نشبت الحرب تنقل من طائرة لاخرى وحطم جميع الحواجز وتغلب على كل المصاعب ، وعاد الى البلاد وجرى مسرعاً نحو الجبهة . وجهزوا له عدداً من الدبابات ، وكل ماتوفر لديهم . والان هاهو يسألني عبر جهاز الاتصال : «الى اين تذهب ؟ اين نحارب ؟» لقد كان هذا صوت يوسي حقاً . فاجبته : «ها انا اشاهدك بالفعل ، مع دباباتك . تحرك في المحور ، وانتظر الاوامر» . واجريت اتصالاً مع يانوش ، قائد اللواء السابع ، وقلت له : «ان ابن السيد رياضة الصباح موجود هنا» . (اليس ان يوسي هو ابن من قدم برنامج رياضة الصباح في «صوت اسرائيل» لسنوات طوال) . وعرفه يانوش على الفور ، فقد كان ويوسي صديقين متقاربين . ورد علي يانوش : «ليتحرك نحو الموقع رقم (١٠٧) ، الى الموقع المعزول في مؤخرة السوريين» .

كانت القوة الخاصة بيوسي تشمل قرابة عشرين دبابة . وانضم الى الموقع رقم (١٠٧) ووجد نفسه في مؤخرة السوريين . في تلك الدقائق تحطم الهجوم السوري . ووجه يوسي مدافعه وبدأ بنشر قذائف دقيقة باتجاه الجناح السوري المهاجم ، واشتعلت النيران في الدبابات السورية وناقلات الاشخاص المدرعة والناقلات . كان يطلق عليهم من الخلف ، حيث اصبح وضع السوريين خطيراً من الناحية النفسية ايضاً ، اذ ليس في امكانهم تحقيق النجاح في التقدم نحو الامام . لم يتوارد الى معالمهم بان اللواء السابع كان على شفا الانهيار والتداعي ، على شفا التحطم الفعلي . لم تبق في الدبابات اكثر من ثلاث الى اربع قذائف في كل دبابة . وفجأة بدأ الضرب من الخلف ايضاً . واغلق امامهم طريق الانسحاب ايضاً . لقد كانوا كالمحاصرين من الامام ومن الخلف . وكنت اسمع صوت ضابط الارتباط في الموقع رقم (١٠٧) وهو يقول عبر الجهاز : «هانحن نرى الدبابات السورية وهي تلتف نحو الخلف . لقد بدأت في الانسحاب» .

وعلمت في تلك الثانية ، باننا هزمنا الهجوم السوري المرعب ، والذي استمر لاكثر من اربع وعشرين ساعة متواصلة .

وعند الظهيرة خبت النيران . وكان الفرار السوري اشبه بدراما تخلب الالباب . فقد تركوا معداتهم ، والكثير منها سليماً ، ومستعداً للمعركة ومحملاً بالذخيرة . وهدأ القاطع .

وفي مساء يوم الثلاثاء سمحنا لانفسنا بان تغمض عيوننا ساعة واحدة . وفي الغداة ، اليوم الخامس للحرب كانت هضبة الجولان باكملها في ايدينا . وبدأنا بتحضيرات محمومة لتنظيم القوات ، وتزويد الدبابات بالوقود والذخيرة ، وذلك من اجل اختراق هضبة الجولان السورية . واستلمت لواء مظليين ، بعدها قمنا بتمشيط القنيطرة ، وكانت خاوية . فقد هرب السوريون . وارسل قائد منطقة الشمال برقية الى رئيس الاركان العامة مبشراً اياه بان «هضبة الجولان في ايدينا» . هذه الكلمات القلائل كانت تخفي وراءها بطولة المقاتلين السامية .

والان ، وبعد ان استرجع جيش الدفاع الاسرائيلي سيطرته على هضبة الجولان ، وبعد ان فر السوريون بانفسهم جراء الهزيمة والاندحار ، على الرغم من بدايتهم الخيالية ، سيكون في مقدور قائد منطقة الشمال ، العميد حوفي (ولقبه حاقا) ان يجتاز وللمرة الاولى نهر الاردن نحو ضفته الشرقية والوصول الينا . وكلما كنا نقاتل عن روح الجولان ، وربما عن مصير اسرائيل ، كلما كان مركزه القيادي في وضع متأرجح . ولم يكن هناك مجال للتعجب ، اذ في الوقت الذي نشبت فيه الحرب وجد موسى بيلد ، وفقاً لاقواله ، حاقا مضطجعاً على سريره كانسان محطم ، يفتقر الى اقل قدر من الحيوية ، وهو يتمتم ، «فقدنا كل شيء ، فقدنا كل شيء» . ماذا سيكون الحال لو تسلل شعور الدمار هذا ، لاسمح الله ، الى مستويات اخرى في القيادة ، ولكان مصير الحرب قد تقرر سلفاً . لقد شعرت منذ ان نشبت الحرب بأن الوضع كان رهيباً ، ولم اتجاهل ولو للحظة واحدة خطورة المعركة ، والامر الموضوع في كفة الميزان ، الا انني علمت ، علاوة على ايماني ، باننا سنتغلب وننتصر . وقد نهلت هذه القوة من روح المقاتلين . وعندما اقسمت ان لااجتاز نهر الاردن غرباً وانا حي ، طالما اننا لم نطرد السوريين من هضبة الجولان ، كنت واثقاً بان الآف المقاتلين قد اقسموا في قلوبهم نفس الشيء . ويعد هذا بمثابة اكبر مصدر للقوة ، حيث لم يكن في مقدور السوريين مجابهته .

لقد اجرينا استعداداتنا ، لمهاجمة السوريين في هضبة الجولان السورية . وعلى الرغم من الظروف القاسية ، اتممنا تنظيماتنا بسرعة . واظهر اللواء السابع حيوية غير اعتيادية . وقام بجمع الدبابات وحسب المتوفر ، واصبح له قرابة مائة دبابة بطواقمها ومستعدة للقتال ، وكل ذلك خلال فترة قصيرة ، وتم وضع لواء جولاني ووحدة اخرى منتخبة تحت امرتي . وعند المساء ومابين الساعة الرابعة والخامسة اخذت غفوة قصيرة بعد ايام متواصلة من انعدام النوم . واقترب مني بعدها ضابط كبير ، وكان ذات مرة قائد الوحدة المنتخبة ، وقال لي كلمات سقطت كالصخر الثقيل على قلبي ، «ان الوحدة المنتخبة هذه يجب ان لاتكون رأس الحربة في الهجوم ضد السوريين . ففي هذه الوحدة

يخدم اشخاص ، هم من خيرة شبابنا في اسرائيل» . لم اصدق ماسمعته اذناي . وانتصبت داخل كيس النوم ، فقد كنت محتاجاً لاي قدر من تمالك النفس والسيطرة الذاتية . وابعدته من امامي باستياء . ولم يفهم شيئاً ، وافترضت بانه خجل من اقواله . بعد ذلك وصل الخبر الى معالم قائد الفرقة المنتخبة ، يوني (واسمه نتنياهو ، الذي قتل في عملية عينتيبة) وكان ثائراً . وجاء الي معتذراً بخصوص اقوال الضابط الكبير الحمقاء ، واعرب عن استعداده الغير متحفظ للقتال معنا سوية والاشتراك في الهجوم . وقد اشتركت الوحدة المنتخبة حقاً في معركة الاختراق واثبتت بالطبع صدق شهرتها اللامعة . وفي صبيحة يوم الخميس ، وهو اليوم السادس للحرب ، تشرفنا بزيارة رئيس الاركان العامة ، وقائد الفرقة بالاضافة الى عدد من الضباط الكبار . لقد جاءوا للمصادقة على خطط الاختراق التي وضعتها . وتعد هذه اول زيارة يقوم بها رئيس الاركان العامة للجبهة منذ ان نشبت الحرب اظفارها . بما انه ليس هناك اساس للافتراض ، بانهم كانوا يخشون الوصول الى الجبهة طالما ان علاقات القوى تميل لصالح السوريين بشكل واضح ، فانا افترض بانهم كانوا منهمكين في ايام الحرب الخمسة في الجولان بقضايا اكثر اهمية .

وعلى اية حال ، فان ساعة الاختراق تم تحديدها في ظهيرة يوم الخميس ، وفي صباح نفس اليوم جاء رئيس الاركان العامة وصادق على خططنا . وفي صباح نفس اليوم ايضاً كان عندي سبب شخصي للابتهاج وهو انني جرحت اصابعي في اعمال النجارة الخاصة بي ، وذلك قبل اسبوع من الحرب . وكانت الضمادات تتوج اصابع يدي اليسرى طوال ايام الحرب . واضطررت في بعض المرات تفنيد الاشاعات التي تقول قد جرحت في الحرب . وفي ذلك الصباح ازال الطبيب الخاص بالكتيبة الضمادات وبشرني بانني لن احتاج اليها ثانية . ولم ينطو هذا الامر على فائدة كبيرة بالنسبة لي ، حيث انني كنت استخدم الضمادات طوال ايام الحرب لمسح العلامات البيانية من خرائط الحرب ، دون اللجوء الى اية رقعة او وسائل اخرى ، لتنظيف الخرائط . وسأحتاج من الان فصاعداً الى الوسائل الاعتيادية لتنظيف الخرائط .

وبعد ان صادق رئيس الاركان العامة على الخطط ، خطا نحو طائرته العمودية ، يرافقه قائد الفرقة . وكان الاثنان يتحادثان ، وعندما سمعت اسمي ، في الوقت الذي كنت اسير في اثرهما ، لم اتمكن من التغلب على اغراء الاصغاء . كان حاقا يقول لدادو ، «يجب ان امنح رفول درجة عميد ، بسبب عملية الصد هذه ، وبسبب الحرب التي يديرها هنا» . ورد عليه دادو : «هذه مشكلة . . فالامر غير بسيط . . انه امر معقد للغاية . . مالذي سيقولونه في الجيش ؟» .

وغادر المسؤولون . وتحرك مقر قيادة الفرقة الجوال نحو الامام ، الى المكان الذي في مقدورنا ان نسيطر منه على الهجوم . واتخذنا مواقعنا في تل بن ـ طال ، وبدأنا في ساعة الصفر الدقيقة ، وبمساعدة المدفعية وضربات طائراتنا من الجو ، في الهجوم في القاطع الشمالي باتجاه مزرعة بيت جان ـ تل شمس .

لقد تمت عملية الاختراق كما خططنا لها بالضبط . حيث سرنا قد مانحو الامام بدون ان نقدم اية خسائر . وفي مساء نفس اليوم كنا في مزرعة بين جان ، ونسيطر على طريق مزرعة بيت جان ـ حرفة ـ خالص ـ تل شمس في هضبة الجولان السورية . وكانت الخطة القيادية ان نهجم من وسط القاطع ، باتجاه القنيطرة ـ خان ارنبة ، بعد حوالي ساعتين من هجومنا . وقد جابه هذا الهجوم الذي قامت به فرقة دان لينر ، مصاعب كبيرة حيث مرت القوات فوق حقول الالغام وتكبدت خسائر فادحة .

الكراهية لدايان

وفي صباح يوم الجمعة اليوم السابع للحرب ، حظينا اخيراً بزيارة وزير الدفاع موشيه دايان ، الذي وفر علينا وجوده ومشوراته الى ذلك الحين . جاء بعد ان سمع عن سير العمليات وطلب منا ان نقصف دمشق بالمدفعية . لقد استقبله المقاتلون بعداء واضح ومكشوف تتخلله عبارات الحقد والكراهية . وشعر دايان بذلك ، حيث لم يكن في الامكان ان لايشعر بسبب حدة العبارات ، وان تعليماته بشأن قصف دمشق كانت بمثابة تشجيع لنفسه ، وتخلص من الوضع المربك . وعلى اية حال ، لم يكن دايان معترفا انذاك . او في اية مناسبة اخرى ، بانه استحق الحكم العادل من خلال حقد الضباط والجنود ، وذلك كعقاب مناسب له لتحمله مسؤولية كل ما حدث قبل الحرب ، بما في ذلك الخمول والفشل في تقدير الاوضاع والثقة بالنفس الفائضة والشعور البليد بانه لن لن تحصل الحرب بالاضافة الى الاستخفاف الاحمق بقوة العدو . وهكذا دخل جيش الدفاع الاسرائيلي الحرب الدموية ودفع ثمنا غاليا فيها .

هذا ماكان يستحقه في زيارته الاولى للجبهة . حيث انه لم يتفرغ قبل الان . فهذا الرجل الذي ذاع صيت شجاعته ونسجت حولها الاساطير ، والقصص التي تتحدث عن قوته في كل مكان كل ذلك كان مصطنعاً ، اذ حتى في حرب الايام الستة لم يصل للاماكن التي انتهت الحرب فيها .

وهكذا واجه الجنود والضباط ، شخصا ضعيفا وقاسي القلب تجاه احاسيس الذين

يحيطون به وذا احساس دائم بالتفوق وان جميع العالم ضعفاء دونه . لقد كرهته من كل قلبي ، واستطعت ان احس بشعور متبادل ، فقد كان يكرهني بنفس القدر .

وهناك من ادعى عن سعة اطلاع ، بان علاقات الكراهية بيننا كانت مرتبطة بعداء قديم بين العائلتين . فلم يكن يعرف الصلح معي مطلقاً ، ولم يكن في مقدوري ان اخطأ معاملة دايان ازائي في مناسبات كثيرة ففي فترة العمليات الانتقامية كان يتصرف ازائي وازاء العمليات البطولية من خلال معاملة تنم عن الاستخفاف والاستبداد . وبعد الهجوم على مطار بيروت انهال علي بالتوبيخ العنيف لاننا لم ندمر المطار ، ولم يغير رأيه حتى بعد ان صرح رئيس الاركان العامة برليف ثانية ، بانه لم تكن لدينا التعليمات بشأن تنفيذ هذا الامر ، واننا قد نفذنا المهمة بالضبط كما القيت علينا . وتصرف معي بفظاظة متطرفة عندما اختطف المخربون طائرة تابعة لشركة «سابنا» وانزلوها في اللد . وكنت انذاك ضابطاً مظلياً اول واشتركت ، بناءاً على طلب نائب رئيس الاركان العامة ، العميد طل ، في التشاور الذي جرى في مطار بن غوريون في اللد ، وشاهدني هناك دايان فاشتاط وجهه غضباً . وقال ، وكله قدرة وعلماً وفهماً ، «لنخرج زيت المحركات في الطائرة» . فاجبته «في مقدورهم ان يطلبوا زيت المحركات بنفس الطريقة التي يطلبون فيها الوقود ، وذلك من خلال ممارسة التهديد على الركاب في الطائرة» . لقد جعله هذا الامر في وضع بليد وانفتح علي بالصراخ : «مالذي تفعله هنا بشكل عام؟ من طلب منك المجيء؟ من سمح لك بالتكلم؟ ومن سألك عما تفكر به؟» واصيب الجميع بالدهشة وخرجت من الغرفة . وقضيت ذلك المساء جالساً مع الاخرين لساعات طوال بالقرب من طائرة «سابنا» ولم يكن دايان معنا . ونزل احد افراد الطاقم وهو بلجيكي من كابينة القيادة عن طريق باب في اسفل قاعدة الهبوط الامامية ، وفحص الطائرة وعاد الى كابينته دون ان يشعر بنا . واستعرضنا جميع الاحتمالات . وعلى اساس هذا الفحص ارسلنا الى القاعدة بان هناك امكانية في اقتحام الطائرة . ونفذ الاقتحام بالفعل .

والان ، في هضبة الجولان ، يصدر اوامره بقصف دمشق بالمدفعية ولم اتصرف مع هذا الامر بجدية كاملة ، حيث ان الامر يتطلب تحضيرات كبيرة ولم يكن بحوزتي مدافع ، وعلي ان احضرها من مقر القيادة لاضعها تحت امرتي .

وفي مساء يوم الخميس دخلت قوة الدبابات ، بأمرة يوسي بن حنان ، الى المجال السوري ، في منطقة تل الشمس . وبدأت القوة السورية التي اعدت لحماية الطريق الى دمشق بقصف مركز بقذائف مضادة للدبابات في منحدرات تل الشمس . وانهمكت الوحدة المنتخبة طوال الليل بانقاذ الدبابات واطقمها . وقد اصيب يوسي نفسه اصابة

بالغة في المعركة ، وفي ليلة السبت احتل لواء المظليين تل الشمس . وعارض قائد اللواء في البدء وجهة نظري التكتيكية واصر على خطته لاحتلال تل الشمس . ولم اتنازل ففرضت عليه ارادتي . واتضح بعد الاحتلال ، والهجوم والتطويق العميق في الاتجاه الجنوبي الغربي والجنوبي ، بان السوريين كانوا اقل استعداداً هناك من الاتجاهات الاخرى . وتبين ان اصراري كان مجدياً في نهاية الامر .

وبدأت الاخبار تتوارد الينا في مساء يوم الجمعة ، في مزرعة بيت جان . ومفادها ان قوات عراقية جديدة تتدفق نحو الجبهة . حيث ان قوة جديدة كهذه تثير دائماً قلقاً طبيعياً . وبدأت مستويات مختلفة في القيادة في المبالغة باهمية القوة العراقية . ولم اقاسمهم القلق . فالعراقيون ـ وهم لواء مدرع ولواء آلي ـ كانت تسودهم الفوضى ولم يكن في امكانهم التخلص منها . فكانوا يتنقلون من مكان لاخر . ولم تكن لديهم خرائط بالاضافة الى ان الدليل السوري لم يصل اليهم . وكانت النيران تطلق صوبهم من جميع الاتجاهات ولم يعرفوا بالضبط من الذي يرمي . فقد كان السوريون يطلقون صوبهم حيث ان اي شخص لم يخبرهم بان هؤلاء هم عراقيون جاءوا لنجدتهم ولحماية دمشق . كانوا يعتقدون بان اولئك هم قواتنا . ورد العراقيون على النار بالمثل باتجاه السوريين وهم على ثقة تامة بانهم دخلوا المعركة ضد المدرعات الاسرائيلية . وكانت الفوضى شديدة . في غضون ذلك اثيرت المخاوف بشأن هجوم عراقي في قاطع دان لينر ، وهو جناحي الايمن . واصدرت تعليماتي لقائد احدى كتائب اللواء السابع للتحرك مع دباباته ، لاحتلال خان ارنبه ، واتخاذ المواقع الدفاعية وعدم السماح للعراقيين باحتلال المفترق . هذا وقد نفذ الامر القيادي ، بعدها اصدرت تعليماتي الى قائد كتيبة لارسال احدى سرايا قوته للتأكد بان العراقيين لايحاولون الوصول الى القنيطرة . وافادني بان المحور فارغ ، وليس هناك عراقيون في الطريق الى القنيطرة .

وهدأت بعدها ، بيد ان الاخرين واصلوا قلقهم . ففي الحرب يجب ان نقلق . محظور علينا ان تسودنا الثقة والاطمئنان . واتضح لي من خلال الانصات الى الجدل بين دان لينر ومقر القيادة ، بان دان يفكر بسحب قواته . ودخلت على الخط قائلاً : «ان هذا ليس بالامر الجدي . ان العراقيين لاينوون الهجوم . انهم يدفعون ضريبة الكلام فقط للسوريين» .

لقد حصن السوريون تل الشمس بصورة جدية ، حيث كان واضحاً بالنسبة لنا ولهم بان هذا هو المفتاح لمواصلة تقدم جيش الدفاع الاسرائيلي نحو دمشق . وفي المرحلة التي محقت فيها امكانيات الدفاع عن تل الشمس ، اعلن القائد السوري لرؤوسائه بانه قد عزز موقفه وصد العدو . وقد كال عليه الرؤوساء الثناء وتوج بجميع اوصاف البطولة واصبح «بطل الابطال» .

وبعد ان تم الاحتلال ، وعندما اتضح للسوريين حماقة القائد المتبجح ، بذلوا جهوداً عظيمة في قصف المنطقة ، سواء على منطقة تل الشمس او على مقر قيادة لوائي الجوال في الخالص . وكان القصف رهيباً من حيث كمية النيران التي لم نر لها مثيلاً في ايام الحرب الاولى .

وتحركنا مع مقر قيادة اللواء الجوال باتجاه الغرب . وخبت النيران السورية . بعد سرنا بالمدافع قدماً وبدأنا القصف المدفعي صوب دمشق . وسقطت القذائف في ضاحية المازة ، حيث يقع مطار دمشق . وكانت الاشارة واضحة .

واوسعت الفرق نطاق الجيب باتجاه تل مسحرة ، تل مار ، تل قارين ، وتل فاطمة الى حد سلسلة التلال التي ضمت الجيب الذي احتله جيش الدفاع الاسرائيلي في المنطقة السورية في حرب يوم الغفران .

وفي غداة ذلك اليوم صدت فرقتا لينر وبيلد القوات العراقية وكبدتها خسائر فادحة . وخاضت قواتي القتال مع القوات السعودية التي لم نتعرف على هويتها في البدء . لقد اسرعوا كالجمال واختفوا من المنطقة . وكانت الغنائم التي حصلنا عليها هذه المرة غربية المنشأ ، وهذه شهادة على «الطابع الدولي» للقوات التي حاربنا ضدها .

وفي ساعات الليل كنا نقوم باعمال الحفر والدفاع في تل الشمس بسرعة محمومة . وكان السوريون يقصفون تل الشمس بغضب شديد . وفي احد الايام ادركنا القصف السوري هذا ، في الوقت الذي كنا فيه داخل ناقلة الاشخاص المدرعة التابعة للقيادة ، وكان رهيبا من الناحية الكمية فقفزنا وانكمشنا بين الصخور ، حيث انفجرت القنابل على بعد سنتمترات منا . واصيبت الناقلة بقذيفة واحدة .

لقد حاول السوريون استقادت منطقة تل الشمس . وفي احدى الليالي ، لاحظنا وجود قوة سورية كبيرة فى اتجاه الشرق . حيث اتخذت مواقعها على بعد حوالي خمسة كيلو مترات منا ، وتتألف من المشاة والمدفعية الثقيلة . وفتحنا نيران المدفعية صوب القوات السورية وتغطت منطقة تل الشمس عند الشفق بدخان كثيف نتيجة للقنابل السعودية التي اطلقها السوريون . وكانت تقديراتي انذاك ، بان السعوديين ينوون انزال طائرات عمودية في مؤخرة الموقع ومهاجمتنا في ظل ستار من الدخان ، في الوقت الذي كنا نصب جل اهتمامنا لقوة المشاة السورية التي تهاجم تل الشمس . واصدرت تعليماتي لسرية ناحال [كتائب الشباب] من اللواء السابع ، موجودة جنوبي التل ، بالتحرك نحو المؤخرة والاستعداد للهجوم السوري ولم يهجم السوريون في النهاية .

وقبل ان يتم وقف اطلاق النار تم احتلال جبل الشيخ . وعند الاحتلال سقط العديد من المقاتلين بينهم قائد سرية غولاني ، شمريا هو فنينيق ، من تل عدسيم ، وهو شاب لطيف ومقاتل ممتاز ، وكان محبوباً في قريته ووسط جنوده .

وعلى الرغم من ان الانتصار الاسرائيلي في الحرب امر غير مشكوك فيه ، الا ان الحرب لم تنته بنفس الطريقة التي انتهت فيها سابقاتها ، اذ جاءت حرب الاستنزاف السورية بعد معارك الحركة والدروع ، حيث استمرت طوال شهرين كاملين ، وكانت في اساسها حرباً راكدة ، لاحركة فيها ، لقد كانت حرب اطلاق نيران فقط وقمنا بمحاولات كثيرة لالحاق الاسى بحياة السوريين وتقويض امنهم ، ونفذنا غارات في مؤخرة الخطوط السورية على وحدات المدفعية المضادة للطائرات ، ونصبنا لهم الكمائن ، وزرعنا الالغام في مؤخرتهم . كل هذا بالاضافة الى قصف المدفعية والدبابات صوب اهداف نقطوية او اهداف مهيأة . وتدريجياً خلقنا وضعاً فضل السوريون ازاءه الابتعاد عنا وعدم البقاء مترابطين . وتسلمت فرقتي مسؤولية الجيب باكمله في المنطقة السورية ، وتم تحديد مقر قيادة الفرقة الجوال في تل داور وسط الجيب .

وتعد هذه فترة صعبة . فقد تكبدنا خسائر جراء القصف السوري . وارغمنا على ابدال الوحدات المصابة بوحدات اخرى . واصبح البرد القارص يشكل ثقلا على المكوث في الخط . وجاءنا وزير الدفاع ، موشيه دايان ، ذات يوم ، واخبره احد الاشخاص باننا اكتشفنا عتبة باب نقوش عليها بالعبرية في احدى القرى الصغيرة عند منحدرات تل المال . ولم يكن في مقدور دايان ان يصمد امام هذا التحدي . والتقى مع الجنود بهذه المناسبة ، وخصوصاً مع الاحتياط ، جنود اللواء الذي لم تتم تعبئته في حرب لبنان . من جهتي ، لم ار منظراً مشابهاً ، منذ ذلك الحين ولحد الان ، فقد سكب الجنود على رأس دايان جرة مليئة بمياه المستنقعات . وهم لم يتحدثوا مع وزير دفاع اسرائيلي (منذ ذلك الحين ولحد الان) مثلما تحدثوا معه تلك المرة . لقد اخبروه بكل ماتحويه قلوبهم عنه ، ولم يتعمقوا باستخدام العبارات اللطيفة . بيدان دايان ـ وهو وحده القادر على ان يتصرف هكذا ـ لم يرد عليهم بكلمة واحدة . لقد سمع كل شيئ ، الا انه نهض وابتعد .

ان استعداد السوريين لتليين مواقفهم والتقرب نحو امكانية وقف اطلاق النار بشكل كامل ، بدون حرب استنزاف ، كان متأثراً وبدرجة كبيرة بمبادرتنا التي ادت الى الغاء مبادراتهم . بالاضافة الى عمليات الكومندو التي افقدتهم توازنهم ، هذا عدا المحافظة التامة على مبدأ المفاجأة ، الذي ادى بهم الى عدم معرفة مكان الضربة القادمة التي سننزلها عليهم ، على الاطلاق .

بيد ان الرئيس حافظ الاسد مازال مصراً على الخروج من الحرب التي هزم فيها ، منتصراً . وتنقل الدكتور كيسنجر ذهاباً وأياباً ، ضمن اطار حملته لاجراء الحوار وفي القدس كانت هناك حكومة مريضة ، يتملكها الخوف من قرار الناخب ، وتحمسة لان تثبت على وجه السرعة بان الحرب قد انتهت في الجبهتين ، وفي امكان الشباب العودة الى منازلهم . وها نحن ندفع دائماً ثمنا غاليا بسبب نفاذ صبرنا .

وعلى هذا الاساس وصل وزير الدفاع ورئيس الاركان العامة الى مقر قيادة الفرقة الجوال الى الجيب الاسرائيلي في منطقة تل داور . وتحدث وزير الدفاع عن المفاوضات مع السوريين . وكان واضحاً من كلامه ، بانه ينبغي العمل من اجل اقناع السوريين . للاستجابة الى وقف اطلاق النار . وطلبت رخصة للكلام ، وتساءلت : «من الذي انتصر في الحرب ؟ لماذا يحاول المنتصر اقناع المهزوم وليس العكس؟!» وانتفض دايان غضباً . حيث ان اي امر كنت اتفوه به كان يثير غضبه ان كل مااطلبه وببساطة وهو عدم اعطاء السوريين شيئاً ، نظراً لاننا نحن المنتصرون في الحرب . ولم يكن دايان يتحدث انذاك عن منطقة الجيب ، حيث كان واضحاً باننا سنسلمه للمعتدين ثانية . لقد كان يتحدث عن تنازلات في منطقة هضبة الجولان ، التي كانت بأيدينا منذ حرب ١٩٦٧ والتي حاول السوريون احتلالها في الحرب ، وبما انهم فشلوا في تحقيق ذلك ـ سنرجع لهم جزءاً منها على طاولة المفاوضات . واسرع دايان بالرد على الصدمة التي اصابتني ، قائلاً : «اذ لم نعط لهم جزء من هضبة الجولان ، فانهم لن يوافقوا على وقف اطلاق النار» . واجبته من جانبي : «ماهو الامر الذي لن يوافقوا عليه ؟ مالذي سيفعله السوريون ؟ ومااالذي في مقدورهم ان يفعلوه ؟ السنا نحن المنتصرين في الحرب !» وادار ديان ظهره لي ، وابتعد .

ووفقاً لنتائج المفاوضات ، علمنا بانها جرت وفق هذه الصورة : كيف يمكن ان نقدم ثمار انتصارنا للسوريين ، من اجل اقناعهم ؟ ماذا في مقدورنا ان نفعله بعد من اجل العدو المهزوم في المعركة ؟ ان احد التفسيرات بشأن تنازلنا عن القنيطرة كان هو ان السوريين سيجتهدون في اعادة بناء المدينة لاسكانها ثانية . وعندما يسكن المواطنون السوريون هناك لن يبادر السوريون ثانية شن الحرب ، خوفاً من ان تبتلعهم وحيث ان علاقتي تجاه الساسة الاسرائيليين تنم عن الاحترام ، فان افتراضي هو ان اي واحد منهم لم يكن يعتقد هكذا ، ولم اقل بانه من الافضل ان تذر الزعامة الرمل في عيون الناس . حيث ان السوريين لم يفكروا باعادة ترميم القنيطرة ، او اسكان مواطنين فيها . ومازالت المنطقة حتى اليوم بمثابة موقع تحج اليه وسائل الاعلام في العالم ليقولوا لهم : «انظروا هنا كيف خرب الاسرائيليون المدينة !» .

في ذلك الوقت كان موطيه غور رئيساً للاركان العامة ، بعد ان اضطر دادو للاستقالة بعد نشر نتائج لجنة اغرانات . ولم ادخر جهداً لتحويل انتباه موطيه نحو موقفي بان لانتنازل للسوريين ! ولم اكن عالماً بموقفه وماذا كانت له امكانية الاعراب عنه ، وما اذا كانت القيادة السياسية تأخذه بنظر الاعتبار قبل ان تتخذ القرار . ولم اعرف سوى النتائج النهائية فقط وهي : اننا انتصرنا في الحرب ودفعنا ضريبة عالية للمنهزمين وهي القنيطرة ، وموقع رقم (١١٤) ، وموقع رقم (١١٦) ، بالاضافة الى قطعة ارض في هضبة الجولان .

ولايذكر الجنود شتاء عام ١٩٧٣ في الجولان سوى انه ـ شتاء قاسي وارغمنا «جنرال الشتاء» في الجيب السوري على مصارعته بجهد واضح . فقد كان الجيب مغطى بالثلج ، وبارتفاع عال . وكانت الحركة صعبة . وتبلغ درجة البرودة التي كانت تتسلل الى عظامنا في بعض الاحيان خمسة او عشرة وحتى خمس عشرة تحت الصفر . وكانت تجهيزاتنا حسب الاصول ، ونلبس ملابساً دافئة ، ولم يكن اي جندي منا يعاني من الوضع المتجمد على الرغم من المشاكل العويصة .

وفي احد الايام المتجمدة ، ذهبت لوحدي في سيارة جيب الى موقع امامي في منطقة حرفة ، حيث تنتشر هناك بعض المواقع التي كانت تعاني من القصف المركز بشكل دائمي . وقضيت بضع ساعات في المواقع ، وعند غروب الشمس غادرت لاعود الى مركز الفرقة الجوال . عندها لاحظت سيارة جيب مدنية مائلة الى الصفرة ، وبقربها شاب ، يرتدي مئزر سميك ، ياقته سوداء . اقتربت وسالت الضيف عن هويته . فاجاب الشاب قائلاً ، «انا عضو كنيست ، جئت استقصي اخبار افرشة النوم السفرية» [نوع خاص من الافرشة شبيه بالكيس ، يدخله الجندي عند النوم ليوفر له درجة معينة من الحرارة والدف . وهي تصنع في اسرائيل] وقد حدثت انذاك جلبة كبيرة حول هذه الافرشة وتجند شعب اسرائيل كله ليصرخ بان الجنود منجمدين جراء البرد . ولم تكن هناك ادنى صحة لهذا الامر . وعلى اية حال ، فقد كان ذلك لقائي الاول مع عضو الكنيست يوسي ساريد ، وان جميع اللقاءات التي اعقبته لم تكن اكثر ودية . ولم تكن عنده اية انتقادات بخصوصي ، حيث كنا مستعدين للشتاء جيداً واستقبلناه حسب الاصول .

ولم التفت للاهتمام بنجاحي وسط هدير الحرب وفي جو الفشل والحرمان الذي ساد البلاد انذاك . ولم يخطر ببالي على الاطلاق اقامة علاقات او ممارسة ضغوط من اجل احراز التقدم والنجاح . وعندما استدعيت من قبل رئيس الاركان العامة دادو للحضور الى مكتبة في تل ابيب ، في التاسع والعشرين من شهر اكتوبر ، لم استطع تخمين هدف

الدعوة لقد منحني دادو درجة عميد وربت علي بلطف وقال : «انك تستحق هذا لقد خضت حرباً لم يجاريك فيها اي احد ، ولكني لااعرف ماذا سيكون مستقبلك» . وتساءلت : «هل تعتقد بانني سأعين قائداً لمنطقة الشمال ؟» . ورد دادو جازماً : «كلا ! انا اعتقد بان هير تسل سابير هو الذي سيعين في هذا المنصب» . ولم اتمالك نفسي ، حيث ان هيرتسل كان انذاك رئيس شعبة القوة البشرية ، وتسائلت : «لماذا تفضله علي ؟» رد دادو : «لقد نفذ عملا عظيما في مجال الحاسبة في وقت الحرب . .» وذهلت : «وهل هذا هو المعيار لمنصب قائد منطقة الشمال ؟!» وفهم دادو ، على مايبدو ، بان هذا لايعد قولاً ذكياً ، فأجاب : «ليس هذا فقط بل هناك معايير اخرى» .

ولم نتحدث اكثر في هذا الشأن . وعندما ادركت ان دادو بتخبط ، قدرت المغادرة والعودة الى مكاني في الجيب . الا انه طلب مني المكوث وحملق في وبدأ في سرد مكنونات قلبه : «ثق بي ، لقد فعلت في هذه الحرب كل مافي مقدور الشخص ان يفعله . بيد انني اشعر بان التهم ستنهال علي جراء ماحدث ، وسيعزون الي جميع التقصيرات والاخفاقات ، التي لم تكن لي يد فيها . واشعر كذلك بان مشاكل جمة تنتظرني» . استمعت اليه والحيرة تلفني . حيث ان مواساة الناس ساعة الضيق لم يكن ميداني ، ولم اكتسب خبرة واسعة فيه وازدادت حيرتي اكثر عندما بدأ دادو في البكاء ولم اعرف نفسي انذاك . لقد كان ذلك احد المواقف الخطيرة التي واجهتني . انسان ناجح ، ورئيس الاركان العامة في جيش الدفاع الاسرائيلي ، يبكي بحضوري ! . وايقنت بانه لايمكن ان يغفر لنفسه ، بان انكشف امامي ضعفه . وواصل حديثه : «انا اعلم انك تحقد علي نظراً لاني لم امنحك درجة عميد قبل الان ، ونظراً لانني اخبرتك الان بانك لن تعين قائداً لمنطقة الشمال» . وافترقنا بعدها . وقفلت عائداً الى الشمال حاملاً رتبة عميد ـ بعد سبع عشرة سنة من الهبوط في المظلة .

وعندما اضطر دادو الى الاستقالة ، تم تعيين حاقا بمنصب نائب لرئيس الاركان العامة . بالاضافة الى تعيين موطي غور قائداً لمنطقة الشمال ، وهو المنصب الذي كان يشغله في السابق وكان واضحاً بشكل مكشوف بان هذه التعيينات وقتية . فقد كان احدهم يوشك على ان يعين بمنصب رئيس الاركان العامة . وقال لي موطي : «لقد أتفقت انا وحاقا وقررنا بانه في حالة تعيين اي منا بمنصب رئيس الاركان العامة ، يعمل على تعيينك بمنصب قائد منطقة الشمال» . وبر موطي بوعده ، وتم تعييني قائداً لمنطقة الشمال في الوقت الذي عين فيه غور رئيساً للاركان العامة .

وكان لي لقاء مؤثر اخر مع دادو ، وكان بمثابة لقاء الفراق بالنسبة له مع جيش الدفاع الاسرائيلي . في ذلك الوقت كان موطي رئيساً للاركان العامة وجاء دادو الى منطقة

الشمال لتوديع الجنود . واصطحبته الى قمة جبل الشيخ في ناقلة اشخاص مدرعة ، حيث مايزال الثلج الوفير يغطي المنطقة . وعند بلوغنا القمة سقطت قذيفة هاون عيار ٢٤٠ ملم ، على بعد يتراوح مابين المتر والنصف مترا عنا ، حيث تغلغلت داخل الثلج العميق وغمرتنا موجة من الحرارة بسببها .

ودخلنا مغارة كبيرة ، كانت تضم القوة التي تمسك جبل الشيخ . وتعد هذه مغارة عملاقة كان يجد الشباب فيها ملجأ لهم من عمليات القصف لمدافع الهاون عيار ٢٤٠ ملم . وكانت القنابل تطلق من مسافة بعيدة ، وعليه لم يكن في الامكان سماع صوت الاطلاق كانت القنبلة تصل بهدوء مطلق ، قياساً بالقنابل الاخرى ، التي كان صغيرها يبشر بقدومها .

ولم يكن دادو ، الذي كان مهتاجاً اكثر من اية مرة اخرى ، قادراً على التعبير ، وجلس الجنود امامنا في المغارة ، وتوجهت اليهم بالحديث قائلاً : «ان رئيس الاركان السابق جاء ليودعكم . فاذا كان اي منكم يرغب ان يتحدث او يسأل او ان يتطرق الى مشكلة ما ، فليتقدم» . وكان الهدوء مطبقاً ، ولم يتلفظ اي شخص منهم بحرف ، فقد كانوا يتفرسون دادو بنظراتهم واحسست انه ليس في مقدوره تحمل هذا ، حيث توجه الي قائلاً : «هيا بنا نخرج من هنا» . بعدها نهضنا وغادرنا . وفي مدينة حمة ، اعد المقاتلون له وليمة غذاء ، وكان دادو غارقاً في افكاره وساكتا . قدمت له هدية الوداع باسم المقاتلين ، وتمتم بعبارات الشكر . وكانت قلوبنا منقبضة من فرط التأثر .

وفي الخامس من حزيران عام ١٩٧٤ ، وفي الساعة العاشرة والنصف صباحاً ، تم توقيع اتفاقية فصل القوات مع سوريا . واخلينا القنيطرة وكذلك التلين اللذين كانا يشرفان عليها . وفي تل الشمس اطلقت العنان لنفسي للتعبير عن مشاعري امام للمراسلين الاجانب وكنت في حاجة الى قدر كبير من ضبط النفس كي لا أقول اكثر من هذا : «نحن جيش منتصر ، إلاّ اننا سلمنا السوريين قدراً من الاراضي مقابل الاتفاق الذي تم بيننا» .

كانت تسري في داخلي ثورة عارمة ، سيطرت عليها بصعوبة بالغة . فقد سلمنا السوريين اراضٍ بمثابة غنائم ـ مقابل هزيمتهم . وعوقب المقاتلون الاسرائيليون جزاء انتصارهم . لقد كانت تلك حرب حياة او موت . وخاطر المقاتلون بحياتهم وبدرجة لم نرَ لها مثيلاً في أي حرب اخرى . إلاّ ان القيادة السياسية خيبت املهم . فقد كان ذلك تصرف من لم يقاتل ولم يحمل أعباء الحرب على كتفيه ، ولم يرَ خيرة الشباب يسقطون امام عينيه ، كان ذلك تصرف من خيب أمل المقاتلين ووزع الغنائم لاعدائهم . لم يكن

لساستنا القوة لمجابهة الطرف المقابل وكان السوريون يملكون القوة رغم هزيمتهم في ميدان المعركة . وكان هذا الامر يغيضني بدرجة كبيرة . ولم يكن في مقدوري ان اسلم مع هذا الامر . فقد احسست بأنه لن يكون في مقدور المقاتلين التسليم مع نتائج لجنة اغرانات على مر الوقت ، حيث هزمت سوريا في المعركة وانتصر ساستها على طاولة المفاوضات . والقت اللجنة بعد ذلك التهمة بأكملها على الجيش وبرأت ساحة القيادة السياسية . ولم يوافق الجمهور على تحريف الواقع هذا . فقد نجحوا في انتخابات ١٩٧٤ في تمويه الجمهور بـ «حمامات السلام في جنيف . وفي انتخابات عام ١٩٧٧ نسق الجمهور حساباته مع الساسة ووافق على اعمال لجنة اغرانات .

وفي المشاورات التي جرت قبل نشوب الحرب بوقت قصير ، يوازي اسبوعين او ثلاثة ، أكدت اثناء حديثي على ضرورة اخفاء مدافع مضادة للدبابات في مؤخرة كل موقع في هضبة الجولان ، لتطلق نيرانها صوب كل من يحاول اجتياز خط المواقع . وكان الرد سلبياً . ولم افهم انذاك . إلّا انني ادركت بعد ذلك ، بان من كان واثقاً بشكل كبير بان الحرب لن تنشب ، لن يكون في حاجة الى مدافع لتحميه ، وموقفه هذا يناقض بالطبع ماطرحته اثناء المشاورات (اصدرت الاوامر في نفس الجلسة لاخلاء المدافع المضادة للدبابات التي كانت منصوبة في المستوطنات) .

وفي اليوم الذي نشبت فيه الحرب ، انفجرت نظرية الساسة كفقاعة صابون في الهواء . لقد كانت الدهشة تتملكهم . وتحمل وزير الدفاع العبء الاكبر من المسؤولية . إلّا ان موشي دايان ، كعادته وبما تمليه عليه شخصيته ، كان يسيطر عليه شعور بانه «اصبح كالعدم» ، وترجم هذا الشعور الى مفاهيم قومية تعبر عن الكلل واللامبالاة . وقد ادلى رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ، الذي كان في السابق رئيس مكتب دايان ، ويعد من أمناء السر اللامعين ، امام دايان كل ماكان يرغب بسماعه بالضبط . وتلقى رئيس الاركان العامة دادو عقوبة ، في الوقت الذي برأت فيه ساحة القيادة السياسية . وحاول وزير الدفاع ان يتدخل في مجرى الامور ، دون ان يتحمل مسؤولية ماجرى ، وهذا هو ماكان يميزه في جميع المجالات وفي كل الاوقات والمناسبات .

بالاضافة الى ذلك كان هناك امر آخر اثار غضبي ولم اتنازل عنه وهو ، ضرورة انزال ضربة مبكرة على السوريين بالاقل ، في المرحلة التي يتضح فيها بانهم سيبدأون الحرب . اذ ان في مقدور ضربة جوية كهذه ان تربك عمليات البدء ، وانها ستبشر العدو بالاخص «باننا نعلم جيداً بما ينوون عمله ونحن مستعدون لكم !» . بعد ذلك اوضحت رئيسة الحكومة السابقة ، غولدا مائير - وفي اثرها الساسة الاخرون - بانه

لاينبغي انزال ضربة وقائية وذلك لاسباب سياسية ، وذلك من اجل ان لاتلقى التهمة على اسرائيل بانها التي بدأت الحرب . ولم يكن في مقدوري ان افكر ببلادة غولدا إزاء الوضع الذي كنا نعيشه ، اذ ان وجود الشعب كان ملقى على كفة الميزان وجيشه غير معبأ ووسائل اتصاله متوقفة عن العمل بمناسبة يوم الغفران وليس هناك امكانية في تعبئة الاحتياط على وجه السرعة بنداء علني ـ وعليه يكون الاعتبار السياسي قد هبط الى الدرجة الدنيا من سلم الافضليات ، وان السؤال حول ما الذي سيقال عن اسرائيل لا أهمية له . وان من ينسب الاهمية الاولى للسؤال حول ما الذي سيقال عن اسرائيل في هذه الساعة الحاسمة ، غير جدير بزعامة هذه الدولة .

وباستثناء الدرس الكبير ، الحاسم من حيث اهميته ، الذي يحظر على اسرائيل ان تبدو عند المواجهة غير مستعدة ، وان عليها ان تنسق امورها وفقاً لاستعدادات الجيوش العربية وليس وفقاً لنواياها التخمينية ـ استخلصت بالاضافة الى ذلك دروساً فعالة ، بدأت في تطبيقها لكوني قائد منطقة . ولم يكن في مقدور سلاح الجو الذي استثمرت الدولة من اجله خيرة ماعندها وعلقت عليه املاً وتوقعات بعيدة المدى ، ان يبدو في الصورة المطلوبة في حرب يوم الغفران وذلك لسبب واضح : حيث ان القوات البرية كانت في وضع خطير للغاية وتم استدعاء سلاح الجو لتنفيذ مهمات الانقاذ التي لم يكن في الامكان رفضها على الاطلاق . الامر الذي اثر على فعالية السلاح وعلى قدرة نشاطه . ففي الظروف الاعتيادية للبدء بشن الحرب ، كان لزاماً على القوات البرية ان تكون قادرة على تعزيز موقفها والسماح لسلاح الجو للتوجه لاداء مهمته الاساسية في هذه المرحلة ، وهي تصفية منظومات الصواريخ التي يملكها العدو . وتعد مسألة الاسراع لتنفيذ مهمات المساعدة للقوات البرية ، مهمة صعبة للغاية بالنسبة لسلاح الجو في الوقت الذي تمتلىء المنطقة فيه بالصواريخ ، حيث دفع السلاح ثمناً غالياً عند محاولته لتنفيذ عملياته . وكان هذا الدرس واضحاً لا لبس فيه ويتمثل في عدم المخاطرة باشراك سلاح الجو في مهمات المساعدة للقوات البرية ، إلاّ بعد ان يضمن السلاح لنفسه حرية العمل بشكل معقول ، مع تصفية منظومات صواريخ العدو . ولاجل ذلك فان القوات البرية ملزمة بان تكون مستعدة لتحمل العبء في المراحل الاولى من الحرب ، دون القاء ذلك العبء على عمليات الطائرات .

وفي اطار هذا الافتراض بدأتُ ، بوصفي قائداً للمنطقة وعضواً في القيادة العامة ، بتنفيذ الدروس والمباديء ، التي كان جزء منها معروفاً قبل الحرب وساعدت الحرب على شحذها ، والقسم الاخر نتج عن الحرب بشكل مباشر . وتنبع معظم الامور التي نفذتها بوصفي قائد المنطقة والتي أدليت بها في مناقشات القيادة العامة ، من العقيدة الاساسية

والمعروفة منذ وقت طويل ، واولها ـ الدفاع الاقليمي . اذ بدأت في بناء نظرية الدفاع الاقليمي من جديد باولوية وبجهد كبير ، والتي قد تدمرت ومرت في ظروف قاسية نتيجة لعجرفة نظرية الدروع الوحيدة ، التي كانت متبعة في الجيش لحين نشوب حرب يوم الغفران . اذ لاتعد الدروع ، مع كل اهميتها ، هي وحدها فقط الجديرة بالاهتمام والتشجيع . فشرعنا بالاهتمام بالمستوطنات الواقعة على الحدود ، بالمنطقة الحدودية ايضاً . واقمنا التحصينات ، ووزعنا الاسلحة . واجرينا التدريبات وبدأنا بتطوير مدركات الدفاع الاقليمي مجدداً ـ من رأس النافورة لحد طيرة ـ تسفي ، في الطريق الى هضبة الجولان ، بالاضافة الى ترميم ماقد دمر من منظومة دفاع هضبة الجولان في الحرب .

ولاقت فكرتي بخصوص ضرورة اثبات مكانة سلاح المشاة في الجيش كل التفهم والموافقة من لدن القيادة العامة ورئيس الاركان العامة ، التي تتضمن اجراء التدريبات والادامة واعادة التنظيم والتجهيز ، بالاضافة الى الزخم الكبير والمهم في الوسائل القتالية ، لاسيما الزيادة الواضحة ، ليس فقط في الدروع ، وإنما المظليين وسلاح المشاة والمدفعيين ولايمكن لاي شخص ان يتجاهل الحقيقة التي مفادها بان جميع المواقع قد صمدت في الحرب ، وفي اقسى الظروف التي مرت بها . ولم يسقط اي موقع . وفي بعض المواقع كان جنود المشاة البسطاء يتمسكون بمواضعهم بقيادة عرفاء بعد ان اصيب الضباط . واثبت جنود المشاة حيويتهم وكذلك افضليتهم في الهجمات الليلية وفي العمليات المنفذة ضد اهداف محصنة ومناطق صواريخ . ولابديل لسلاح المشاة حتى مع التحسينات الحديثة ، على الرغم من التطور وتعدد اصناف وسائل القتال الالكترونية .

وقد اثبت المصريون في الحرب التي جرت في سيناء ، بان الدروع تعجز في الحرب عن مواجهة سلاح المشاة باعداد كبيرة والمجهزة بوسائل قتال شخصية ضد الدبابات . لم يكن في مقدوري آنذاك إلّا ان اتذكر بانني اجريت الكثير من التدريبات والتمارين ضد الدروع في الوقت الذي كنت فيه قائد لواء مظلي ، وكان العميد طل قائد القطعات المدرعة . وقد تعلم المظليون العمل ضد القوات المدرعة التي اثبتت عجزها امامهم . وهذا مانفذه المصريون ضدنا في سيناء . اما في المنطقة الشمالية ، فلم تكن المشكلة خطيرة الى هذا الحد لانه لم تكن لدى السوريين تلك الوفرة من الجنود المشاة ، ووسائل القتال ضد الدبابات .

علاقات مع المسيحيين

وفي مقابل اعادة تنظيم القيادة ، والدفاع الاقليمي ، واستيعاب تجهيزات جديدة لتحل محل تلك التي ضاعت او تضررت في الحرب ، واقامة فرق جديدة والوية مشاة اخرى - بدأنا الحرب ضد المخربين في لبنان . وشرعنا في تطوير الدفاع الاقليمي في الحدود اللبنانية كذلك ، حيث قمنا بتحصين المستوطنات وتوزيع السلاح على المستوطنين ، وتدريب كل شخص قادر على الدفاع عن مستوطنته ، بالاضافة الى نصب جهاز انذار الكتروني على الحدود ، وتعزيز الشبكة التي مهمتها صد عمليات تسلل المخربين .

وقد جرب المخربون كل طريقة ممكنة للتغلغل والضرب ، سواء في البحر او في البر . وكانت الحرب ضدهم قاسية للغاية . وكان هناك شبه بينها وبين الحرب ضد المخربين في غور الاردن ، بعد حرب الايام الستة ، إلّا انه كان اختلاف واضح ايضاً ، اذ لم تكن هناك مستوطنات اسرائيلية في غور الاردن بجوار الحدود ، وحتى لو نجحت مجموعة في التغلغل الى المنطقة ، سيكون لنا الوقت الكافي لاكتشافها وتصفيتها قبل ان تلحق الاذى بالمواطنين . اما في الحدود اللبنانية فان المستوطنات قريبة جداً من الحدود . الامر الذي يستوجب تصفية المجموعة فور تسللها ، ودون اي تأخير - وبعبارة اخرى ، هي قادرة على تنفيذ خطتها في المستوطنات الملاصقة للحدود .

ثابرنا على العمل القاسي هذا ، وبذلنا جهوداً عظيمة من اجله ، على الرغم من انقضاء ايام قاسية للغاية . فقد أراقت المجموعات التي تسللت الى كريات شمونه ، وكفار يوبيل ، ومستوطنة رأس الناقورة ، دماءاً زكية فطاردنا عشرات المجموعات ، وقضينا على الكثير منها . وقد نجحت مجموعة واحدة في التسلل الى العمق في منطقة حانيتا . وكانت تلك المطاردة من اطول المطاردات التي عرفناها في تلك الفترة ، اذ قضينا اربعة ايام كاملة في تتبع اثارهم . والقينا القبض على احد اعضاء المجموعة . واتضح لنا خلال المطاردة بان شخصاً اخراً قد اصيب . وفر بقية الاعضاء نحو الخارج ، الى لبنان . وقادنا تقدير الوضع الذي اجريناه انذاك الى الافتراض بان المجموعة ستسعى الى الحصول على التجهيزات بعد اربعة ايام ، وستحاول الاجتياز من نقطة معينة من الحدود . لم يكن ذلك الا تقدير ، الا اننا ، وفي غياب معلومات واضحة ، عملنا وكأنما الامر واقع ، حيث زرعنا الالغام ونصبنا الكمائن . وقد حاولت المجموعة الهرب الى لبنان في ذلك المكان حقاً . حيث مرت فوق حقول الالغام وقضي عليها .

وفي مستوطنة شامير صادفتنا للمرة الاولى ظاهرة لم تكن معروفة حتى ذلك الحين (وتعد اليوم ظاهرة ثابتة وخطيرة في كل نشاط يقوم به المخربون) ، وهي ظاهرة : المخربون الانتحاريون . حيث نفذ المخربون عمليات اغتيال في مخزن للعسل ، وعندما حوصروا من قبل رجال الامن ، استخدموا الاحزمة المتفجرة حول اجسادهم وقتلوا انفسهم . وكذلك كان الحال مع مجموعة المخربين الذين سيطروا على مجموعة المتنزهين في معالوت ، حيث كانوا ممنطقين باحزمة متفجرات لغرض الانتحار ، الا انهم لم يستخدموها .

في معالوت ، اصطدمنا ثانية بوزير الدفاع ، موشيه دايان . وكان هذا اللقاء عدائياً ـ كسابقيه . كنت آنذاك في مقر قيادة فرقتي الجوال المجاور للمدرسة المحاصرة في معلوت ، عندما وصل دايان اليّ . كنت عائداً من جولة استطلاع ومراقبة حول المدرسة بعد ان اوجزت التعليمات ثانية لقواتنا نفذت الخطط الخاصة بعملية التغلغل والانقاذ . وقد طلب دايان معرفة مضمون خطة العملية . ولم اكن راغباً على الاطلاق في ان ادخل واياه في التفاصيل ، حيث لم اكن اعتقد ابداً بان وزير الدفاع ـ اي وزير دفاع كان يكون ملزماً بالتدخل في التفاصيل نحن نفعل كلما : في قدرتنا «ولم يدعني وشأني وكرر سؤاله : «ولكن ماهي الخطة» اجبت : «نحن ننفذ الخطة الافضل . .» الا انه لم يكن راغباً العملياتية . فأجبته على مايبدو ، الدخول في الجدل في ذلك الموقف . فقد كانت علاقتي إزاءه معروفة ومفهومة بالنسبة اليه .

وتم تنفيذ الخطة ، التي انتهت بكارثة موت اثنين وعشرين طفلا . حيث قتل قسم مهم خلال محاولات القفز من الطابق الثاني ، اذ قام المخربون بالقاء القنابل اليدوية بعد شروعهم بالقفز . ولم تتضح لنا ابعاد الكارثة الا بعد اقتحامنا للداخل ورؤية ماحدث هناك .

لقد حدثت الكارثة نتيجة لخطأ احد القادة ، وهو نوع من الاخطاء الذي لم يكن مسموحاً الوقوع به ابداً ، بيد انه لم يكن في المقدور منع حدوثها على الاطلاق ، وليس هناك ضمانة في أن يؤمن التوجيه الصحيح عدم الوقوع في الاخطاء . اذ بعد ان اجرينا المفاوضات مع المخربين ، اخطأ قائد احدى القوات المهاجمة في تشخيص الطابق ، وبدلا من ان يتوجه الى الممر ثم الى الفرفة التي كان الاطفال محجوزين فيها ، صعد مع قوته الى طابق اخر . وبذلك تقرر مصير الاطفال ، حيث توفرت للمخربين فترة دقيقة او دقيقتين ، وهي الفترة الكافية لاطلاق النار على الاطفال والقضاء عليهم .

وفي نهاريا حدثت كارثة رهيبة . اذ قتل جندي من دورية غولاني في الوقت الذي صعدت فيه الوحدة على سطح مبنى كان المخربون يسيطرون على الجزء الاسفل منه . وقد حاول رب احدى الاسر انقاذ حياتهم وقد لاحظ المخربون ، الذين لم يسيطروا على الشقة بل تمركزوا خلافاً للافتراض ، في مرأت للسيارات اسفل المبنى ، الام وابناءها ، حيث اطلقوا عليهم النيران واردوهم قتلى . فركضت الى مكان الحادث وشاهدت منظراً مرعباً لن انساه ماحييت ، فقد كانت الام مقتولة واحد اطفالها القتلى مطوق بذراعيها ، وهو يمص بشفيته ، وبالقرب مها طفلها القتيل الثاني .

وفي نفس الوقت كانت هناك بعض الحالات القليلة تسلل فيها المخربون من الحدود الاردنية ، ومنها تلك التي تسللت الى بيت شان . اما تلك التي حاولت التسلل الى جوار اشدوت يعقوب فقد تمت تصفيتها بالكامل . وتسللت احدى المجموعات الى رمات مغشيميم ، وقتلت اثنين من التلامذة اثناء الحصة المدرسية ، ونجحت في الخروج سلام . وتسللت اخرى الى رمات ـ هجولان ، وحاولت الاختباء في خرائب قرية مهجورة وتم القضاء عليها عن بكرة ابيها .

لقد دفعنا ثمناً غالياً الا ان المعركة كانت تتعزز بشكل مستمر ، حيث تم تحسين اسلوب الانذار واغلقت الحدود الشمالية ـ وليس بشكل تام ولكن بصورة تقلل من امكانية التغلغل ومن نجاح المخربين .

ان الحرب الاهلية في لبنان ، تعد جذورها عميقة وقديمة ، بيد ان بعثها الجديد يختلف عن سابقيه ، وقد وضعت تحدياً امام اسرائيل . فقد حدد دافيد بن غوريون كذلك في نظريته السياسية ، بان اسرائيل المعزولة والمحاطة بالاعداء ، ملزمة بايجاد حلفاء لها المنطقة . وهكذا نسجت العلاقات مع ايران الشاه ومع اثيوبيا العنصرية ، ومع الاكراد في العراق في وقت متأخر . وقد اعطت هذه العلاقات ثمارها وخدمت اسرائيل الى ان تغيرت الظروف ولم يعد في الامكان الاستمرار بها وفي فترة حكم موشيه شاريت (المتوفى) كرئيس للحكومة تحدث في مذكراته عن ولادة فكرة الخمسينات مفادها بانه يجب ايجاد ضابط مسيحي لبناني والاخذ بيده لتحقيق سلطة له في جنوب لبنان ، وذلك من اجل اقامة علاقات متبادلة بين اسرائيل وبين هذا الاقليم .

اذن الفكرة لم تكن جديدة . وان اندلاع الحرب الاهلية في لبنان لم تتخط الجنوب اللبناني . فقد نشب القتال بين الطوائف المسيحية والمخربين وفيما بينها كذلك . وقد انحل الجيش اللبناني الذي يعد خليطا من ابناء الطوائف المختلفة ، ولم يعد في مقدوره العمل كذراع أمنية للسلطة المركزية في بيروت . وقد سحقت هذه العملية استعدادات المخربين وبشكل قاطع للاستمرار في عمليات التسلل نحو الاراضي الاسرائيلية الامر

الذي ادى بالمخربين لتغيير اسلوب حربهم وتفضيل عملية اطلاق القذائف من داخل الارض اللبنانية قبل الشروع بمحاولات التسلل وتنفيذ الضربة وقد مرت بنا مراحل مختلفة من الاصطدامات والمجابهات مع الجيش اللبناني ، او مع فلوله في الجبال حيث لم تتمكن دوريتنا ، في احداها ، من الجلاء عن المنطقة بعد ان تسللت ليلاً الامر الذي اضطرنا الى ادخال كتيبة من لواء غولاني لانقاذها . وقد حاول الجيش اللبناني المعارضة ، ولو ليس بشكل حاسم ، الا ان نيراننا المحدودة وهدير بعض الطائرات التي لم تطلق النيران ، اقنعت اولئك المتطرفين من اللبنانيين للسماح لنا بالابتعاد دون مواجهة جادة .

وقد اعتدنا ايقاف السيارات اللبنانية ، التي كانت تمر بالقرب من الحدود داخل الاراضي اللبنانية ، والتحقيق عن هوية المسافرين . وفي ذات مرة ارسلنا النداءات ، من نقطة مراقبة ، صوب سيارة لبنانية للتوقف ، وامرنا الركاب بالنزول ـ وكانوا اربعة جنود مع اسلحتهم . وطلبنا منهم القاء الاسلحة على الطريق والادلاء بهويتهم ووجهتهم . فأفادوا بانهم جنود لبانيون عائدون الى قريتهم بعد تفكك وحدتهم . وسمحنا لهم بمواصلة مسيرهم وحمل سلاحهم .

وبعد مرور عدة ايام وجدنا قصاصة ورق مقحمة في السياج الامني بالقرب من المطلة ، جاء فيها «انا جندي لبناني . سأتي غداً الى هذه النقطة ليلاً . وانا اطلب مقابلة اي شخص كان في جيشكم» .

وتعد هذه بمثابة العلاقة الاولى . فاصدرت التعليمات لقوة صغيرة للانتظار قليلا في مزارع المطلة ، قريبا من المكان الذي وجدت فيه قصاصة الورق ، واحضار الجندي لمقابلتي في المطلة .

وحضر جندي لبناني بالغ ، يلبس ملابساً عسكرية ، شاحب الوجه ويرتعد خوفاً ، وهو مسيحي من قرية قليعة ، ويحمل رتبة رئيس عرفاء في الجيش اللبناني ، وقال مسترحماً : ان الجيش اللبناني يتحلل وليس هناك من يدافع عنهم ازاء تهديد المسلمين والمخربين الذين يرومون القضاء علينا . واخذ يكيل المديح لقريته التي قدم رجالها المساعدة لتهريب الاطفال اليهود من سوريا الى اسرائيل قبل حرب الاستقلال ، وقد جاء الان ليطلب السلاح الذي سيمكنهم من الدفاع عن انفسهم من اعداءهم . فاخبرته ان يعود الى قليعة ليجلب في الغداة قائمة باسماء العسكريين الذين يعيشون في قلبعة ، بالاضافة الى قائمة باحتياجاتهم من السلاح لغرض الدفاع . ووعد ان يفعل ذلك . ثم قدمت تقريراً بعدها الى رئيس الاركان العامة حول اللقاء ، وأذن لي بالاستمرار في الاتصالات ، ولكن دون الالتزام بتقديم اي من انواع المساعدة .

وفي مساء اليوم التالي احضر القوائم التي طلبتها ، حيث اشار كذلك الى اوضاعهم الخطيرة بسبب نقص المواد الغذائية والطبية . واسرته المفاجأة حين قلنا له : «اننا قادمون معك الى قليعة كي نطلع على الوضع بأم عيننا» وتمتم ببضع كلمات لم تكن كافية للاطلاع على السر ، ووافق على الحكم . وعند منتصف الليل تقريبا اجتزنا الحدود في اول دورية من نوعها . فاجتمعت العوائل الكريمة وزعامة القرية في منزل احد الاشراف ، حيث اوردوا بالتفصيل ماكانوا يعانون منه واحتياجاتهم . واخبرتهم باننا نثق بهم ، وسنعمل على بحث امكانية ان تساعدهم اسرائيل لمحاربة المخربين . وكونت انطباعاً بان اوضاعهم خطيرة بالفعل ، ولكنهم مصممون على القتال من اجل منازلهم ، واذا ما قدمنا المساعدة لهم ، سيكون هناك احتمال في مشاركتنا النضال .

واوصيت رئيس الاركان العامة في تقديم السلاح والمؤون الاساسيين وحصلت على الموافقة في اعطاءهم بنادق انكليزية الصنع ، بالاضافة الى الذخيرة والرمانات اليدوية والقمح والسمن والسكر . وكانت تلك الخطوة الاولى من شبكة العلاقات المتشعبة مع المسيحيين وطوائف لبنانية اخرى .

وقد انتشر جبر المساعدة في جنوب لبنان على وجه اسرعة . ولم يكن في امكاننا الا ان تتملكنا الدهشة عندما توجه الينا ممثلون من عطرون ، وهي قرية مسلمة ، حيث تقدموا بطلب الحصول على مساعدتنا .

وتوثقت العلاقات مع قليعة وتوسعت اكثر . وبعد مرور فترة قصيرة من الوقت تقدم ممثلون عن القرية المسيحية رومش شمول بيرانيت بطلب الحصول على مساعدتنا . والتقيت معهم في نهاريا ، حيث تقدموا بطلباتهم وقوائمهم . واستطعت ان أقول لهم ما لم يكن في مقدوري ان اطلبه من رجال قليعة . اذ ان قرية قلبعة كانت معزولة ، ولم تكن لها علاقات مع بقية القرى في الجوار . اما رومش فانها تقع داخل كتلة من القرى المسيحية مثل قوزة وعين عبل ودبل وعلمة شعب . وقلت لاعيان رومش : «طوروا علاقاتكم مع القرى المجاورة لكم . وقولوا لاعيانها بان اسرائيل على استعداد لتقديم المساعدة في حالة كون رأيهم قاطعاً مثلكم ، والقاضي بعدم الخضوع لحكم المخربين» . وقد ذهبوا وتحدثوا . وتطورت العلاقات . وان ما ابتدأ بمبادرة شخصية من قبل اناس متفرقين في جنوب لبنان واسرائيل اكتسب معالم الاشارات الاولى لشبكة العلاقات بين المسيحيين في جنوب لبنان واسرائيل . وقد كانت عملية الجدار الطيب في المطلة بمثابة استمرار لهذه العملية ، حيث جاء نفر من اللبنانيين لتلقي العلاج في المركز الصحي وقد استمرت زيادتنا التفقدية في جنوب لبنان يومياً . فقد جئنا لتشجيعهم ، ولمنحهم الاحساس بانهم ليسوا وحدهم في نضالهم ، والتحري عن كثب عن احتياجاتهم وتقديم المشورة العسكرية الجيدة لهم في حربهم ضد المخربين .

ولم يكن في المستطاع الابقاء على سرية هذا النشاط بالطبع . فقد وصلت اصداءه الى المسيحين في الشمال حيث بدأوا في اظهار اهتمامهم به ، فقاموا بارسال عدد من رجال الكتائب الى الجنوب لتوضيح ابعاد المساعدة الاسرائيلية ، والى اي حد تستطيع اسرائيل الابتعاد في تدخلاتها . وقد وصل اثنان من الاخوان الشباب والاقوياء الى قليعة ، وكانوا ضباطاً لبنانيين ، وقد تركوا انطباعاً ايجابيا للغاية . فالتقينا وتحدثنا ورسمنا الخطط . واستطاع المسيحيون بقيادتهما احتلال مرج عيون من ايدي المخربين . ويعد ذلك تحولا في غاية الاهمية في القاطع الشرقي الامر الذي ادى بالطوائف الى التقرير بان التعاون مع اسرائيل قد حول المسيحيين في جنوب لبنان الى عامل لايمكن تجاهله على الاطلاق .

وفي نفس الوقت وصل المنطقة الرائد شدياق ومواطن آخر من حزب الكتائب وهو جورج بارا . وقد التحقت زوجة شدياق به ، استركا أرزي ، وهي ابنة لعائلة قدسية ، وزوجة تحملت معه جميع اعباء الحرب ولم تهجر دارها في عين عبل ، الذي كان يتعرض لوابل نيران المخربين طوال الليل والنهار .

لقد كان باراشابا لطيفا ، اسر قلوبنا منذ اللحظة الاولى بشخصيته وباخلاصة وبحماسه الوطني تجاه لبنان . وقد قتل في وقت متأخر بعد ان قاد قوة الى قرية يارون ، لتطيرها من المخربين .

وفي عام ١٩٧٦ وصل المبعوث المسيحي الاول من الشمال الى خليج حيفا وقد جاء في سفينة صغيرة تحت جنح الظلام ، حيث ذهب لمقابلة وزير الدفاع ، شمعون بيرس ، حيث تعد اول زيارة من نوعها . واستمرت مساعدتنا للمسيحيين ، واقيم المعسكر الاول في الجليل الشرقي حيث تدرب فيه جنود مسيحيون من لبنان . وقد رفرق العلم اللبناني في المعسكر . وكان الاسرائيليون هم المدربون . وعند انتهاء الدورة الاولى من التدريبات ، حضر عدد من الاعيان اللبنانيين حفل التخرج حيث عزف النشيدان الوطنيان ـ الاسرائيلي واللبناني .

وكانت زيارات الاشراف في الشمال تتم بسرية . وقد جاء زعيم الكتائب بشير الجميل لزيارة اسرائيل ايضا وكان علينا ان ننسق امورنا بحذر بالغ وكان المسيحيون في ذلك الوقت يتعرضون لقصف المسلمين والمخربين ولوكان المسلمون والمخربون على اطلاع بزيارة مبعوثي المسيحيين الى اسرائيل وتلقيهم مساعدة جيش الدفاع الاسرائيلي لكان قد نشأ الخطر في ان يتعرض المسيحيون للهجوم بشكل اشد في الشمال ولن يكون في مقدورنا الاسراع لمساعدتهم .

وفي تلك الفترة جاء لزيارة اسرائيل اثنان في الضيوف وهما داني شمعون واخيه دوري . بيد ان مجيء الرائد سعد حداد كان بمثابة تحول بالغ الاهمية في العلاقات . وقد

مثل أمامي بعد فترة قصيرة من وصوله . وتأثرت كثيراً بكلامه المباشر والصريح ، الذي تجاوز قواعد التشريفات والمقدمات الكلامية . وقال : «لقد ارسلني فرنجية لانقاذ الجنوب ، وذلك من خلال التعاون الوثيق مع اسرائيل . فهذه هي مهمتي» . وكلما طالت المحادثة بيننا ، كلما تعزز الانطباع الاول . وهو ان حداد شخص يمكن الاعتماد عليه اذ بقدر ماكان حبه عظيماً للبنان ، بقدر ما كان كرهه قوياً للاغراب الذين يمسون سيادتها ويلحقون الاسى بمواطنيها . وكثيراً ماتذكرنا في السنوات اللاحقة تلك المحادثة الاولى التي جرت بيننا ، بل وحتى قلنا لبعضنا بان الواقع قد ابتعد كثيراً عما كنا نأمله في توثيق العلاقات بين المسيحيين ، وعلى الاخص في الجنوب ، وبين أسرائيل .

وكان ضغط المخربين على طول خط الحدود قد تركز وبشكل مكثف للغاية على المسيحيين الذين تعرضوا لكثير من عمليات القصف وهجمات الكاتيوشا . وقد ازدادت ثقة المسيحيين وتعاظمت بشكل مستمر . فقد اثبتنا مراراً بأننا حذرين في تقديم الوعود ، الا اننا حريصون للغاية في تنفيذها . ففي عشرات المحادثات واللقاءات التي جرت مع الممثلين المسيحيين كنا نؤكد باستمرار على موقف اسرائيل الذي يفيد : «اننا لن نتعهد لكم ماليس في قدرتنا او مالا نرغب في اجراءه . لن نقاتل من اجلكم وعليكم معرفة ذلك . الا اننا سنساعدكم بكل ما في قدرتنا من اجل ان تكونوا مؤهلين للقتال بانفسكم . نحن لانريد اي جزء من لبنان ، ولن نبعدكم عن وطنكم ، ولن نفرض عليكم اي موقف او اسلوب نستحسنه ، اذا كان لايتفق مع مصالحكم . اذ لدينا مصالح مشتركة ، وهي ان نقاتل ضد المخربين ، ومن اجل تحقيق ذلك ، نقدم لكم كل ما في قدرتنا تقديمه» . وقد كان هذا موقفاً صحيحاً وقوياً لتطوير علاقات معقولة ومباشرة .

وقد تطور اسلوب مماثل مع المسيحيين في الشمال ايضا ، اذ شرعنا في ارسال الاسلحة الثقيلة بما فيها الدبابات والمدافع ، حيث افلحوا بواسطتها في مجابهة المسلمين . وكانت تلك حرب دموية متوحشة . اذ ان القصف كان شديداً وخطيراً على مناطق المسيحيين في جونية وبيروت . وعندما دمر المسيحيون منطقة الدامور ، اقام المسلمون هناك مذبحة رهيبة للمسيحيين . وسكت العالم المسيحي على هذه الجريمة . وعندما انتقم المسيحيون ونفذوا المذبحة الرهيبة بحق المسلمين في تل الزعتر- حانت الساعة ليسكت العالم الاسلامي . فقد كان افضل لهما ان يذبح احدهما الاخر .

وقد اقلقت الزعماء المسيحيون انذاك مسألة مركزية واحدة (حيث كانت تقلقهم في جميع مراحل تطور العلاقات ، ولاسيما في السنوات الاخيرة وفي حرب سلام الجليل)

وهي : مالذي سيحصل اذا هاجمهم السوريون؟ لقد اكدوا مراراً بان في مقدورهم مواجهة المسلمين والمخربين بانفسهم ، اذا ما زودناهم بالوسائل القتالية والتدريب العسكري المطلوب لاستخدامها . الا انه في حالة انقضاض الجيش السوري عليهم لن يبق لهم اي ذكر ، اوبقية .

وفي اواخر عام ١٩٧٦ ، التقيت مع بشير الجميل في خليج جونية . وقد حضرت في سفينة صواريخ تابعة لسلاح البحرية ، حيث وقفنا على بعد حوالي خمسة كيلو مترات من الساحل . وقد وصل بشير الجميل الى سفينة الصواريخ في قارب مطاطي صغير التقطه من سفينة صيد لبنانية . وكان وجهه مغطى بقناع من المطاط ، بحيث لايميزه احد ، ولاحتى اللبنانيون الذين احضروه او الرجال الذين رفعوه الى سطح سفينة الصواريخ .

واوجز بشير ثانية صنوف المساعدة الاسرائيلية التي يحتاجها المسيحيون في الشمال . ولم ينجح في محاولة لاخفاء ريبته ، وقال : «سيجتاحنا السوريون ذات يوم وسيكون مصيرنا انذاك الفناء . لن يبقى منا ذكر ، اذ ان السوريين واعداءنا الاخرين قد اشتاطوا غضباً بسبب التعاون معكم» .

وفكرت في داخلي : ها انتم تقيمون التعاون معنا ليس طلبا لمعروفنا ، وانما لن تكون لديكم الفرصة والقدرة لمواجهة المسلمين بدون هذا التعاون وستضطرون الى هجرة مواقع السلطة في لبنان . وعليه فان اسرائيل لن تلتزم باي نوع من التعويضات مقابل استعداداتكم للتعاون معها .

واوضحت لبشير قائلاً : «لن نقوم بالعمل بدلا عنكم . اذ ينبغي ان يكون تعهدنا واضحاً من اجل ان لاتقعوا في الاوهام . فاذا كانت رغبتكم القتال من اجل وجودكم ومواقعكم ـ سنقدم المساعدة لكم من حيث السلاح والتجهيزات ، وسنقوم بتدريب رجالكم في اسرائيل» .

وكان بشير رجلاً ودوداً ، طبيعي التصرف . يتحدث بصراحة . تتخلل احاديثه بعض التعابير الغربية ، حيث برزت ثقافته الفرنسية . وكان رجلاً قوياً ، وذا استعداد للتضحية . وعلى الرغم من تميزه بقدر من السذاجة الا انه كان ذكياً في اسلوب تفكيره وتفهمه للعالم العربي والمخربين . فقد كان يعرفهم افضل منا .

وفي ذلك اللقاء الذي تم في جونيه . على ظهر سفينة الصواريخ ، قال لي : «بعد ما حدث في لبنان الى هذا الحين ، وبعد الذي اتوقع حدوثه في المستقبل نتيجة التعاون معكم ، فانه لن يكون في مقدور لبنان العودة على الاطلاق الى حضن العالم العربي . وعليه فانه اصبح لزاماً على لبنان ان تسير مع اسرائيل يدٍ بيد ، اذ ان كلتيهما تعيشان نفس الوضع وان كليتهما يمقتها العالم العربي . وتعد هذه شراكة ذات مدلولات بعيدة

المدى ، حتى لو كان هناك عدم تفهم واختلاف في الاراء واساليب مختلف غيها لتحقيق الاهداف» .

لقد آمن بشير بالشراكة مع اسرائيل ، وكنت واثقا بان نيته جادة . اما داني شمعون ـ ومن خلال الرغبة في اجراء المقارنة بين شخصيات مسيحية متنازعة ـ فقد كان نموذجا مختلفا للغاية . وكان ذا ثقافة غربية ايضا ، ومن هنا يستخلص التشابه على ما يبدو . وكان يتكلم بصوت عالٍ كذلك لابراز وطنيته اللبنانية ، ولكن الانطباع الذي ساد مشاعري . هو ان حديثه فيه ما ينطوي على دفع ضريبة واجب الحديث فقط اكثر مما ينطوي على الصدق . وكان شديد الحساسية لمركز المسيحيين ، ولمركز لبنان في العالم العربي . وعلى الرغم من كراهيته للمسلمين ، باعتبارهم عائقاً للسلام وعاملا لتقويض الامن في لبنان ، لم يكن في امكانه الانقطاع عن العلاقات التجارية مع العالم العربي . اذ كان يقدر اهمية علاقاته مع الملك حسين . وان قدرته على اثبات وجوده في جونيه المحاصرة كانت مشروطة ، وحسب تقديره ، باقامة علاقات سلمية مع العالم العربي ، وهو غير مستعد للتضحية بهذه العلاقات مقابل توثيق العلاقات مع اسرائيل .

ان انقسام المسيحيين قد اثار القلق عندي ، سواء لكوني قائد منطقة الشمال ، او رئيسا للاركان العامة في مرحلة متأخرة . ونشأ العداء بين العوائل ، في الجنوب والشمال ، وكأنما ليس بينها مصالح متشابهة او مصير مشابه . وقلت للمسيحيين في الشمال : ان لديكم منطقة مسيحية في الجنوب ، تتاخمنا في الحدود . وهذه ميزة كبيرة بالنسبة لكم وسيكون في مقدورنا مساندتكم هناك ، بسبب القرب . لاتدعوا المسيحيين في الجنوب يحاربون وحدهم ، ارسلو قواتكم الى الجنوب ، وابدأوا بتحرير لبنان من الجبال ثم تقدموا باتجاه الشمال» . وكان سوء الفهم يسود المسيحيين في الشمال . حيث كانوا منقسمين بقضاياهم ، وغرباء بدرجة كبيرة عن احتياجات الجنوب . فقد كانت قوتهم محدودة كذلك . كنت راغبا في التصديق بان لديهم القدرة ، الا ان الواقع اثبت خطأي ، فلم تكن لديهم الا قوة كتائبية ـ طلبة في النهار ومقاتلون في الليل . وكان البديل مرتفعا وابعاده غير مستقرة . فقد كان الجنوب بعيداً عن مشاعرهم ، ومركزه اقل منهم . حيث يبدو ابناء الجنوب في نظر الشمال الغني والمثقف والمتعلم ، وذي الافاق الفرنسية ، كالفلاحين الفقراء والغير مطورين . وقد فصلت الغربة بين المسيحيين في الشمال واخوانهم في الجنوب بدلا من توحيد المصالح والاستعداد للعمل المشترك . ولم يكن حداد الجسور والممتلئ ثقة بالنفس يعترف وبنوع من نكران الذات بصفاته . فقد تنكر المسيحيون في الشمال له ، ولم يفهموا اية فرصة تكمن في الظروف التي ستوحد جيشهم ، اذ سيقاتل لوحده . وهو يعرف طعم النجاح ، وكذلك طعم الفشل . فقد

احتل تل كنيسة ، داخل الاراضي اللبنانية مقابل مشغاب ـ عام ، وتم صده بسرعة ، حيث جرح ونقل الى اسرائيل لتلقي العلاج ، بعدها ارسلت قوة صغيرة ليلاً لتفجير دبابة تابعة لنا وله كانت قد تركت في المنطقة ، وذلك من اجل ان لاتقع بيد المخربين .

ولم يكن حداد بطبعه سهل الانقياد ، وان افتراضه بان تبعيته لاسرائيل ستجعله خاضعاً لارادة قادة جيش الدفاع الاسرائيلي ، لم يكن له اي اساس في الواقع . فقد كان يهجم احياناً ، خلافا لرغبة جيش الدفاع الاسرائيلي . وفي الوقت الذي كنا نهتم فيه باجراء هدنة موقتة ، كان يطلق نيران المدفعية صوب تحشدات المخربين . وكان يستخدم المدافع والهاونات التي استلمها من قبلنا ، في الاوقات التي كنا نحرص فيها على الهدوء . وقد كان شريكاً مخلصاً لاسرائيل ، الا ان تبجحه اللبناني بالاضافة الى تباهيه الشخصي ، كان مصدراً كبيراً للمصاعب ولاختلاف الاراء .

وفي اطار العلاقات مع العناصر المختلفة في جنوب لبنان ، استجبنا بعد ترددات وتخبطات ، لمبادرة احدى القرى المسيحية وهي ، عسية ، الواقعة شمالي نهر الليطاني . وقمنا بتزويدهم بالسلاح والتجهيزات ، واوضحنا لرؤوساء القرية ، بان التعاون معنا سيزيد من غضب المخربين ، ولن يكون في امكاننا الاسراع لنجدتهم في حالة تعرضهم للهجوم ، ولسنا راغبين بخوض حربهم . وبالفعل ، تعرضت القرية لهجوم قوة كبيرة من المخربين ولم تجدهم نفعاً القذائف المدفعية التي زودنا القرية بها ، بناءاً على طلبها ، وتم احتلال القرية . ونجح جزء من الاشخاص في الهرب الى قليعة والى مرج عيون ، وذبح الجزء الاخر بوحشية متميزة . وقد انبني ضميري انذاك كثيراً . اذ لو لم نستجب لطلب رؤوساء القرية للتعاون معهم ، لربما كنا قد منعنا حدوث الدمار والخراب والمذبحة . اذ وضع هؤلاء ، واخرون غيرهم ، مصيرهم في ايدينا واعتمدوا علينا . ونحن بدورنا قدمنا افضل مساعدة لهم ، ولكننا وبسبب القيود والسياسة والمحظورات التي التزمنا بها ، لم يكن في مقدورنا دائماً انقاذهم من ايدي اعداءهم .

وقد احدثت انتخابات عام ١٩٧٧ الانقلاب السياسي . وتم تعيين عيزر وايزمان بمنصب وزيراً للدفاع . وقد كان تعارفنا مستمراً وايجابياً . وفرحت لتعينه ، على الرغم من كون علاقتي مع شمعون بيرس ، وزير الدفاع ممتازة ولم يشوبها الارتباك مطلقا . وينطبق نفس الامر على رئيس الحكومة اسحق رابين ، على الرغم من تحفظ علاقاته مع المظليين في الوقت الذي كنت فيه آمر سرية ، واريك شارون آمر كتيبة . وفي الوقت الذي عين فيه رابين قائداً لمنطقة الشمال حظر على المظليين التواجد في منطقة غور الحولة في سوريا . وانا اعتقد ، بان معاملته ازاء المظليين تأثرت جراء شكوكه تجاه شارون .

وفي احدى المناقشات التي كانت تتم في مكتب رئيس الاركان العامة ، حدث امر غير

مألوف ، اذ تسللت الحرب التي كانت بعيدة بشكل عام عن مركز العصب هذا ـ لو ان القرارات حول اهدافها وابعادها كان يجري اتخاذها هنا ـ الى داخل المكتب هذه المرة ، اذ سمعنا في منتصف المناقشة انفجار زجاج بعد مدأريه بيرو يده الى ظهره فصاح : «لقد سقط شيءٌ ما على ظهري» واتضح بعد التحري بان هناك ثقب في زجاج النافذة ، ورصاصة كلاشنكوف ضربت ملابس بيرو . واتضح ، بان مجموعة من المخربين قد تسللت الى فندق «سافوي» في تل ابيب ورصاصة تائهة وجدت طريقا لها الى داخل المدينة ، لربما من اجل ان تثبت بان ليس هناك اي مكان مأمون على الاطلاق .

وقد اختطفت طائرات تابعة لشركة «اير فرانس» ، كانت تقل ركاباً اسرائيلين ويهوداً ، الى عينتيبة . وكانت البلاد باكملها تتابع الاحداث . وكان عندي انذاك ضيوف من طبرية . وجاء الي راتس ومعه امر بالذهاب الى مقر قيادة الاركان العامة في طائرة ، واحضار قائد تشكيلات الدروع موسى بيلد معي . وقد اقلتنا ضابطة من مطار دوف الى المدينة . وتحققت معي الضابطة وبلهجة تنم عن معرفتها بالامر «هل سيذهب ام لا؟» وكنت في حيرة . وقررت ان لاافشي لها سراً بأنني لا اعرف عما نتحدث . وسكت . فالتحفظ له قيمة في مثل هذه الاوضاع . واتضح لي فيما بعد بان الضابطة هي زوجة دان شومرون السابقة ، قائدة عملية عينتيبة . فهل من دواعي العجب ان تعرف ما كان خافياً عليّ ؟ .

وقد بُشرنا في مكتب رئيس الاركان العامة بان الطائرات قد غادرت في طريقها ، واوجزوا لنا الخطة . وكنا انذاك في انتظار عصيب . وقد حرص رابين وبيرس وبرليف على التناوب في مكتب رئيس الاركان . وعندما وصل خبر انقاذ المخطوفين وانهم في طريقهم مع منقذيهم الى نيروبي ، ساد الغرفة جو من الرضا والتفاخر ، لاعهد لنا بابعاده . ولم نعلم في تلك المرحلة بان بوني قد قتل ، اذ لم يؤثر هذا الامر على جو الفرح . ورجعت الى المنزل ، واخبرت زوجتي وابني الطيار الحربي بما حدث . ولم يغمض لنا جفن حتى الصباح وذلك لعظم انفعالاتنا لحجم العملية والجرأة الكبيرة المطلوبة لتنفيذها .

وكنت في شك ما اذا سيكون في إمكانهم تحمل هذه العبء . وقد جوبهت محاولات سعد حداد لتوسيع مجال سلطته في المرتفعات الشرقية لغور مرج عيون بنيران جهنم المخربين .

وبدأت في ممارسة الضغوط على القيادة السياسية من اجل تقديم مساعدة اكثر فعالية للمسيحيين ، وذلك بادخال الدبابات الى المعركة او نيران المدفعية . وتأملت ان تكون

وجهة نظر وايزمان بخصوص المسألة اللبنانية اقرب لوجهة نظري مما لدى رئيس الاركان العامة غور . وعندما تم تعيين . بيرس وزيراً للدفاع ، نشأ مايشبه مثلثاً غير متساوي الاضلاع ، حيث ان موطي غوروبيرس كانا يشكلان في بعض الاحيان ضلعاً واحداً في مواجهة رئيس الحكومة اسحق رابين . وعند تعيين وايزمان اصبح الامل يحدوني بان اشكل واياه ضلعاً واحداً فيما يخص العلاقات مع المسيحيين في لبنان .

واجرى بيغن ووزير الدفاع وايزمان زيارة الى منطقة الشمال . وتم استدعاء حداد وشدياق لمقابلة رئيس الحكومة ، وطلب وزير الدفاع ان يرافقه غور في زيارته . وفي منزل رئيس المجلس في المطلة التقى غور ولاول مرة مع شدياق وحداد . وقد استعرض رئيس الحكومة ووزير الدفاع امام المسيحيين الخط الدليلي لاسرائيل والذي مفاده : «نساعدكم لمساعدة انفسكم . لاتتوقعوا ان نحضر لنقاتل من اجلكم» .

وقد تم استدعاء ممثل مسيحي بارز تحت جنح الظلام الى منزل رئيس الحكومة في القدس وندب اوضاع المسيحين البائسة في جونية وقد ضغط بشدة على بيغن كي يأخذ على عاتقه مسؤولية التعهد بشكل ابعد مما كان قائماً في ذلك الوقت في حالة تعرض المسيحيين لهجوم السوريين وبشكل ابعد من القصف المدفعي . وقد تصرف رئيس الحكومة بحذر ، ولكنه اكد ، بانه في حالة استخدام السوريين الطائرات ضد المسيحيين ، فان اسرائيل ستستخدم بدورها سلاحها الجوي .

وقد نشأت مشكلة خطيرة اخرى للسلطة الجديدة مع رئيس الاركان العامة السابق . ولم تكن المسألة قد اثيرت قبل ذلك الوقت ، نظر الان السلطة لم تتغير منذ اقامة الدولة . وقد كان حزب المباي ، بما يجري فيه من تغييرات ، هو الحزب الحاكم على الدوام وان من تم تعينه رئيساً للاركان العامة كان من اشد الموالين له ، على الرغم من عدم كونه عضوا في الحزب بشكل علني . وقد تغير هذا الوضع في عام ١٩٧٧ ، اذ اختار حكم الليكود رئيساً للاركان العامة لم يبق له لحين انتهاء فترة خدمته سوى سنة واحدة . وقد وجد غور نفسه وهو يعين بخضوع لمنصب وزير الدفاع «غريبا» وليس هناك من يتعاطف معه . اذ للمرة الاولى في اسرائيل يحدث ان يكون رئيس الاكان العامة في المعارضة . وقد نجد هذا الامر في الكثير من التصريحات اليومية ، حيث ان معظم افكار غور كانت مناقضة لمواقف الحكومة ووزير الدفاع . وتعد المقابلة التي اجراها غور للصحافة ، في وقت مقارب لمجيء السادات الى القدس ، بمثابة القمة . وقد ازداد التوتر والتناقض في القيادة الامنية ، وذلك نابع من شبكة العلاقات المتعكرة بين نائب وزير الدفاع ، موطكا تسيبوري ، ورئيس الاركان العامة موطي غور . فقد كان الاثنان عدوين لدودين وكان تسيبوري يضم بقلبه عداءاً واضحاً لغور ، الذي ارغمه على الاعتزال من الخدمة العسكرية .

وبعد التصريح الذي ادلى به غور للصحافة ، قرر وايزمان ابعاده عن منصبه . وكان موطي انذاك في مهمة سرية في احدى الدول ، اذ امره وزير الدفاع بالعودة الى اسرائيل . وعند عودته دخلت اليه في مكتبه ، وكان مايزال بملابسه المدنية وهائجاً ثم أجرى أتصالات هاتفية مع عدد كبير من الشخصيات ليطلب مشورتهم حول تحركاته . وبعدها استدعي من قبل وزير الدفاع في ساعة متأخرة . اذ احبط رئيس الحكومة بيغن نية وايزمان لابعاد غور . وقد سمعت باذني بيغن وهو يقول «لن يطرد رئيس اركان في دولة اسرائيل ، وذلك انطلاقاً من كرامة هذا المنصب فقط» .

وعلى اية حال ، ما ان اتضح ، وبعيداً عن كل شك ، بان مدة خدمة غور لن تطول اكثرمن الفترة المقررة للتعيين ، حتى تزايدت التخمينات والتضاربات حول ، من الذي سيكون رئيساً للاركان العامة ، والذي سيوصي به وزير الدفاع الجديد في الحكومة ؟ وبعد فترة ليست بالطويلة على تولي وايزمان مهام منصبه ، ارسل في استدعائي ليقول لي ، بانه ينوي تعييني رئيساً لشعبة العمليات . وتذكرت بانني سألت وزير الدفاع بيرس ذات مرة ، ما اذا كان منصب رئيس شعبة العمليات يعد شرطاً للتعيين في منصب الاركان العامة ، اذ اجاب بيرس انذاك بصورة جلية : «كلا ، لا يعد ذلك شرطاً» .

وبعد ثلاث سنوات وثلاثة اشهر على تعييني قائداً لمنطقة الشمال ، اوحى وايزمان بتعييني رئيساً لشعبة العمليات . ولم اكن واثقاً بان تعييني جاء موافقاً لمزاج غور ، ولو ان علاقات العمل بيننا كانت جيدة . وقد كان التعيين بمثابة شوكة في عيون العميدين كوتي وهرتزل شابير ، وليس في ذلك ادنى شك . فقد كان كوتي رئيساً لشعبة العمليات قبلي ، وارسل لاكمال دراسته خارج البلاد ، كنوع من التعويض . اما شابير ، فقد كان قائداً لمنطقة الجنوب ، بعد ان كان رئيساً لشعبة العمليات قبل ذلك . وكان الاثنان مرشحين مقبولين للمجيء بعد غور في منصب رئيس الاكان العامة ، وكان الجميع يعتقدون ، بان اختيار وايزمان سيقع على واحد من الاثنين . وقد جعلني تعييني رئيساً لشعبة العمليات في نفس المستوى كمرشح للمنصب الكبير . وقد احتج شابير لدى وايزمان ، كما علمت من وايزمان نفسه ، اما موطي فقد سكت ، ولكن بعد ان اتضحت نية وايزمان في مرحلة متأخرة ، لتعييني في منصب رئيسا للاركان العامة ، اطلق العنان للسانه ، وحذر وايزمان من نيته تلك ، على الرغم من انه اخبرني في محادثات شخصية جرت بيننا بانه سيوحد بي .

ان زيارة السادات لاسرائيل لم توقد عندي مصباح الحذر ، وهو ماينبغي علي الاعتراف به . اذ كنت اظن بان هذه الزيارة تعد تحولا تأريخياً في العلاقات مع العالم العربي . لم اكن اظن بان النتيجة النهائية ستكون كما كانت . فقد كانت مدلولاتها خافية

علي ، ولم اترجمها انذاك الى مفاهيم اخلاء سيناء بشكل مطلق مقابل معاهدة سلام ، بل ولم اصافح يد السادات عند استقباله في المطار ، حيث كنت واقفا في مكان بعيد ومظلم بعض الشيء . وكان مرافقوه قلقين على مايبدو . فقد صافح ايادي كثيرة ، وقبل ان يصل الي ببضع خطوات اوقفه حرسه الخاص وأحاطوه ثم دفعوا به الى داخل السيارة . وعادت يداي الممدودتان وهي فارغة حيث فقدنا نحن الاثنان بهجتنا الروحية .

وبدأت بعد ذلك الزيارات العلنية والنصف علنية للاسرائيليين في مصر ، وللمصريين في اسرائيل . وكان وايزمان يسافر باستمرار ، واختار في احدى زياراته هيرتسل شابير مرافقا له . واثار هذا الامر غضبي ، فلم تكن لي اية مشكلة لتوضيح الامور مع وايزمان . فقد كانت العلاقات بيننا بسيطة وصريحة وصادقة ، ولم تكن تجري على الدوام في مياه دافئة . فقد كان عيزر يفقد اعصابه ، ولم اكن انا من الذين يجلسون مكتوفي الايدي . فقد كانت بيننا مناقشات واختلافات في الاراء ، ولكننا هيأنا لانفسنا اسلوبا دقيقاً ، لم يخيب ظننا يوماً على الاطلاق . اذ كلما كان الجو بيننا ينذر بالغضب والعصبية وباحتمال الانفجار ، كنت اذهب بهدوء الى صندوق عيزر الصغير الموجود بالقرب من الباب ، وافتحة لاخرج من هناك شيئاً ما ، ذا لون اصفر او ابيض ، فهذا ليس مهماً ، وامسك بكاسين ثم امزج الشراب ، واضع احد الكاسين امامه ، وافرغ في جوفي مايحتويه ، وهو كذلك يصب مافي الكأس في احشائه ـ ثم ينتهي كل شيء . ولايظل اي ذكر للغضب والصراخ والعصبية . وعندما يشعر وايزمان بان الثورة على وشك الانفجار ، كان يرسل لي نظرة خاطفة قبل ثانية او اثنتين من بدء الحدث ، ثم يحول نظره الى الصندوق ، ثم سرعان مايكون الحل قد سرى مفعوله بنجاح .

لم تكن هناك اية صعوبة اذن ، في ان اسال وايزمن عن سبب تفضيل شابير علي ، في زيارته تلك الى مصر . وقد ابطل وايزمان مخاوفي بابتسامة ، وقال بان ليس لديه مايدعو للقلق واضاف «ان الايام القادمة كفيلة بافهامك» واجبته : «ان الايام القادمة لاتعنيني ، وانما الذي يعنيني هو هذه الايام فقط» . وركز وايزمن نظره داخل عيني ورد بجملة نصفها هزل ونصفها اعتذار وربعها يخفي فيها سراً : «لم يحن الوقت بعد» .

وكانت هناك صراعات خفية ، وضغوط ، وعمليات جذب في اتجاهات مختلفة . وفي احد ايام شباط ١٩٧٨ كنا نجري التجارب في احد الاماكن المخصصة لذلك ، ارسل وزير الدفاع في استدعائنا انا وموطي غور ، بعد انتهاء التجربة وسكت موطي ، ولم افهم مالمقصود بهذا الامر .

ووصلنا قبل ان يحل الظلام . ووفر علينا وايزمن المقدمات الكلامية اذ قال : «لقد ارسلت في طلبكم لاعلن لكم بان رفول سيحل محل موطي» . هكذا كانت جملة بسيطة

وقصيرة . فذهبت الى الصندوق واخرجت هذه المرة ثلاثة كؤوس ، واحدة لعيزر ، والاخرى لموطي ، والثالثة لي . وفي أحد الايام اخبرني عيزر ، بان القرار حول تعييني رئيساً للاركان العامة قد تبلور في داخله في الرحلة التي أجراها الى مصر مع شابير وكان موطي قد اخبرني عدة مرات وقبل أن يعلن وايزمان خبر التعيين بانه قرر أن يوصي بي - وليس بكوتي أوهيرتسل . ولكنني لست واثقاً بانه فعل ذلك .

الان توقيتي جاء في وقت متأخر ، ولم اشترك في «عملية الليطاني» في جنوب لبنان ، التي نفذت في الوقت الذي كان موطي فيه رئيساً للاركان العامة ، وكنت انا رئيساً لشعبة العمليات .

وفي شباط ١٩٧٨ ، في ليلة السبت ، اتصل غوربي هاتفياً في منزلي في تل عداشيم . وكان الامر الذي ادلى به ينطوي على قدر معين في الغرابة : «لقد حرث شيءٌ ما في الطريق الساحلي . اذهب في طريق وادي ملك ، ومنه الى الطريق الساحلي واتجه جنوبا ، وسترى ماحدث هناك» .

وكنت وحدي في المنزل ، وبدون سائق . وسافرت لوحدي باقصى سرعة ممكنة . وفي المنطقة الواقعة شمالي مرسى ميخائيل ، قابلت رجال شرطة وحرس حدود . وكان هناك قارب مطاطي وتجهيزات تابعة للمخربين . واخبروني بكل مايعرفونه عن الاوتبيس الدموي . وواصلت مسيري نحو الجنوب . وعندما وصلت الى ضواحي «كانتري كلوب» كانت قصة الدماء قد انتهت ، اذ اشتعلت النيران في الاوتبيس ، وكان سخط الله قد حل بنا . وواصلت الى سديه دوف ، حيث كان موطي هناك مع مجموعته القيادية الصغيرة . وكان حظر التجول قد فرض على المنطقة ، واجريت عمليات التمشيط بحثاً عن المخربين . ولم يكن معروفا بعد ما اذا كانوا قتلوا في الباص ، او نجح بعض منهم في الهرب . وكان جو الحرب يسود المكان . فقد كان هناك خطأ ما في النظام ، اذ ان الساحل لم يكن محمياً ولذلك نجح المخربون في التسلل مع قارب مطاطي الى وسط البلاد بالقرب من مرسى ميخائيل بالاضافة الى ان عملية المعالجة بعد ان سيطر المخربون على الباص ، كانت مليئة بالاخطاء والتقصيرات . ولن اتوسع في الحديث عنها لاسباب مختلفة .

وفي رد على عملية «الباص الدموي» الرهيبة على الطريق الساحلي ، تقرر القيام «بعملية الليطاني» في جنوب لبنان ، وذلك من اجل تطهير منطقة بعمق عشرة كيلو مترات تقريباً عن الحدودالشمالية داخل الاراضي اللبنانية . وكانت الامطار والغيوم السوداء والرياح العاصفة في استقبال القوات التي انطلقت لتنفيذ العملية في مارس ١٩٧٨ . ولم تجابه قواتنا مقاومة فعلية الافي بعض المناطق المعدودة ، وهي شريط ضيق

للمخربين في بنت جبيل . وكانت الحرب ضد الاوحال وصعوبة الحركة اقسى من الحرب ضد المخربين . وما ان انبثق نور الصباح حتى وجدنا انفسنا على بعد عشرة كيلومترات وفي بحر من الرايات البيضاء من كل صوب .

كنا على الليطاني . ونسيطر على مداخل مدينة صور . واثناء النقاش الذي اشترك فيه كل من وزير الدفاع ورئيس الاركان العامة وقائد منطقة الشمال (يانوش) وانا ، حاولت التأثير من اجل القيام بخطوة احرى وهي احتلال مدينة صور والوصول الى جسر القاسمية الواقع على الليطاني . وعارض غور بكل شدة . وتردد يانوش . وقد سمح وايزمان للجميع لتوضيح مبررات اقتراحاتهم . وكان موطي خائفاً للغاية من الخسائر الكبيرة التي ستنجم لحيش الدفاع الاسرائيلي وللسكان المدنين وتردد يانوش دون ان يفسر الاسباب . اما وايزمان فقد ايد الرآي الذي تقدم به رئيس الاركان العامة والذي يفيد بعدم احتلال صور . واتضح لي ، بان وزير الدفاع لم يكن راغباً باتخاذ قرار يخالف رأي رئيس الاركان العامة في مواجهة قائد منطقة متردد . واتضح لي كذلك ، بان ذلك كان خطأً خطيراً ، اذ ان مركز المخربين كان في صور . وكذلك قياداتهم واسلحتهم الوفيرة ، وكان من الممكن ان يكون لاحتلال مدينة صور ، وتصفية الاساس التخريبي هناك ثقل حاسم في المستقبل . وليس من المستحيل ان يكون بذرة حرب سلام الجليل والتي حدثت بعد مرور اربع سنوات ، مخفية في قرار عدم احتلال صور . ولو كانت صور قد احتلت انذاك ، كانت قوات المراقبة الدولية قد استلمت المنطقة ، بدون مخربين من جنوب الليطاني . واذ لم يتم الاحتلال ، فقد بقى جيب الصور في الواقع بيد المخربين ، الذين ادخلوا اليها كل ماكانوا يرغبون به . وقد نصبوا المدفع الذي قصف نهاريا في مقبرة الرشيدية . ولو كانت قوة الطوارى الدولية قد استقرت على طول امتداد الليطاني ، لما كان في مقدور المخربين تنفيذ ذلك . حيث ان مدافع (١٣٠) ملم لم تكن لتطلق من تحت الأبط او طرف الرداء . وهناك حقيقة وهي ان المخربين لم يطلقوا صواريخ الكاتيوشا صوب نهاريا من داخل منطقة قوات المراقبة الدولية . اما في القطاع الشرقي فقد كان المخربون يطلقون الكاتيوشا على كريات شمونه ، عبر الليطاني . ولكنني كنت واثقاً باننا لو احتلينا صور انذاك لما تغيرت صورة الوضع باكملها وكان من المحتمل ان لاتقع حرب سلام الجليل . وفي المناقشات حول الامكنة التي ستنشر فيها قوات المراقبة الدولية أضيفت أخطاء فوق أخطاء ، حيث تم تقديم الكثير من التنازلات التي لالزوم لها لتلك القوات . اما بخصوص القطاع الشرقي فقد تمكنا من الاصرار على مطالبنا حول توسيع منطقة سيطرة الرائد سعد حداد ، والحيلولة دون تسليم القوات الدولية المناطق التي تسببت في تقليص تحركات حداد .

وسيدعي كل من يؤيد مسألة التنازل للقوات الدولية ، بانه اعتقد بان قوات المراقبة الدولية ، والمؤلفة من قوات دول صديقة لاسرائيل وهي ، النرويج وهولندا ستكون ذات اثر فعال ، وستعمل لصالحنا . وهذه الدول هي صديقة حقاً . بيد ان افتراضنا هذا قد فند ، وكانت النتيجة خطرة حيث ان المخربين اجروا عملية غسل دماغ اساسية لجنود تلك الدول الصديقة . وقد تسربت هذه الامور من الوحدات في الداخل الى الشعوب الصديقة . وبالغت الصحافة واجهزة الاتصال في تشوية سمعة اسرائيل وذمها . وتحولت الدول الصديقة الى دول عدوّة . ولو كنا قد احتلينا صور لما بقي المخربون هناك . وقد اكتسبت الاتصالات والتعاون وتبادل ضباط الارتباط بين المخربين والقوات الدولية ، صوراً وطابعاً مختلفين تماماً . اذ لو كانت صور خالية من المخربين ، لما كان هناك سبب لقوات المراقبة الدولية لتبادل ضباط الارتباط مع المخربين عبر الليطاني . اذ في الوقت الذي كانت صور فيه مليئة بالمخربين ، كان سبب هناك لذلك ، حيث ان القيادات وقوات المخربين ، وتنقل المخربين بشكل حر على القاسمية ـ كل ذلك يستوجب اجراء اتصالات ومباحثات ومحاولات للتوصل الى التفاهم . وقد كان ذلك خطأ جسيماً ، اذ قادنا وبشكل طبيعي الى حرب اخرى في لبنان .

وفي السادس عشر من ابريل ١٩٧٨ ، تم تعييني رئيساً للاركان العامة في جيش الدفاع الاسرائيلي . وكان الجيش مايزال في لبنان وكان جنود القوات الدولية في طريقهم الى الانسحاب . ولم يكن في مقدوري انذاك ان اغير شيئاً . وكان قد تم الاتفاق على الخرائط . وان اي نقاش آخر حول اي خط كان موضوع خلاف . وهناك تفسير اخر لمجال سيطرة القوات الدولية ـ اذ ان الحقائق تم تحديدها وفقا لخارطة موقعة من قبل ضابط امريكي . وقد خدمتني هذه الخارطة في جميع الاتصالات التي أجريتها مع الجنرال سلسفاو .

تخفيف عقوبة بنتو

بعد مرور ايام قلائل على عملية الليطاني ، ساد الجمهور نقاش حاد حول اخلاقية القتال لدى جنود جيش الدفاع الاسرائيلي . وبدون ان نحسم شيئا من واجب المحافظة على الاخلاقية في القتال ـ فانا اعتقد ، بان جنود جيش الدفاع الاسرائيلي هم من اكثر المقاتلين اخلاقية في العالم ، وان الجيش باكلمه يحافظ على نقاوة السلاح اكثر من أي

جيش آخر وعليه ان فمن المناسب نذكر ماهي خلفية وظروف هذه الحرب : لقد ابتدأت هذه الحرب بعد عملية القتل الكبيرة في الباص الدموي على الطريق الساحلي . وقد بلغ السيل الزبىٰ . وقد خرج جيش الدفاع الاسرائيلي الى الحرب منتقماً ، فقط بسبب الضرورة في قطع اليد المخربة ، وللتأكيد على ان المخربين لن يستمروا في القتل وقد كان الامر : ابيدوا المخربين .

وعلى الرغم من ذلك ، وضمن الاطار ايضا ، تخللت عملية الليطاني افعال خرجت عن حدود المألوف . وقد انكشفت هذه الافعال ، ونال منفذوها العقاب . وقد ساد الصخب الجمهور ، وعلى الاخص حول قراي بشأن تخفيف عقوبة الملازم أول حيث حكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة خمس عشر سنة . وقامت محكمة الاستئناف بتخفيض المدة لثماني سنوات ، ثم جاء دوري في تخفيف العقوبة وتخفيضها لثلاث سنوات وقد اثارت قضية پنتو دهشة العالم ، واصطخبت وسائل الاعلام في اسرائيل فالكل قد ذهل فجاة لما اطلقوا عليه «نقاوة السلاح» . اذ ان دمج الكلمتين يكون جملة مزيفة ليس هناك نقاوة في السلاح لقد خصص السلاح للقتل من الصواب ان تتكلم عن اخلاقية القتال ، وانا اعرف ان تخفيف عقوبة پنتو وساديه لن تؤثر على اخلاقية القتال العالية لدى جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد نسي الكثير من الذين زعقوا ضد تخفيف العقوبة ، بانهم طالبوا نسيان احداث صرت في الماضي البعيد فقد قصى بعض من رجال البالماح خصيتي رجل عربي بالمقص ، وذلك لانهم اشتبهوا به بانه هو الذي هاجم شابه يهودية في غور بيت شان وقد كُتبت قصيدة مشهورة لهذا الحاذث ، وكانت مليئه بالفخر والتباهي حول كيفية محافظة رجال البالماح على شرف المرأة اليهودية .

ولم اشعر على الاطلاق بتأنيت الضمير لتحقيق عقوبة كل من پنتو وساديه ولدرمان . فقد قرأت ملف قضية پنتو بحرص ، حيث حدد القاضي بان الامر يتحقق أو يفشل وفقاً لشهادة شخص واحد . وقد كان ذلك اشخص هو يوآب هيرش وفي مثل هذه الحالة كانت هناك اهمية قصوى لهوية الشخص فقد كان الشخص الوحيد الذي اوصل ماعمله پنتو الى معالم السلطات وكان پنتو قائداً للسرية قبل ان يحل هيرش محله . وقد اسر الباب الاشخاص الذين عملوا معه وأحبوه . ولم يحظ هيرش الذي جاء بعده بمكانة مماثلة علاوة على ذلك كان محكوما عليه بالسجن لمدة عامين لسلبه غنائم في عملية الليطاني ، وألغيت عقوبته من قبل قائد منطقة الوسط ، ورئيس الاركان حالياً . وقد ادى بي ربط هذه الظروف الخاصة الى نتيجة مفادها بانه لا ينبغي نفاذ حكم پنتو ولذلك خففت عقوبته . وكانت التهمة التي الصقت بي ، في انني فعلت ذلك لان پنتو كان متزوجا من ابنة العميد داني مات ، لا تستند الى اية حقيقة . وكان داني قد تحدث معي وشهد على

پنتو بانه يعرفه شخصيا وانه شاب جيد ، الا ان هذا الامر لم يكن له اي تأثير على القرار الذي اتخذته اذ لم يتم العثور على جثث الاشخاص الذين اتهم پنتو باغتيالهم على الاطلاق .

اما ساديه اتهم بانه اصدر التعليمات لجنوده بقتل مجموعة من المخربين القي القبض عليها في الحرب . وكان انذاك آمر كتيبة في سلاح الهندسة . وكانت عقوبته خفيفة جداً ، الا انني قررت تخفيضها ايضا بنسبة قليلة . وقضى في السجن سنة واحدة وبما انه كان يعاني من مشكلة عائلية خطيرة فقدا عتقدت بان هذه المدة كافية .

وفي تحد الايام استلمت رسالة من عريف في الجيش جاء فيها : «ان پنتو هو الحالة رقم (١) . وساديه الحالة رقم (٢) . وها انا اكتب اليك ومع كل ما احمله من ضمير عن الحالة رقم (٣) : كنت عريفا في كتيبة تابعة للنا حال واثناء عمليات التمشيط القينا القبض على مجموعة من المخربين وسألني آمر الكتيبة عبر جهاز الاتصال . هؤلاء مخربون ؟ اجبينا : نعم . بعدها أمرنا بقتلهم . وقد انبني ضميري كثيراً ولذلك كتبت اليلك» .

وفرضت على الادعاء العام العسكري باجراء التحقيق . وارسلت نفسي في استدعاء امر الكتيبة ، وكان رجل كيبوشي ، ومن خيرة الشباب والجنود . وسألته : «هل صحيح ما عرفته ؟» اجاب : «احل» . واوضح بان الامور لم تكن واضحة بقدر كاف ، وكنا في ظروفا خاصة اذ كان الخوف بودنا بهذه الصورة او تلك . وشكل عام فقد تمالك نفسه وبمبادرة منه وذهب الى المؤسسة التعليمية وقص باكلمه ، حيث جرى نقاش وخرجت نقياً» .

وعلى اية حال ، يم يكن في مقدوري الاكتفاء بحكم المؤسسة التعليمية [التي تقابل عندنا دائرة التوجيه السياسي] ببساطة . فاستدعاه المدعي العام العسكري للمحاكمة . ولم تنشر اية كلمة في وسائل الاتصال . وان من كان يعتقد بان مؤامرة الصمت كانت تنبع من هوية الشباب ، عليه ان يقدم اسبابا مقنعة ومن نوع اخر . اذ اهتزت البلاد وعصفت عندما حوكم پنتو بشكل سري .

لقد كان الشاب الكيبوتي رجلا حي الضمير ، بالمفهوم الحقيقي للكلمة . وقد جاءني عدة مرات اثناء عملية التحقيق معه ليتحدث معي ويعرب عن قلقه العميق ، لئلا يُدان مرؤوسيه الذين نفذوا الاوامر ، ويصدر امر ابداعهم السجن ، في الوقت الذي من الممكن فيه أن يحظى بالبراءة . وسواء أكانت لديه علاقة في اصدار الامر ، او ان شخصا ما تحدث نيابة عنه ، فقد حظى بحكم البراءة . اما الجنود الذين نفذوا العملية ، فقد حكم عليهم بالسجن لفترات تتراوح بين السنة والنصف ـ والسنتين . ثم قمنا بالغاء

العقوبة نهائياً ، بصمت مطبق . وبدون ان تتسرب اية كلمة لاجهزة الاتصال . ولم يتسرب اي من اسماء جنود الناحال . وقيل لي بعدها ، بان الرقابة حظرت النشر . تعليل ركيك لماذا لم تنجح الرقابة في منع تسرب اخبار محاكمة پنتو ؟ الم يعد في الامكان توجيه السؤال الى وزير الدفاع ؟

وقد اسهمت كذلك في تخفيض عقوبة شخص يهودي يحمل اسم لدرمان حيث قتل شخصاً عربياً انتقاماً لمقتل احد الجنود في محطة للترام في القدس بيد العرب . وكان انذاك في الحرس المدني . وحكمت المحكمة عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً . ثم حصل على تخفيض محكمة الاستئناف لمدة عشر سنوات . ثم اصبحت مدة السجن ثلاث سنوات بعد التخفيض الذي اجريته . وعندما حضروا اليّ للطعن في الحكم قلت لهم : «ماذا تريدون ؟ وفق اي مقياس يسمح لمحكمة الاستئناف ان تخفض العقوبة الى النصف ويحظر عليّ تحويل النصف الى الثلث ؟» .

وفي حالة الدرمان انتصبت أمامي الحقيقة التي مفادها بانه شخص ناجح ورب الاسرة وأب لاربعة اطفال . واشفقت على الاسرة . اذ ان الانتقام هو امر مشروع في التوراة . فالعين بالعين والسن بالسن . ولكننا فعيش في ظل نظام حديث وفي دولة ذات قانون . وليس في مقدور كل شخص ان يقرر الحكم بنفسه . ولذلك عوقب لدرمان وقضى فترة معقولة ، حسب تقديري ، في السجن الى ان اطلق سراحه .

ثم جاءت حرب سلام الجليل لتثبت لجميع المتشككين والصاخبين بان اخلاقية القتال لدى جيش الدفاع الاسرائيلي هي عالية جداً في ظروف الحرب القاسية ، وفي القتال ضد الناس المدنيين ، الى الحد الذي تستحق من اجله اسرائيل وسام الشرف .

ولاانوي هنا أن اعين نفسي حاكما للفترة التي قضيتها رئيساً للاركان العامة فأنا شخص اميل بطبعي الى المبالغة في الانجازات والى التقليل من التقصيرات والاخفاقات . وقد استلمت المنصب وانا احمل وجهة نظر خاصة ، وحاولت ان اتركها ارثاً للجيش . وانا اذ اقدر جيداً اعتقد بان التقصيرات الكبيرة لاتولد من العدم . اذ انها تبدأ بتقصيرات صغيرة وبانتهاك غير محسوب للانضباط وبالقاء الحمل عن العاتق . ومن التعليمات الاولى التي اصدرتها هي اعادة البيرية الى مكانها . وفي الاجتماع الاول للقيادة العامة اخبرت اعضاء القيادة ما قاله لي موطيه غور . لقد قال : «ان انقل اليك منصب رئيس الاركان العامة هذا شيئ . وقد كنت رئيسا لشعبة العمليات . وانت تعرف النظام . فليس هناك اية مشكلة ، ولكن لاترجع البيرية» . ولم يوضح اكثر . ولم أفهم لماذا يُعد هذا القول هو الامر المهم الذي بقوله رئيس الاركان لخليفته . فلم اوافق على نصيحة موطي ، وصدرت تعليماتي لجميع الضباط والجنود ، بواجب اعتماد

البيريات . فالجيش ينبغي ان يكون موحداً ، ليس فقط باهدافه ، وانما ايضا بالمظهر الخارجي لجنوده . فالبيرية لم تخصص لكي توضع في الكتّافية ، وانما على رأس الجندي .

ان الجيش ينبغي ان يكون مثالا للشعب في جميع المناطق . ومثالا في الاقتصاد ايضا . فالشعب الفقير هذا مضطر لاقامة جيش كبير وقوي ، مدرب ومجهز حسب الاصول ، اذ بدونه لاتستطيع الدولة اثبات وجودها . وليس لنا خيار الا ان نخصص للجيش مبالغ طائلة ، اكبر مما تخصصه جميع الدول في العالم بالنسبة لحجم سكانها ، وذلك بسبب الحروب المفروضة علينا ، ولان جيراننا يرفضون التسليم بوجودنا . واذا كان من الضروري اطلاق صواريخ ، ثمن كل واحد منها الاف الدولارات ـ ليس لدينا في ذلك اي خيار . ولكن الاسراف محظور علينا . وذلك نظرا لان الوسائل قليلة الى حد ما ، والاحتياجات كثيرة الى حد ما ، والمعدات غالية الى حد ما ايضا . وقد عمدت الى تنمية الوعي نحو الاقتصاد في كل مجال ممكن . وحتى عندما كنت قائدا لمنطقة الشمال ذهلت لمناقشتهم اياي في كيفية تبديدنا للطعام . بعدها اصدرت التعليمات بتخفيض عدد اقراص الخبز الى ثلاثة الاف قرص في اليوم . ولم يكن اي جندي يفتقر الى الخبز . وكانت صناديق القمامة لاتحتوي الا القليل من بقايا الخبز . وعندما اصبحت رئيساً للاركان العامة توفرت لي امكانيات واسعة لتنفيذ عمليات الاقتصاد والالتزام بها . وطلبت مراراً وتكراراً ان نتصرف كجيش فقير بدون تعب وبدون انقطاع .

وبما ان الكلام لايكفي والوعظ لايكفي ايضاً ، فانت ملزم لأن تثبت من ان لآخر بانك جاد النية والعمل . وقد استدعيت ذات مرة للذهاب في مهمة في سفينة صواريخ ، حيث وضعت حاجياتي الشخصية على الاريكة المحددة لي ، وتوجهت الى المطبخ . وهناك فتحت صندوق القمامة ووجدت فيها رغيفاً مقطعاً من الخبز ، ملفوفاً بكيس من النايلون . فاستدعيت آنذاك الشخص المسؤول عن المطبخ ، اذ لايوجد رجل طباخ في سفينة الصواريخ ، حيث يقوم الجنود باداء المهمة ـ وتمتم ببضع كلمات تفيد بان الرغيف منذ يوم امس وانه لايعرف شيئاً . وقلت له «حسناً ، اخرجه من الصندوق ، واقل الخبز مع البيض وقدمه لي وللضباط في العشاء» . فانا اعشق الخبز المقلي منذ ولادتي .

وعند المساء ، كان الضباط يأكلون وهم ساكتون . هل يعرفون ؟ بالنسبة لي لم اوضح الامر ، ولكني اعتقد بان «تعليمات مجنونة» كهذه لن تبقى مختفية في المطبخ . فقد لاحظت ان احد الضباط غمط شهيته ولم يأكل . وقلت له : «الا تأكل» . واوضح لي

بتعابير تنم عن الاشمئزاز بانه غير معتاد ومنذ الصغر على ان يأكل الخبز المقلي . ورمقته بنظرة وقلت له : «كل ياحبيبي . كل . فانت تحب الخبز المقلي . انه طعام لذيذ» . ثم اكل واختنق .

كان من الصعب تغيير العادات ، فلا توجد هنا اعمال عجيبة وانجازات سريعة . فقد تغلغل الوعي تدريجياً الى الادمغة بضرورة الاقتصاد . وان نحافظ على الممتلكات . وليس هناك ملك مشاع . فهذا الشيء ملكك وانت مسؤول عنه . ولم نوفر الملايين من الشيكلات فقط وانما شحذنا النشاط نحو الاقتصاد ، وهنا تكمن الاهمية التعليمية من الدرجة الاولى .

ولم احرص حرصاً على مسألة ترتيب هيئة الجنود النظامية فقط ، وانما ايضاً على مسائل نظافة المحيط والمعسكرات . اذ كنت افضل على الدوام النموذج الشخصي في الاماكن الكثيرة التي كنت استدعى اليها كالمعسكرات والقواعد والمكاتب وغرف النوم . وكانت الضرورة تقتضي ان انحني اكثر من مرة لارفع اعقاب السكائر والعلب الفارغة والاوراق الملفوفة . وكان القائد يسير الى جواري ، حيث ارتبك في باديء الامر قليلاً . اذ ان ظاهرة تحول رئيس الاركان العامة الى عامل نظافة غير واسعة الانتشار . ثم فهم بعد ذلك ، وهذه هي مرحلة مهمة . اذ بدأ يحذو حذوي . ينحني ويرفع الاوساخ ، ومن بعده الجنود ، دون ان ينبسوا ببنت شفة ، الى ان اصبح المعسكر نظيفاً .

وهكذا كنت اقوم في مرات عديدة بجمع ظروف الاطلاقات ، دون استخدام الطرق الوسيطة او الاوامر عبر القنوات المألوفة . وكنت رئيساً لمجموعة من الجنود في منطقة تدريبات ، فقلت لهم : «هيا بنا لنملأ القبعات بالظروف» . واندفع الجميع للعمل من خلال الابتسام ، وعلى اساس المنافسة وروح الدعابة . وكانت استجابة الجنود البسطاء في بعض الاحيان اكبر من تلك التي عند القادة ، وغالباً ماكان هذا الامر يحزنني . كنت انتظر ان يفهم القادة الذين يتحملون المسؤولية كيف يتصرف جيش فقير ! ولم اتردد في تأنيبهم . ولم اوافق مطلقاً على الادعاء بانهم هكذا يتصرفون ايضاً في حياتهم المدنية . ومن المحزن للغاية ان يكون تصرفهم هكذا في الحياة المدنية وانه لن يكون في امكانهم الاستمرار طويلاً على هذا النحو . الا ان الجيش ليس هو بمقلد . انه النموذج الاصلي الذي يقتدى به . وانه الطلائعي الذي لايتهاون وكذلك رجاله عن اداء اي واجب ، حتى اذا استخف به المواطنون ، وبضمنهم الزعماء ، وتنصلوا عن المسؤولية .

صندوق لبي (من أجل أمن اسرائيل) مفخرة متجددة

امرت كرئيس للاركان العامة بجمع كل اغلفة الرصاصات المهملة وكل اغلفة طلقات الرشاشات واسلحة الرمي . فالنحاس المستعمل في انتاج الطلقات يستورد من خارج البلاد . وتمر الطلقة بست مراحل انتاجية حتى تصبح جاهزة للغرض . كان جمع الاغلفة امراً تربوياً من الدرجة الاولى وحرصت على تنفيذ الامر حتى وان كان سبباً في المرحلة الاولى للضيق والسخرية .

انني من كبار من يؤمن بالتربية وانني اعتقد ان اسرائيل ارتكبت حماقات كبيرة طوال عمرها . فمن الواجب التحدث مع اطفال الروضات في نعومة اظفارهم عن دولة اسرائيل . فهناك تبدأ التربية . وليس شرطاً ان يتم هذا الامر بالكلام . فمن الضروري التجول مع الاطفال في انحاء البلاد ومن الضروري ان يحرثوا الارض بأرجلهم وان نغرس في قلوب الاطفال حب كل ناحية وحب كل شجرة وزهرة . فالتربية عمل مطرد ومتواصل وينبغي الاستمرار عليه مدى الدهر حتى بعد ان يصل الفتى والفتاة الى جيش الدفاع الاسرائيلي لخدمة دولتهم .

وقد اصدر اباايبن رايا ذات مرة «ان وزير التاريخ» هو المتهم بذلك هو الذي يتحمل وزر اتساع الهوة بين شباب اسرائيل وان ابناء الطوائف الشرقية يجدون انفسهم في عزلة مبعدين عن ابناء الطوائف الاشكنازية (الغربية) ويشعرون بالدونية امامهم . فأجابه من اجابه وزعموا فيما زعموا بأن وزير التاريخ لايتحمل التهمة بمفرده بل يتحملها معه وزراء في حكومة اسرائيل . وسوف لاازج بنفسي في هذا الحوار . فالحقيقة ان طبقة كاملة من شباب اسرائيل قد ظلت حقيقة في المؤخرة ولم تصل الى ما وصلت اليه الطبقات الاخرى في اي مجال كان : فهناك الآلاف من الشباب متروكون دون عمل او تعليم وتخلفوا في كل المجالات ويبقون في اميتهم حتى تحين ساعة تجنيدهم . وقد تخلفوا في مجالات اخرى على مدى عمرهم - فلم يستوعبهم جيش الدفاع الاسرائيلي منذ البداية . لم يجندوهم . لقد بدوا غير اهل للخدمة . وقد تركتهم الامية في المجال العسكري كما هو الحال في المجال المدني السابق للاول هم وقدرهم .

لم استطع ان احتمل هذه الفكرة . ولم استطع التسليم بها . وقد بدأت عدة مرات وعلى الرغم من شدة بعض العوامل ان اهيء المجال العسكري الذي يستوعب هؤلاء الشباب . فليعطوا فرصة جديدة وليعيدوهم الى المجتمع الاسرائيلي .

ولم يكونوا قلة في داخل الجيش هؤلاء الذين كانت لديهم تحفظات على ماانوي عمله

وعلى جهودي ولااقول انهم حكموا عليها بالقضاء . لم اضعف . وتابعت هذه الامور يومياً . ولانه امر ضروري فقد استخدمت صلاحيتي الادارية دون كلل في تذليل العقبات . ومع ذلك لم ادخر جهداً في الاقناع والشرح لهذه الاهمية الكبرى في الاهتمام بالشباب من الطبقة الدنيا واستيعابهم في جيش الدفاع الاسرائيلي ليس فقط لان هذا الامر يعتبر اضافة للقوة البشرية وانما لان جيش الدفاع الاسرائيلي يؤدي واجبه الاجتماعي والانساني والوطني هنا الامر الذي تجاهلته العناصر المدنية كواجب ينبغي القيام به .

ولم يخفني ان تعتبر العناصر المدنية نفسها مضروبة . لقد كشفنا بلادة حسهم واهمالهم في واجبهم . وكان رد بعضهم يرمز في غياب تجاوبهم مع جهود جيش الدفاع الاسرائيلي الذي بدأ يقطف الثمار يرمز الى التهمة الكبيرة القائلة «ليس هذا شأنكم : ليس هذا مجال عمل جيش الدفاع الاسرائيلي ! واعترفت بمشروعية الادعاء وكل مااستطعت ان اجيب به هو صحيح : لو كانت العناصر المدنية قد عملت في هذا المجال باعتباره واجبهم لما اضطر جيش الدفاع الاسرائيلي لعمله . لكن العناصر المدنية لم تعمل هذا وجيش الدفاع الاسرائيلي هو الفرصة الاخيرة امام هؤلاء الشباب . فلا ينبغي ان تفوتوها» .

لقد تطوع جيش الدفاع الاسرائيلي بتوفير ثقافة اساسية وتعليم . اقمنا جهازاً لاستيعاب الشباب المتروك . وقررت : لاينبغي ان ينقصهم شيء عندنا فلقد ذاقوا الحرمان طول العمر . عندنا نعطيهم كل مايستطيع الجهاز ان يعطيه لهم . نوفر لهم احسن المعلمين . انني اريدهم ان يخرجوا من هنا آدميين !» .

ويعرف كل من عمل في التعليم : ليست هناك طفرات ولا مكاسب آنية ولاحلول سهلة . من الضروري ان نحرث بصبر وان نزرع ونروي ونسمد . وعندما يكون الانتاج متدنياً ولايمكن العيش عليه ـ فمن الضروري ان نحاول ثانية بصبر حديدي ولانستسلم بأيدي منهكة .

اخذنا شباباً مهملين واعدنا لهم كبرياءهم ومعرفتهم بعظمتهم وكان لذلك تأثير لايمكن وصفه ليس على الشباب فحسب بل على البيت والناحية . شاب كهذا مهمل مظلوم نكرة ومطرود يعود الى بيته نظيفاً يلبس ملابس لائقة يتيه بنفسه يحمل بندقيته الشخصية (اذا كان قد وصل الى هذه المرحلة) تتطلع اليه ناحيته باندهاش وهي التي اعتادت ان تراه طريداً وقد حكمت عليه انه لن يكون آدمياً في يوم من الايام .

وبرز من خلال التثقيف الاساسي لجيش الدفاع الاسرائيلي رجال وجنود . واذا كانت النسبة الكمية للنجاح ـ تقارب الخمسين من المائة من اولئك الذين انهوا تعليمهم فقد

انتقلوا الى وحدات قتالية راقية وقد استوعبتهم كمقاتلين اكفاء في كل شيء . واكدت ان بعض طاقتهم قد ضاع في عمل سلبي لمجتمع مهمل لكن اذا توفرت لهم الفرصة والظروف للتطور - فانهم لايقلون عن اي جندي آخر . فرضت في بداية الامر على ضابط هندسة كبير ان يأخذ تسعة من هؤلاء الشباب من دورة لتشغيل سلاح ميكانيكي هندسي ثقيل . وبدأ التسعة الدورة . واكمل التسعة الدورة . واكملوها على خير مايرام . وذهبوا للعمل في المحطات الجديدة لجيش الدفاع الاسرائيلي في النقب . وأبدوا امتيازاً . سعدت واجتاحني احساس عميق بالاقتناع . لم يكن هؤلاء الرجال بيت يقف وراءهم . كان الجيش هو بيتهم الحقيقي الاول . لقد احبوا هذا البيت وانضجهم على مهلهم : ابقيناهم لوحدهم واعددناهم كموجهين فانتشروا في انحاء البلاد يبحثون عن شباب مثلهم يجندونهم في الجيش ويعدونهم لتشغيل السلاح الثقيل .

فتحنا مدارس اضفنا مؤسسات لهذا الغرض غرض التعليم والتثقيف . وكانت النجاحات الاولى مشجعة للفكرة . وفي البداية كنت المجنون الاول - كما وصفوني - الذي راح يصلح مالم تستطع كل الهيئات قبل جيش الدفاع الاسرائيلي ان تصلحه . لكن شيئاً فشيئاً تزايد عدد المجانين واندفع آخرون بحماس فائق للاهتمام بالامر .

لم يكن المال موجوداً . واثناء المناقشات الحادة حول ميزانية الدفاع ومن خلال محاولات عديدة «لذبح البقرة المقدسة» وللتأكيد على ان امن اسرائيل لن يضار حتى اذا خفضت ميزانية جيش الدفاع الاسرائيلي تخفيضاً كبيراً كان طبيعياً ان يفترض ان بالامكان توفير المال عن طريق ضرب نشاط التعليم والتثقيف الاساسي لجيش الدفاع الاسرائيلي . لم اوافق . ناضلت . وقد اعتبرت هذا الامر مسألة وطنية واخلاقية من الدرجة الاولى . خفضوا الميزانية حوالي مليار ليرة في موضوع التعليم . قلت : نحن نسهم بهذا المبلغ او بجزء منه نكون القدوة . على ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي ان يكونوا القدوة . نساهم براتب يوم كل شهر لهذا الغرض - التعليم والتثقيف الاساس .

سخروا . ضحكوا . استهزؤا . لم لا ؟ فهذه هي الطريقة السهلة والمثلى للتملص من المسؤولية . اما الطريقة الاخرى التي آمنت بها فهي ملزمة . كل اصحاب الرواتب الوسطى والعليا في الاقتصاد المدني والجماهيري عليهم ان يساهموا من رواتبهم لهذا الهدف الهام وحتى لاهداف اخرى . اما ان يهزؤا ويسخروا فهذا امر سهل . الا ان الضباط ساهموا ووضع اساس «لصندوق لبي (من اجل أمن اسرائيل) وتدفقت المساعدات . وحتى هذا اليوم ظل هذا الصندوق مليئاً تتدفق عليه كثير من المليارات للتعليم والتثقيف الاساس في جيش الدفاع الاسرائيلي . وكانت المؤسسة التي في غفعت اولگا مصحا . حولناها الى مدرسة لتعليم الشباب البالغين القراءة والكتابة . دعوت

رئيس الحكومة ورئيس الدولة وبعض الوزراء لزيارة هذا المكان حتى يروا بأم اعينهم ماذا يمكن عمله مع هؤلاء الشباب الممتازين . وترقرقت دموع الرئيس نافون عندما رأى شبابا بالغا يخط على السبورة الحروف ا ، ب ، ا انهم يكتبون لاول مرة في حياتهم كلمة بابا .

وذاع صيت هذا العمل واثار الاهتمام . اشترينا بنايات اخرى وفتحنا مدارس اخرى . جاء الينا علماء اجتماع وعلماء نفس متقاعدون وعرضوا مساعدتهم . لقد اثار الامر شيئاً ما في نفوسهم . ولانه من غير الممكن تعليم رجال بالغين الف باء القراءة والكتابة بنفس الطريقة المتبعة في رياض الاطفال فقد راحوا يعدون طرقاً في التعليم والتربية خاصة بمجموعاتنا .

وعندما اصدرت امري في البداية لضباط من مختلف صنوف الجيش ان يذهبوا الى مدارس التثقيف الاساس وان يأخذوا من هناك جنوداً لوحداتهم ـ لم ينجحوا في اخفاء ضيقهم . انهم لم يصدقوا ذلك غير انهم انصاعوا لما امرت به . لقد ذهبوا وبدؤا في تجميع جماعات من الجنود . جمع ضابط المدفعية مجموعة من الجنود الراغبين في الخدمة ليكونوا مدفعيين . ضابط المظليين جمع جنوداً تاقت نفوسهم للخدمة كمظليين . حرص الضباط على المحافظة على اقامة علاقات وثيقة مع جنودهم . حتى انهوا الدراسة في مدارس (صنوفهم) وانتقلوا للخدمة في وحداتهم . هؤلاء الجنود الذين لم يثق احد في البداية في قدرتهم وكل واحد تعجب بالتأكيد من رئيس الاركان المجنون . اصبحوا مرغوبين في الوحدات القتالية وتعودت ان نقدم هؤلاء الجنود كجائزة للوحدات الجيدة فضلاً عن اتمام القوة البشرية . غير انه قد جاءني ذات مرة مدير القوة البشرية وادعى انهم يعتبرون هؤلاء الجنود متممين للقوة البشرية كجنود اعتياديين مخصصين للوحدات .

وصل هؤلاء الجنود الى جميع الوحدات ـ القتالية والخدمية . كان منهم المظليون ، والمدفعيون ، والفنيون والطباخون والسواق . وكان العمل الاكثر طلباً ولايزال هو تشغيل الاجهزة الميكانيكية الثقيلة وهذه هي المهنة المطلوبة في القطاع المدني وقد احتل الشباب من خريجي المدارس اعمال هذه المهنة في سوق العمل المدنية . جاء احد هؤلاء الجنود ولم يفلح في المهنة ولم يكن أهلاً للعمل ضمن الوحدة ـ فلم ارفع يدي مسلماً ولا سرحته ولا فصلته . اعدناه الى المدرسة شهراً وشهرين . اعطيناه فرصة اخرى . وفي مرات عديدة كانت المحاولة الاولى او الثانية تنجح . لقد انقذنا نفساً اخرى .

كان الاولاد في هذا الجهاز همزة وصل للاسرة . كان الآباء يحضرون احتفالات الدورات في المدارس . ولم يكونوا قد سعدوا مرة طول حياتهم بالمشاركة في مثل هذه الفعالية . كان الولد متأنقاً مزيناً بالعلامات مرتدياً ملابس جيش الدفاع الاسرائيلي

مختلفاً تماماً عما كان عليه من شكل اعتيادي . ويستضيف جيش الدفاع الاسرائيلي الآباء ويوزع عليهم الاحترام ويسلم عليهم رئيس الاركان العامة شاداً على ايديهم . ومن شاهد هؤلاء الآباء شعر بأحا سيسهم . ولم افلح الا مرة واحدة في حبس دموعي في احتفال انتهاء احدى الدورات وبصعوبة شديدة : حيث وقف الآباء يحتضنون اولادهم ونفوسهم جياشة بالاحاسيس وفتحوا جيوبهم وتبرعوا بكل ماعندهم لصندوق لبي . لم يكونوا يملكون الملايين الا ان الآلاف التي تبرعوا بها اصبحت في نظري تساوي المليارات . لقد كانوا رجالاً فقراء يرغبون في الخير .

لقد دعمنا مجموعات الشارع لوزارة العمل . وتوصلنا الى اتفاق مع الشرطة ووزارتي الداخلية والعدل بأن تعدم اضابير اولئك الذين خدموا الجيش دون شائبة من الشباب ذوي الماضي العقابي . وكان هذا عاملاً هاماً من اجل اندفاعهم .

عدت الى البيت (سرحت من الجيش) وظل صندوق لبي انني فخور به وهو اليوم اكثر شهرة من الصندوق القومي اليهودي «كيرن كييمت» . كل شاب يعرفه ويتلقى الدعم بالمليارات . وهو يمول حوالي ٥٠٪ من نفقات هيئة التعليم في جيش الدفاع الاسرائيلي ويمول جزءاً كبيراً من وسائل القتال .

عدت الى البيت ولم يعد بمقدوري العمل من اجل لبي والتعليم في جيش الدفاع الاسرائيلي كما كنت رئيساً للاركان العامة لانني الآن بدون صلاحيات الا ان هذا الفيرس لم يغادرني . انني لااضيع اية فرصة في حياتي المدنية لحث على التبرع لـ لبي . وفي مختلف الاماكن التي اظهر فيها ادعو في المناسبات للتبرع لـ لبي .

ولأنني اومن بالعمل لا بالوعظ فقد قامت عائلتي بعمل واحد متواضع وهو ان شجعنا احدى الاسر في عفولا . والدان غير قادرين على مساعدة ابنائهما في التعليم . فتحنا لهم بيتنا في تل عدشيم وكان الاولاد محبوبين منا . وساعدناهم في التعليم ورافقناهم الى المدرسة التي يتعلمون فيها .

في سنتي ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ استمرت عمليات المخربين على طول الحدود الشمالية وخاصة بالمدفعية والكاتيوشا . وقمنا بنشاط جوي وبحري وبري ضد المخربين وتجمعاتهم في لبنان .

في اوج نار جهنم التي ليس لها مثيل حتى هذا الوقت لامن حيث الكثافة ولا القوة عندما هاجم المخربون جونيا والمسيحيين في بيروت الشرقية قمنا بتنفيذ عملية فريدة من نوعها . في جنوب بيروت يقع فندق متروك على ساحل البحر . اتخذ منه المخربون قاعدة ومخزن سلاح كبير وبعد عدة محاولات ابحرنا قبالة البناية اطلقنا قذائف دقيقة تجاه الفندق المتروك . كانت الاصابات جيدة واشك ان تكون مفيدة للمسيحيين الواقعين تحت نار جهنم .

كنت في سفينة الصواريخ . وفي كل مرة ننفذ فيها عملية بحرية اكون في سفينة الصواريخ مع مجموعة القيادة البحرية . وفي عمليات اخرى في السابق كنت في زورق مطاطي . وحتى في بعض الاحيان في سنونو او في زورق سباق كنت استحوذه بمثابة غرفة قيادة صغيرة ٨٠٠ او ١٠٠٠ م من الساحل . انني احب الابحار في سفينة الصواريخ في مرجوحة غرفة القائد حيث استغل كل ثانية فراغ في التمتع بالعرق المحفوظ في الثلاجة . اقتربت آلة الابحار من الشاطيء . فتحت نار سريعة ودقيقة شاهدت لداخل بناية مخربين . جلست على مسطبة زورق القيادة. شاهدت النار اليهودية تنزل على جوينا وعلى بيروت والحرائق الكبيرة التي اضاءت السماء بنار حمراء . فكرت بيني وبين نفسي : هل هذه مساعدة ؟ هل هذه تساعد المسيحين (وفي اول فرصة سمعت كلاماً مفصلاً من المسيحين : لم تؤشر نيراننا ولم تخفف ابداً من الضغط الشديد الذي كان يقع نار مدفعية مضادة للطائرات في مجال الابحار . اصدرت امر لآلةالابحار بالتوقف عن المواجهة والانسحاب ومرت قذائف المدفعية المضادة للطائرات الكثيرة من فوق رأسي ونزلت في الماء وجعلته ينتشر كالنافورات . فكرت في نفسي : اذ تلقيت قذيفة في ظهري فليست هذه هي الميته التي حلمت بها بالضبط . . . وجاءت فكرة اخرى طردت الاولى : اذا كان هذا هو المكان الذي اموت فيه فهل هذا هو المهم كيف تصيب القذيفة هل من الامام ام من الخلف .

نصيحة طيبة للاميركيين

منذ تعييني في منصب رئيس الاركان العامة قدم الي مندوبون رسميون للولايات المتحدة في اسرائيل وسألوا عما اذا كنت اريد ان ازور بلادهم . وفي نهاية ١٩٧٩ استجبت للدعوة . وكنت رئيس الاركان العامة الاول لجيش الدفاع الاسرائيلي الذي يزور الولايات المتحدة الاميركية زيارة رسمية . وعرضوا امام عيني الولايات المتحدة الاميركية بحجمها الكبير من الشاطئ الشرقي الى الشاطئ الغربي ومنحني الامريكيون وسام التقدير (لجيون اوف ميريت) في احتفال وثائقي على حديقة البنتاكون وعلى انغام النشيد الوطني الاسرائيلي (تقفا) والنشيد الوطني الامريكي .

خصص الامريكيون لنا طائرة خاصة . واستقبلت زوجتي ومدير مكتبي وانا في كل مكان باحترام ظاهر . وغمرنا الاميركيون بمشاعر الحب والقربى بمجرد علمهم رغبة مهم

في تكريم الضيوف . ولم ار في ذلك اي شئ شخصي . وكانت هذه علاقة احترام واعجاب باسرائيل وبجيش الدفاع الاسرائيلي اللذين نمثلهما في هذا الموقف . وكانت لي لقاءات مؤثرة مع زملاء لي في مدرسة الـ (مارينز) منذ سنة ١٩٦١ ومع زوجة امر المدرسة التي حرصنا على علاقتنا بها عن طريق الرسائل وخاصة منذ وفاة زوجها .

لم اسافر كما هو مفهوم الى الولايات المتحدة بصفتي مستشارا للجيش الامريكي غير انني وفي كثير من الاماكن التي دعيت اليها وفي المقابلات الكثيرة التي اجريتها برز اهتمام وضيفيّ عما يدور في ايران بعد ان سيطر الايرانيون على سفارة الولايات المتحدة الاميركية في طهران وحجزوا رجال السفارة كرهائن وتحدوا الولايات المتحدة الاميركية بشكل خطير . واحتفظ رجال الجيش الامريكي بكبريائهم الطبيعي وبدءوا في طرح الاسئلة عليّ بنوع من الارتباك . «ماذا نصنع؟ كيف نطلق سراح رجالنا في طهران؟» اجبت : انتم دولة كبرى وانتم ستجدون طريق العمل . لستم محتاجين لمشورتنا . لكن هناك شئ واحد اشور عليكم به : لاتستعملو القوة لا تستعملو القوة ويحتمل بان هذه المشورة كانت غريبة على سماعهم . رفعوا قاماتهم باندهاش : «لكنكم استعملتم القوة في عينتيبة ونجحتم في الاختطاف ووقف العالم كله وقفة دهشة واعجاب» : «الفرق بين عينتيبة وطهران كالفرق بين اوغندة وباريس . وحديثي هنا عن مدينة هي عاصمة دولة . وتقع سفارتكم في وسط المدينة . الايرانيون جاهزون . انهم ينتظرونكم . اما هناك في عينتيبة فكان كل شئ مختلفا . كان هذا مكاناً معزولاً . وقد استفدنا من ميزة المفاجأة . لاتستعملوا القوة هناك» .

لايزال محدثيّ متعجبين : لماذا اسرائيل هكذا والولايات المتحدة الامريكية القوية لا ؟ حاولت من جديد : انتم بالتأكيد تستطيعون الوصول الى هنا واذا قمتم بذلك بشكل صحيح فانكم تستطيعون ان تشقوا لكم طريقاً للسفارة ، لكن ما الذي يضمن لكم ان لايكون هناك في السفارة ايراني معتوه واحد يحمل كلاشنكوف ويحصد باندفاع كل رجالكم قبل دقائق معدودة من اطلاق سراح الرهائن على ايدي قواتكم؟» لم تكن هناك اجابة في افواههم . ولم ارد ان اقول لهم اكثر من هذا : ليس لهم الخبرة القتالية لجيش الدفاع الاسرائيلي .

وكما هو معروف لم يقبل الامريكيون مشورتي ولا توقعت ان يقبلوها . وعندما كنت لا ازال في الولايات المتحدة الامريكية كان يخيل اليّ انهم قد بدءوا فعلا التخطيط لعملية اطلاق سراح الرهائن بالقوة . ولم تكن لدي نية في التدخل في هذا الشأن . ولو لم اسأل لما كنت قد ادليت بأية مشورة . كان فشلهم ذريعاً . وبعد مرور فترة حضر لاسرائيل عدد من الضباط الاميركيين الذين شاركوا في المحاولة الفاشلة في ايران . واستمعنا منهم

الى محاضرات واعية عن عوامل الفشل . ولم يكن هناك فرق واضح بين تقديراتي قبل العملية وتحليلاتهم بعدها .

وحتى لايبقى مكان للشك ولازالة اية عجرفة : وفي نفس هذه الظروف كنت اوصي كذلك جيش الدفاع الاسرائيلي ان لا يحاول استخدام القوة في اطلاق سراح الرهائن في طهران مخافة وقوع الضحايا عبثاً . وحتى يصل افراد المجموعة التي ستقوم باطلاق سراح الرهائن الى بناية السفارة هناك احتمال ان لايجدوا هناك شخصاً واحداً .

لقد قمت احياناً بزيارات الى مصر . ولم ارد اطالة الحديث عنها . وقد تكون انطباع لدي في انه لا اصلاح لمصر ولن تصبح القاهرة ابداً مدينة نظيفة . ان التلفونات لاتعمل بصورة سليمة ولو لمرة واحدة . ولو اجتمعت كبريات دول الغرب والشرق مع اليابان لماستطاعت ان تجعل من مصر دولة حديثة لايخلقون انطباعا حسنا للزائر ، ينظفون له الشوارع من كل الاوساخ . فاذا ما ذهب ـ تتجدد جهنم .

ان اللقاء مع مصر وظواهرها ـ الحنفيات التي تسرب في فندق فخم ، ورق الحائط المتساقط من الجدران ، الاوساخ ، الفاكهة المتعفنة التي وجدتها على منضدتي في الفندق ، اللامبلاة والاهمال للموظف المصري ، انعدام اي امل في حل مشكلات مصر الحقيقية ـ كل هذه الظواهر وغيرها ، اثارت السؤال الذي لاخلاص لي منه : كيف استطاعوا ان يباغتونا سنة ١٩٧٣ واجتياز القناة والتمسك بالضفة الشرقية؟ اي جيش يمكن ان ينبثق عن شعب كهذا . من دولة منهارة كهذه .

وقد تبلورت لدي اجابتان بينها علاقة وثيقة : الاولى: انهم استعدوا لهذا الهدف فقط وضحوا لاجله كل ما لاتريد اسرائيل ودول ديمقراطية اخرى ان تضحي به : التعليم والرخاء الشوارع والتلفونات الخدمات الصحية وغذاء غالبية الشعب المصري . وقد سخر الجميع لهذا الهدف . وقال مصري كبير ذات مرة لاسرائيلي حقيقة مروعة : لاجتياز قناة (السويس) ستتراجع مصر ٢٥ سنة الى الوراء في جميع مجالات الحياة ولمهاجمة اسرائيل ثانية ستنهار مصركلياً .

السبب الثاني : هو انه لم نقرأ خارطة مصر بصورة صحيحة غرقنا في ذهول عميق وسقطنا ضحية لغطرسة لايمكن الصفح عنها . وجعلنا انفسنا عبيداً لخداع خطير وسقطنا ضحية له .

لقد اضطررت ان اقطع زيارتي الثانية لمصر على اثر مكالمة هاتفية كشفت لي ان اضطرابا قد ساد في هضبة الجولان وقد تقرر ارسال قوات اضافية تجاه امكانية المواجهة العسكرية . وقد اعتذرت لمضيفي من مصر وامرت بارسال طائرة وعدت الى البلاد .

لم الاحظ تبدلات ذات بال في زيارتي الثانية الى مصر وقد كان ذلك في سنة ١٩٨١

وذلك بعد مقتل السادات . وان الخبر الاول للاضطراب في مصر وافانا في ذكرى المظليين وكان الخبر مفاده ان السادات قد جرح في يده . وقد قلت لمتحدث جيش الدفاع الاسرائيلي «انه قتل» .

ان كل اضطراب في القيادة العربية هو لصالح اسرائيل وان كل ما يزرع الارتباك ويزعزع الحكم ليس فيه اي سبب يجعل اسرائيل تتأسف عليه . وان القادة العرب يفترقون بين من يحب اسرائيل وبين من يعاديها . انهم يختلفون فقط بالطرق التكتيكية الواجب اتخاذها من اجل انجاز اهدافهم .

ليس هناك قائد مصري لا السادات ولا مبارك ولا اي متطرف اكثر منهما في وجهة نظره . لم يكن ليجعل اي شيء قبل اخلاء سينا حتى آخر سنتيمتر فيها حتى لايعطي لاسرائيل اي مبرر يجعلها لاتفي بالتزامها في معاهدة السلام بصورة صحيحة ومتكاملة . وان كل قائد مصري السادات لو لم يقتل لكان قد فعل كما يفعل الاخرون ـ كان قد بذل جهوداً كمبارك لاعادة مصر الى حضن الامة العربية ، ولكي تكون جديرة بحسن الظن واعاد لمصر موقعها القيادي . واذا كان ذلك مرتبطاً بفتور السلام او تجميده او تحويله الى سلام بارد يفتقر للمعاني الحقيقية ـ هذا هو الثمن ـ وان كل قائد مصري مستعد لدفعه اتمنى لو استطيع القول الاكيد ان اكون متيقنا من ان كل قادة مصر لن يكونوا مستعدين مستقبلا للذهاب قدما في افراغ السلام من أي معنى له ـ الى درجة العودة الى وضع الدولة المعادية لاسرائيل .

على كل حال ففي زيارتي الثانية وبصحبة آمر القوة الجوية ورئيس قيادة الجنوب فقد قمنا بزيارة بعض المعامل لصنع السلاح وكانوا فرحين بانجازهم ولكني وحفاظاً على الذوق العام لم اقل لهم باننا قد تجاوزنا هذه المرحلة منذ سنوات طويلة كما وزرنا معملاً لتجميع الصواريخ ضد الدبابات من صنع بريطاني ، وكان اسهام المصريين هو تركيب الاجزاء على سلسلة الانتاج المتحركة .

لقد وضعت اكليلاً من الزهور على قبر السادات لقد جاء السادات . رأى . تكلم وسافر وقد ختمت المعاهدة في كامب ـ ديفيد ، وقد وافقت اسرائيل على اخلاء جميع المستوطنين من سيناء وكوني رئيساً للاركان العامة ليس هناك حاجة للقول ان كل قرار تصدره الحكومة هو بمثابة امر لايمكن التبرم منه . وهناك شائعة تقول ان موشي ديان قد تنازل عن كل سيناء في لقائه بالمندوب المصري في المغرب حتى السنتيمتر الاخير فيها . وقد وضع بيغن في موقف غريب ، واني لست متأكداً من ان موشي دايان قد تنازل مسبقاً وقبل بدء المفاوضات عن كل سيناء . واني لا أعلم فيما لو كانت هناك امكانية المساومة مع مصر لانجاز السلام وبدون التنازل عن كل سيناء وبدون اخلاء

المستوطنين . ومن خلال الاستعداد غير المشروط لتنفيذ كل امر للحكومة فقد سمحت لنفسي بالقيام بعمل ما حيث ذهبت للقاء رئيس الحكومة مناحيم بيغن . وافترضت انه احس بانفعالي . الا انني حاولت ان استعرض الامور وفقاً لمنطقهم ودون تدخل المشاعر . وقلت له (لرئيس الحكومة) سيدي رئيس الحكومة لم يحدث في تاريخ الشعب اليهودي ان يجلوا المستوطنون اليهود بمبادرة منا . لم يحدث ابداً . اننا لانجلي المستوطنين بسبب ضغوط الحرب القاسية . فهل من المسموح لنا ان نتخلى عن المستوطنات تحت ضغط السلام» !

سكت ، حيث ان رئيس الحكومة قد احبني . وكانت لي معه لقاءات حول هذا الموضوع كالتي كانت له مع الاخرين وكان أبوياً في سياسته . وقد استطعت ان ادرك حزنه العميق ولكني لم اكن محتاجاً لان اكون انطباعاً . وقد قال لي ان اخلاء المستوطنين قد مزق قلبه ولكن ليس هناك خيار آخر . وان هذا هو الثمن الذي نسلمه مقابل (تحقيق) السلام . حقاً اننا لن نخلي المستوطنين بمبادرة واتفاق منا قبل ان تطلب (مصر) هذا . ولكن هذه هي المرة الاولى في التاريخ والتي بها نوقع اتفاقية سلام مع دولة عربية هناك خطوتان اوليان معروفتان في التاريخ ـ السلام والانسحاب ، وهناك توازن معين بينهما .

لقد أعارني بيغن هذه المرة كما هو الحال في المرات السابقة أذناً صاغية ، وفي المحادثات كان ينظر الي بعيون اربع وكان مصغياً الي بشدة في جلسات الحكومة وانني اعتقد انه قد ملك ، روحي وسيطر على اسلوب تفكيري . ولكن ربما كان يسكته استعدادي لان اقول دوماً مايختمر في نفسي ، دون ان افكر فيمن يستحسن اقوالي او من يستهجنها . وان هذا النمط من السلوك لم يفارقني ابداً ـ لا في مواقفي ولا في اقوالي .

بين عيزر وبيني

لقد كان وايزمان يختلف عني تماماً فيما يتعلق بهذا الموضوع . ولست سعيداً بايراد حديث نقدي عليه كان لطيفاً . سلساً ومن السهولة ان تحبه اكثر من عيزر رجل الجيش ، «الصقر» المشهور ، المخلص لحركة اسرائيل الكبرى ، الذي يحلم ويقاتل من اجل يهوداه والسامرة ـ لم يبق شيء في صورته السياسية . فان لديه الميل الدائم لارضاءه الجميع وان ينال رضا الجميع وان يشق طريقه بين كل العوالم وان ينال حب الجميع وتقديرهم لايحب الامريكان ، والاوربيين ايضاً ، والمصريين ، والاسرائيليين ايضاً ، يحب جميع الاغراب والاحزاب ، والاتجاهات المتناقضة الآراء والمواقف والطرق .

ان خصلته هذه ، ان الجميع ينبغي ان يحبوه ويمتدحوه ويشيدوا بخصاله ويعترفوا بالقدر الطيب الذي جاءهم به ووضعه في مراكز قيادية ، هي خصلة مقلوبة مثبطة وبين هذه الخصلة وبين القدرة على التمسك بالمواقف والنضال من اجلها باخلاص ثغرة كبيرة .

على عكس اريل شارون والذي كان ، مفكراً ويسير ضمن منهج معين . بارد (احياناً الى حد الجمود) كان عيزر حساساً . انسان ذو مزاج متطرف ولكنه انساني جداً وكان باستطاعته التحول وبسرعة من الوضع النفسي الكئيب الى التفاؤل ومن الخيبة العميقة الى الامل الكبير ، ومن الحزن الى الفرح . واستطيع التحدث عما استحقه ومايستحقه لاننا وجدنا دائماً وسائلاً لتحقيق التوتر والسيطرة على تضارب الآراء حتى عندما كان الاعتقاد السائد ان تضارب الآراء واختلاف وجهات النظر لايمكن السيطرة عليها . وقد قال لي بلطف : هل تعرف الفرق الكبير بيننا ؟ انت جئت من الفقر والعوز وانا اتيت من الرخاء والغنى . ثم كبرنا . ولم اقبل وصفه هذا حيث انه الفرق الثابت والذي منه تشخص الفروقات الاخرى وكانت هذه غطرسة ابن الذوات على ابن الفلاحين . وقد سلكت طريقي في الارض . ارض صلبة . وقد تمسكت بزرعي حتى اخر قطرة من دمي . وقد كان نجماً ساطعاً حيث ان كل الوظائف الكبيرة كانت تنثر تحت قدميه وما كان عليه الا ان ينحني ويجمع وكان له حسب تقديره لنفسه افضلية طبيعية مما (يؤهله) لان يكون المنتصر والمتقدم علي . وقد كان رجل العالم الكبير اما انا فرجل قروي ذو تفكير ضيق ولم يرغب عيزر احياناً في اشراكي في مشاكله السياسية . وفي احيان اخرى كان يرغب ولكنه لايجد لدي الاستعداد لان اكون غريباً اكثر .

لقد كانت لنا محادثات لاتعد وتضارب في الآراء لايحصى وكانت لنا في المراحل الاولى من تعيينه وزيراً للدفاع اتفاقيات مبدئية وتطابق في وجهات النظر الاساسية . وبعد ذلك تكونت فجوة في هذه المواضيع ايضاً . اما انا فقد بقيت مصراً على وجهة نظري فيما يتعلق بارض اسرائيل ولم ابد اي استعداد للتنازل والمساومة . اما هو فقد أبدى تغيراً في موضوع الشعور . وقد قال لي . انت تفكر كرجل جيش . كشخص نما على هذه الارض . اما انا فافكر كرجل سياسي كشخص له افاق كثيرة من خلال رؤيته للعالم .

لقد كان من الممكن اقناع عزر حيث لم يكن به عناد يدعو للقلق وكانت له قدرة على الاستماع والاصغاء والاقتناع . ففي الامور الاساسية نستخدم فلسفة الذرائع حيث يشمخ بقدرٍ من المساومة والالتفاف والتنازل ولكن في الشؤون اليومية تطلق توقعاً معقولاً وهو انه لو كانت تعليلاتك جيدة ومنطقية فانه لايصر على موقفه بعناد . الا اذا كان الامر يتعلق بمكانته كوزير للدفاع فان ذلك يمنعه من تغيير موقفه .

لقد كان له شعار دائم والذي اثر على رؤيته للعالم وكان قد قال لي (رفول) ليست لدينا حلول سريعة . بالتأكيد اننا نحتاج لان نعيش مع العرب في تلك المناطق كمستوطنين دائمين . وقد اجبته : نقول ثانية فاننا نحتاج لان نعايشهم لزمن طويل . وبذلك فاننا نبعد كل المسؤوليات عن انفسنا . ونحن ملزمين برجاحة التفكير . التروِ والحذر . وعلينا ان نجيب بوقت واحد واجابة واحدة بانهم يحتاجون العيش معنا لسنوات طويلة . لماذا فقط نحن نحتاجهم ؟ لماذا لم يحتاجونا هم . فاذا قلنا باننا نحتاج العيش معهم لسنوات طويلة ـ هذا كما لو اننا قلنا باننا فقط مضطرين لان نتنازل ونكون ملزمين بمراعاة امزجتهم ومشاعرهم وتقديرهم . واذا قلنا بانهم يحتاجون العيش هنا ولسنوات طويلة (هذا يعني) بانهم يضطرون دائماً للتنازل ، المساومة ومراعاة مشاعرنا وامزجتنا (والحفاظ) على خلفية تراثنا وقراراتنا التي وضعت موضع التنفيذ والتي تثبت الى الابد . ونحن غير ملزمين بمراعاتهم اكثر من كونهم ملزمين بمراعاتنا . ولم يتخذ اي قرار (حول هذا الموضوع) .

كان وايزمان عاطفياً نزقاً يجمع بين اوضاع نفسية متغايرة ولم يكن بالامكان ابداً توقع رده او التنبؤ بقراره ، وكان احياناً يتراوح بين الاعتدال والشدة ويستطيع حدث معين ان يحدث تغيراً جوهرياً غير متوقع منه . وبعد مقتل خمسة من مستوطني مدينة الخليل وبينما كنت مستعداً لنقاش حاد معه حول ضرورة الرد بالقوة . لم استطع الا ان اتعجب عندما اقتنعت انه لاحاجة للنقاش حيث انه تقبل وصايانا في تلك الليلة فيما يتعلق بطرد رؤوساء البلدية الموالين لمنظمة التحرير الفلسطينية .

لقد اظهر الصقر المشهور والذي ارتد عن مبادئه وتحول الى احدى الحمائم . اظهر عناداً قوياً في هذا الموضوع على الرغم من ان وجهة نظري كانت تحمل شيئاً من المرونة : فعندما هاجر مستوطنون الى الون موري خرجت الى المنطقة وتكلمت معهم ثم رجعت الى وايزمان واقترحت عليه ان يكلم المستوطنين ويتحدث معهم وقلت له «ادع كيئولاكوهين» لقد كانت بينكم في الماضي وجهات نظر متطابقة وتسود بينكم علاقات الود . صاح بأعلى صوته وهذا كل مايستطيع وايزمان عمله «لا أريد التحدث معها» واني اظن انه يخاف المواجهة المباشرة مع كيئولا حيث ان مبرراتها اكثر اقناعاً منه وانها ستأخذ ثأر اهانته لارض اسرائيل وستغرقه بالعبارات القاسية التي لايحب سماعها .

ولم يكن من السهل اقناعه بدعوة كيئولا واشتركت بالمحادثة . وكانت تتهمه بالاخطاء وكان يجيبها بالصراخ . وكان من الواضح لي بانني سوف لا اجد لغة مشتركة بينهما . وقد كان مصراً على رأيه : اما ان يجلوا اونجليهم ـ ولم يقبل المساومة .

ان الخلاف الذي بدا بين وايزمان وبين المستوطنين ادى الى خلاف بيني وبينه

(وايزمان) وقد كنت مقتنعاً بان الون موري هو مركز امني وقد اصبح الاستيطان هناك مسألة امنية . اما عيزر فلم يعتقد ذلك فقد عبر عن رأيه ايضاً في جلسة الحكومة وقد اهتم شخص ما بتسريب المعلومات . وقد كان هناك خلاف تام بين وجهات النظر بين وزير الدفاع وبين رئيس الاركان العامة . ولم يكن هذا بحد ذاته شيئاً نادراً وانما كانت هناك اشياء مماثلة منذ الازل الا ان في هذه المرة كانت الحكومة قد طلبت مني ان ابدي الرأي وكشفته ـ ليست لدي حيلة اخرى ـ لان الون موري هو مركز امني والاستيطان فيه هو ضرورة امنية . اما عيزر فقد غضب ولم يتردد في ان يجيبني : انه لم تكن هناك ضرورة لاعلان ابداء الرأي وان رجاءاتي لم تفد . قلت له «ماهذا الذي تسمه غير ضروري القول : لقد امرتني الحكومة لان اقدم رأيي عندها كنت مضطراً لاطاعة اوامرها كرئيس للاركان العامة .

«وماذا كتبت في ابداء الرأي» ؟ لم آت بجديد ! حيث ان الون موري كان قد حدد كمركز للاستيطان منذ عام ١٩٧٣ لقيمته الامنية وانا لم اضف شيئاً على الاطلاق واستندت على تلك الاشياء .

ان راي وايزمان لم يكن مريحاً . وقد فهم على طريقته العلاقات بين وزير الدفاع وبين رئيس الاركان العامة . فلو ظهر بينهما تضارب في الاراء ولم ينجح احدهما في اقناع صديقه لتغير رأيه يضطر رئيس الاركان العامة ان يضم رأيه لرأي الوزير . ان هذا الاتجاه لم يكن مقبولاً لدي . حيث ان وزير الدفاع لم يكن آمراً على رئيس الاركان العامة . وان الحكومة هي المسؤولة على رئيس الاركان العامة وان وزير الدفاع هو مندوبها . فاذا كان هناك تضارب في الاراء بين الوزير وبين رئيس الاركان العامة فان الاخير مخول ـ ومجالات معينة يكون ملزماً ـ لان يعبر عن موقفه المخالف فما بالك وهو ملزم بالاستجابة لكل طلب للحكومة .

لقد كان بيننا تضارب في الاراء وبمواضيع كثيرة . فقد ايدت العمليات الانتقامية والتي قامت ضد المخربين في لبنان بعد كل عمل تخريبي او اطلاقات الكلاشنكوف والمدافع . اما عيزر فقد كان متغير المواقف . مرة هكذا ومرة هكذا اما انا فقد ادعيت بانه من الواجب المحافظة على القانون في يهودا والسامرة بالقوة وبدون مساومة . اما عيزر فقد كان مرناً وكان احياناً مستعداً لتجاهل القانون والعمل ضمن اعتبارات اخرى وذلك لاجل الحصول على اعجاب الكل وكسب رضاهم . ببساطة يفهم عيزر العرب واصبح بذلك ـ تابعاً لمجموعة كبيرة من الناس في البلاد ـ السياسيين ، وايضاً رجال الجيش وجمهرة المدنيين .

لم يفهم عيزر عقلية العرب ابداً كانت وجهة نظره الاساسية هي ان التنازلات للعرب تؤدي الى تلطيف مواقفهم الاساسية . تؤدي الى المساومة وتشجيعهم على الموافقة في المساومة مع اسرائيل والتنازل عن حلمهم في الابادة . كانت وجهة نظري على عكس ذلك : التنازلات للعرب تفسر عندهم كتعبيرات للضعف وهروب من النضال . وهم يربون على ان يبقى عنادهم مستمراً . وهم مقتنعون ان في نهاية الامر ستقوى ايديهم . هم يعملون على تقوية مواقفهم وبذلك يكونون اكثر عداءً . لم يقبل عيزر رأي ولم اقبل رأيه .

مع ذلك لم نكن اعداءً بأي حال من الاحوال وانما احبه مختلفون . وقد وجدت عنده لغة مشتركة وقد اكثرنا من مواجهة هذا بذاك سافرنا سوية هو علمني قيادة طائرة الهلكوبتر وانا فرحت لاستخدامي كمساعد طيار له وقد استطعت وفي حالات كثيرة . تقريباً دائماً . ان اجد الخط الذي يوحد الرأيين ويمكننا من التعاون على الرغم من تضارب الاراء الاساسية .

وكان وايزمان يقص لي بين الفينة والفينة شيئاً عما حدث في كامب ديفيد . لم تتوحد الاشياء من اجل صورة كاملة ولااستطيع القول بان عيزر قد ضم موقفه لديان للتأثير على بيغن وعلى حكومة العمل على تنازلات اكثر لمصر حيث انه يجب انشاء «حكومة سلام دولية» لان هذه الحكومة لاترغب بالسلام . هذا في الوقت الذي كان فيه رئيس الحكومة في الولايات المتحدة يجري حواراً صعباً مع الرئيس والحكومة ـ كان هذا العمل خطراً حيث انه يضعف الحكومة ويقوي مصر والاتحاد السوفيتي ويؤدي الى ممارسة ضغوط اضافية على اسرائيل . حقاً التساؤلات هي كيف ان وايزمان ودايان علما الاميركان كيفية التعامل مع بيغن وممارسة الضغط عليه . وانا لااستطيع القول الاكيد . انه هكذا كان . لكن من يستطيع ان يعلن ان الحكومة ـ والذي هو عضو كبير فيها ـ لاتريد السلام يستطيع ان يمارس ضغوطاً على رئيس الحكومة من اجل السلام ويقدم هو التنازلات .

حكى لي وايزمان عن لقائه مع الرئيس كارتر في كامب ديفيد . لقد كان عاطفياً ومندهشاً كيف ان الرئيس جاء الى كوخه دون خبر مسبق . جلسوا واكلوا الشكولاتة وشربوا الويسكي . وفي لقاء كهذا يمكن اخذ الكثير من عيزر . ان لهذا طابعه الخاص . اذا جاء الرئيس الى عيزر بدهائه ويغمره بمراسيم الاحترام والتقدير ـ سيقابله عيزر بعرفان الجميل . كان عيزر قد اتى من واقع عربي ونما في خداع التنازلات والتقارب .

اناس كثيرون يعرفون عيزر البشوش . اللطيف الذي ينثر سحره في كل مكان . ولكن عيزر كان يغضب بسرعة اذا وضع في موضع المساومة . ومن لم ير ثورة غضبه لم ير

شيئاً في حياته لن يصدق . حقيقة لاتصدق مرة جئت اليه في موضوع ما وعند دخولي الى مكتبه رأيت الاوامر باوراقها الطويلة المتداخلة ببعضها . ومن غرفة عيزر سمعت تاوهات واضحة ـ لم اسمع في حياتي مثلها ـ سألت ماذا حدث . همس «ادخل ادخل ـ هكذا قيل لي . رأيت العميد الثاني افريم (پرڤيكا) بورت ، السكرتير العسكري لرئيس الحكومة يقف مطأطيء الرأس وكان عيزر يزعق عليه ويغمره بعبارات الخزي والسخرية والصراخ . من خلال الكلمات المتناثرة حاولت ان اكون صورة ولأفهم ماحدث هنا عزرا يضرب المنضدة وانا خائف من ان تكسر المنضدة او يدها پرفيكا صامت . ربما من حظه انني ساكت . عيزر لم يهدأ مثله مثل الطفل الذي جرح وبدأ في الصراخ ولايستطيع ان يسكت . ولم يحدث من قبل ولامنذ هذا الوقت وحتى الآن . لم اسمع شخصاً ينفجر هكذا ولم ار شخصاً يتصرف هكذا تدريجياً فهمت ماحدث وعندما زحف پرفيكا خارجاً وقد اكمل لي عيزر النقص : دعى الى اجتماع في الحكومة في موضوع غير عسكري والتي كانت لعيزر علاقة مباشرة واهتمام كبير به . ولكن لم يخبروه . وقد القى المسؤولية على پرفيكا . او ربما ستكون له فرصة لقاء پرفيكا في مكتبه وعندها سيغضب ويصب غضبه عليه .

من غير الممكن فهم الانفجار الهائج والذي لايمكن تفسيره الا على اساس احساس عيزر . ان العناصر الكبيرة في الحكومة قد فقدت ثقتها فيه وانه قد ابعد عن مركز اتخاذ القرار والحسم ربما انه قد كون اساس قراره للاستقالة من وظيفته ومن مجموعة الحكومة . باستطاعتي ان افهم بانه لايستطيع ان يتحمل علاقة الرفض غير المرغوبة باستطاعتي ان ادرك استياءه قبل وقت طويل من اعلان استقالته . هو لم يلمح لي بما اذا كان سيستقيل . ولكنه اشركني مرات ومرات بتفكيره : «اسمع انا لااستطيع البقاء مع هؤلاء الرجال . ليس من اجلي ـ اريد ان استقيل انني اكره هذه المواجهة انني ذاهب .

انكر ، في كل مناسبة هسست قلبه حتى لايستقيل ، قلت له لاترفع يديك (مستسلماً) قاتل من موقعك احببته واستطعت خدمته على الرغم من اختلاف الاراء . ولكني رايته منذ تعينه وحتى استقالته هكذا .

في قرارة نفسه يكمن افتراض وهو ان الاستقالة ستؤدي الى سقوط الحكومة . هذا لم يحدث . كان هذا حقيقة حياته . وبيديه مهد الطريق امام شارون الى وزارة الدفاع ، هذا قتله . لم انسى ابداً : يوماً ما نادى لي عيزر دخلت . كان جالساً بنفس القسمات التي بدأ بها في التاسع من آب وقال لي : «استقلت» . قلت ليس جيداً . ليس جيداً ماعملت . قال لي . انت صغير ، لم تفهم شيئاً في السياسية سكت . قال لي قبل ذلك مرات كثيرة : «انا ولي العهد انا ولي عهد بيغن» وكما يبدو ان بيغن لم يحب الوصاية وهو على قيد الحياة .

ان استقالة عيزر وقرار بيغن بأن يتولى كذلك منصب وزير الدفاع كانت تبدو لي طبيعية ففي اسرائيل تولى رؤوساء حكومات قبله منصب وزير الدفاع (بن غوريون واشكول) وتولى شاريت رئاسة الحكومة ووزارة الخارجية . كان تقديري لبيغن كبيراً ولم اتوقع صعوبات في التحدث معه . لكن عندما اصبح وزيراً للدفاع اتضح لي وبشكل سافر الصعوبات في المنصب الجديد . كان بيغن رئيساً للحكومة ولم يكن مهيأ من وجهة نظري للمشاورات والمحادثات لم تكن باستطاعتي الدخول الى بيغن في كل ساعة كما يمكنني الدخول الى وايزمان دائماً وبكل ساعة . باستطاعتي ان اتصل به تلفونياً بكل ساعة على الرغم من افتقاري لمثل ابواب عيزر المفتوحة لي . هنا عاد مردخي تسبوري (موطكا) الى الصورة كنائب لوزير الدفاع وهو الان في وضع جديد وكان عيزر طول فترة وجوده في وزارة الدفاع قد استطاع ان يضع تسبوري في مكانه وحجمه دون زيادة كان يعرف بان تسبوري سيوضع في محله وان هذا ليس له اهمية . انا لم احتج تسبوري ابداً . كل شيء كنت ارتبه مع عيزر . تسبوري الذي توقفت ترقيته في الجيش ظن وجهات نظره السياسية قد اقامت امامه حاجزاً في الجيش . واعتقد آخرون ان قدراته لاتكفي لاكثر من هذا انه ينتظر ساعته وقد حانت مع تولي بيغن منصب وزير الدفاع . بيغن لم يكن قد رأى الجيش . لو استطاع ان يكرس كل وقته لوزارة الدفاع لامكنه ان يجتاز النقص على مر السنين .

لكن بيغن كان مشغولاً جداً في وظيفته كرئيس للحكومة ولم يستطع ان يقتطع الا قليلاً من وقته للجيش . وكانت هذه الفترة في صالح موطكا تسبوري . كان يعرف الهيأة ومنصبه في وزارة الدفاع مما اثار الضحكات . بيغن كان محتاجاً له وقد اصبح همزة الوصل بين بيغن والجيش . وكان موطكا يحس بالقوة والنفوذ كان اكثر قرباً لبيغن مني . اضطررت لابداء كثير من الاحترام لتسبوري كان هناك مناقشات كثيرة وغير سهلة بين تسبوري وبيني . كانت مشكلة صعبة مع التكاليف (الميزانية) . كان عيزر قبل استقالته هو المقاتل الامين والعنيد ضد الرغبة في تنفيذ تخفيض في ميزانية الدفاع . موقف بيغن كان يزيد الوضع اشكالاً وتعقيداً هو لايستطيع ان ينشب وحرباً ضد تخفيض الميزانية . بسبب انه كرئيس للحكومة كان قد رأى انه ملزم بنظره شاملة لضروريات الاقتصاد وصعوباته الكبيرة . ولم يكتف تسبوري بعدم النضال ضد الرغبة في تخفيض الميزانية بل انه انضم الى صفوف المطالبين بالتخفيض ولم يؤيدني فقد وقفت وحيداً في هذه المعركة امام الجميع ولاعجب ان تكون حرباً على شاكلة (دون كيشوت) لا امل في نجاحها .

تدمير الفرن (الذري) العراقي

كانت المعارضة الشديدة لتسبوري حول نية تحطيم الفرن (الذري) العراقي خطراً لايمكن تقدير كلفته . ولم استطع ان افهم ذلك وكان من الصعوبة ان اؤيد موقفه . (وكانت هناك مواقف متشابهة بين تسبوري وبين وايزمان في هذا الشأن . بعد تنفيذ الغارة وتحطيم الفرن (الذري) قال وايزمان . «لو كنت وزيراً للدفاع لما سمحت باي شكل من الاشكال بمهاجمة الفرن الذري العراقي») .

ولم توافق الحكومة على قرار تنفيذ الغارة الا بعد مناقشات مستمرة واسعة وحادة (وتعد) مهاجمة الفرن في حزيران ١٩٨١ عملية انقاذ بكل معنى الكلمة . ولم يكن ثمة خيار لهذا العمل . والخيار كان هو ان دولة اسرائيل تسلم بامكانية امتلاك دولة عربية عدوة ومتطرفة لقنبلة ذرية ولم يخطر ببالي مثل هذا الخيار .

لم يكن تسبوري هو المعارض الوحيد لتدمير الفرن . وكان يعتقد ان رجالاً كباراً في هيئة الدفاع يشاركونه الرأي . وقد ساقوا كل الحجج الممكنة لدعم موقفهم

كما اختلف وزراء الحكومة من الرأي وكان حسم الأمر مسألة صعبة وقد قامت مبررات المعارضين للعملية على ادعاء مماثل : ان العالم سوف لايفهم مهاجمة جهاز نووي بالقرب من عاصمة عربية . وسوف تبعد اسرائيل اصدقاءها القليلين ان العصر الذري سوف لن يتأخر زمناً طويلاً عن الشرق الاوسط . ببساطة وببساطة يمكن التعود على العيش بوضع متوازن . عندما يمتنع كل جانب عن استعمال السلاح الذري .

وقد ادعى احد المعارضين في كل المناسبات وبشدة . بصورة نهائية وبدون مساومة : يالها من مفاجأة أن تقوم اسرائيل بالاغارة على دولة اخرى ؟ ! اصبح العراق في وضع حرب مع اسرائيل ولكن العراق لحد الان لم يقم باي عمل حربي ونحن نقوم بمهاجمته ؟» .

انا ورئيس الحكومة واخرون كنا متمسكين برأينا : ليس بامكاننا ان نكون من الشرق الاوسط اعتمادا على مبادئ الموازنة لسنا كالولايات المتحدة التي تمتص الضربة الذرية الاولى وتعاني من أمور مدهشة تضحي بـ ١٠٠ مليون من البشر وتستطيع ان تجيب بضربة مضادة تدمر الاتحاد السوفيتي لوكان للعراق سلاح ذري يقوم بتصنيعه سوف نتحمل في ضربته الاولى ١٥٠ الف قتيل في جسم فخاري وسيكون هذا خراب لدولة اسرائيل وسيدمر كل النظام المدني . ويباد كل الجهاز العسكري . وسوف لن تبقى لنا حتي الطبقة الارضية السفلى . واكثر من ذلك : لو كان بايدي العراقيين سلاح ذري

لامكنهم ايذاءنا بشكل خطير جدا حتى وأن لم يستعملوه . انهم يجبروننا ان السلاح الذري موجود لديهم كما ان عندهم الوسائل المطلوبه لايصاله الى مجالاتنا وسيقدمون لنا انذاراً . غداً سنوجهه الى اورشليم ومساء بعد غد الى الجليل الى اخره ماذا ستكون اجابتنا ؟ هناك ايضا صعوبات من نوع اخر : اعلنت اسرائيل في بعض المرات انها لاتسلم بوجود الصواريخ السورية المضادة للطائرات في البقاع في لبنان . وقد فشلت جهود حبيب لاقناع السورين لاخراجها ولم يكن هناك اي سبب يدعو لتعليق مزيد من الامال عليه العمليه لتدمير المدافع اجلت بسبب الظروف الجوية واجلت ثانيه لاسباب سياسية الان وفي الوقت الذي وضعت فيه خطه تدمير الفرن العراقي على مائده المناقشات كانوا قد ادعوا انه يجب تدمير المدافع السورية في لبنان اولا لكونها مشكلة اساسية اكثر وحسب هذا الافتراض فاننا غير قادرين ان نمتص اي انتقاد شديد في العالم بسبب تدمير الفرن (الذري) العراقي وبعد ذلك مهاجمة المدافع السورية . وقد رفض رئيس الحكومة هذا الادعاء . الفرن العراقي والسر الذي يحمله هو خطر قائم لاسرائيل . وتستطيع الصواريخ مع كل خطورتها ان تضر باسرائيل وان (تربك) خططها ولكن ليس بها خطر قائم لاسرائيل . العكس هو الصحيح : اذا هاجمنا الصواريخ ودمرناها اولاً من المحتمل ان تخلق ظروف عسكرية وسياسية في المنطقة تحول دون مقدرتنا على تدمير الفرن (الذري) العراقي .

لقد اظهر رئيس الحكومة قوة تمسكا بموقفه غير المساوم وهو انه حقاً كان هكذا بعد وقت قصير من تنصيب ريغان رئيساً للولايات المتحدة ولم يكونوا قد عرفوا بعد معدنه بالضبط وكانوا قد ادعوا انه ممنوع علينا ان نوافق عليه بعبارة ـ «على الرحب والسعة» كهذه . وكانت هناك مشاعر معنيه تجاه رد فرنسا . وهو ان هذا الفرن هو فرن فرنسي وفي المنطقة خبراء فرنسيون لبناء الفرن العراقي . وقد حاول شخص الادعاء انه لو انتخب ميتران لرئاسة فرنسا فالمفترض ان يكون راغبا في الحيلولة دون تمكين العراقيين من تصنيع القنبله الذرية في الفرن ايضا من يؤمن بصداقه ميتران النزيهة تجاه اسرائيل من الصعوبه ان يصدق انه (ميتران) يريد او انه قادر ان يمنع العراقيين من تصنيع قنبله ذرية في الفرن .

اما فيما يتعلق بالتخبط ـ الذي وصل في اوقات كثيرة الى حد من الخطورة القصوى يخرج عن كل المقاييس الاخرى ـ فقد سادنا التخبط الشديد من مسألة فعاليات التنفيذ وسار الزمن وتسارع لسببين رئيسيين : فقد ادعى الخبراء انه في تموز ـ او آب من سنة ١٩٨١ سيكون الفرن «ساخنا» ـ اعني انه يبدأ تشعيع اليورانيوم لاستخراج البلوتونيوم منه . فاذا حدث هذا تكون اسرائيل مقيده بطريقة قاسية . وهي تعرف ان عدوتها

المتطرفه قد اعدت قنبلة ذرية وسوف تضعها في خطر مخيف وجلي . لكن لايخطر على البال انها ستقوم بارسال طائراتها لقصف المنشأ ولتسبب في موت الغالبية وربما مئات الآلاف في بغداد وما جاورها بسبب الفعالية الاشعاعية . كان من الضروري تدمير الفرن (الذري) في وقت قبل ان (يتجسد) هذا الخطر حيث ان الزمن مر وقصر . والعامل الزمني الثاني : في المرحلة الاخيرة قبل القرار الاخير توسع الى حد بعيد نطاق المجموعة التي علمت بالخطة وعن تدمير الفرن (الذري) . جئت الى رئيس الحكومة وقلت له . ان الذين يعرفون هم مايقارب ثلاثمئة رجل . كلهم مخلصون كلهم جيدون كلهم يعرفون ما موضوع على كفه الميزان . ولكن عندما يعرف ثلاثمئة رجل ما سوف نعمل ـ سأعيش في رهبة مخيفه . لن انام ليلاً كلمة من هنا وكلمة من هناك وينتهي الأمر . الخطر المخيف هو ان العراقيين ينتظروننا والعمليه سوف تفشل ونخسر ضحايا كثيرة . ولكن يكفى ان نضطر لالغاء العملية بسبب الخوف من معرفة العراقيين ولا نتمكن من تدمير الفرن . وسيكون هذا ايضا كارثة . وقد تكون لدى رئيس الحكومة انطباع عميق لهذا التبرير واتسع مدى التعجيل .

ومن الناحية الفعلية كنا نعي المخاطر الكبيرة وكان ما ينطوي عليه الأمر من حرج عامل تبرير للعملية في ظروف صعبة كهذه بعد قليل من الارتباك توصلت لاستنتاج وهو انه ينبغي تدمير الفرن الذري بهجوم جوي . وقد نفذنا تمرينات مختلفة بالطائرات المتوفرة لدينا الفانتوم وسكاي هوك . جمعنا فتات الأخبار . وكانت مصاعب تخطيط العملية ترهب الجميع . عندما وصلت طائرات اف ١٦ تغيرت المفاهيم واكتسبت الخطط دفعة كبيرة : اصبح لدينا الان ادوات وامكانيات جديدة مع كفاءه مضافة .

كما ان التسهيل اصبح كبيراً . اصدرت امراً للقوة الجويه بتغيير جميع الخطط وجعل العمليه تعتمد على الطائرات الجديدة . وفي مرحلة معينة صدر أمر بالتنفيذ . نزلت القوات جنوباً . الغيت العماية في اللحظه الاخيرة لاسباب مختلفة . استمرت التدريبات وقد طلبت الاشتراك في التجربة (البراوه) العامة الأخيرة وقد نفذنا تمرينا على نموذج ذي بعد مماثل للفرن (الذري) العراقي . اردت ان اشعر بنفسي بكيفية الطيران في رحلة جوية طويلة هكذا . وبعد محادثة اضافية مع امر القوة الجوية قلت لرئيس الحكومة ووزير الدفاع مناحيم بيغن : طرت رايت ، تكون لدي انطباع الخطه ممتازة وليس هناك اي داعي للانتظار الوقت يسير في غير صالحنا . واذا تاخرنا يستطيع العراقيون ـ ولاسباب مختلفة وليست شرطاً أن يعرفوا خططنا ـ أن يعيدوا تقديراتهم او اضافه بطاريات . نحن لانعرف شيا عن التغيرات وعندها سيكون خطر الفشل كبيراً أصْدِرْ أمراً بالتنفيذ طلب مني رئيس الحكومة ان اقنع يكال يادين نائبه بتأييد العملية .

ذهبت لبيته حدَّثته عن مسألة الزمن وعن خطر الاشعاع عندها اقتنع وأيَّد اجتمعت الحكومة وقررت . ذهبت جنوبا مع الطيارين . ولم يكن لدى اي شك في ان كلّ طيار يفهم بالضبط ما ملقى على كفتي الميزان . وقد تحدثت معهم قبل الاقلاع محادثه اخيرة . ومن اجل ان يعرف كل واحد الهدف من اقلاعه كل منهم يعرف ماذا سيكون مصيره فيما لو حدثت له حادثه في طائرته ويضطر ان يتركها في حالات كهذه ليس هناك مجال للمشاعر الشخصية كل واحد غاص داخل نفسه الطيارون هادئون ومتأكدون من مقدرتهم . وعلى الرغم من ان هذا ليس من طبعي فقد سمحت لنفسي ان اتصرف تصرفا عاطفيا فاجأ الجميع . قبل الخروج لتدمير الفرن بشهر تقريبا سقط ولدى يورام في حادثة تدريبية في نفس المطار الذي منه تخرج الطائرات الى بغداد . جئت الى هذا المطار لمقابلة زملاء يورام ورؤيه الطائرات وأتذكر يورام وأصغي للحديث عنه وطلبت ان ياخذوني الى غرفته وقفت هناك دقيقه او دقيقتين سألوني فيما لو كنت اريد بعض حاجياته تحدثت مع امر سربه عدنا الى موقع القيادة . الطائرات اقلعت صمتنا . اتصلت من هناك برئيس الحكومة . الفرن قد دمر كلهم عادوا بسلام . وقد باركني بمشاعر جياشة . الغاره كانت ناجحة جداً وقد شاهدنا في تلك الليلة افلام التلفزيون التي صورت الطائرات المهاجمة كانت هذه افلام فيديوراقية سمعنا الطيارين راينا مسلك الطيران . وكانت واضحة جداً حتى يخيل لكل المتفرجين وكانهم في داخل الطائرة ويرون كل شيءٍ كما كان الطيار يرى عرفنا اذن ان الاصابات كانت دقيقة وان الفرن (الذري) قد دمر . وفي زيارتي الثانية للولايات المتحدة وبعد تدمير الفرن بوقت قصير اجتمعت مع رئيس الاركان العامة (أو كما يطلقون عليه هناك رئيس الأركان المشتركة) وكان هو أول شخص غريب أريه أفلام الفديو الخاصة بنا

منظمة جديدة في جيش الدفاع الاسرائيلي وتأسيس قيادة قوات الميدان وكان يسرائيل طل (طليك) الذي كان يهتم في هذا الوقت بمشروع مركفا ـ وصنع الكثير من هذا المجال ـ كان النموذج والروح الحية فيها . وقد أيده موطكا تسبوري . ذهبت الى رئيس الحكومة وأقنعته بان هذا الانقلاب غير مطلوب وهو لاياتي باي فائدة ويسبب فقط مزيداً من التقلبات في جيش الدفاع الاسرائيلي وشعر طليك أن الاركان العامة تعارض الخطة وقد فهم ان في مثل هذه الظروف لايمكن قبول خطته أو تنفيذها وقد ارسل رسولا يبلغني أن : طليك مستعد لقبول الاقتراح بشرط أن يحافظ على احترامه . ولم يكن واضحاً معنى الاحترام في تلك الايام كان طاليك مريضاً وملازماً للفراش جئت لزيارته اتفقنا على مقابلته سوية مع رئيس الحكومة ووزير الدفاع وبحضور الاخير يسحب طاليك اقتراحه بشأن قيادة قوات الميدان

التقينا وبعد وقت قصير عند السيد بيغن وقال طليك ان اقامة قيادة قوات الميدان ليست عملية الآن وباختصار لقد الغي الاقتراح في هذه المرحلة . ان الحكومة التي قررت قبل ذلك اقرار قيام القيادة واجراء التغيير في بناء جيش الدفاع الاسرائيلي قد سمعت كلام رئيس الحكومة وقررت الالغاء .علق الامريكيون أهمية بالغة على هذا النشاط القتالي الاول من نوعه بالنسبة للطائرات أف ١٦ وأبدوا اهتماماً كبيرا به . وكان رئيس الاكان العامة والقادة الكبار الامريكيون معجبين بالافلام التي عرضت وقد تحكموا بصعوبة في صيحات الاندهاش

بعد انتهاء العملية بدت السنة السوء تتحرك . لإن قرار تدمير الفرن قد تأثر بقرب موعد الانتخابات في عام ١٩٨١ . وعندما يكون الامر متعلقاً بوجود اسرائيل فان هذا الزعم البليد والشرير لايستحق الاجابة عليه .

في الفترة التي كان بها مناحيم بيغن وزيراً للدفاع اطردت العلاقات وتوطدت مع المسيحيين في لبنان ليس لعوامل سياسية وعسكرية اسرائيلية ولا لان بيغن آمن كما آمنت بضرورة الحيلولة دون تسلط السوريين والمخربين على لبنان بعيداً عن الاسباب الاسرائيلية الواضحة . ولكن ايضا بسبب ان بيغن كان حساسا جداً من الناحية الانسانية ولالتزامات اسرائيل بمنع حمام الدم وكان من الطبيعي أن يفكر بيغن ويحس بما يلي : أنه وعلى مسافة ساعة سفر واحدة بالسيارة من الحدود الشمالية لاسرائيل يقع شعب تحت وطأة خطر مدمر وقد صرخنا من الاسى على عدم المبالاة التي ابداها العالم في الوقت الذي كان فيه شعبنا امام خطر طبيعي في اوربا وافريقيا تحت الاحتلال النازي . ونحن لانستطيع ان نكون غير مبالين ، عندما يكون شعب مجاور عرضةً لخطركهذا . ليس هناك سبب أو ضرورة لتأكيد قوى هذا الاحساس لدى بيغن وقد اثرت على فكرة ومعاييره .

في هذا الوقت ازداد موقف المسيحيين خطرا وأستدعي احد زعمائهم الى القدس . وقد وصل في ظلام الليل لمسكن رئيس الحكومة وزير الدفاع . تميزت المحادثة التي اشتركت بها بقدر كبير من الصراحة . وقد طرحت القضايا بوضوح ولم يبق مكان للشكوك . وقد عرض الزعيم المسيحي وصفاقاسيا عن وضعهم في جونيا وكان بيغن يسمع باصغاء شديد . وبعد ذلك أوضح رئيس الحكومة لضيفه أن اسرائيل لاتستطيع ان تتعهد بان يقوم جيش الدفاع الاسرائيلي بعمل من اجل المسيحيين واضاف بيغن ان المسيحيين ملزمون بالوقوف بانفسهم بوجه الهجمات السورية ، وفقط في حالة مهاجمة المسيحيين من قبل القوة الجوية السورية ستتدخل عند ذلك قواتنا الجوية لصالحهم . وكان من الواضح ان المسيحيين لايستطيعون مواجهة القوة الجوية السورية بدون مساعدتنا .

انتهت المحادثة وبانتهائها طلب الضيف التنزه في شوارع القدس . «أنني أريد ان أتنشق هواء المدينة المقدسة» هكذا قال عينا له حراسا وارسلناه ليتنشق هواء المدينة المقدسة . لو لم نكن نعلم ان الضيف يتنفس ببطئ لما فعلنا ذلك ، كان على الطائرة التابعة لسلاحنا الجوي والتي من المقرر لها ان تعيد الضيف الى بيته ان تعود الى اسرائيل قبل ظهور الضياء الاول في جونيا . علم الضيف ذلك الا انه تظاهر انه قد اخطأ في تقدير الوقت او انه اعجب بجو القدس وتعطل اكثر من الوقت المتفق عليه ضمن ليل القدس . كنا قلقين عليه جداً حتى عاد في آخر لحظة ممكنة . اقترح موشيه ديان أن أرافقه في السفرة الى جونيا . ولم أجد سبباً للرفض . وكان تصرفه في الطائرة غريبا فقد وضع على رأسه منديلاً كبيراً . ولم أفهم السبب ، ولم أسأل . هبطنا في جونيا . وقبل أن تستعد الطائرة للاقلاع في طريق العودة ، التقيت هناك مرة ثانية بشير الجميل وداني شمعون اللذين كانا في انتظاره حتى يستقبلانه ويسمعان ماقاله له رئيس الحكومة . وقد تواصلت لقائاتنا مع الزعماء المسيحيين وانزلوا الضربات بطرق مختلفة بالمخربين في لبنان اثناء ذلك زاد الاندفاع في الخطة .

في صيف عام ١٩٨١ انشغل حبيب بمحاولات فارغة لاقناع السوريين لاخراج الصواريخ من البقاع في لبنان ، وكانت احتمالات نجاحه صفراً وظلت كذلك . اسرائيل ذهبت الى الانتخابات . الليكود في الحكم . اريك شارون شعر ان ساعته قد حانت ولامفر منها . ضغط على رئيس الحكومة وبطرق مختلفة لتعينه في منصب وزير الدفاع - حتى رضي بيغن عنه . كان بيغن متردداً . إستطعت أن أدرك ذلك . سألني في بعض المرات : «ماذا يحدث لو اعين أريك وزيراً للدفاع ؟ ماذا تظن ؟» لم اكن معتقداً بانه من الضروري اتخاذ موقف في هذا الشأن . وقد اجبت رئيس الحكومة : «سيدي رئيس الحكومة لن احدد من سيكون وزيراً للدفاع ولن اعبر عن اي راي في هذا الموضوع . هذه مشكلتك وليست مشكلتي» .

بيغن كوزير للدفاع

وعلى كل حال فقد حانت ساعة الابتعاد عن وزير الدفاع بيغن وان اجمل لنفسي هذه الفترة التي تولى فيها هذا المنصب من وجهه نظري وهناك من زعم في وقتها وحتى في مرحلة متأخرة انني عملت كرئيس للاركان وكوزير للدفاع في فترة بيغن . وقالو لي شيئاً مشابهاً عن اسحق رابين عندما كان ليفي اشكوك يعمل في المنصب المزدوج كرئيس للحكومة ووزير للدفاع قبل حرب الايام الستة ، ولااعلم ما اذا كان هذا صحيحاً بالنسبة لرابين . فانا اعلم علم اليقين ان هذا غير صحيح فيما يتعلق بي . ومن يدعي ذلك فانه لايقصد ان يزيد قدري بل ان يفر بيغن باعتباره قد قبل مع انه لم يكن رجلاً عسكرياً وليس له خبرة بالامور وسمح لي ان اقرر بمفردي وان اعمل بمفردي او على اكثر

تقدير سمع مني وتصرف كما انا وليس لهذا الامر نصيب من الواقع فقد كان بيني وبين وزير الدفاع بيغن لغةٌ مشتركة الا ان نقص الخبرة عنده في الامور العسكرية لم يؤثر بالمرة ، فقد سمع وفهم ووازن بشكل خارق . واذا كنت اعتقد قبل ذلك ان ليس من الضروري ان يكون وزير الدفاع في اسرائيل قائداً سابقاً او رئيساً للاركان اوضابطاً كبيراً فان معرفتي ببيغن وتتبعي صيغة تفكيره وطريقة عمله قد اقنعني بذلك .

كان يستوجب على بيغن ان يأتي في كل حالة ببعض الخيارات . وقد فكر في كل واحد منها بحذر . ولم يصدر اي قرار ـ على اي عمل بنفسه . وقد ترك القرارات للحكومة .

لقد كان لبيغن فضول كبير لان يتعلم يسمع ويفهم وقد احب الجيش ورجال الجيش . وقد قالوا ان له شعورا بالبهجة الكبيرة وذلك للتشابه بين بن غوريون وبينه . حيث ان كليهما قد عمل رئيسا للحكومة ووزيراً للدفاع . ولم ادرك ذلك اطلاقاً . وكان يشعر بالسعادة الكبيرة عند لقائه جنوداً وضباطاً ويشعر بالارتياح الكبير عند جلوسه سوية معنا في القيادة قبل العملية .

احدى الصفات الاكثر بروزاً لبيغن استحوذت على قلبي : لم يكن للغرباء (غوييم) وزنا طول عمره . وقد قال حينئذ ماذا لو كانوا غاضبين؟ . الامريكان او الاوربيون ان مصلحتنا القومية هي الحاسمة اذا عملت اشياءاً او لم نعمل حسب غضب الاجانب فان مصلحتنا القومية تتضرر وهذا ما لايمكن السماح به» .

قبل كل سفرة لبيغن للاجتماع خارج البلاد مع قادة مهمين وخاصة مع رئيس الولايات المتحدة وقادة النظام كنت اودعه قائلاً : سيدي رئيس الحكومة لاتتنازل انا اطلب منك ان لاتتنازل . ان من يتنازل يخسر . من يتنازل يطلبون منه ان يتنازل اكثر كان يرتقى بنظرة مبتسمه ويقول : نحن نعرف ذلك . نحن نصر على احترامنا ونناضل من اجل ما هو ضروري لنا .

ان عبُ الوظيفة كان ثقيلا على كتف بيغن . مراراً وتكراراً سأل : اتستطيعان العمل سوية لو عين شارون؟ مرارا وتكرارا اجبته : «انا لااعين وزراء للدفاع» . سألني ثانية . الم تعملا سوية سنوات طويلة وانت تعرفه عن كثب . سكت ربما بسكوتي قد اضفت مزيدا من التردد لبيغن لكن في النهاية عينه في المنصب .

لم يكن في كل المواضيع انسجام افكار بين رئيس الحكومة ووزير الدفاع . مناحيم بيغن وبيني . وقد اختلفت اراؤنا في موضوع ما بطريقة ذات مغزى كبير ـ بالذات في موضوع حاسم لايمكن المغالاه في خطورته : ايقاف اطلاق النار الذي انجز مع المخربين في سنة ١٩٨١ . حتى هذا القرار كانوا قد تأهبوا بصورة اكثر خطورة . وقد تبنى بيغن

وجهة النظر . وهي ان عملياتنا ضد المخربين في لبنان غير مشروطة بالرد على اعتداءاتهم والانزلاق من وراء مايبادرون هم به وفي هذا الشأن كان بيغن مختلفاً عن وايزمان كثيرا حيث ان وايزمان فضل الرد الاسرائيلي على التحديات (التي يبديها) المخربون . اما بيغن فقد فضل مبادرة اسرائيلية وفقاً للقاعدة : نحن نضرب المخربين ونضربهم في كل فرصة ـ عندما توجد لدينا معلومات دقيقة عن مكان وجودهم او على تحركاتهم باستمرار وبدون تعب استعددنا لهم في البر والبحر والجو . كنت من اتباع هذا الاتجاه بدون مساومة . اذا ارادت اسرائيل معاقبة المسؤولين عن الاضرار بعد حدوثها فإن يديها مقيدتان : لقد دفعت ثمن الضرر (احيانا يكون مرتفعا جداً وباهظاً) وبعد ذلك فهي مضطرة لتشخيص الرجال لايجادهم ومعاقبتهم . وعندما تقرر اسرائيل ان تأخذ على عاتقها المبادرة لمنع الاضرار او لمنع احتمال وقوعها ـ فان امكانية هذا تكون كبيرة جدا وعندما كان عندنا خبر صحيح عن اجتماع المخربين في مبنى ونيتهم للخروج عن طريق البحر وتحقيق الدمار واعمال القتل في اسرائيل ـ فقد هاجمنا المبنى ودمرنا الزوارق المطاطية وقتلنا ١٢ من المخربين . ان خروجهم لنهاريا لزرع الدمار والخراب والقتل قد اختفى للابد . ولم نكن في حاجة لتشخيص القائمين باعمال القتل وتنفيذ اعمال الانتقام . يجب منع العملية .

في آب وفي بداية الصيف عام ١٩٨١ كان وضع المخربين سيئاً دمرنا لهم قاعدتهم في لبنان . ان القمة هي مهاجمة القيادات في بيروت .

المخربون كسروا . كانت لنا براهين ثابته على انكسارهم . وقد استنجدوا بالسعوديين وطلبوا منهم عمليات انقاذ فورية وبعبارة : اذا لم تحققوا لنا ايقاف النار خلال ٤٨ ساعة فان الثورة الفلسطينية ستنهار . ولن تبقى منها حتى الذكرى . وقداستنجد السعوديون بالاميركان . المحتل بدا يضغط .

وقبل ان يطلب المخربون من السعودية الخلاص . السعوديون يضغطون على الاميركان والاميركان يتوسلون بحكومة اسرائيل . ذهبت الى بيغن وتوسلت ان لايوافق ـ قلت له «انهم مدمرون» الجسور ، القواعد ، الغرف العسكرية ، القيادات ، مخيمات اللاجئين ، فتحات المغارات المحصنة الكل مهدم . انهم يقتربون من انهيار مقرر ولايجوز لنا ان نوافق الان على ايقاف اطلاق النار وان نتيح لهم وقتا للنهوض من جديد .

اكتفى بيغن بالكلمات التالية لي «هناك مشاكل خارجية ـ «نحن لانستطيع تجاهلها» . ولم اجد معنى لمزيد من الكلمات فلقد كان رأي رئيس الحكومة قاطعاً . وافقت الحكومة على وقف اطلاق النار . اعطت المخربين الفرصة للاصلاح . لقد انقذوا من خراب

كامل . وقف اطلاق النار هذا ادى الى الحرب القادمة في لبنان ـ في حزيران ١٩٨٢ وبعد مرور سنة .

لوكانت الحكومة وبدل هذا القرار قد قررت ان تدخل لبنان ـ لكان الواقع قد اختلف على الاطلاق . السوريون كانوا في وضع متدن . المخربون كانوا محطمين . وكان هناك من اقترح حينئذ ان يدخل جيش الدفاع الاسرائيلي لبنان . برهن ثانية ان في الشرق الاوسط قاعدة حديدية : كلما انهار العرب في الحرب . جاء العالم مرة الاميركان مرة السوفيت . مرة بمشاركة او مساعدة مجلس الامن او اوربا ليخلصهم في اللحظة الاخيرة . وقد منح المخربون سنة لاعادة اصلاح الدمار . وقد فعلوا بسرعة كبيرة وبصورة مدهشة . بمساعدة عاجلة من الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشيوعية قد ملاءوا مخازنهم بالسلاح . فقد ساعدتهم الدول العربية بالمال . حتى الغرب لم يتخل عن موضوع الترميم وقام بدوره اجراس حرب سلام الجليل قد دقت بقوة . ولكن ربما لم يسمعوها وبدت الحرب بعيدة . على كل حال فقد فضل السكان على اية حال التمتع بسقط المتاع : اشتروا كل ما تيسر لهم وسافروا افواجا الى خارج البلاد وسدوا الطرق بسياراتهم الحديثة .

بيني وبين شارون

عين بيغن بعد الانتخابات بزمن قصير والتي كانت في عام ١٩٨١ شارون بمنصب وزير الدفاع .

كانت اول مرة التقى فيها شارون سنة ١٩٥٢ في حادثة اطلاق نار مع الاردنين بالقرب من قرية برطعا المقسمة في المثلث الصغير وكنت حينئذ ضابط عمليات اللواء التاسع . اما اريك فكان ضابط استخبارات قيادة الشمال . اسف سمحوني كان قائداً لقيادة الشمال . وقد تبادلنا انا واريك بعض الكلمات . لم يكن هذا تعارفاً .

لم التقي به ثانية حتى دمج المظليين مع الوحدة ١٠١ وكنت حينئذ آمرا لسرية من المظليين الاحتياط . وقد عين اريك كآمر كتيبة . وقد تركزت مخاوف كبيرة في قلوب الضباط المتمرسين بالمظليين . جزء منهم قد ترك المظليين كتعبير عن السخط على الصورة التي بها سيطر منتسبو الوحدة ١٠١ على المظليين . وقد اثرت على الاخرين للبقاء في المظليين . لم تكن لي مشكلة . لم اكن مرتبطاً كالاخرين بالمؤسس لوحدة المظليين ولم ترهبني مركزية الوحدة ١٠١ المتحدة مع المظليين .

في عام ١٩٥٣ عملوا على تقوية العلاقة بيننا . وكان آمر المظليين وانا الآمر الاحتياط ـ الا ان خدمتي لم تكن مستمرة وكانت لنا لمسات كثيرة . وعندما قتل آمر القيادة ورجال سريته بدخولهم الى لغم في قطاع غزة طلبت العودة الى الخدمة في جيش الدفاع الاسرائيلي وعينت كآمر للكتيبة التي قتل قائدها في آب ١٩٥٥ . واصبحت واريك نلتقي في فترات متقاربة . وهناك اختلاف معين كبير بين علاقة اريك بالآمرين الصغار وبين علاقته بي . وكان اريك يتصرف مع مأموريه ومع اكثر الضباط بحزم وحب السيطرة والتعجرف والغاء ظاهر . لم يتنازل ابداً عن اظهار الافضلية . كانت لي معه مشكلة . فنحن ان قليلا وان كثيرا في عمر واحد وقد اكتسبنا في حرب التحرير خبرة متكافئة وكانت افضليته علي فقط هو استمرار خدمته بشكل متواصل ورتبته ، هذه الاستمرارية أحنقته وهو يعرف انه من غير الممكن ان يترأس علي وان يصبح قائداً على الرغم من ضاله قيمة هذا الشيء وقد لعن ووبخ وصرخ على الاخرين دون اي اهتمام من قبلي العلاقات بيننا كانت سليمة لم يصرخ علي مرة ولم يلعني . حيث انه يعرف مقدرتي على الفهم . وايضا بسبب انه يكلفني وسريتي بكل المهام ذات الاهمية وكل الوظائف المركزية في المجالات التي اشتركت بها قوات اخرى وكان يعتبر القادة الاخرين صغاراً غير محنكين .

السرية الخامسة التي اصبحت آمراً عليها . اصبحت ذات شهرة واسعة . كانت اعمالها الاكثر جودة في الكتيبة . كانت مدربة ومنضبطة . كل جنود الكتيبة اشتاقوا للانضمام لها . واصبت بجرح مؤلم بعد اصابتي في عملية طبرية . واحتجت لبعض الوقت لكي اشفى واتشجع لم تكن السرية وقفا خفت انا ان اضطر لترك السرية عينت كنائب آمر كتيبة ٨٩٠ عند تأسيس لواء المظليين وعين اريك لقيادتها . وعين اهرون دفيدي قائدا للكتيبة .

وقبل عملية كادش بستة شهور ومن منتصف ١٩٥٦ كلف المظليون بالهبوط في شرم الشيخ في نطاق عملية لفتح مضائق نيران وهي العملية التي انتهت بالغائها لاسباب سياسية لكنها لاتزال تمثل لدى شارون ضربة كرامة قاسية : فقد عين حاييم بارليف آمر لواء مظليين لتنفيذ العملية . وكان اريك متأكدا انه سيعين آمر لواء ويقود اللواء في العملية الا انه اصيب بكسر انفه (معنويا) .

اريك ترك المظليين . ذهب الى الدروع . طرقنا افترقت لزمن طويل العلاقات تجددت عندما كان اريك رئيس اركان قيادة الشمال وانا آمر اللواء . في حرب الستة ايام عمل اريك قائد تشكيل وانا كآمر لواء عندما كان اريك رئيس شعبة التدريب وهو المنصب الذي اعطاه له رئيس الاركان رابين وعينني لاستخلاص دروس الحرب في احد

اللقاءات طلبت التعين قائدا لوادي الاردن . بعد اريك الى رئيس الاركان العامة . وافقت على التعين . اريك عمل قائدا لقيادة الجنوب وانا كضابط اقدم للمظليين والمشاة . كانت بيننا لقاءات متصلة تتعلق بالعمل على طول القناة وفي احدى المرات وجدنا نفسينا في احد جوانب الحاجز امام برليف رئيس الاركان العامة ومثل هذه المقابلة كانت صعبة جداً . الى هذا الحين اكتفينا بالانفجارات والقصف كرد على عمليات كسر وقف اطلاق النار من قبل المصرين في السويس . ادعينا انا واريك انه بهذه الوسائل لانستطيع ان نضع نهاية للنشاط المصري . طلبنا من بارليف اذنا بالانتشار عبر القناة ، بارليف عارض اقتراحاتنا بكل شدة لحد اعتقاده ان فكرة الانتشار على الجانب الغربي من القناة غير ملائمة . لكننا بقينا مصرين على موقفنا ولم نتنازل .

وربما ان برليف كان واثقاً ان وزير الدفاع سيدعم موقفه فقد انهى محادثته قائلاً «حسناً مادمتم مصرين على رأيكم فانني سأرفع الامر الى وزير الدفاع» .

رفعه . قال له موشيه ديان : «عجبت فلم يكن من قبل مثل هذا الاقتراح . قوموا بتنفيذ اغارة» . وبعد مرور وقت قصير نفذت الاغارة الاولى عبر القناة وكان اسمها «ڤيكتوريا» وقد جرت شمال القنطرة . كان النجاح موثقاً : فقد توقف النشاط المصري بشكل كامل . لاكمائن ولا ألغام ولارمي مدفعي .

في هذه الفترة فترة حرب الاستنزاف على طول قناة السويس كانت العلاقات بين شارون وبيني احسن من اي وقت . تفاهم وتنسيق كاملان دون اية مشاكل .

والان عاد بيغن يسألني . بأشكال مختلفة ، عن رأيي في تعيين شارون وزيراً للدفاع ـ ولم أجبه . الا ان شكّاً جديداً قد أضيف الى التردد القديم : موقف شارون من موضوع ميزانية الدفاع . وتناقشنا كثيراً في هذا الوقت . وكان واضحاً بالنسبة لكل من يقف على مقربة من الامن والجيش الدفاع الاسرائيلي ان الاتجاه لتخفيض ميزانية الدفاع بشكل كبير من شأنه ان يؤثر على قوة جيش الدفاع الاسرائيلي وان الثمن يمكن ان يكون ـ لاقدر الله ـ باهظاً . وكان الموقف الذي اتخذه شارون ان من الممكن تخفيض ميزانية الدفاع . الا ان الواقع اختلف بعد ان عين وزيراً للدفاع .

قررت ، اذن ، قراراً حاسماً بيني وبين نفسي : لن ابين لرئيس الحكومة انني سأستقيل في حالة تعيين اريك (اريال شارون) ولو كنت قد فعلت ذلك لكنت قد خنت عهدي وتدخلت في مسألة تعيين سياسي . كنت مقتنعاً بان من المحظور على رئيس الاركان العامة ان يتصرف هكذا وليس من اللائق ان يفرض ڤيتو على قرار رئيس الحكومة . حتى اذا كان تصرف اريك من منصبه او الصيغة التي يقوم بواجبه وفقاً لها

تضر بأسس او بناء الجيش . واذا اتخذ مواقف معارضة لمواقفي من شؤون اساسية ـ فأنني سأقوم بالعودة الى البيت . ببساطة . بهدوء . ودون ضوضاء .

ومنذ البداية تعاملت بسلبية حيال واقع تشكيل شارون لوجود الامن القومي في وزارة الدفاع . ورغم انه رفض رفضاً قاطعاً الا انني اشك بحال ان هدفه اقامة مايشبه اركان عامة مصغرة خاصة به ، يتيح لها استقلالية اكثر في العمل العسكري الامني ويعفيها من التبعية للاركان العامة . ولم يكن اي وزير دفاع سابق في حاجة الى مثل هذا التشكيل . ومفهوم ان في اللحظة التي غادر فيها اريك وزارة الدفاع واستلم فيها موشيه أرنس منصبه ، كان احد اعماله الاولى هو حل الوحدة الخاصة .

وكانت هذه الوحدة في الحقيقة زائدة منذ البداية . وكانت تشكيلاً جمع رجالاً ، وأشغل جهازاً واقام لنفسه خدمات . وقد خلق هذا ازدواجات زائدة وتوترات . وكل مايحتاجه وزير الدفاع يأخذه من الجيش ، من الاركان العامة ، من سلاح الجو ، من الاستخبارات . وكانت وحدة الامن القومي مصدراً للخلافات بلا ريب . والامور البسيطة بطبعها يمكن ان تنتهي بمحادثة بين وزير الدفاع ورئيس الاركان العامة . وكانت هذه الامور في نظر اريك اموراً صعبة ومعقدة ، ينبغي على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يكافحها باعتبار ان بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية سلطة اخرى نصف عسكرية او نصف مدنية لها هي الاخرى موقف ورأي وحاجة دائمة لاظهار واقع مستقل وللتأثير على الامور .

جاء اريك الى وزارة الدفاع في فترة هدوء . ففي حدود لبنان كان وقف اطلاق النار قائماً . وكان مركز ثقل نشاط وزير الدفاع قائماً على التنسيق السياسي . جاء فيليب حبيب وذهب . الصواريخ السورية في البقاع جاءت ولم تذهب . وكان اريك طرفاً فاعلاً في المحادثات مع المبعوثين الامريكيين . بين مواقف شارون وبيني ، وبين مفاهيم الامن عندنا ، هناك الكثير من التشابه اكثر من الخلاف . وكان قسم من الامور التي قالها للامريكيين صحيحاً وعادلاً . لكن المسألة هي مغزى هذه الامور . في آذان من ؟ في اي مناسبة ومتى ؟

عندما جاء اريك الى وزارة الدفاع وجد خططاً مختلفة لدخول جيش الدفاع الاسرائيلي الى لبنان . كانت خططاً مفصلة واكثر تفصيلاً تتبعنا بيقظة مايدور في لبنان . عرفنا ان المخربين قد استوعبوا كميات هائلة من السلاح والعتاد . تخندقوا في غرف العمليات ويستعدون لعملهم القادم . وقدرنا ان في مرحلة معينة ـ يفترضون انها ستحدث ، وفقاً لتوقيت مريح لهم ، ووفقاً لما يقررون عملية كسر وقف اطلاق النار ويهاجمون المستوطنات في الشمال . وقد اخذنا في الحسبان ان يحاول المخربون سوية مع

السوريين او بدونهم ان يصفوا المسيحيين في الشمال . حقيقة ان المسيحيين قد زادوا من استيعاب السلاح والتدريب ، الا ان قدرتهم على الصمود في جونيا صغيرة تجاه قوات سورية وفلسطينية كبيرة . وقد القى هذا الامر بكثير من الشك .

واصل السوريون في البقاع اللبنانية التخندق والتعزيزات بشكل محموم . ظلت الصواريخ المضادة للجو س . أ . ٦ في اماكنها ولم يفلح اي مبعوث امريكي في تحريكها .

تلقت الحكومة تقارير عاجلة عن تعزيزات المخربين والسوريين ، بما في ذلك تقديرات عن النتائج المتوقعة للتعزيزات . ومن اجل ان تكون هناك قاعدة لزعمهم ، ان وقف اطلاق النار ساري فقط في حدود لبنان ـ اسرائيل وان سائر الحدود غير موقعة على اتفاقية وقف اطلاق النار فقد قام المخربون بمساعدة السوريين بجهود فائقة لدخول الاردن وازعاجنا من حدودها . ولم يرغب الاردنيون في هذا الامر بأي شكل من الاشكال وافشلوا على الاقل كل هذه المحاولات . وكانت هذه محاولة اردنية للحيلولة دون حدوث نشاط تخريبي من حدود الاردن ، وعوضاً عن عدم نجاح الاردنيين . انتهت محاولات الاضرار عن طريق المعجزة دون وقوع ضحايا . الكاتيوشات التي قذفت من حدود الاردن سقطت عند معوزحاييم وأشدوت يعقوب وبحيرة طبرية . سمعت الحكومة وحزمت امرها وقررت عدم الرد .

كانت هناك اذاً خطط مختلفة لعمليات بمستويات مختلفة في لبنان ، الا ان المشكلة الاكثر ضغطاً والاكثر سرعة والاكثر قوة عند شارون كوزير للدفاع هي اكمال الانسحاب والجلاء عن سيناء ـ في المكان الاكثر حساسية وصعوبة : اخلاء المستوطنات الاسرائيلية في پتحت يميت .

كان من شأن موقفي من هذه المسألة ان يكون غير ذي شأن ، لو لم أدل بعدد من الملاحظات تتصل بعملي كرئيس للاركان ، فيما يخص مسألة الجلاء . واتهمت على مدى السنين انني لا أسمح بالتعبير بحرية ، وانني اطلب من اعضاء الاركان العامة ان يقولوا آمين بعد قرارات ويحترموا مواقفي . هذا محض كذب . كنت ابدأ بالاستماع الى كل المواقف . كل واحد في الجيش ، جنود من الطابور او قادة معروفين يستطيعون ان يتجهوا اليّ في كل شأن ، حتى اذا كان هذا فيه تخط للاطر المعمول بها . ولم اطلب ابداً موقفاً واحداً يتمشى مع وجهة نظري ، ولا اقدر من يقولون نعم لانهم لايملكون القدرة على التفكير بصورة مستقلة . كانت في الاركان العامة دوماً آراء مختلفة . وفي اوقات متفاوتة من النقيض الى النقيض . شجعت اصحاب الآراء من كل الانواع ان يعبروا بحرية . ولم اقدم الذين يوافقون على رأيي ، ولم اغلق السبل امام معارضيّ في الرأي .

وعندما كان يظهر ضباط كبار في جلسات الحكومة للادلاء بالتقديرات الامنية والعسكرية ، والايصاء باعمال ، ووصف اوضاع ـ لم اقل لهم مرة واحدة ماذا عليهم ان يبينوا . كنت اريد ان يقولوا مايفكرون فيه وكيف يقدرون المواقف ـ وليس ما أفكر فيه . فما افكر فيه استطيع ان اقوله بنفسي .

انني افخر ان الاركان العامة بقيادتي كانت هادئة . بدون هيجان ، بدون عداوة ، بدون شتائم او صراخ احد ضد صاحبه . ولم يكن هذا دائماً .

اتبعت طريقة موطا غور بشأن التعيينات في جيش الدفاع الاسرائيلي . فهذه طريقة جيدة . كانت التعيينات تحدث بسرية وخلف ابواب مغلقة . وسادت شكوك حول اذا كان الرجل قد حظى بالمنصب بفضل كفاءاته ، او وفقاً لمعايير اخرى . كان موطا غور يبحث مع القادة في رئاسة الاركان العامة كل تعيين ، ابتداءً من عميد احتياط فما فوق . وجرت الامور علانية . واسمينا هذا الاجتماع اجتماع دراسة التطعيمات ، حتى ان الجيش ليس فيه ديمقراطية ، وان القرار النهائي لرئيس الاركان العامة ، حتى ان هذا الامر اخذ مدى واسعاً من المسؤولية الجماعية وجرت التعيينات بمنطقية وفقاً لما يرتئيه الرجال .

خدمت كرئيس اركان تحت القيادة المدنية لاربعة وزراء دفاع ، وايزمان ، بيغن ، شارون وأرنس . مدنيان وضابطان كبيران . الضابطان هما وايزمان وشارون . وهما قائدان كبيران في جيش الدفاع الاسرائيلي ، تطلعا لمنصب رئيس الاركان العامة وسد الطريق امامهما . وعن مسألة ما اذا كان الطريق قد سد بسبب وجهات نظرهما ، السياسية المعروفة او لأسباب أخرى فليست ، ولن تكون هناك قدرة للاجابة العملية . ويمكن القول أنّ مفاهيمهما راسخة ، أن بينهما وبين المستوى الأعلى في جيش الدفاع الاسرائيلي حاجزاً سياسياً .

انني مقتنع بضرورة الحيلولة دون قيام معارضة دائمة في وجهات النظر الاتجاهات الأساسية والمبدئية بين الحكومة ورئيس الأركان العامة . ووفقاً لهذا المبدأ العام فانّ الحكومة الديمقراطية هي التي تختارُ رئيس الأركان العامة ، وليس رئيس الأركان العامة هو الذي يختار الحكومة . لاأتردد في القول ـ وأنا أعرف أنني بهذا أعرض نفسي للنقد ـ انه عندما تتبدل الحكومة بعد الانتخابات ، ونتيجة لرأي المواطن صاحب الصوت ، فانّ الحكومة مضطرة لاستبدال رئيس الأركان العامة ، اذا كان رئيس الأركان الموجود في المنصب معارضا في وجهة نظره في موضوعات اساسية لوجهة النظر الأساسية للحكومة حقيقة ان واجب رئيس الأركان العامة الانصياع لاوامر الحكومة ، فهي تقدر دون اعتراض ، بعد اختمار كل محاولات الاقناع ـ الا ان كل قاعدة في الحياة

الديمقراطية قد جرى اختبارها بوسائل تنفيذها مخافة الا يستطيع رئيس الاركان تنفيذ سياسة الحكومة بشكل كامل . واذا كانت نظرتها تختلف اختلافا بينا لنظرته فمن الخير عدم اخضاعة للتجربة .

ان نظرة موطاغور كانت معارضة لسياسة الحكومة برئاسة مناحيم بيغن . ولم يحاول احد اخفاء هذا الأمر . ولست أزعم هنا أن غور لم ينفذ أوامر القيادة السياسية . ولكن بسبب التنافر والضوضاء حدثت الوقائع . وتعود احداها لي بشكل شخصي ، بعد ان بيّن لي وايزمان بأنه قرر تعييني رئيسا لشعبة العمليات . وقد عرفت نيته هذه لدى دائرة ضيقة في الاركان العامة . دق الهاتف في بيتي في الليل : رئيس الأركان غور يريد يأتي اليّ الليلة وغير مهم في اية ساعة . تعجبت . مثل هذه الزيارة في ساعة متأخرة من الليل امر نادر للغاية ، ودارت في رأسي احتمالات مختلفة هدأني مدير مكتب رئيس الأركان بان الكلام سيكون عن مسألة شخصية ، وليس هناك داع للقلق . وصل موطا في الحادية عشرة ، وبدأ حمله أغواء وتوسل بهدف واحد : «لاتوافق على عرض وايزمان . لاتوافق على التعيين رئيسا لشعبة العمليات . فهذا ليس من اجلك . عرّف وايزمان انك ترفض» ولم يفصل مقاصده . من المحتمل ان يكون قد وعد رجلا آخر . ربما هرتسل شپير . وربما لكوتي (يكوتيئال آدم ، رحمه الله ، الذي قُتل في حرب سلام الجليل من سنة ١٩٨٢) . قلت له سأفكر من الأمر .

وفي الغد حدثت وايزمان عن زيارة الليل . «باللمفاجأة» صاح «ماذا هنالك ؟ ستكون انت رئيس شعبة العمليات : نقطة : انني عينتك» .

تميزت فترة خدمتي اثناء كون موطا رئيسا للأركان العامة ، وكوني رئيسا لشعبة العمليات بالتعاون بيننا . لم نجد هناك مشاكل . ولم بخد نفسينا مرة واحدة في اتجاهين في خلاف حاد . وكان موطا حتى هذه اللحظة رئيس الأركان الوحيد ، الذي ظل رغم اختلاف الحكومات : فقد تولى منصبه اول مرة في عهد حكومة الـ «معراخ» وانهى عمله في عهد حكومة الـ «اليكود» لقد كان يتبع مؤسسة اخرى ، وكان مصدرا دائما للخلافات والمواجهة بين المواقف ويجدر ان نذكر المقابلة التي اجراها عشية زيارة الرئيس السادات ، عندما حذر من خطر التضليل والحرب . وكان وايزمان يريد تنحيته ، الا ان بيغن انقذه عندما رفض . وليس هنا يكمن الخلاف رفض موطا ان يقابل حداد والمسيحيين وقد اجبره بيغن بالفعل ان يأتي الى مطولا ، ومقابلة شدياق وحداد وآخرين . عارض موطا التعاون مع المسيحيين ، نصح في كل مناسبة للابتعاد عنهم ، وعدم ربط المصالح الاسرائيلية بمصالح المسيحيين في لبنان .

وفي مقابل ذلك اختارتني حكومة الـ «اليكود» ، وفي الأمر الاساسية كان هناك اتفاق

في الراي بيني وبينها ، حتى وان جرت مناقشات غير قليلة حول شؤون تكتيكية . راي الحكومة في مسألة ارض اسرائيل ، الاستيطان ومحاربة المخربين كان كرامي كل هذا لم يحل دون وقوع خلافات مع وزراء الدفاع ، وخاصة مع اثنين منهم ، كانا من رجال الجيش الكبار قبل ان يصلا الى المنصب المدني (الوزارة) ، حتى وان رجع عيزر وأريك الى التصريح بانها ليسا رئيسي أركان كاتبين ، بل الأذرع المدنية لهيئة الدفاع ، والتي تعمل بأمر من الحكومة . وقد واجهت مرات عديدة محاولاتهما تعويض نفسيهما عما فاتهما من عدم بلوغهما قمة السلم في خدمة الجيش ـ رئيس الأركان العامة . وكانت هذه هي أحد الأسباب التي جعلت شارون ينشئ وحدة للأمن القومي على هيئة «اركان خاصة» وكان هذا هو السبب الذي جعل عيزر ايضا ، بل على وجه الخصوص شارون ، ان يتخذ مبادرات هدفها ان يؤكد «حسنا ان لم اكن رئيس اركان عامة لكني وزير للدفاع ، وهذا اكبر من رئيس الاركان العامة» . رفضت بشدة محاولات العمل كـ «رئيس اركان كاتب» . واوضحت كذلك لوايزمان كما لشارون ان هناك اموراً ضمن الصلاحية الخاصة لرئيس الاركان العامة ، ولا اتحمل تدخل اي عنصر من خارج الجيش . كما الحال في شأن تعيين قادة في مختلف المستويات ، وفي شأن تشكيل وحدات ، وكذلك كان الحال في مجمل مجال وترتيب النشاطات الفاعلة . ووزير الدفاع بوصفه مسؤولا من قبل الحكومة يستطيع ان يامر جيش الدفاع الاسرائيلي لتنفيذ عمل . وهو مخول باختيار التوقيت والهدف والمدى . اما صيغة التنفيذ والوحدات المشاركة والتكتيك ـ فكل هذه الأمور هي امور عسكرية صرفة يحددها قادة جيش الدفاع الاسرائيلي .

كانت الأزمة التي سببها لي اخلاء المستوطنات في سيناء في نيسان ٨٢ ، اخطر ازمة عرفتها في حياتي . ولم اخفِ ذلك أبداً حاولت اقناع رئيس الحكومة بعدم اخلاء المستوطنات . ولأني لم انجح ـ فقد انتهي الأمر بالنسبة لي . وحسبت بيني وبين نفسي انه حتى اللحظة الأخيرة يحدث شئ ما ويستحيل الاخلاء . ولم اتصور فلماً محدداً لهذا التوقع . لم اكن راغبا باي حالٍ في استئناف الحرب مع المصريين . لست اعرف ما اذا كان عدم اخلاء المستوطنات من شأنه ان يجر اسرائيل لحرب جديدة مع المصريين . وتوقع كثيرون ان يحدث شيئ ما ويستحيل الاخلاء . كان رئيس الحكومة غير مطمئن قال لي انه ممزق القلب . عرفنا جميعاً أنَّ هذه مسألة اساسية ذات اهمية عليا بالنسبة للولايات المتحدة . لقد كانوا في حاجة الى بادرة ان تخلي اسرائيل المستوطنات وقد تخيلوا كيف ستخلى اسرائيل مستوطناتها من يهودا والسامره «الصفة الغربية» .

كنت الوحيد من بين كل من كان يأمل في قرارة نفسه ان يحدث شئ ما ، يستحيل معه الاخلاء . كنت الوحيد الذي عليه ان يصدر لجيش الدفاع الاسرائيلي الأمر لتنفيذ

الاخلاء ، وأن يكافح معارضة الذين تأهبوا لـ «المعركة الأخيرة» لهم . وفيما يتعلق بي كان اصدار الأمر رهيباً بل كان يشكل اقسى امرٍ لم استرح اليه ابداً كان القلب ممتلئا خوفاً : ألم يكن ثمة خيار ؟ وهل يضطر المعارضون الساخطون برفضهم وبقوة ايمانهم يضطرون جيش الدفاع الاسرائيلي لاتخاذ اجراءات حادة ؟ وهل يكون سفك الدماء نتيجة ان الجنود والضباط الشباب مضطرين للاشتراك ويبقى الجرح في نفوسهم مدى الحياة ؟ ليالٍ طويلة لم تغمض لي عين .

عندما ذهبت لأتحدث مع الرجال في يميت كنت أهدف الى أمرٍ واحد فقط : أن أهدئ النفوس وأن أخمد النار . وأن أجعل الاحتمال أفضل في منع اراقة الدماء بين الاخوة . لكن خصومي وكارهيَّ اخذ زيارتي وكلامي الذي قلته بنوايا سلبية ، ووجدوا فرصة أخرى لمناطحتي كما فعلوا دائما قلت للمستوطنين : «علينا أن نعيد الوضع لسابق عهده» . وقد فهموا بالضبط ما قصدت : انصرفوا الى بيوتهم ولم يغلقوا الطرق بالجرارات . فرقوا المظاهرات . منعوا خطر المواجهة . لكن لمن يخطر ببالي أن أوكد لهم أني سأحاول بكل السبل أن أمنع الاخلاء . أن أقنع الحكومة بتغيير قرارها . قلبي كسير على ضرورة الاخلاء . عمل شاق ذهب هباءً . تلقت الصهيونية ضربة قاسية لكن الحكومة والكنيست أصدرا قراراً وجيش الدفاع الاسرائيلي وقادته نفذوا ليس هناك طريق آخر لقيام دولة ديمقراطية . كظمت حزني الكبير في قلبي . بهدوء .

لم تكن العلاقات الشخصية لدى وزير الدفاع الذي كنت قريباً منه كما كانت عند وايزمان . لم يكن هذا بديلاً للخلافات . وكان هذا بالرغم من الخلافات . كنا نختلف في كثير من الموضوعات بحث عن حلول وسط في يهودا والسامره . واعتقد أنَّ القبضة اللينة مع الفلسطينيين هناك تخمل العداوة ، وتمهد الطريق للتفاهم . أما أنا فأثق في القانون والنظام . العرب يحترمون القانون والنظام . الحلول الوسط والتنازلات في نظرهم تعبير عن الضعف ، وتجعلهم يتشددون في مواقفهم . عيزر ليس رجلاً منهجياً ، وليست له طريقة التفكير المنظم . فهو رجل مندفع وفي كثير من الأحيان يأخذ بمشورة آخر رجل يلقاه . كل ذلك لم يجعلني أحيد عن حبي الى عيزر حباً عميقاً ، وأن أسعد بمرافقته .

كان بيغن مختلفاً تماماً . لم تكن بيننا ارضية مشتركة . كذب «غير صحيح» انه كان أسيراً في يد الجيش . كان يزن كلَّ أمرٍ بحذر وبحرص . اعتادَ أن يقول : «رأيي كيت وكيت ، لكن آرائي الشخصية ليست العامل الحاسم . سأطرح الأمر على الحكومة . لا أضمن نتيجة المداولة . بعد أن أسمع آراء الوزراء يمكن أن أغير رأيي ، وأفكر في شئ آخر» ارتضيت هذا السبيل ، فهذه صورة مناسبة جداً وصحيحة جداً في موقف القيادة السياسية تجاه القيادة العسكرية .

وحتي تستطيع الحكومة أن تفكر بجدية فمن الضروري أن نبسط قوس ملونة من تقريرات الموقف وكذلك التوصيات ولذلك فقد شجعت الضباط أن يعربوا في جلسات الحكومة عن الآراء المعارضة في جوهرها لرأيي . ولم أحاول أبداً أن أبلور موقفاً وحيداً لجيش الدفاع الاسرائيلي أمام القيادة السياسية . وجعلت رئيس الاستخبارات يطرح على الحكومة آراءه حتى وان كنت أعرف أساساً أن موقفه يختلف جوهرياً عن موقفي في أمورٍ مركزية .

كان تقدير بيغين بالغاً للمناضلين الذين نذروا حياتهم لامن اسرائيل . ولم أجد صعوبة أن تحدث معه حتى في أمورٍ بعيدة عن الشؤون الأمنية وكانت أذناه مفتوحة للاستماع الى آراء في المسائل الاقتصادية وكثر حديثاً في هذه الأمور . رجعت وقلت له ، أن على الوزراء أن بضربوا المثل في تخفيض مستوى حياتهم والاستغناء عن قسم كبير من رواتبهم في الوضع الاقتصادي الصعب ، وأن يقبلوا بصورة الحياة المتواضعة فوافق بيغن ، لكنه أضاف أنه لايستطيع أن يفرض على الوزراء هذه الصيغة ، وأنَّ عليهم أن يبادروا هم بها .

انَّ ما حسبه المعلقون فجوة أصبح يبدو ميزة : باعتبار أن بيغن لم يكن رجلاً عسكرياً فقد تبرم من الادعاء بأنه يقود الجيش . كان يقول لي : «ان وزير الدفاع لايقود الجيش . الحكومة هي التي تقود ، وزير الدفاع يمثل الحكومة أمام الجيش» وقال بيغن لوايزمان كما قال لشارون كلاماً بهذا المعنى في جلسات الحكومة .

لم يشر أريك عمَّا كان بيننا في الماضي من خلافات ، ومن الواجب أن أقول في حقه أنه وثق بي واعتمد عليّ : فقد أيد بحماس في جلسة الحكومة اقتراح وزير الدفاع وايزمان بتعييني في منصب رئيس الاركان العامة . ولأن وايزمان لم يحذر شأن شارون من الانتقام الشخصي تجاه ضباط بالجيش كانوا مختلفين في الماضي معه ، وحتى تجاه خصومه . وعند استلامه منصبه وقبل ان يتجه الى أمور أخرى دعا وايزمان قائد سلاح الجو داني بيلد وسأله «متى تريد أن تطير؟» ولم تكن لدى بيلد أية شكوك . فهو يعرف أن هذا ماسيحدث بالضبط . فأختار لنفسه الوقت : ٢٩ تشرين أول يوم سيناء ـ موعد مناسب جدا . ولم يتصرف شارون من قبل بمثل هذه الكياسة غير المعروفة عنه في كثير من الأمور . لقد أجرى حساباته ـ ضحى وأبعد وأدي برجال لترك الجهاز ـ لكنه قام بهذا بطريقة محسوبة وبقدر ما يستطيع دون ايذاء شخصي . عاملني كما ينبغي حتى اذا كان واقعا تحت مؤثرات مختلفة لرجال بعيدين عني ـ كانت لدى فرصة معقولة من كثير في الأحوال وفي الوقت الصحيح أن أوضح له أمورا ، وان أحاول التأثير عليه . وفي مرات

عديدة قبلت رأيه . ولم يقبل مرة واحدة رأيي . أما قضايا الاستيطان ومسائل دولة اسرائيل فكنا متفقين عليها وعلى الأمور المتعلقة بمحاربة الارهاب .

كان أريك بطبعة أكثر قلقا من أي وزير دفاع عرفته . انه يفهم الجيش ويعرفه من الداخل . وقمت واياه بسد الفجوة في علاقات أحدنا بالآخر . وخَلَقَ العملُ المشترك مدى معقولا من القرب . وكان ضروريا في هذه الفترة التي خدمنا فيها معا أن نبدي مزيدا من القدرة على فهم أحدنا الآخر والانقطاع عما يحبط بنا والتداول وحل المشكلات . اكثر من ضرورة القيام بعمليات وتجارب وانطباعات مشتركة .

وقبل سنة ونصف او سنتين من تولي شارون لمنصبه كوزير للدفاع كانت هناك في كهوف جيش الدفاع الاسرائيلي خطط عسكرية مختلفة تحسبا لاصدار الحكومة امرا للجيش بدخول لبنان . كانت الخطط مختلفة وأخذت في الحسبان الاحتمالات المعقولة . كانت الخطط متعددة المستويات والمقاييس : كبيرة ، وسط وصغيرة وجيش الدفاع الاسرائيلي مضطر ان يكون مستعدا دائما للقيام بتنفيذ مختلف الخطط بما يتناسب مع الحاجة والوقت .

وأصبح واضحا من خلال محادثاتنا الأخيرة بشأن لبنان ان هناك تشابها كبيرا بيننا في الادراك والأهداف والسبل . وقد اقتنع أريك بدون صعوبة برأيي اذا دخلنا لبنان فان هدفنا هو المخربون وليس السوريين . ليس السوريون هدفنا في لبنان ، واذا لم يعترضوا طريقنا ولم يعوقوا تنفيذ هدفنا ، فالجدير بنا انهاء العملية دون مواجهة مع السوريين . ولا اذكر مجرد عمل فاعل واحد ، كان قرار أريك بشأنه معارضا لرأيي . لقد كانت خطوط تفكيرنا متشابهة .

زرت جونيا عدة مرات وقابلت زعماء المسيحين في محادثات متعددة قبل ان يلقاهم أريك . وكانت الزيارة الأولى لي قبل زيارة أريك بحوالي سنة ونصف . وكانت الزيارة الثانية لي قبل شهر ونصف تقريبا من زيارة أريك . ولدي تسلم أريك المنصب كان اهتمامه واضحا وطبيعيا بمعرفة المسيحيين عن طريق اللقاء المباشر . وقد حدثته عن انطباعي عن الزيارة وعن أحساس المسيحيين بالحصار واكثر من ذلك طريقة حياتهم : حياة مزدهرة . حوانيت عامرة رفوف منحنية من ثقل ماعليها من خيرات ، شبكة واسعة للمهربات والرجال السعداء ، بالرغم من كل المخاوف والأخطار . وحدثته أيضا عن المنطقة وطابعها ومالدي الرجال من تحفز للدفاع عن حريتهم لاريك انطباعي الايجابي عن الطريقة التي تم بها استيعاب المسيحيين لسلاحنا .

خرج أريك تأكد ، فحص ، جال . ودلت الانطباعات المتساوية بيننا على ما بيننا من تشابه .

كان كلافا حذراً دائما من زرع آمال كاذبة لدى مقابلاتنا مع بشير الجميل ومع آخرين : فلم نحدثهم أبدا عن خطط جيش الدفاع الاسرائيلي لدخول لبنان . ولم نشركهم ولومرة واحدة في حساباتنا ، هل في لبنان ام لا ومتى . لقد كانت السرية مطلوبة مخافة ان يصل الكلام للآذان بدون قصد . من المساء بعد اليوم الأول للحرب فقط ، دعوت بشير لمقر قيادتي وذكرت له اهداف الحرب . وعندها اوضحت له ان الهدف هو الوصول الى طريق بيروت دمشق ، وقلت له اذا كان من الممكن الالتحام بالمسيحيين فاننا سنفعل . واوضحت له ـ وكان هذا هو الهدف الأساس من حديثي معه ـ يحظر على المسيحيين ان يقوموا باية مبادرة من جانبهم للحيلولة دون امكانية تورطهم في المعارك ، بذلك يفسدون اعمالنا المخططة . بشير ـ ولا حاجة للقول ـ كان مأخوذا . فقد كان ينتظر هذا اليوم وقد فهم ان لولا المساعدة الفاعلة من جانب اسرائيل لما كان بالامكان بحال تنفيذ خطة تحرير لبنان من احتلال السوريين والمخربين . وعلى الاقل في هذه المرحلة كان بشير راغبا في مشاركة كاملة وعميقة من جانبنا .

حرب سلام الجليل حرب حتمية

بالرغم من كل ماحدث منذ ذلك الوقت ، ومع أنه يمكن القول الآن ودون تردد ان نتائج هذه الحرب كانت في نهاية الأمر مختلفة من حيث الغاية ، عما ارادته ورمت اليه اسرائيل ، الا انني اتردد في ان اقول ثانية ان حرب لبنان كانت حتميه من جانب اسرائيل فلولم تكن اسرائيل هي التي بادرت بها لكان العرب قد بادروا بها . ولم يكن في وسع انسان ذكي ان يشك في ان هذه المسألة هي مسألة وقت . فلم يجموا كميات سلاح كهذه ، ولا اقاموا قاعدة كتلك ولا زادوا قوتهم الا استعدادا للمبادرة بالحرب . فلقد كان امام المخربين سنة وقف اطلاق نار ، ولم يزعجهم احد وهم يتقوّون كما أرادوا وقد استغلوا هذه السنة كما ينبغي وبنوا قوتهم وفقاً لكل المفاهيم .

لم تتغير غاية المخربين ابدا بل تتغير وسائلهم وفقا للظروف فقط . لقد كانت الغاية تحطيم اسرائيل واقامة دولة فلسطينية مكانها وقد ظلت هذه الغاية . وقد راحت المنظمات التخريبية تبني موقفها السياسي لدى العرب والعالم . وقد ظلت الدول العربية تنطح حتى احترقت ارادة نضال زعمائها ووافقت على وقف اطلاق النار وفصل القوات وحتى على معاهدة سلام (مصر) ، ولم يبق الا المخربون فقط رأس الرمح في الكفاح والأوفياء حد الحنين للفكرة ، فكرة تحطيم اسرائيل وعدم اقامة سلام أو صلح معها . وفي هذا الموقف تكمن القوة . وهذا الموقف هو الذي يرفع معنويات المناضلين داخليا ، وهذا

الموقف هو الذي يكسب منظمات الارهاب مكانة من الدول العربية ولدى الكثيرين من اعداء واضحين لاسرائيل واصدقاء (صداقتهم مشروطة وذات رأس مال محدود) أو محايدين زادت هذه المكانة وحازت الاعجاب . اذ ان الدولة الفلسطينية وحدها هي القادرة علي وضع حد للحروب والكراهية في هذه المنطقة . ان مسألة امكانية بقاء دولة اسرائيل الى جانب دولة فلسطينية لن تجعل العالم يفيق من سباته . لقد تعود العالم ان يرى اليهود مطاردين ومذ بحين وبلا وطن . وان ٣٥ سنة من الاستقلال يمكن ان تصبح فصلا متغيرا مثل هدنه مؤقتة .

لقد كانت لدينا قناعات عما ينوي المخربون القيام به ، وقد كانت لدينا معلومات . لم يكونوا يتركوننا نحيا في راحة . وعندما تبلغ قوتهم حدا معينا فانهم يتحركون .

اما احتلال اسرائيل فليس في وسعهم كما انهم لاينوون هذا . انهم راغبون في تنغيص حياتها واشاعة الفوضى عن طريق هجمات المدفعية والكاتيوشا والاصابات والاضرار بوسائل المواصلات وارسال جماعات او وحدات لاحتلال مستوطنات في الشمال بشكل مؤقت ، وسفك الدماء والقتل وعند ذلك وعندما نكون مستنزفين ومتعبين ومرتبكين ودماؤنا نازفة يحين الوقت للدول العربية وفي مقدمتها سوريا ، باعتبار ان هذه الخطة كلها تنفذ بمشورتها ، ومن بعد دول عربية اخرى .

وقد اضطرت اسرائيل للخروج للحرب في ظروف قاسية بشكل غير مرتب ضد تشكيلات وكميات كبيرة من السلاح لاتتناسب مع ماكان علينا ان نواجهة في حرب سلام الجليل . ولهذا فان الزعم القائل ان المخربين كانوا في حاجة الى عشرين سنة حتى يوقعوا باسرائيل ستمائة ضحية ، هو زعم كاذب على اساس ديماغوغي رخيص . وفي حرب الحجارة في جوز نكل كانوا يحتاجون الى عشرين سنة . اما بالسلاح الحديث الذي جمع بكميات ضخمة فان المخربين كانوا يقتلون الشيوخ والنساء والاطفال بأرقام مهولة . ان دولة مستقلة لاتتخلى عمن لاحول لهم ولاقوة ممن يعيشون في داخلها ، حتى يكونوا عرضة للقتل على ايدي اعدائها . بل ترسل بجيشها للقضاء على اعدائها ، وتدفع بقلب حزين وغاضب ثمن الحرب .

ولو كنا تركنا المخربين ينفذون مؤامرتهم لكان قطاع من ١٥ ـ ٢٠ كم في الشمال قد خلا من سكانه . فسكان كريت شمونة ومطولا وحانيتا لايستطعيون ان يتحملوا عبء الحرب بمفردهم ، ولايمكن ان نطلب منهم ان يقضوا عمرهم في الملاجيء تحت الارض .

وعندما اجرينا دراساتنا لم يكن في الحسبان اختلاف امكانيات المخربين في حالة الحشد السوري الضاغط ، وقدرنا كم يستطعيون ان ينالوا منا اذا مكناهم ان يتقووا وان

يبنوا قاعدتهم . وهناك قناعة اخرى لم يكن بالامكان الا ان تكون هكذا : ان على اسرائيل ان تحول دون ذلك وان تدك المخربين قبل ان يدكونا .

وقد حيكت هذه المؤامرة في لبنان ـ بلاد ليست بلاداً ، ودولة ليست دولة . فهي دون سلطة مركزية دون امكانية فرض السيادة ، يحتلها المخربون والسوريون . وهي تحت رحمتهم ولم تكن لبنان في هذا الوضع هدفاً للحرب بل كان المخربون يحيون فيها ويستعدون لمحاربة اسرائيل هم الهدف .

ويكثر الحديث الآن عن الحرب الاختيارية والحرب غير الاختيارية . فمن النواحي السياسية فالهدف الظاهرة هو ضرب السلطة التي اقرت الحرب في لبنان . ويزعمون ان في الحرب غير الاختيارية فان الموافقة الوطنية تكون جزئية والوحدة مكسورة . ويبرز كلام احمق تتداوله السنة السوء وهو اكثر الكلام حمقاً ، ومؤداة ان حربين اثنتين من بين حروب اسرائيل الخمس (حرب الاستقلال ، عملية قادش ، حرب الايام الستة وحرب يوم الغفران وحرب سلام الجليل) هما حربان غير اختياريتين . ووفقاً لهذا التفسير الضيق : فان حرب الاستقلال كانت حتمية لان الدول العربية قررت تصفية اسرائيل حال قيامها ، ولم يكن في وسعنا ان نتجنبها . واما حرب يوم الغفران فقد استطعنا ان نتجنب (المبادرة بها) وان كنا قد قدرنا النوايا بشكل صحيح ، وكنا مستعدين لها . وكانت الحروب الثلاث الاخرى حروباً اختيارية . فقد استطعنا الا نبدأ بالحرب في عملية قادش سنة ١٩٥٦ وان ندع عبد الناصر ان يتقوى حتى يصبح قوياً بما فيه الكفاية لمهاجمة اسرائيل بالاسلحة السوفيتية . واستطعنا ايضاً الا نبدأ بحرب الايام الستة ، وان ندع مصر تطرد قوات الامم المتحدة من سيناء وقطاع غزة وان ننتظر هجومهم . واستطعنا الا نبدأ بحرب سلام الجليل وان نترقب ان يبادر المخربون والسوريون وغيرهم .

ووفقاً لهذا المفهوم الاعوج والمشوه والخطير ، فأن النموذج المطلوب لاسرائيل هو نموذج حرب يوم الغفران . فهذه حرب تقليدية غير اختيارية . ومن الممكن الحصول على موافقة وطنية حيث لاانشقاق في الشعب وحيث ترفرف الوحدة . وقد «نجحت» الحكومة بجهد كبير في اعداد «جيش الدفاع الاسرائيلي» والدولة لوضع الـ «لاخيار» . وعندها نقاتل سوية وبوحدة رائعة دفاعاً عن روح اسرائيل وندفع خطر النكسة عن ابواب بيوتنا ويحسم بدقة مصير دولة اسرائيل بأرواح ثلاثة الآف قتيل وجرح الآلاف . فهذه حرب غير اختيارية . ووفق هذا المبدأ المخيف فان الحكومة تبحث في الوقت المناسب الخطر الكبير ، وتكون قد عبأت الاحتياط ، ويكون جيش الدفاع الاسرائيلي مستعداً كما يجب على الحدود وبكل قوته ينزل في وقت اللزوم ضربة وقائية بالمصريين

والسوريين (فاذا لم يرتدعوا عن نواياهم على الرغم من الاستعدادات) فانها تكون حرباً غير مشروعة لانها حرب اختيارية تفسد الموافقة الوطنية ويمكن تجنبها وانتظار هجوم الاعداء القاتل .

اذا لم نقاتل المخربين والسوريين في حزيران ١٩٨٢ لاضطررنا لمقاتلتهم في موعد متأخر جداً ، ومن ظروف خطرها مضاعف . ولو كنا قاتلناهم قبل سنة من ذلك وقبل وقف اطلاق النار في تموز ١٩٨١ ، لكانت الحرب اسهل كثيراً ، ولكان عدد الضحايا اقل ، وكانت المكاسب اكبر . الا انه وبعد تحطيم المفاعل العراقي اصبحت الحكومة في حاجة لفترة زمنية (سياسياً) لامتصاص الغضب .

وفي سنة ١٩٨٢ لم تكن حكومة اسرائيل راغبة في حرب غير اعتيادية ، حرب يكون فيها الثمن اعلى بكثير وتكون فيها المصاعب غير محسوبة . لقد كان مقرراً بالفعل مهاجمة المخربين وتصفيتهم حتى لايتمكنوا من مهاجمة اسرائيل . ولم يبق الا مسألة التوقيت . ولم يتقدم جيش الدفاع الاسرائيلي من قبل بطلب للحكومة للموافقة على دخول لبنان . لم تكن المسألة مسألة معارضة او خلاف في الرأي ، كأن يطلب الجيش وقادته حرباً وتعارض الحكومة . فلقد كانت اموراً متفقاً عليها . وكان الحسم واضحاً . فلقد عرضت على الحكومة خطط وفي اوقات مختلفة قبل حزيران ١٩٨٢ وهو الوقت الذي دخل فيه جيش الدفاع الاسرائيلي للبنان . ولم نطلب قراراً .

وبعد ذلك كان اغتيال السفير ارغوف في لندن . وقررت الحكومة ضرب المخربين في قواعدهم . ولم تبحث الحكومة عن حادثة للحرب . ولم يكن اغتيال السفير ارغوف هو السبب لدخول جيش الدفاع الاسرائيلي لبنان . وقررت الحكومة الرد على الاغتيال منذ البداية ، لانها لم تتلق تفسيراً من المخربين . وكأن وقف اطلاق النار سار فقط على الحدود الشمالية ، وكأن من حق المخربين ان يقتلوا اليهود في سائر انحاء العالم ، هذا على الاغلب لدى حكومة اسرائيل . ولقد كان رد المخربين على ضربهم خطيراً . وقد تمثل في القنابل والقذائف على كريت شمونة وعلى مستوطنات اخرى . وعندها فقط حضرنا الى الحكومة وقلنا ليس ثمة رد آخر سوى تنفيذ خطة دخول لبنان وكسر المخربين . ليس امامنا طريق آخر للدفاع عن كريت شمونة ، والحيلولة دون عزلها . وفي مساء السبت الخامس من حزيران عرضنا على الحكومة في بيت رئيسها في القدس «الخطة الكبرى» وقد وافقت الحكومة عليها . وقد تضمنت الخطة تفصيلياً حقيقة اختلفت فيما بعد بصورة جزئية كما اصبحت موضوعاً لنقاش حاد : وهو احتلال قسم من طريق بيروت ـ دمشق . وقد تم تأشير الحواجز بشكل تفصيلي على الخريطة التي عرضناها على الوزراء وفقاً للهدف : وقد وصلت هذه الحواجز الى طريق بيروت ـ دمشق .

ولم نعرض ابداً امام الوزراء خطة او هدفاً لاحتلال بيروت . ولم نبيت هذه الرغبة واخفيناها على الوزراء . فلم نرد هذا . ولم تتضمن اية خطة لجيش الدفاع الاسرائيلي هذا الامر . وكذلك اوضحنا للمسيحيين في كل فرصة ان لانية لنا في هذا . وقلنا لهم ان بيروت خارج خطتنا ولاتسيروا وراء الاوهام حول هذا الامر . ولم نقدر اننا اذا صادقنا المسيحيين فان المخربين سيستسلمون او يتجهون الى بيروت ، بل قلنا للمسيحين كلاماً واضحاً : ان احتلال بيروت لايهمنا وليس هذا غايتنا .

وكان هناك بعد ذلك ثلاثة امور هامة ، طلب الوزراء اجابات عن اسئلة تقلقهم ، اولها هل تضطرنا هذه الخطة الى مواجهة عسكرية مع السوريين . ولم نلتزم ان يقعد السوريون بهدوء . ولم نستطع ان نقول للحكومة . وكان الافتراض ان من شأنهم ان يتدخلوا . وقد عبرت الحكومة عن ذلك في قرارها . اننا لن نبادر بمواجهة السوريين ولن نبادر بايذائهم . وينبغي تفادي مثل تلك المواجهة . اما اذا حدثت المبادرة بالتدخل منهم ، فان جيش الدفاع الاسرائيلي يقوم بعمل اللازم .

والسؤال الثاني الذي طلب الوزراء الاجابة عليه هو : ماهو الوقت الذي تحتاجه هذه العملية ؟ وقد قلت في اجابتي ، انني اقدر ان جيش الدفاع الاسرائيلي يحتاج الى عدة ايام للوصول الى طريق بيروت ـ دمشق . الا انني اضفت . مادامت ليست هناك امكانية لتقدير مدى التدخل السوري ـ اذا حدث ـ فان تقدير الزمن يعتمد على حجم التدخل السوري ومداه ، وهي عناصر محددة (تحد من سرعتنا) .

والسؤال الثالث ـ وهو الاكثر انسانية في الاسئلة الثلاثة ـ طلب الوزراء معرفة حجم الخسائر في جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد رفضت الاجابة على هذا السؤال . فقد اعتدت دائماً ان اتفادى الاجابة على هذا السؤال الصعب . وكان هذا بالنسبة امراً اساسياً ولا اذكر ان رئيس اركان قبلي اجاب على هذا السؤال . ومهما كان الالحاح فان القائد لايستطيع ان يجيب على هذا السؤال . وقد سئلت في كثير من المداولات مع الحكومة عن هذا الامر ورفضت ان اعطي تقريراً .

ولم يخف خبر خطة الوصول لطريق بيروت دمشق عن قادة جيش الدفاع الاسرائيلي . ومن يزعم منهم اليوم انه لم يعرف ولم يفكر ان المقصود هو اهداف محدودة ، فهو ليس الا ثرثاراً كبيرا . حتى اذا كان هناك من نسي ماهية الاوامر والاهداف وحتى النغمات الاخرى ، التي لم تكن واضحة لي ، وظهر في وسائل الاتصال وقال حديثاً لاعلاقة له بالحقيقة .

ان المزاعم القائلة بأن عدم الوضوح في الغايات والاهداف قد اخر جيش الدفاع الاسرائيلي ، ولو كانت الاهداف محددة منذ البداية وقد دعت الحاجة الى ضرورة اخذ

موافقات من الكادر السياسي على اعمال عسكرية لكان في استطاعة جيش الدفاع الاسرائيلي ان يحقق اهدافه بسرعة اكبر ان هذه المزاعم لاصحة لها من الواقع . لم تكن هناك معوقات من جانب الكادر السياسي ولم تكن هناك اعمال عسكرية حال الكادر السياسي دون تنفيذها . وكان هناك ضغط شديد على الحكومة لوقف اطلاق النار في يوم الجمعة وفي نهاية الاسبوع الاول للحرب . وقد استجابت الحكومة وفقا لما ارتأته من حسابات على الطلب الامريكي ووافقت . ولولا الضرورة التي فرضت الموافقة على وقف اطلاق النار في هذا الموعد ، لكان جيش الدفاع الاسرائيلي قد اكمل غايته ـ من الوصول الى طريق بيروت ـ دمشق ـ من يوم السبت وبعد ستة ايام من عبور اول دبابة حدود لبنان ، وبالضبط حسب التقدير الذي قدرته في جلسة الحكومة مساء السبت .

ولم يكن هناك تحديد على الاطلاق لافي قرار الحكومة ولافي فرضيات الاركان العامة للقادة لعدد كيلومترات تنفيذ العملية العسكرية ـ لا ٤٠ ولا ٤٥ ولا اقل ولا اكثر . بل كان القرار تحطيم المخربين وابعاد النار عن الحدود الشمالية . ولم تتضمن الخريطة التي عرضناها على اعضاء الحكومة مساء السبت اي تحديد للمسافات بالكيلومترات . بل كانت هناك حواجز تصل الى طريق بيروت ـ دمشق . كما ان الزعم القائل بأن الوزراء لم يفهموا الشرح المفصل ولم يروا الخرائط او الحواجز بل استطاعوا ان يفهموا ان المقصود هو ٤٠ او ٤٥ كيلومتر اليس له (للزعم) ما يدعمه . لقد كانت الامور واضحة وفهم الوزراء جيدا . فلم تكن جلسة الحكومة جلسة استثنائية للغاية مضغوطة الوقت يسودها نزاع شديد من النوع الذي يجعل الامور تختلط . بل كان البحث دقيقا متناسبا مع الموضوع المطروح . وكان هناك متسع من الوقت للاستماع وللسؤال والفهم . ومن المهم ان نفند اكذوبة انتشرت في اسرائيل ووجدت رواجا في العالم . وهي ان جيش الدفاع الاسرائيلي او وزير الدفاع او انا قد كذبنا على الحكومة ، بأننا لاننوي مهاجمة السوريين وبعد ذلك تحديناهم واضطررناهم للرد وانزلنا الضرر بهم . وفقا للخطة التي كانت عندنا منذ البدأ . واعترف للحقيقة . كما قلنا بالضبط في وقته للحكومة ، فاننا كنا نقصد ان السوريين ليسوا الهدف من الحرب . ولم ندخل لبنان لكن نؤذيهم . وقد بذلنا غاية جهدنا لتفادي المواجهة معهم ولم نتحداهم .

ولو كان السوريون يريدون تفادي مواجهة عسكرية مع جيش الدفاع الاسرائيلي لكانت الحرب قد انتهت دون ان يتبادل جيش الدفاع الاسرائيلي والجيش السوري طلقة واحدة . واننا عندما قلنا بالضبط لوزراء الحكومة لاضمانة لان ينهج السوريون هذا النهج (عدم المواجهة) وكان القرار مفهوما فاذا هاجموا جيش الدفاع الاسرائيلي ـ فان جيش الدفاع الاسرائيلي سيتخذ ما يلزم . وقد تدخل السوريون في الحرب منذ يومها

الاول وعلى وجه اليقين وبدون شك في اليوم الثاني لها وقد تدخلوا جوا طول الوقت حتى قبل الحرب وهذا امر واضح ومفهوم ، واستطعنا ان نتعامل معه وحتى عندما اقتربنا من منظومة الصواريخ في البقاع ونشأت مشكلة خطيرة بالنسبة لفعاليات قوتنا الجوية فاننا لم نر في ذلك سببا للخروج عن تمسكنا بالتعامل جويا ، دون التعامل مع السوريين بطريقة اخرى . الا ان السوريين لم يكتفوا بهذا . ففي اليوم التالي للحرب بدأوا بصليات مدفعية ، ومات احد جنودنا في احدى هذه الصليات . وقد تجملنا بالصبر لسببين محتملين ، فاما ان يكون السوريون راغبون في اثبات التفوق حتى يدفعوا عن انفسهم الاتهام ، بأنهم سكتوا عندما نشطت اسرائيل ضد المخربين ، واما ان المخربين هم الذين يستعملون المدفعية داخل الموقع السوري وهذا امر متوقع .

الا انه وفي اليوم الثالث للحرب زالت الشكوك ، واتضح ان السوريين قد قرروا الاشتباك للحيلولة بيننا وبين تحقيق هدفنا : الوصول الى طريق بيروت ـ دمشق . وفي نفس اليوم تحركت قوة تابعة لنا على الربية جنوبا بهدف الوصول الى طريق بيروت ـ دمشق . ووصلتنا معلومات ان قوة من الدبابات السورية تحركت عبر محور حركة قوتنا في مكان يقع الى الغرب من جزين على طريق الرابية . وقد اظهرت الصور ان هذه الدبابات تهرع بسرعة كبيرة الى جزين . وقد خرجت القوة من البقاع عن طريق بحيرة (بركة) قرعون واقتربت من جزين . وكان وزير الدفاع في القدس . وقد اتصلت به هاتفيا وحدثته بما يجري ، وتوقعت انه اذا وصلت القوة السورية الى جزين ، فان وضعنا لن يكون جيدا ، وسيسببون لنا مصاعب كثيرة . وكان افراد مقدمة قوتنا منتشرين على جانبي طريق ضيق ومزدحم بطوابير في منطقة حركة القوة السورية . وطلبت من وزير الدفاع اذنا لاستخدام القوة الجوية لضرب الدبابات السورية المتحركة صوب جزين . وقد اعطى الاذن وهاجمت الطائرات طابور الدبابات السورية واعاقته . واضافة لذلك قمنا بارسال قوة مدرعة لجزين لتستقبل الدبابات السورية التي تنجح في الهرب من طائراتنا وتستمر في طريقها . وفي الحقيقة وصلت دبابات سورية من طراز تي ٦٢ الى جزين وحطمتها دباباتنا في معركة الدروع الاولى بين جيش الدفاع الاسرائيلي وبين الجيش السوري في هذه الحرب .

وفي مساء نفس اليوم تطلب الامر حسم مسألتين ـ اولى تتعلق بالتقدير والثانية عملياتية . وبعد امعان النظر في كل الاوضاع والامكانيات ، اتضح لنا انه وبعد معركة الدروع فان التدخل السوري اصبح منذ الآن حتميا ، وينبغي النظر اليه على انه شيءٌ مؤكد في كل الانشطة التالية . وعليه ينبغي مهاجمة منظومة الصواريخ السورية في البقاع والا فان طائراتنا تكون عرضة لخطر الاصابة ، وتتقلص امكانيات عملها بصورة

خطيرة . وكانت هناك آراء اخرى لتوقيت مهاجمة الصواريخ وقد طالب وزير الدفاع بذلك الا انني عارضته على الفور . فهذا امر معقد وصعب وهو عمل ينبغي ان يتم بدقة محسوبة حتى في ادق التفاصيل ، مثل العمل في المختبر اي متكامل من الالف الى الياء دون تجاوز اي من التفاصيل . ولقد كانت لنا تجربة سلبية مع الصواريخ في حرب يوم الغفران ، عندما اضطرت الظروف طائرات سلاحنا الجوي للاغارة على مكان نصبت فيه صواريخ مضادة للطائرات .

سافر وزير الدفاع الى القدس وطلب اذنا من الحكومة لمهاجمة الصواريخ حتى يكون لنا تفوق حاسم في هذه الساحة ومجال عمل مضمون في الجو . وقد حرمتنا الصواريخ من كليهما ، او على الاقل حددتهما بصورة كبيرة . وقد وافقت الحكومة على تحطيم الصواريخ وتحدد يوم الاربعاء الساعة الثانية بعد الظهر للعملية . وكنت قبل ذلك بيوم قد عارضت القيام بهذه العملية واوضحت لوزير الدفاع ان علينا ان نمارس ضبط النفس والتعقل . والآن اصبح سلاح الجو مستعدا للعمل (في الصيدلية) عملا مهلكا ومضبوطا ومريعا دون خدشة واحدة ودون ان تصاب احدى طائراتنا بأدنى اصابة . وقد بدأ السوريون العمل فورا من اجل تحقيق وقف اطلاق النار واستؤنفت الرواية المعروفة في الشرق الاوسط في كل حرب وفي كل معركة : في اللحظة التي تتلقى فيها دولة عربية لكمة قوية ، ينشط العالم ويفرض علينا وقف اطلاق النار ، حتى لانكمل هدفنا وحتى لانقطف ثمار تفوقنا . وقد نجح السوريون مرة اخرى وفرض وقف اطلاق النار . وتحدد له يوم الجمعة . ومن نجا عندئذ من المخربين هرب الى بيروت ولضواحيها . واصبح كل قطاع الساحل بأيدينا . وعالجنا جيوب المخربين في اماكن مختلفة من التي ظلت خلف الخطوط الامامية .

واليوم ليس هناك معنى لطلب اجابة عن السؤال : ماذا كان سيحدث ولاى اتجاه كانت ستتطور الامور اذا حافظ السوريون على وقف اطلاق النار الذي اعلن يوم الجمعة ظهراً . واليوم السادس للحرب . فبعد يومين من الحرب ضد التشكيلة السورية ، وقبل وقف اطلاق النار استقرت التشكيلة السورية في البقاع في لبنان . ولم تعترض قواتنا على الرابية اية عقبة سورية ـ وحتى طريق بيروت ـ دمشق . ولم تكن هناك اية مشكلة لجيش الدفاع الاسرائيلي ولم تكن هناك اية صعوبة للوصول خلال فترة وجيزة لطريق بيروت ـ دمشق . لقد كنت في خط النار في القطاع الشرقي للبقاع عندما تلقيت مكالمة هاتفية من رئيس الحكومة وكان صوته يحمل قلقا ونبرة حزن واضطرار ، عندما اوضح لي ان الضغط الامريكي على اسرائيل للموافقة على وقف اطلاق النار قد ازداد وتعاظم ، وان الحكومة استجابت للطلب . وكان واضحا لكلينا انه كما حدث في الماضي تعود

الرواية المعروفة : مادام جيش الدفاع الاسرائيلي يضرب المخربين فان الجميع يكتفون بالاعراب عن الاحتجاج التظاهري ولايبادر احد بصدق لانقاذهم . اما عندما يحطم جيش دولة عربية ويصبح في وضع صعب فانهم يتنادون لانقاذهم «وفي نفس يوم الجمعة كانت هناك ثلاث ساعات فاصلة بين جيش الدفاع الاسرائيلي وبين طريق بيروت ـ دمشق . الا ان قيمة هذه الساعات القصيرة يمكن ان تكون من الظروف السياسية موافقة في القيمة لثلاثة ايام او ثلاثة اسابيع او ثلاثة اشهر ـ عندما يكون هناك مفر من الموافقة على وقف اطلاف النار .

وكما هو مفهوم لم احاول ان اناقش رئيس الحكومة فلم يكن لذلك معنى كما انه ليس من صلاحيتي وطلبت مهلة نصف ساعة لاكمال العمل في المنطقة وقد حصلت على الموافقة . ومع دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ لم تكن نرى ان نتحدى السوريين حتى يؤدي الأمر الى كسر وقف اطلاق النار وجر السوريين للحرب من اجل اكمال خطتنا . وقد سألني رئيس الاركان في نفس المكالمة على اي بعد من مطولا يتواجد جيش الدفاع الاسرائيلي ، فأجبته حوالي خمسة وأربعين كم ، بمعنى ان مطولا كانت في نفس الوقت خارج مرمى المدفعية . وكان من الضروري عندئذ ان انهى المكالمة مع رئيس الحكومة وودعته .

كان جيش الدفاع الاسرائيلي قريبا جدا من طريق بيروت دمشق في مكانين دار البيدر في الرابية (الأكمة) والى اليسار من البقاع والقرى الشرقية لبيروت .

وبدخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ ـ حددت بالتشاور مع وزير الدفاع وبتشجيع كامل منه الأسس التي تؤدي للمحافظة عليه (وقف اطلاق النار) وقد ذكرت هذه الأمور لوسائل الاتصال وكان الغرض من ذلك تسميع السوريين : هذه المرة لن تكون هناك رجعة عن وقف اطلاق النار وفقا للصيغة السابقة . لن تكون هناك حرب استنزاف على الخط الاسرائيلي . السوري . ولن نوافق على أن يحدد السوريون الأسس ولن ننزلق وراء نواياهم وخططهم . ولوقف اطلاق النار قاعدة بسيطة : اذا حافظ السوريون عليه فاننا نتمسك به . واذا كسره السوريون فانه لن يكون نافذا . فاذا اطلق السوريون المدفعية فاننا لا نلتزم ان يكون ردنا بالمدفعية . انهم لن يحددوا القواعد . واذا كسر السوريون وقف اطلاق النار فاننا سنعمل كما لو لم يكن (وقف اطلاق النار) ولا نملك أن نلتزم على كسره بالوسائل والطرق والأطر والا ماكن التي تريح السوريين اننا نرد بالطريقة وفي المكان اللذين نختار ووفقا لمقاييسنا . وبعبارة بسيطة : يرمي السوريون ونتحرك نحن . السوريون يقذفون نتقدم نحن ونستغل تفوقنا في الساحة لتحقيق اهداف اضافية .

لقد كان واضحا لدى السوريين انهم لايمددون شروط الحرب اذا كسروا وقف اطلاق النار المطلوب لانقاذهم ولوقف تقدمنا السريع نحو طريق بيروت دمشق . لقد قلت لهم عن طريق وسائل الاتصال ماهي قواعد اللعبة : انكم تستطيعون ان ترموا في الجانب الشرقي للجبهة وسنتحرك في الجانب الغربي او العكس وكل شيء وفقا لمقاييسنا ووفقا لحاجتنا وراحتنا .

انني لا افترض ان السوريين لم يفهموا . انهم فهموا الا انهم لم يتعاملوا بثقة او انهم افترضوا انه عند اللزوم فانهم سيجدون من يسرع لانقاذهم . ولقد كسروا وقف اطلاق النار من جميع الجهات انهم هم الذين كسروا وقف اطلاق النار ولسنا نحن . وكل حديث بعد العملية عن اثارة من جانبنا او اننا حككنا انف السوريين وسحبناهم هم لاستئناف الحرب للاسف الشديد قد ردوده للاسف كذبا بعض الوزراء الذين لاتربطهم بالحقيقة رابطة . فلم نستدرج ولم نحك انف ولم نتحد بل حافظنا على وقف اطلاق النار الذي كسره السوريون وقد نفذنا تحذيرنا واحتللنا قسما من طريق بيروت دمشق .

وفي مِحْوَر المنصورية ـ بحمدون ـ عاليه ـ دار البيدالمؤدي الى طريق بيروت ـ دمشق كان وادي سحا هو خط وقف اطلاق النار بالنسبة لكلا الجيشين . وقد كسر السوريون وقف اطلاق النار في الخط وبطريقة واضحة للغاية : فقد هوجمت حاملة اشخاص مدرعة تابعة لنا كانت تقوم باعمال الدورية في الجانب الاسرائيلي لخط وقف اطلاق النار ، هوجمت بصاروخ واصيب جندي . وقد عرفنا ان المخربين هم الذين اطلقوا هذا الصاروخ ولم ناخذ هذه الحادثه بالاعتبار وكان الخط ضمن مسؤولية السوريين . وكانت المحافظة على وقف اطلاق النار من واجبهم . وقد تغاضينا عن حوادث كسر سابقة الا ان هذا الكسر كان غير محتمل . وتلقيت اذنا من وزير الدفاع فتقدمنا ووصلنا في هذا المحور الى طريق بيروت دمشق . وكان هذا الحدث الذي حسم مصير الحرب ولولاه ولولا وصولنا الى طريق بيروت ـ دمشق لكان السوريون والمخربون لايزالون في بيروت بقاعدتهم وقياداتهم ولحولوا الحرب الى نصر عربي . وذلك بتحويل الهزيمة العسكرية الى نصر سياسي وعندهم اكبر خبره في العالم (في هذا المجال) .

ودفع السوريون الثمن لانهم تجاهلوا الامور الواضحة التي صرحنا بها بوضوح وعلنا وقد اعتادوا من قبل على ان وقف اطلاق النار يحقق هدفين فقط . انقاذهم من الهزيمة ويتيح لهم ان يملوا علينا استئناف الحرب وفقا للشروط التي تلائمهم فضلا عن ازدياد نشاطهم . واليهود وفقا لهذا الافتراض هم اناس عاقلون يحافظون على وقف اطلاق النار ومن ثم يردون على التحدي العربي وموافقون على خوض حرب استنزاف بالشروط التي يمليها العرب . واليهود بعد ذلك ميالون للانقسام ولاجراء مناقشة لاتنتهي حول ما اذا

كان العرب هم الذين كسروا وقف اطلاق النار وكيف ينبغي الرد على ذلك وهل ان حدود الرد لن تخرج عن نطاق العقل . اننا في هذه المرة حددنا الاسس وليس في امكان السوريين الا ان يتعجبوا كيف حدث ان نرفض ان نلعب لعبتهم وفقا للاسس التي وضعوها . اما المفاهيم الاخرى القائلة بان تردد الكادر السياسي او عدم تحديد اهداف الحرب منذ البداية هو الذي زاد من الصعوبات امام جيش الدفاع الاسرائيلي وعرقل العمليات فهي مفاهيم لانصيب لها من الصحة ومن الممكن اللجوء الى مثل هذه الفرية اذا كان هناك من يحتاج الى التنصل من اي اتهام سواء صدر هذا الاتهام او هناك خوف من صدوره .

والحقيقة ان الاهداف من هذه الحرب قد حددتها حكومة اسرائيل بوضوح اكثر من اي حرب سابقة . ومرة اخرى ففي مساء السبت وعشية بدأ الحرب وفي بيت رئيس الحكومة حددت الأهداف بوضوح الا ان الخطة قسمت قسمين المرحلة الاولى لم تتضمن اية معركة مع السوريين . والمرحلة الثانية تضمنت معركة مع السوريين اذا تدخلوا في الحرب مبادرين وكان واضحا ان على الحكومة ان تقرر المرحلة الثانيه واذا قررت عدم التنفيذ فان جيش الدفاع الاسرائيلي يكتفي بالمرحلة الاولى . اما اذا كان الامر يعني ان المستوطنات على الحدود الشمالية لاتكون خارج مدى مدفعية العدو فان الاهداف كانت واضحة تماما حتى مرحلة وقف اطلاق النار مع السوريين ومن الآن فصاعدا كان ضروريا اقرار عمليات اضافية على ضوء كسر السوريين لوقف اطلاق النار .

ولقد دعمنا المسيحيين في بيروت الشرقية وتم اغلاق بيروت من كل ناحية واتجاه واصبحت في حصار وقد ادى هذا الأمر الى جانب القاء القنابل على اهداف منتخبة للمخربين في بيروت ادى في النهاية لاستسلام السوريين والمخربين وموافقتهم على اخلاء المدينه . لا لأصابة الأهالي .

ان حرصنا ـ وهو حرص لانظير له في اية حرب في العالم ـ على ضرب المخربين فقط دون المدنيين في بيروت قد حال بيننا وبين قتل زعماء المخربين . فقد تحرك هؤلاء الزعماء من مكان لآخر وقد عرفنا في عدة اوقات اين يتواجدون . ومن اجل ان يحموا انفسهم فقد اختاروا اماكن تواجدهم بين الأهالي وفي بيوت يسكنها الأهالي . وعندما كان بامكاننا ان نختار ضرب زعماء المخربين والأهالي او الامتناع عن ذلك فاننا فضلنا دائما الخيار الثاني وهو عدم الضرب . ومن يتحدث عن طهر السلاح وآداب القتال لاينبغي ان ينسى هذه الحقيقة المفروغ منها . ولو كانت الظروف معكوسة لاقدر الله لكان المخربون قد اعلموا فينا القتل دون تمييز ليسوا هم وحدهم وانما غيرهم . ان شعوبا راقية لم يراعوا حياة الأهالي بالصورة التي كنا عليها . ولم تؤد هذه الحقيقة الى ازعاج

العناصر السياسية في اسرائيل لأعمال ماكينة الادعاء والكذب بصورة مطردة وكان طائرات سلاح الجو قد ضربت الأهالي في بيروت عمدا وهذه دعاية مجرمة وللاسف انها خدمت أعداءنا وسوَّأت وجه اسرائيل في العالم .

وعلى اساس هذا الفهم يمكن ان نفهم في مرحلة متأخرة جداً ظاهرة المذبحة التي قام بها المسيحيون ضد المسلمين في معسكري صبرا وشاتيلا ونال الاسرائيليون عقابها . اسرائيل «القاتلة» فهي جديرة بكل رذيلة .

ان النهج المنطقي والمتبع والذي نضرب المخربين فقط وفقاً له ونمتنع بصورة حادة عن اي ضرب للاهالي هو نهج سار وتقليدي . وفي كل فرصة اعود لتأكيد الامر بأن الطيارين لايهاجمون الا الاهداف المتفق عليها والتي تشمل مخابىء للمخربين او مخازن سلاح ويتفادون اي مهاجمة للاهالي .

وقد استطعت الاعتماد على قائد سلاح الجو وعلى الطيارين الذين نفذوا الاوامر المحددة ويقومون فقط بمهاجمة اهداف شخصتها وامنتها الاستخبارات والتصاوير الجوية . ولم يكن الطيارون انفسهم راغبين في ضرب الاهالي وكانوا يتصرفون هكذا حتى بدون اوامر محددة . وفي احدى الهجمات رافقت احدى طائرات الفانتوم كملاح واردت ان ارى بأم عيني . وكان مارأيته باعثاً على الاحساس العميق بالفخر : فلقد جعلت الاستخبارات الراقية وثقة الطيارين ووسائل التوجيه الدقيقة وعتاد الطائرة جعلت الاخطاء المحتملة غير محتملة (مستبعدة) على الاقل فقد سقطت القنابل بدقة على الاهداف المرسومة ولم تنزل الا بالمخربين . وان اي سلاح جو في العالم لايستطيع ان يعمل بهذه الصورة . فعندما كان من المتعين اصابة البيت الثالث على اليمين في الشارع حدثت الضربة على هذا البيت ولم تنزل القنبلة على اي بيت آخر .

وعندما تعين ان تدخل القنبلة من فتحة مغارة فانها لم تنفجر في اي مكان آخر . وعندما تعين تفجير جسر يبلغ اتساعه مترين كان لا يبقى الا كومة من الاحجار .

وقبل ان اصف عدداً من حركات المعركة بكل المقاييس والمصاعب التي تقدمتها والدروس المستنبطة بعدها فانني اريد ان افند زعماً آخر بين راج الجماهير وشكراً لوسائل الاتصال والسياسيين المعارضين للحكومة حيث كنا ـ وفقاً لهذا الزعم ـ نبحث عن حادثة حتى نحتل بيروت الغربية . وحتى لو لم يقتل بشير الجميل بعد انتخابه رئيساً وقبل وقت قصير من ء' سته مهام الرئاسة . هذا كذب فلم تكن هناك اية نية كهذه في اية مرحلة من مراحل الاعداد للحرب او في الحرب نفسها وكان هناك اعتراض على دور المسيحيين في الحرب وكانت هناك توقعات لم تتحقق وكانت هناك فرضيات لم تصدق لكن لم تكن هناك نية ايا كانت في اي مرحلة لاحتلال بيروت الغربية . ولولا الخوف من ان مقتل

بشير يثير فوضى عارمة وسفك دماء في جميع الجهات وفشل كل الجهود التي بذلناها حتى الآن ـ لما خطر ببالنا ان ندخل جيش الدفاع الاسرائيلي لبيروت الغربية فلم تكن هناك اية ضرورة . ولقد قال لي بشير كلاماً واضحاً حول هذا الموضوع في مقابلتي له قبل مقتله بثلاثة ايام ـ وكان قد اصبح الرئيس المنتخب وقبل دخوله قصر الرئاسة في بعبدا ـ كان بشير واضحاً وحاسماً : «لقد قابلت صباح اليوم قادة جيش لبنان وكان الحديث هاماً ومحل ثقة للغاية فقد اقر الجميع ان في ١٥ تشرين اول ١٩٨٢ تكون بيروت والمخيمات نقية من المخربين سوف اطهر المخيمات ويكون كل شيء (كل مكان) نقياً . وان البيوت التي اقامها المخربون هناك بصورة غير قانونية سوف تدمر . وسوف اقيم هناك مواقف للسيارات وحديقة حيوانات» .

وقد وثقت بـ بشير فهذه نية المسيحيين . وقد سعينا لذلك طول السنين وهذا ماحلموا به ولم يراودني شك ان هذا هو ماسيفعله بشير ومادام قد فعل هذا فليس هناك اي سبب لدخول جيش الدفاع الاسرائيلي لبيروت الغربية ولم نرد ان نقوم بعمل المسيحيين .

وفي نفس المحادثة الاخيرة مع بشير وكما حدث في محادثات اخرى من قبل اكد الرئيس المنتخب قوله لي انه سيعقد سلاماً مع اسرائيل . وهو لم يعرض هذا كأشارة او كعمل لبناني خيري لاسرائيل . لقد قال «لم يعد للبنان ماتبحث عنه في العالم العربي بعدما مافعلوه . لقد قطعنا انفسنا من العالم العربي . وهذه العملية لايمكن ان تتوقف الآن . فهناك دولتان في الشرق الاوسط عليهما ان يسيرا معاً وهما اسرئيل ولبنان المسيحية فكلاهما مبعدتنان وكلاهما منقطعتان عن محيطهما وكلاهما راسختان ووجهتهما غربية وسيربط بينهما ميثاق سلام .

وقد اتخذ قرار دخول جيش الدفاع الاسرائيلي لبيروت الغربية فقط بسبب مقتل بشير في هذه الظروف وفي نفس المرحلة وافق المخربون على الجلاء عن بيروت وتحت عملية الجلاء رسمياً وقد عرفنا بوضوح ان اجزاء هامة من اتفاقية الجلاء لم تنفذ وان المخربين قاموا باعمال خداع لانهاية لها . لقد التزم المخربون بتسليم الاسلحة التي كانت عندهم في بيروت الغربية الى الجيش اللبناني ولم يسلموها واخفوها في مخابىء مختلفة وقد عرفنا حتى ذلك الامر وهو ان المخربين وفقاً للاتفاق كان عليهم ان يجلوا وقد اختبأوا في مخابىء مختلفة وكل هذا كما هو مفهوم رغم انفنا لكن طالما ان بشير حي وطالما اننا وثقنا انه سيطهر بيروت ومخيماتها من المخربين وكشف مخابىء السلاح وسيحطمها او يسلمها لجيش لبنان فقد كان مؤكداً بالنسبة لنا انها لن تستخدم ولن تدخل بيروت الغربية .

وقد بعثر مقتل بشير لبنات البناء الذي قامت عليه الفرضيات والتوقعات وكان واضحاً ان ليس هناك رجل يقوم بذلك بدلاً عنه . وبدت امكانية حدوث الفوضى

وقتال الناس بعضهم للبعض الآخر واعمال الانتقام والعقاب بدت امكانية محسوسة وفورية . وكان لايزال في بيروت عدد من زعماء المخربين . وكان الخوف ان يعلنوا رفضهم الخروج ويعيدوا تنظيم قواتهم لزرع القتل والتدمير متوقعاً بصورة كبيرة جداً . وكان الخوف ان يطلب المسيحيون الانتقام من المسلمين بسبب موت زعيمهم بشير وهذه المخاوف بدت ممكنة الحدوث وكان شأن محاولة كهذه ان تؤدي الى رد اسلامي اكيد في بيروت او في مناطق اخرى في لبنان . وكان سفك الدماء يفسد كل محاولة لفرض النظام في الدولة .

اتخذ رئيس الحكومة ووزير الدفاع قراراً بعدم ابقاء بيروت في فراغ واصدار الامر لجيش الدفاع الاسرائيلي لدخولها وكان اتخاذ هذا القرار مساءً بعد ان تأكدا ان هذه العملية هي احدى العمليات الكبيرة الواسعة والسريعة التي نفذها جيش الدفاع الاسرائيلي طول عمره . فخلال خمس ساعات وباستغلال ممتاز لسلاح الجو في نقل القوات والوسائل والادوات المطلوبة بدأت العملية وبعد اربع وعشرين ساعة اصبحت بيروت الغربية في ايدينا . وقد سقط في هذه العملية ثمانية جنود : اثنان منهما خارج المدينة وثلاثة في حادثة وثلاثة في المعارك داخل المدينة . ان ماوجدناه في بيروت الغربية قد دلل على صدق كل المخاوف : مخازن كبيرة للسلاح ، وعتاد ومؤن كان قد تم نقلها للمدينة من المخيمات الى جانب قذائف وقنابل . ووجدنا مستودعات سلاح كبيرة في بيوت سكنية . في بناية مكونة من اربعة عشر طابقاً كانت الطوابق الثلاثة السفلية عبارة عن خزان سلاح كبير . وعندما علمنا بذلك لم نستطع ان نفجر احد عشر طابقاً سكانياً مليئة بالاهالي في سبيل ان نصفي الطوابق الثلاثة السفلية . وعندما دخلنا بيروت لم نكن ننوي ان نفرض سلطة مسيحية او رئيساً نرتضيه . فقد تركنا هذا الامر لاختيار اللبنانيين . غير ان وجودنا يؤمن قدرتهم على اختيار رئيس جديد لهم بدلاً من بشير الذي قتل . في جو آمن يكونون فيه متحررين من وجود المخربين .

وفي السابعة من مساء السابع عشر من ايلول سنة ١٩٨٢ عقدت الحكومة اجتماعاً في القدس للاستماع الى تقرير عن قرار دخول بيروت الغربية ولم يكن كل الوزراء مقتنعين بأن هذا قرار جيد وقد تناولت في حديثي في هذا الاجتماع مسائل مثل السكاكين الطويلة للكتائب وعن القتل الذي رأيته بعيني . وقد فسر هذا الكلام فيما بعد وكأنني قد حذرت من المذبحة التي ينوي المسيحيون القيام بها في صبرا وشاتيلا بعد ان سمحنا لهم بالدخول الى المخيمات وضرب المخربين فيها وكان هذا التفسير مشوهاً لكلامي . ففي هذه الساعة وفي كل ساعة اخرى قبل العلم بأعمال رجال الكتائب في مخيمي صبرا وشاتيلا لم اخف من مذبحة من هذا النوع . فلم اتناول في اجتماع الحكومة مخيمي صبرا وشاتيلا

على الاطلاق . وكان حديثي يتعلق بمسألة اخرى تماماً : ان اختفاء بشير الجميل من مسرح الحياة السياسية في لبنان يثير لدي ولدى آخرين الخوف الكبير من ان تعم لبنان كله حالة من الفوضى وان رجال الكتائب المطالبين بالانتقام لمقتل زعيمهم يقصفون المسلمين من كل مكان تطاله ايديهم وليس فقط في مكان واحد معين . وقد فهم كل الوزراء هذا التوضيح وكان قصدي ان اقنعهم بأن دخول جيش الدفاع الاسرائيلي في هذا اليوم بعينه في بيروت كان حيوياً والهدف هو الحيلولة دون حمام الدم بين الطوائف المختلفة ودون سيطرة المخربين على المدينة من جديد . ولم نكن قد عرفنا في هذه المرحلة ما اذا كان مقتل بشير هو حقيقة عمل لن يتكرر قصد به حزب رجل يرمز الى التغيير الحاصل في لبنان اكثر من اي رجل آخر ام ان مقتله هو اول عملية في سلسلة جاهزة من الاعمال لاعادة قادة المخربين في لبنان . ان دخول جيش الدفاع الاسرائيلي لبيروت الغربية جاء لافشال اية نية من هذا النوع قبل وقوعها .

وسوف أصف احداث الحرب . لكني سأتناول قبل ذلك اربع قضايا سببت انقساماً . الأولى : هل أدى المسيحيون دورهم في الحرب

ام انهم ظلوا مكتوفي الايدي . يتركوننا نسفك دماءنا وينتظرون جني ثمار الحرب ؟ ينبغي ان نقول بوضوح : لم تكن هناك ترتيبات مسبقة للتعاون بين جيش الدفاع الاسرائيلي والمسيحيين . ولم نطلعهم على سر خططنا لامن حيث التوقيت ولا من حيث الاطار والاهداف . وكان هناك سببان رئيسيان لذلك : خوفنا من قدرتهم على كتمان السر . فلم نكن واثقين انه لايوجد بين صفوفهم جواسيس متسللين يعملون لمصلحة السوريين او المخربين . ولم نرد ان ينجرفوا للعمل في وقت غير مناسب ويشوهوا سير عملنا بدافع من عاطفتهم المتأججة او استعجالهم قبل تحقيق غاياتهم .

وكانت هناك اشكال متعددة للتعاون مع المسيحيين في زمن الحرب وفقا لما تقتضيه ظروف التطورات في الساحة .

وعمل المسيحيون بالتنسيق معنا في تأمين المناطق التي احتلها جيش الدفاع الاسرائيلي والاهتمام بالمواطنين واقامة حواجز تفتيش وقد قام المسيحيون بهذه الاعمال بنجاح بالغ وقد ساعدهم على هذا النجاح معرفتهم الدقيقة بظروف لبنان والسكان .

وفي مراحل اخرى للحرب لم يقم المسيحيون بما كنا ننتظره منهم فقد عرفنا انهم يستطيعون ان يفعلوا اكثر ولم نستعجل عملهم ولو لمرة واحدة . ولم يتحقق توقعنا في كثير من المرات وكان احساسنا انهم يفضلون قطف مايمكن من الثمار بدل ان يجهدوا انفسهم في سبيل هدفهم . وسوف اعود لموضوع وصف احداث الحرب .

والقضية الثانية متعلقة بالخلاف والمناقشات التي دارت داخل الجيش باشتراك جنود

وضباط حول انشطة مختلفة قبل تعبئتهم وبعد تسريحهم . فعندما نقول بحق ان جيش الدفاع الاسرائيلي هو بحق جيش الشعب فاننا نقصد بالطبع الخيارات الكامنة في هذه الحقيقة : ان الجيش يعبر عن وحدة الشعب ومشاركة كل الطوائف ومساواتها في الخدمة من اجل امن الدولة . وقد عبر عن ذلك ايجابيا بشكل اقل من الظروف التي نشأت اثناء حرب لبنان .

ومع انني لا ازعم ان هذا التعبير كان سلبيا تماما : فقد اثر الانقسام في وسط الشعب بصورة طبيعية حتى على جيش الدفاع الاسرائيلي بجنوده وضباطه . ولم يكن بالامكان ان يختلف الامر عن هذا .

المناقشات دارت حول ما اذا كانت الحرب ضرورية ام مستبعدة وهل حققت اهدافها ام اخطأتها وهل كانت تساوي تضحياتها ام لا لم يكن في الامكان حصر هذه المناقشات فقط في الشارع المدني . لم يكن لدى جيش الدفاع الاسرائيلي مواد عازلة ولم يحكم على جنوده بالخرس . فالافضل ان يتكلموا وان يندفعوا وان يناقشوا . ومن الممكن توجيه الادعاء ضد رجال سياسة بأنهم عارضوا الحكومة ولم يعرفوا انهم يقومون بعمل ضد العسكرية . ويعترضون على هيكل جيش الدفاع الاسرائيلي بل وينهشون من قوته ووحدته . لقد كانت هناك يد سياسية واحدة تعد له وكان هناك مصدر سياسي واحد يغذي هذا الامر . لكن ليس من الممكن ان نرضى ان يكون الجنود والضباط هم الذين جلبوا الخلافات الحزبية لخدمتهم العسكرية .

وبالرغم من ان الخلاف كان حادا بل مشتعلا في بعض الاوقات وقد اخذ صبغة تحريضية في الشارع المدني ضد جيش الدفاع الاسرائيلي وقادته وضد الحكومة كما فعلت جماعات مثل جماعة «يش غفول» (هناك حدود) وغيرها ـ فانني استطيع القول باقتناع انه لم يكن هناك تجاوزات ذات شأن ولم تصب معنويات الجنود والضباط . مناقشات ـ نعم . رفض لتنفيذ الاوامر ـ لا

كان حادث العميد احتياط آلي غفع مختلفا تماما عما سواه سواء بسبب اهميته وبسبب العلنية الكبرى والتأويلات التي رافقته . وليس عندي ثمة شك ان القضية التي ارتبطت باسمه كانت جزء لا يتجزأ من المعركة السياسية . فقد احتجت المعارضة السياسية على قضية آلي غفع بحماس كبير من اجل تجنيد غفع لخدمتها . وقد استغلت آلي غفع حتى تلحق ضررا خطيرا بموقف قيادة الجيش وبموقف دولة اسرائيل .

والقسم الذي نشر واتضح من قضية آلي غفع كان زعمه بأنه لا ينبغي احتلال بيروت وانه لايستطيع قيادة لوائه اذا صدر امر بالاحتلال . وقد استعمل آلي غفع هذه الحجة

حوالي ثلاثة اسابيع قبل ان تنشأ الحاجة لاحتلال بيروت الغربية وفي الوقت الذي كانت فيه هذه النية بعيدة عن خطط جيش الدفاع الاسرائيلي وغير واردة .

وصلني اول خبر عن موقف غفع وعن تعبيراته في رئاسة الاركان في احد الايام . وكنت وقتها في اجتماع مع قائد القيادة الشمالية وكانت بيروت في هذه الفترة محاصرة ومغلقة من كل اتجاه وقد بدأ المخربون الجلاء منها . وبالرغم من خطورة تعبيرات غفع خشيت ان اجد نفسي مضطرا للتدخل في الموضوع . وفي نفس المباحثات مع قائد القيادة كانت انعاش الخطط في موضوع دخول بيروت . ولم يكن هناك بعد اي اتجاه كهذا ولم يجر الحديث عن خطة تنفيذ . بل كان حول موضوعات اخرى ان جيش الدفاع الاسرائيلي يحتاج لان يكون مستعدا لتنفيذ نشاطات مختلفة (تم التأكيد على اهمية وجود خطط جاهزة وتفصيلية لجيش الدفاع الاسرائيلي . فعندما دعت الحاجة لدخول بيروت الغربية بعد مقتل بشير عمل الجميع كآلة مشحمة وخلال خمس ساعات تم الاستعداد الكبير وبدأت العملية) .

سافرت الى الشمال وطلبت الاجتماع بالضباط واوضحت لهم اننا لاننوي دخول بيروت الغربية . وشارك آلي غفع في الحديث واعادة حججه ضد دخول بيروت وتحدثت معه اول مرة باعتبار انني تحادثت معه ثلاث مرات ـ عن امور تتعلق بسلوكه وطلباته . واوضحت له مراراً اننا لا ننوي احتلال بيروت الغربية ولم اخرج بانطباع ان غفع على وشك القيام بعمليات اخرى فيما عدا الاعراب عن آرائه وبالطبع لم يخطر ببالي انه سيقوم بخطوة درامية كترك قيادته للواء .

وان اي رجل غيري لايعتقد او يتوقع عملا كهذا من جانب غفع فلم يكن هو الوحيد في اللقاء ولا في غيره من اللقاءات التي تحدث فيها معارضا دخول بيروت ولاكانت حججه تختلف عن غيرها .

ان هذه العملية العسكرية التي تستوجب القتال داخل المدينة من منطقة مبنية تؤدي الى دفع ثمن غال من جنود جيش الدفاع الاسرائيلي ويقع فيها الكثير من الضحايا من بين السكان المدنيين في بيروت .

واحسست في حديثي الاول مع غفع انه متأثر بأزمة ما غير قضية بيروت . وقد انكشفت امور اكثر في مرحلة متأخرة جدا وهي تلقي الضوء على هذه القضية المعقدة .

والعملية الاخرى التي اذهل غفع الجميع بها هي طلبه ان يعفى من قيادة اللواء وزعم انه لايستطيع قيادته اذا صدر له امر باحتلال بيروت الغربية .

وتم نشر هذا الخبر بكل وضوح واصبح سلاحا سياسيا . فدعوت (آلي غفع) للحديث واوضح لي مرة اخرى اسبابه وفي هذه المرة سألته بوضوح : عما اذا كانت هناك

حجج اخرى لطلب اعفائه من القيادة؟ فسأل : على سبيل المثال؟ ففندت له ثلاث حجج من حججه عرفتها من احاديثي مع قادته . الاولى : ان كتيبة المظلات الملحقة بلوائه قد دخلت الطريق على مداخل صور . وبدل ان تتوجه نحو الطريق الرئيس اتجهت في اتجاه غير صحيح مما اضطرها لخوض معركة صعبة في منطقة المخيمات . وسقطت ضحايا كان بينها قائد الكتيبة ووفقا لاحدى الروايات ـ ولا ازعم انها الرواية الدقيقة ـ يعتقد الضباط ان (آلي غفع) لم يبذل جهده او يقوم بما يجب ان يقوم به في مثل هذه الظروف . ولم يخف هذا الاعتقاد عن آلي وهو الامر الذي اغضبه وحطم معنوياته .

والحادثة الثانية : دبابة مركفا من لواء غفع تركت في مداخل مطار بيروت . وقد بذل المخربون محاولات لسحبها . وكانت هناك اهمية لعدم وقوع الدبابة في ايدي العدو وفي النهاية لم يكن هناك خيار الا اصدار الامر لكتيبة من لواء غولاني للقيام بهجوم وانقاذ الدبابة . ووفقا لاحدى الروايات احس آلي انه مسؤول عن هذا الامر واحس بالاحباط .

والمسألة الثالثة مسألة حساسة ودقيقة . لقد عرفت عدداً قليلاً جداً من الرجال قادرين على ان يبعدوا انفسهم عن ضغوط البيت وان يضعوا حاجزاً بينه وبين الجيش . ومعظم الناس يحملون بيتهم معهم لجيش الدفاع الاسرائيلي ويحملون جيش الدفاع الاسرائيلي الى بيتهم ويقيمون علاقات ودية ودائمة بين كليهما . وآلي مع هذه الكثرة وحسبما اعلم فانه يعيش ازمة دائمة في بيته تتعلق بامر قيادته للواء ومن الصعب عليه ان يواجه الضغوط .

واستمع آلي ورفض اثنين من الاحتمالات وزعم ان مسألة ورطة الكتيبة على مداخل صور ودبابة مركفا لاعلاقة لهما بقراره وفي مقابل ذلك قال ان عليه ضغوطاً في البيت .

وفي هذا الحديث مع غفع لم اتطرق الى موضوع بيروت ولم يكن لدي ما اضيفه وهكذا زاد يقيني ان طلب اعفائه من القيادة غير متعلق بمسألة ما اذا كنا نحتل او لا نحتل بيروت . وحولت حديثي الى مسائل الزعامة والقيادة وعدت اقول له ان جنودنا يثقون فيه وينبغي عليه ان يكون عند ثقتهم . ولم يكن لدي احساس بان للامن اثراً وطريقاً الى قلبه ويبدو لي انه يصر على قراره بترك القيادة وانه استعمل بيروت كحجة وهذا الافتراض (قد تحقق) ففي جو شارع يسوده مثل هذا الوضع يصبح موقف غفع مقبولاً بل ويبرز كرجل مبادئ يضحي بمهنته العسكرية على مذبح حقيقته .

وفي احد احاديثي مع غفع قال لي انه مصر على رأيه في التخلي عن القيادة الا انه من خلال وفائه لجيش الدفاع الاسرائيلي وللوائه فانه يطلب البقاء جنديا في اللواء . وسألته

اي واجب تريد ان تقوم به . فأجاب مدفعي فقلت له : نفترض انك مدفعي دبابة وبالرغم انه لا نية ابدا لدخول بيروت الغربية فقد تحقق مخاوفك ويدخل جيش الدفاع الاسرائيلي . وانت تجلس في الدبابة صدر لك امر من العريف : المدفع ١٢٠٠ ارم . ونفذت انت الامر ورميت بعيدا عن الهدف وطيرت شباك بيت فهرع اولاد مسرعين من هناك . من الممكن ان يحدث . فماذا تعمل؟ كيف فكيف ترضي ضميرك؟ ان الذي لم ترد القيام به كقائد تقوم به كجندي هل تنفذ الاوامر؟ قال لي : لم احسب حساب هذه النقطة . انني اريد ان اكون ممرضا . قلت له : هذا منطقي ؟ انك قائد بوسعك ان تحول دون وقوع مصابين . ولديك تأثير كبير عن طريق التدريب الصحيح . والخطة الجيدة وقيادة المعركة . اتريد في هذا المكان ان تضمد الجرحى؟ غيرك يقوم بالاخطاء وانت تساعد في انقاذ المصابين من جراء الاخطاء؟ .

ونضب معين ادعاءات غفع . وطلب مقابلةً مع وزير الدفاع . فرتبت له المقابلة . ولم يفلح كذلك في ان يقنع وزير الدفاع كما ينبغي لاعفائه من قيادة اللواء ونقله الى واجب آخر في جيش الدفاع الاسرائيلي . وبعد ذلك طلب ترتيب مقابلة له رئيس الحكومة ـ وهي المحطة الاخيرة قبل التسريح من جيش الدفاع الاسرائيلي . وكان ادعاؤه لايام عديدة لقد قذفني واحد للآخر لا احد فيهم اراد ان يتحمل المسؤولية . وفي حقيقة الامر لم يقذف به احد للآخر . لم يقتنع باجابتي وطلب ان يتحدث مع وزير الدفاع ولم يقتنع بما سمع من وزير الدفاع . وطلب ان يتحدث مع رئيس الحكومة .

لقد خيبنا امل آلي غفع لاننا لم نعبأ بالحاحه ورفضنا ان نتعاون معه في المحاولة المستميته من جانبه في ان يكون «البطل الوطني» لمعارضي الحرب لاسباب سياسية . لقد اراد ان يكون الـ «انساني الاكبر» الذي يبذل التضحيات . وفي احد احاديثي معه عرض علي «صفقة» ان آمره بالبقاء في منصبه كقائد للواء . ويرفض ان ينفذ الامر وعندها احكم عليه واسجنه في السجن . فقلت له لن العب لعبتك . انك تريد ان تصبح بطل معارضي الحكومة . وتجعل الاتصالات (الدعاية) منك بطلاً وطنياً وتنقلب عليّ لأنني ادخلت نصير السلام كما هو معروف الى السجن . لن اصدر اليك امراً . انني احاول ان اشرح لك واجبك تجاه الجنود والضباط في اللواء اعتقد غفع كما يبدو اننا سنوافق على نقله من منصبه وتعيينه في منصب في الاركان العامة والا فانه يستطيع ان يبقى «الانساني في الحرب التي لالزوم لها» ويحظى بالمديح على شجاعته . وقد قررت بيني وبين نفسي ، اذا لم يرجع عما ينويه حتى بعد حديثه مع رئيس الحكومة فأنني سأسرحه من الجيش . ولما عاد من حديثه مع رئيس الحكومة اوضح انه لم يتمكن من اقناع محدثه وان رئيس الحكومة مخطيء مثلي ومثل وزير الدفاع . وسألته سؤلاً واحداً الا تزال عند رأيك في ترك

اللواء ؟ فأجاب بالايجاب . عندئذٍ سحبت من الدرج الكتاب الجاهز وقلت له : انت معفى من منصبك وانت معفى من الجيش .

ولم يفلح غفع في اخفاء اضطرابه . وقد كانت مفاجئة تامة له ولم يكن قادراً ان يخرج حرفاً من فمه .

انتهت مرحلة ولم تكن امام غفع امكانية العودة لها . وقد ادركت ذلك وقد انشد لسحر الدعاية وانزلق من خطأ لآخر .

وبمرور الوقت اتيح لي ان اتحدث مع رجاله في اللواء وقد اكدوا احساسين ، بأن مسألة بيروت لم تكن في مقدمة اسباب غفع . فهو يعاني من ازمة تعود الى الاسباب التي ذكرتها آنفاً . فحتى يوم تسريحه من الجيش لم يحاول ان يزور بيت العائلة التي تتكون من انسانة واحدة ولم يتفقد احداً من جنود لوائه الجرحى في المستشفى . وادى سلوكه الغريب تدريجياً الى فقد افراده الثقة فيه . وليس من المستعبد ان يكون احس بهذا الامر فبادر بتقديم «وصفة» للضربة .

بعد اعتزالي بعدة ايام حضر الى بيتي طالب من دورةٍ للضباط وطلب مواجهتي بشأن بحث له يتعلق بـ آلي غفع . وبعد ان انتهى من بحثه ارسل الى نسخة ووجدت فيها حسب اقوال آلي غفع المسألة التالية : ٥٠٪ من قراري يعود للضمير و ٥٠٪ لعوامل سياسية : وهذه المسألة جعلتني اثق في مصداقية تقديري الناجم عن احاديثي مع غفع قبل تسريحه من جيش الدفاع الاسرائيلي .

وهناك ملاحظة اقدمها بالنسبة للمسألة الثالثة : الضحايا في الحرب والذين وقعوا في يد العدو هم شر لابد منه . لقد رأيت الثكل واليتم والاسى وتفطر قلبي . ان الأسى الذي حدث في الحرب من وراء الضحايا الذين سقطوا بسبب الاخطاء والارتباطات والزلات التي ارتكبها قادة لايشبه اي أسى آخر ولااعرف كيف اتغلب على هذا الأسى المخيف .

لقد سقط في حروب سابقة كذلك ضحايا بسبب الاخطاء ان التحقيقات المفصلة التي اجريناها بقدر مااستعنا هي من اجل دراسة كل حادثة بأدق تفاصيلها لاستنباط كل درس ممكن للمستقبل وللحيلولة دون حدوث المآسي الكبيرة .

اما المسألة الرابعة فهي : هل ان النقد الداخلي ضد الحكومة وضد الحرب قد اضاف ضحايا من جنود جيش الدفاع الاسرائيلي كما زعم بعض السياسيين والمعلقين ؟ لا ، حسب اعتقادي . غير ان الانقسام الداخلي وكما عبرت عنه وسائل الاتصال قوى زعماء المخربين وانجشت الامل الكاذب عندهم بأن اسرائيل المنقسمة والمتنازعة ستخاف منهم ولن تصر على مطلبها بجلائهم عن بيروت . وقد قرأ المخربون الخارطة الاسرائيلية

بطريقة خاطئة : وبما ان الحياة الديموقراطية غريبة عليهم ولايستطيعون فهم مظاهرها فقد فسروا النقاش العاصف والكلام الخطير وكأن اسرائيل قد فقدت ارادتها وقوتها وبدأت تضعف .

ومن الضروري العيش في دولة ديموقراطية والثقة في افضلية هذا النظام على كل نظام آخر في العالم حتى يمكن ادراك قوة هذا النظام امام كل المناقشات والانقسامات الداخلية .

اما في المفاوضات السياسية مع عناصر اجنبية يتشدد الطرف الثاني المواعيد والشروط ـ على امل ان تهز الخلافات الداخلية موقف اسرائيل وتجعلها تنزلق الى تنازلات اضافية .

وبالنسبة لوسائل الاتصال فانني ارفض الزعم القائل بأن لدى اي عنصر خارجي ادوات يستخدمها فهذا سخرية . ويكفى ان نقول ان اجهزة الاتصال لم تعمل كجهاز من اجهزة اسرائيل . ومن الطبيعي ان يكون بعض هذه الاجهزة قد عملت وفقاً للمطلوب . ومن غير الطبيعي ان تزود اجهزة الاتصال المواطن والعالم بسلاح ضد اسرائيل . وعلى احسن تقدير فان اجهزة الاتصال في اسرائيل قد عملت كالمراقبين المحايدين في ساحة القتال بعيدين عن التدخل والمسؤولية والمسؤولية الوطنية وليست مسألة مسألة رقابة عسكرية التي تمنع او تسمح وفقاً لمعاييرها . بل هي مسألة مراسلين ومحررين مطلوب ان تحكمهم مسؤوليتهم الوطنية وليست الرغبة في التظاهر بحرية التعبير في اسرائيل او نيل استحسان اي اجنبي . لقد ادى الحماس لمتابعة التصريحات والظهور في كل مواقف وصنوف التحدي ادى اكثر من مرة الى نشر اخبار مزيفة عن الحقائق والى الاضرار بقضية اسرائيل في العالم . وعندما تنشر اجهزة الاتصال على سبيل المثال ـ ان جيش الدفاع الاسرائيلي قد هدم اربعين اف بيت في لبنان وشرد ستين الفا ـ جميع اجهزة الاتصال في العالم تنقض على اللقطة وتتبنى مختلف الدول ذات العلاقة مع اسرائيل هنا وهناك والتي كانت تتوقع ان تكون اسرائيل اكثر اخلاقية من بين دول العالم تتبنى الخبر الاسرائيلي وتجعل منه زاداً (ومن الواضح ان هذا الخبر خبر كاذب) .

وقد تسبب الاعلام الاسرائيلي في ضرر بالغ في مسألة جلاء المخربين ورددها واضاف اليها . وقد تنادت السلطة الامريكية لممارسة ضغوط على حكومة اسرائيل . ووجدت الحكومة نفسها في مواجهة الضغوط ومأمورة لوقف القصف . وتلقى المخربون مهلة اخرى وزادوا في الضغط على اعصابنا : يجلون ، لايجلون ، في مثل هذه الظروف ، في ظروف اخرى .

انني احترم الاعلام واعرف بشكل لايقل عن الآخرين . انه احدى دلائل وجود

السلطة الديموقراطية وهو شرط حيوي لوجودها . لكن في مسألة الحرب في لبنان لااستطيع ان افترض ان على رأسه «تاج المجد» فلم يكن بادياً انه حريص على المسؤولية الوطنية بالمستوى المطلوب .

وتدل الحقيقة التالية على مدى حرصنا الا نخرج الاهالي : لقد كان في وسعنا ولمرات عديدة ان نقتل ياسر عرفات وقد اردنا ان نفعل ذلك عدة مرات . وقد عرفنا ان يكون بالضبط وكان في امكان طائراتنا قصف البيت على من يسكنه ولم يكن عرفات لينجو من قصف كهذا . الا ان عرفات قد اختار مخابئه : في بيوت مأهولة بالسكان . فقد عرف جيداً من اسرائيليين غير قليلين . ان سلاح الجو لايهدم بيوتا على سكانها وطيارينا لايصيبون النساء والاطفال من اجل قتله . وفي مرحلة متأخرة اكثر بدأ عرفات عن بيروت ولا مجال الآن لتأكيد هذا الافتراض . الا انني اعتقد ان المخربين كانوا سيجلون عن بيروت قبل الموعد الذي جلوا فيه . ولو لم يهاجم الاعلام الحكومة في يوم الخميس نفسه بنشره الخبر عندما قصفت طائرات سلاح الجو اهدافاً عسكرية للمخربين في بيروت . وقد انتشر وصف العملية بتصورات بعيدة عن اية حقيقة . حتى اذا لم يتناولوا النص الشائع الذي تناوله قسم منهم بمبالغة مقصودة واكتفوا بالنص المعتدل بدل ان يقعوا في تناقض من جراء معلومات مشوهة ـ فليس بالامكان تبرئتهم (رجال الاعلام) من المسؤولية . وكانت الاوصاف مشابهة لاحداث تعود لزمن الحرب العالمية الثانية وكأن سلاح الجو قد محا بيروت من على وجه الارض وقد اسقطت قنابله آلاف الشهداء من الاهالي وكما هو معروف لم يحدث اي شيء من هذا في الواقع . وقد كان قصف سلاح الجو في هذا اليوم اشبه بمبادىء حديدية لم يخرج عنها ولو لمرة واحدة : فقط اهداف المخربين المشخصة وبانضباط شديد حتى لايضار بريء .

ولم يكن الاعلام الامريكي في حاجة لاكثر من هذا فقد اعتمد على «بشارات» الاعلام الاسرائيلي وكأنه حصل لقطة كبيرة امام قناص اسرائيلي . وكانت المسافة فاعلة (في مدى فاعلية الطلقة) وكانت الطلقة مضمونة . كنت هناك . ورأيت بالمنظار احد اعداء اسرائيل الالداء . انتظر القناص صدور الامر . اكتفيت بهز الرأس اسفاً اردت . لكن قلت : «لا» انزل القناص بندقيته . ففي نفس الوقت التزمت اسرائيل ، بعدم ضرب المخربين المغادري . ان على اسرائيل ان تفي بالتزاماتها . وهذا هو السبب الذي جعلنا لانغرق السفن التي اخلت المخربين من بيروت . ولم تكن هناك اية مشكلة في القيام بهذا الا الالتزام الذي التزمت به اسرائيل .

مفكرة الحرب

لم اكتب طول عمري مفكرات في الحروب وانما استطيع ان اعرب عن تقدير للجنود والضباط الذين يستطيعون بعد يوم من الحرب القاسية وهم مشبعين بالدخان والغبار عندما ينحون الاسلحة جانباً ويرهق الجسم من التعب يستطيعون ان يفرغوا لدقائق معدودة ويقدحوا فكرهم ويكتبوا عدة سطور عن احداث ذلك اليوم ولاحاجة لي لمثل هذا الامر ، فالحرب تتطلب كل ماعندك دون مساومة سواء كنت مقاتلاً آمراً لفصيل او سرية او كتيبة او لواء او تشكيل او قائد قيادة او رئيس اركان ان ما سأقصه هنا يعتمد على الذاكرة وعلى امعان النظر في كتابات مختلفة بهدف تنشيط الذاكرة . وسوف لا أدعي انني مؤرخ . فكلامي عبارة عن رصد مواقف تعاملت معها وكما رأيت الاحداث ساعة بدئها ومابعدها .

وفي يوم الجمعة الرابع من حزيران ١٩٨٢ وقبل الحرب بيومين تلقينا موافقة الحكومة على مهاجمة احد عشر هدفاً في لبنان رداً على محاولة قتل السفير ارغوف في لندن ، وكان من بينها هدفان بالقرب من بيروت وهما قيادتان للمخربين . ولم نكن نملك أي موافقة على عمل يرى في لبنان ، وان كان مثل هذا الاحتمال قد أخذ بعين الاعتبار فيما اذا كان رد المخربين على قنابلنا هو مهاجمة المستوطنات في الشمال . وكان الموعد الذي يناسبنا على الاقل في الهجوم البري هو يوم الثلاثاء او الاربعاء من الاسبوع القادم وقد سمح لي ان اقوم بتعبئة الاحتياط وفقاً للحاجة لكن قررت طلب الموافقة من القيادة السياسية على تعبئة ذات بال . وكانت هناك حاجة للتمويه كما ينبغي على كل الانشطة المتعلقة بتعبئة وتحريك قوات نحو الشمال ، وكنا مستعدين للعملية حتى قبل يوم الثلاثاء ، وفي هذه الحال ووفقاً لامر القيادة السياسية فان الجيش النظامي فقط هو الذي يدخل للبنان لوقف اطلاق النار على المستوطنات (اذا كان هذا هو رد المخربين) ويضم بعد ذلك الاحتياط والاستكمالات وفقاً للحاجة .

واذا اصدرت الحكومة امراً لجيش الدفاع الاسرائيلي للعمل على الارض نتيجة قصف المستوطنات في الشمال فعلينا ان نتجنب اي مفاجأة من جانب السوريين في هضبة الجولان ، وقد اصدرت امراً لوحدة مناسبة للخروج الى هضبة الجولان والبقاء في وضع الاستعداد هناك .

وفي يوم الجمعة ذاته كان قسم من الاحد عشر هدفاً قد تمت مهاجمته . وسمح لي رئيس الحكومة بمهاجمة اهداف اخرى في الغد وهو يوم السبت اذا حالت الظروف الجوية

دون مهاجمتها في نفس يوم الجمعة . وستجتمع الحكومة في مساء السبت في بيت رئيس الحكومة وستضرر ما إذا كانت هناك خطوات اخرى وما هي هذه الخطوات .

وتعتبر الفعاليات الاخرى من جانب المخربين اساساً للافتراض بأنهم ينوون القيام بنشاط على ارض اسرائيل .

كان رد المخربين متمثلاً في رد مدفعي على مستوطنات الشمال وقد اوقفوا الرمي في الثانية ـ الثانية والنصف قبل فجر يوم السبت وذكر تقرير ان ٢٧٠ قذيفة كاتيوشا قد سقطت في ارضنا .

وفي يوم السبت تحدثت مع رئيس الحكومة وقد وافق على اقتراحي بعدم الاستمرار بفعاليات سلاح الجو يوم السبت والا تنفذ اية فعالية عسكرية اخرى بل ننتظر وندرس فعاليات المخربين ، وكان الحساب سهلاً : فقد اخذت بنظر الاعتبار احتمال ان تقرر الحكومة في جلستها في المساء عدم تنفيذ المالية البحرية وفي مثل هذه الحالة ، فاننا لامصلحة لنا في جر المخربين لتصعيد وتسديد هجماتهم لان وسائلنا المتاحة لاسكات النار دون دخول لبنان محدودة .

وحتى نكون مستعدين لاحتمال اقرار الحكومة نشاطاً برياً اصدرت امراً يوم السبت لادخال دبابات لجنوب لبنان في المنطقة التي يسيطر عليها حداد وتمويهها كما ينبغي . وهكذا نستطيع ان نختصر الوقت وان نعبر خط البداية بأنذار قصير .

اذ اصدر قرار الحكومة نكون مستعدين للتقدم بسرعة ولخلق واقع في الساحة . ولم اكن اعرف بعد كيف سنتسابق في هذه الحرب مع الزمن اذا نشبت . الا ان فيلب حبيب سيصل الى المنطقة في منتصف الاسبوع القادم . ووفقاً للخبرة الماضية يصبح الافتراض معقولاً : لن يدعونا نحقق انتصارات كبيرة جداً وهنا يتضح مدى اهمية عامل الزمن والسرعة .

وفي صباح السبت استأنف المخربون النار وهكذا زاد احتمال اقرار الحكومة عملاً عسكرياً برياً . وفي مساء السبت عبّأنا قوات احتياطية اخرى قبل صدور قرار الحكومة . وقد اصدرت اوامر جديدة . اذا حاصرتنا الدول الكبرى بضغوطها او حتى الولايات المتحدة فقط بضغطها الشديد فمن الاهمية بمكان عندئذ ان تكون دبابتنا الاولى وفي نفس اللحظة هذه الدبابة التي استطاعت ان تندفع للامام . وهذا هو الهدف كما ينبغي حتى وان كانت هذه الدبابة فريدة وكانت المنطقة التي خلفها غير خالية من المخربين .

وبعد ان استأنف المخربون النار يوم السبت عدت للحديث مع رئيس الحكومة

وكررت رأيي : اذا استأنف المخربون النار نواصل الهجمات الجوية وفقاً للخطة الاساسية ، وافق رئيس الحكومة واستأنف سلاح الجو هجماته .

وكانت عناصر الامم المتحدة في لبنان تراقب الاستعدادات . وقد نقل احد هذه العناصر تقريراً للمخربين حول دخول عدة دبابات للمنطقة .

ولم اكن آمن في هذه اللحظة ان تفوقنا العسكري ، في حالة اقرار الحكومة للعمل يؤمن اسكات رد المخربين . وقد وضعت في الاعتبار ضرورة الاستعداد لقتال ضاري من قبل المخربين وخاصة في المناطق المبنية والمواضع المعدة من قبلهم . وسوف تكون هناك محاولات من جانبهم لاعاقة المحاور واصابة العربات الخفيفة . وسيحاولون استخدام دباباتهم والسلاح المضاد للدبابات لاصابة دباباتنا كما قدرت وقلت ان في المناطق التي سنسير عبرها او نطوقها سيكون سلوك المخربين كما يلي :

سيتفرقون وينتشرون في الساحة وبعد ذلك وخاصة في ساعات الليل يعودون في مجموعات صغيرة لضرب قواتنا عن طريق ملاجيء في المحاور وكذلك التلغيم واستعمال سلاح ضد الدبابات . ولم اقتنع بالافتراض القائل بأن المخربين لن يقاتلوا وقلت : ان اسلوب قتال المخربين هذا سيزيد من الصعاب الكبيرة امام جيش الدفاع الاسرائيلي ويزيد عدد الضحايا .

اما تقديري حول تدخل السوريين فكان ان يبذلوا محاولات للتدخل الجوي والمدفعي بدءاً بالمراحل الاولى للحرب . وفي مقابل ذلك فان القوات السورية لن تهاجم باتجاه الجنوب الا اذا اشتدت قبضتهم على البقاع ويستعدون للاحتماء بهذه المنطقة وسوف يدافعون دون ادنى شك عن مواقعهم في لبنان . لن يتنازلوا عن مواقعهم في البقاع وعن المعابر في جبل لبنان . هذا قسم من وجهة نظرهم الاستراتيجية .

ومن الاهمية بمكان الا تكون لدى السوريين صورة مضبوطة للوضع عن الاتجاهات المضبوطة لدخولنا للبنان . فليس مستبعداً ان نضطر في مرحلة متأخرة اكثر لتحطيم صواريخ ارض ـ جو .

وقد بحثنا من جديد الخطط المضبوطة لدخول لبنان ـ على افتراض ان الحكومة تقرر هذا الامر في مساء السبت . وكنا مستعدين لبدء العملية البرية في يوم الاحد في الساعة الثانية عشرة ظهراً .

وأساس الخطة : الا نصل الى مواجهة مع السوريين في الشرق . بل نصل حتى خط حاصبيا ـ كوكبة ـ على بعد حوالي خمسة كيلومترات جنوب الخطوط السورية في اقصى الجنوب . فمن هذا الخط يستحيل قذف الكاتيوشا على كريت شمونه ومطولا . ويكون اساس الجهد في محور الساحل . وقد اختلفنا حول انزال القوات بحراً من الزهراني او

الاولى . وقررت ان نترك مسألة مكان الانزال المضبوط لنقررها بعد اربع ساعات من بدء العملية وفقاً للمكان الذي يصل اليه رأس سهمنا على محور الساحل في هذا الوقت .

اصدرت امراً بان تتحرك الدبابات لهضبة الجولان على هيئة سلاسل في الساعة س مع الدخول للبنان . وقد رافق هذه الحركة بيانان اثنان الاول : اننا لاننوي مهاجمة السوريين . والثاني : اننا نقتفي اثر المخربين في لبنان ونتخذ خطوات احترازية في هضبة الجولان .

لم نحدد اهداف الحرب باي مسافة بالكيلومترات . وقد تضمنت هذه المرحلة الالتحام مع المسيحيين واغلاق بيروت من جميع الاتجاهات . ولاتتضمن الخطة اشارة من اي نوع عن نية احتلال بيروت .

اجتمعت الحكومة مساء السبت في بيت رئيسها . وقد عرضنا تقريراً مضبوطاً حول الاحداث وعرضنا خطة العملية البرية . وبعد الدراسة التي طرح فيها الوزراء اسئلة حول جميع الامور المتعلقة بخطة جيش الدفاع الاسرائيلي وتلقوا اجابات كاملة ومضبوطة ، وقررت الحكومة الموافقة على العملية العسكرية وحدد يوم تنفيذها في الغد يوم الاحد في الساعة الحادية عشرة صباحاً .

في فجر يوم الاحد وفي الساعة الثالثة واربعين دقيقة سقطت كاتيوشا اخرى فاعدنا عرض الخطط التفصيلية على وزير الدفاع .

علمنا ان المخربين لديهم مدافع عيار ١٨٠ ملم وان مداها بعيد جدا ويمكن ان تصل قذائفها لمنطقة خليج حيفا اذا نصبت في منطقة صور . وكان واضحا ان علينا ان نبطل هذا الخطر في المرحلة الاولى للعملية .

وعندما ذكر قادة التشكيلات تفصيليا خطط قواتهم تذكرت خبرت شارون المتعددة الجوانب وعلمه الوافر فقد اتى على ادق التفاصيل لكل حركة عسكرية في كل محور ولم يهدأ له بال حتى اصبح خبيراً بكل الخبرات الكاملة .

فعدت واكدت لكل القادة ان الموافقة التي حصلنا عليها من القيادة السياسية في هذه المرحلة تجعل حدود عمليتنا محصورة بخط الاولى ـ البقاع وحتى ننفذ عملية خارج هذه الحدود فاننا نحتاج الى موافقة اخرى من الحكومة . وقد فهموا هذا الامر تماما . وقد اوضحت مرة اخرى ان السرعة الابتدائية هامة جدا بسبب خطورة ان تقيدنا الهيأة السياسية الدولية بعد مرور وقت قصير . ومن المهم ان تكون محاور الحركة فارغة بقدر المستطاع للقوات المقاتلة ولانحشر الخدمات الادارية في المرحلة الاولى حتى لانشغل الطرق الصعبة والضيقة ومهم ان نحتل غداً «مثلث الحديد» وهي المنطقة الواقعة جنوب

الليطاني حيث يتمركز المخربون بقوة كبيرة ولم يدعوا الـ «يونيفيل» تدخل مجالها .

وجهت القادة في مسألتين ذات قيمة كبيرة : معاملة جنود الـ يونيفيل بلطف وكياسة . والتحدث اليهم بدماثة حقيقية بأن عليهم ان يغيروا الحاجز ويدخلوا الى المنطقة التي تقع تحت سلطتهم . فهم ليسوا اعداءنا .

والمسألة الثانية : التمسك تمسكاً حساساً بعدم الاضرار بالاهالي ومنطقتهم . فنحن لانحارب الاهالي ولا نضربهم . وهذا هو الجانب الاخلاقي والانساني ونحن باعتبارنا جيش الدولة اليهودية نلتزم به (الجانب) . لكن هناك ايضا مسألة مفيدة وهي ليست بديلا عن القيمة الاخلاقية لكنها في صفها : اننا لا نعلم كم سنبقى في المدن والبلدان والمخيمات التي نحتلها . وفي هذه الاماكن سنتحمل مسؤولية اصلاح الحياة وتنظيمها . وان المدارس والمساكن والعيادات والمستشفيات والمؤسسات الشعبية هي القاعدة الحيوية لاستمرار الحياة . اننا لانريد ان نكرر قضية «عملية الليطاني» قبل عدة سنوات . عندما اضطررنا ان نجلب للبنان ثلاثة آلاف بيت عوضا عن البيوت التي هدمت في المعارك لاتهدموا بيتا للاهالي على سكانه بسبب لجوء مخرب له واطلاق النار علينا من الكلاشنكوف ينبغي التصرف وفقا لعلاقة مقبولة بين اصابة مخرب لجنودنا وبين الحرص على الاهالي الذين وجد المخرب له مأوى في بيتهم بغير موافقتهم حتى وقت قريب .

وبشأن السوريين اعود الى ما قبل بداية المعارك لاقول ان العموميات التي تبلورت عندنا هي : انهم ليسوا هدفنا . وهذه ليست حرب ضدهم . ينبغي توجيه كل القوة ضد المخربين وتحقيق نتائج سريعة . واذا فرضت الظروف في الساحة ان نقوم بنشاط ضد السوريين نتيجة لتدخلهم فاننا نتمنى ان يحدث هذا في مرحلة متأخرة اكثر بعد ان نرسخ المكاسب في حربنا ضد المخربين . ومن المهم القول بناءً على تجربتنا اذا عُصرت دولة عربية يبادر العالم لمساعدتها وتفرض الدولتان الكبيرتان وقف اطلاق النار في بعض الاحيان بسبب المصالح الاساسية المتضاربة . وغني عن الذكر ان تقديري قد اتضحت صحته : ففي يوم الجمعة من الاسبوع الاول انكسر السوريون . وفي نفس اليوم اضطرت الحكومة للموافقة على وقف النار اما اذا كان الامر يتعلق بالمخربين فقط فان العالم لايبادر لمساعدتهم فيما عدا اطلاق اصوات استنكار تتظاهر بالخير وليس لها قيمة حقيقية وليس ثمة سبب لاثارة صيحة تبرم ضدنا من العالم باجلاء قوتنا قبالة السوريين في المراحل الاولى للحرب . والافضل لنا ان يكون رد الكتلة الشرقية معتدلة بقدر الامكان وعلى المستوى الدولي لاتطلب موسكو من واشنطن ممارسة الضغوط على اسرائيل وافق شارون وزير الدفاع على الدراسة قبيل بدء الحرب وأكد ان جيش الدفاع الاسرائيلي لايقوم بالعملية لاجلاء السوريين من لبنان بل لاقامة حكومة توافق على توقيع

معاهدة سلام معنا . واذا لم تكن هي اهداف الحرب حقيقة الا انه اخذنا في الاعتبار ، لان الموافقة التي اعطتها اسرائيل بصمت من سنة ١٩٧٦ على دخول السوريين الى لبنان كانت خطأ خطيراً لكن العملية العسكرية الحالية لم تحدث لاصلاح هذا الخطأ . قال شارون لكبار القادة ، انه يعتقد قبل بدء العملية ان انقساماً سيحدث داخل الشعب وكان يتوقع ان نمط الحياة في المجتمع الغربي الغني يجعل الشعب في منآى عن الاستعداد والهجوم من اجل الدفاع عن مصالحه الحيوية . وقد أكد على ضرورة بذل كل جهد حتى لايدخل السوريون في عمل عسكري على الاقل في المرحلة الاولى للعملية .

قال شارون كلاماً واضحاً للقادة يفهمونه جيداً عن العلاقة بين المراحل التالية للحرب وبين قرارات الحكومة والحق انه لم يكن يتوقع ان تنتهي الحرب في مرحلتها الاولى وقد كان واثقاً ان الحكومة التي ستجتمع في يوم الاحد مساءً ستوافق على المرحلة الثانية بشكل متتالٍ مع المرحلة الاولى وعلى أساس نتائجها لكن واضحاً تماماً انه ولاي سبب كان اذا قررت الحكومة عدم الموافقة على المرحلة الثانية ـ فان جيش الدفاع الاسرائيلي يتوقف عن اي نشاط آخر يبقى في المكان الذي تأمره الحكومة بالبقاء فيه .

دعوت الجنرال كلهان قائد قوة الـ يونيفيل الى مقر القيادة الشمالية للحديث معه قبل نصف ساعة من عبور قواتنا ولم أرد ان يكون حديثي طويلاً . كان من الضروري ان اتكلم مع الجنرال عما نوشك ان نقوم به خلال فترة وجيزة وهكذا فعلت ولم نكن بمفردنا فكان هناك قادة معه ومعي ولذلك فقد احتج كلهان بشدة . فقلت له انني لم ادعه لاخذ منه اذناً او اتلقى موافقته وتبريكه لكننا تلقينا امراً من حكومتنا وانني اتوقع منه ان يصدر امراً لجنوده بعدم الاشتباك مع قواتنا لان مثل هذه المحاولة من شأنها ان تؤدي الى سفك دماء متزايدة وكان الجنرال وقواته لايستطيعون ان يمنعوا جيش الدفاع الاسرائيلي من تنفيذ هدفه . فهم الجنرال ووضعنا تحت تصرفه خط تليفون فاتصل بمن اتصل وقال ما قال وبالطريقة التي عبر بها ـ ولا أستطيع ان استعيد كلماته حرفياً ولكنني افترض انه اعطى اوامره بما يتناسب وماطلبته منه .

انصرف الحاضرون بناءاً على طلبه ولما بقينا بمفردنا تمنى لي النجاح وقال انه امر الجنود بالا يكونون عقبة ويتجنبوا الاشتباك مع جيش الدفاع الاسرائيلي ولم تكتمل القضية فيمن دعوته وبين اي ضغط مورس عليه بدأكلهان في نشر بيانات بينها وبين ماقاله لي عندما كنا متفردين في القيادة الشمالية هوة سحيقه . واعددت رداً واضحاً وارسلته له وكانت نهاية ردي عبارة (اضافة الى ذلك) اوضح ماقاله لي وكيف تصرف عندما كنا منفردين . فاعاد الى الرسالة محتجاً على عبارة (اضافة لذلك) ولم اهتم لما كتبه لي بوضوح لانه يخشى نشر مضمونه وهكذا انكشف .

وبعد مغادرة كلهان بوقت قصير (زعم كلهان فيما بعد انني فاجأته قبل بداية العملية بـ ٢٨ دقيقة) بدأت العملية العسكرية وانضممت الى قواتنا بعد الظهر . وبعد فحص دقيق للمنطقة امرت ان يتم الانزال البحري في الاولي مساء . وكان الهدف هو انزال قوة كبيرة في عمق المخربين وتكون هذه القوة في غنى عن التحرك على المحاور البرية المزدحمة حتى نزرع الاحساس بالعزلة والخوف لدى المخربين .

بدأت الفعاليات تتقدم وتتطور وفقاً للخطة ـ وعلى المحور المركزي تحرك تشكيل دون تأخراً او مشاكل ، وقد مرّ التشكيل امام القوات الفرنسية والنيجيرية وعبر الليطاني عن طريق جسر عقبة وتقدم التشكيل الذي يعمل على المحور الغربي لتحقيق هدفه وفي القسم الشرقي تتقدم القوات للخط المحدد حتى لاتشتبك مع السوريين وفقاً لقرارات الحكومة والاوامر المعطاة للقوات . ولم تكن هناك مقاومة تذكر في اي جزء من اتجاهات التقدم في هذه المرحلة الاولى . وتقدمت صوب هضبة الجولان القوات المعدة لقناع السوريين بعدم القيام بمجازفة عسكرية في هذه المنطقة كان مناحيم بيغن رئيس الحكومة معنا في مجموعة القيادة الامامية التابعة للقيادة الشمالية منذ ان عبرت قواتنا الحدود في الحادية عشرة صباحاً . . وقد تلقى تقريراً عاجلاً وفي الواحدة ظهراً بحثوا معه البيان الذي ينشر عن النشاط الاول في العملية . وقررنا تأخير نشر البيان الى ساعة متأخرة بقدر الامكان حتى نخفي نوايانا عن عدونا وتم الاتفاق على عدم نشر البيان الا بعد موافقة رئيس الحكومة .

جلس رئيس الحكومة في غرفة صغيرة وعرفته انني ارسلت برقية قصيرة لبشير الجميل واوضحت له اننا بدأنا فعاليات برية واننا نطلب من المسيحيين ان يجلوا بهدوء ولايقوموا بأية مبادرة قتالية . وحدثت رئيس الحكومة انه في هذه الساعة (الواحدة ظهراً) توجه الملحق (العسكري البري) في سفارة الولايات المتحدة الى رئيس قسم العلاقات الخارجية في الاركان العامة وقال له ان الامريكيين يعرفون ان جيش الدفاع الاسرائيلي يتقدم على محورين في داخل لبنان وكان ردنا على الملحق اننا نعمل ضد المخربين وليس في نيتنا العمل ضد السوريين .

وفي غرفة الحرب السحيقة والهامة تتدفق تقارير من الساحة ، اوامر قصيرة وملاحق بينما يلوذ رئيس الحكومة بالصمت وان كان يبدو لي انه منفعل ، فهذه هي المرة الاولى في حياته التي يرافق عملاً عسكرياً ذا ابعاد كبيرة ، ومن غرفة الحرب يبدي بين آن وآخر ملاحظة . لكنه لم يزعجنا ولم يطلب الاهتمام به فيما عدا الملاحق السريعة التي نسلمها له ـ وتنشأ محادثات مقتضبة . وقلت لرئيس الحكومة انني بعد فترة وجيزة سأذهب الى الساحة حيث الجنود والقادة . «ماذا ؟» قال رئيس الحكومة «أأبقى هنا وحيداً» .

«لست وحدك» طمأنته وسيبقى معك المتحدث بأسم جيش الدفاع الاسرائيلي ورئيس الاستخبارات وكذلك أفرشاطمير» . ولم يقتنع . «انني اريد كذلك ان اذهب للساحة» وسأل : ستدخل داخل لبنان ؟» أجبت «انني لا أستطيع ان أرى الجنود خارج لبنان» . ان من يقول انني استطيع ان أرى صورهم التي تلتقطها طائرة بلا طيار انما يمزح ولم تبق ابتسامة رئيس الحكومة . انه يريد ان برى الجنود في الساحة . قلت «اننا نستطيع ان ننقلك جواً الى احدى القيادات» وأضفت «ولايهمك لابأس . وقد ناقشني موشه ديان ذات مرة . عبرت فيها االحدود ونبهني ديان في جلسة الحكومة لايصح ان يعبر رئيس الحكومة حدوداً دولية مالم يدع لذلك من قبل حكومة الدولة الاخرى . واجبت ديان وقتها بأنني لاأعتقد ان في ذلك بأس .

واستمع رئيس الحكومة الى تقرير عن تعبئة الاحتياط وكان مهتماً بفضول كبير بمعنويات الجنود .

قال «هذه ليست تعبئة يوم الغفران . لا . انها تعبئة اخرى . لو كان هناك وقتها تعبئة مثل الآن . تعبئة في الوقت (المحدد لها) لكان وضعنا مختلفاً ، مختلفاً تماماً . . . . «أيدت ذلك» مختلف ، مختلف تماماً وأضاف رئيس الحكومة «كل الوضع في الشرق الاوسط كان مختلفاً تماماً . . . كل شيء مختلفاً . . . فلو قدموا التعبئة يومها مجرد ٢٤ ساعة لا أكثر فقط ٢٤ ساعة . قال لي ذلك دادو (موشيه ديان) هكذا قال لي : لو كنا عبأنا الاحتياط في يوم الجمعة قبل يوم واحد من الحرب تعبئة عامة لكان حال اسرائيل مختلفاًوكل الوضع في الشرق الاوسط كان مختلفاً تماماً : هكذا قال لي . لكنهم لم يقوموا بالتعبئة ، اية مأساة كانت هذه اية مأساة .

بدأت اقول : «موشه دايان . . .» فقاطعني رئيس الحكومة بضيق وغيظ كما لو كنا نبحث حادثة آنية حدثت اليوم او امس : «لقد كان انحداراً روحياً آنذاك انحداراً روحياً . . . وكان رئيس الاستخبارات يحضر جلسات لجنة الخارجية والامن ويكرر استعمال هذا التعبير امكانية ضئيلة . . . امكانية ضئيلةوكنتاقول له ماهذا الذي تقوله طول الوقت حول الامكانية الضئيلة هل تعرف مايدور في خلد صانع القرار في مصر كيف تستطيع ان تعرف ؟ هذا قلة خيرة ماهذه الامكانية الضئيلة ؟ وحتى في يوم الجمعة قبل الحرب باربع وعشرين ساعة قال امكانية ضئيلة بل ضئيلة جداً . . . وكان احد اعضاء اللجنة الذي ليس له ماض عسكري ، قد رفع خريطة الشرق الاوسط وقال : ماهذا ؟ اننا نرسم الخريطة بالضبط كما يريد العدو ان ترسمها وان نقرأها . انه العدو يقول لنا كيف تقرأ الخريطة ونحن ننفذ رغبته . ويبتسم العدو بارتياح ويقول في نفسه ان اليهود السذج يقرؤون الخريطة بالضبط كما تريد ان يقرؤها . . . إمكانية ضئيلة .

لكن هذا اكان منذ زمن ، وقد خرجنا من هذه الزمرة (السذج) والآن خرجنا منها .

عاد وزير الدفاع في المساء من جلسة الحكومة وذكر ان الحكومة كانت راضية عن تقديره حول تطورات العملية البرية وقد قال شارون في تقرير آخر انه وفقاً للهدف السابق للقيادة السياسية كنا نستطيع ان نهاجم السوريين باعتبار انهم تدخلوا في المعارك منذ اليوم الاول للحرب : اطلقوا المدفعية على القوة في القاطع الشرقي وحالوا دون توفيق استعمال سلاحهم الجوي غير ان الحكومة قد اقرت الفعاليات التالية في المرحلة الثانية مع التأكيد على ضرورة تفادي مواجهة قتالية مع السوريين : وللوصول الى طريق بيروت دمشق حسب الخطط الاساسية وتضمن تقرير وزير الدفاع ان في هذه المرحلة لاوجود لضغوط سياسية على اسرائيل ، وكانت رسالة ريغان الثانية اكثر اعتدالاً من الاولى غير ان ريغان اخبر رئيس الحكومة في نهايتها (الرسالة الثانية) بان فيليب حبيب سيصل في السادسة من مساء غد الاثنين الى اسرائيل وسيلتقي برئيس الحكومة وقد قدرنا انخفاض الاحتمالات لامكانية اصدار الحكومة امراً لجيش الدفاع الاسرائيلي نتيجة مقابلة بيغن مع حبيب للتوقف والكف عن الاستمرار في فعالياتنا ـ لكن التجربة علمتنا ضرورة ان نأخذ في الحسبان مثل هذه الامكانية .

لنندفع نحو طريق بيروت ـ دمشق

في اليوم الثاني للمعارك يوم الاثنين ، كان امامنا اربع مشاكل : محور صور ومنطقة الـ رشيدية لم يكن قد تم تطهيرهما : ضرورة الاندفاع نحو المثلث الحديدي : مشكلة الـ نبطية : الـ بوفور . وفي مساء يوم الاحد وعندما كنا نحضر فعاليات الغد لم يكن يعلم احد في غرفة الحرب ان في هذه الساعة كانت احدى قواتنا تهاجم الـ بوفور . فهذه فعالية قد اعدت لتنفيذ يوم الاثنين في ضوء النهار وفي مؤخرة الـ بوفور .

وفيما يتعلق بالسوريين فقد افترضنا افتراضين متناقضين عن كيفية تصرفهم في اليوم الثاني للمعارك : الاول انهم سيتصرفون بشكل اقل او اكثر مما قاموا به في اليوم الاول للمعارك ويؤدون واجبهم برمي مدفعي هنا وهناك . والثاني الايكتفوا بهذا ويزيدون من تدخلهم .

فاذا صح الافتراض الاول تبقى القوة في مكانها في القطاع الشرقي في مواجهة السوريين ويتركز جهدنا الرئيسي على المحاور الغربية اما اذا صح الافتراض الثاني نقرر استمرار الفعاليات وفقاً للتطورات .

وحسب موافقة الحكومة يصل جيش الدفاع الاسرائيلي لمؤخرة الاسرائيلي السوريين ويسيطر على القسم الواقع على طريق بيروت ـ دمشق في دار البيدر . وينبغي الوصول الى هذا القسم بسرعة قدر الامكان وهذا هو الطريق للاتصال السريع بالمسيحيين . وقال وزير الدفاع عن الفكرة . ينبغي الوصول لطريق بيروت ـ دمشق قبل او على الاقل في الوقت الذي يصل فيه حبيب الى القدس . وقد بدأنا المحادثات مع حبيب من طريق بيروت ـ دمشق . اننا هناك . وبعد ذلك نطهر المكان من خلفنا لكننا نصل الى نهايته في البداية وفقاً للخطة .

في يوم الاثنين وافقنا ان يندفع التشكيل المتقدم على الرابية في الغد في صباح يوم الثلاثاء بالسرعة الممكنة نحو طريق بيروت ـ دمشق الا ان هذه القوة ستكون مكشوفة امام هجمات طائرات سورية اذا لم نحطم الصواريخ المضادة للطائرات في البقاع . وكان قرارنا عدم القيام بعمل ضد الصواريخ في هذه المرحلة .

وكان اكثر الاحتمالات ملائمة هو ان نتحرك في محور الرابية باتجاه دار البيدر . ولكن يمكن ان نصل هناك كذلك من الغرب من ناحية الضواحي الشرقية لبيروت وهو المكان الذي يصلنا بالمسيحيين عن طريق عالية وسوف ندرس هذه الامكانية وفقاً للظروف .

تخللت الدراسة فترة انقطاع قصيرة مضحكة . فلم يلتزم القادة بالانضباط في مجمل سير الحديث ، تدخلت اثناء كلام وزير الدفاع . امتعض شارون لكن بخفة روح وقال : «ماالذي يحدث هنا ؟ كل واحد يقاطع الآخر ؟» انني اقول : «فقط مايخصك» وتوقفنا عن الدراسة . وقد حكى «قصة واقعية» : لقد حضرنا رفول وانا ذات مرة دراسة في القيادة الشمالية مع العميد صدوك (رحمه الله) وخلال حديثنا قال صدوك شيئاً ما فتناول رفول عصا مربعة كهذه وضرب بها صدوك على اصابعه فسكت . ولااعرف ما اذا كان رفول يتذكر هذا لكن هذا الامر ظل محفور بعمق في ذاكرتي ولااستطيع ان انساه .

وخلال الدراسة وصلت انباء عن استعدادات سورية تفوق الاستعدادات الاعتيادية وعن تحركات فرق دبابات . وكان من الضروري ان نستعد لاحتمال تطور التدخل السوري لمديات تضطرنا لتوجيه قوات كبيرة وضربهم .

واقترح البعض استخدام سلاح الجو في صور وصيدا والنبطية وقد عارضت ذلك بشدة . واقترح البعض الآخر كسر مقاومة المخربين قبل ان يضربوا . فالنبطية مختلفة بصورة مطلقة : فهي ملجأ للمخربين وبها عدد قليل من الاهالي . وهي مدينة محصنة جداً لكني لم اوافق على هذا الهجوم البغيض لسلاح الجو .

وفي الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء جرى في الجيش السوري استعداد كبير ولم

تكن الفرق المدرعة السورية قد دخلت بعد الى البقاع لكنها في وضع الاستعداد في منطقة جديدة يبوس على الحدود السورية ـ اللبنانية . ولواء مدرع سوري في وضع الاستعداد في منطقة بحيرة كرعون .

وفي محور الساحل كانت القوة التي نزلت بحراً قد احتلت اهدافها وتقدمت قليلاً نحو الشمال وخاضت معركة نارية مع المخربين . ووصلت قوة غولتي الى الزهراني وتنزل من هضبة النبطية في محورين وكانت المنطقة العالية المطلة على النبطية في يد جيش الدفاع الاسرائيلي بما في ذلك الـ بوفور . القينا منشورات على النبطية وعلى صور ودعونا المخربين للاستسلام . كما نقلت بيانات بواسطة سكان محليين . وواجهت القوة التي فوق جسر خرولة مشاكل هندسية وحقول الغام وكانت القوة التي فوق الرابية تنتظر الموافقة على التحرك . وصور محاصرة لكن لم تدخل قوات اليها في هذه المرحلة ودخلت كتيبة للمثلث الحديدي وطهرته . وهدوء في هضبة الجولان .

وقدرت ان الاهداف السورية في هذه المرحلة هي اهداف دفاعية ولذلك عطلت حتى الآن القوة التي فوق الرابية الى ان تتضح الاهداف السورية اكثر .

ارسلت برقية الى بشير الجميل تضمنت وصفاً عاماً عن اماكن وجود قواتنا . ولم اشر الى ماسيكون فيما بعد وطلبت منه ان يدرس امكانية ارسال تقارير عن المسيحيين والشيعة في الشمال والشوف حتى نلتقي مع السكان المحليين ولنأخذ فكرة عن وضعهم ونواياهم . وتوجهت كذلك لزعيم درزي وسألته عما اذا كانوا يرغبون في الحضور الى حاصبيا كوفد وكنا نريد سكاناً يهوداً .

قال وزير الدفاع انه بالرغم من وجود مشروع قرار في مجلس الامن لوقف اطلاق النار خلال ٢٤ ساعة فانه قلق على الوضع السياسي فرد هيغ وزير الخارجية الامريكي ايجابي .

وكان هناك تقدير يقول : اذا بدأت القوة التي بالرابية تتحرك سيضطر السوريون للاشتباك معها . سألت وزير الدفاع كيف نتصرف اذا اتضح ان قوة سورية قد وضعت على جسر ضيق اسمه جبع وحالت دون تقدم قواتنا . فأجاب في مثل هذه الحالة نقرر معالجة القوة السورية او نوجه التشكيل لمحور الساحل . فزعمت ان محور الساحل مكتظ بما فيه الكفاية بالقوات وليس من الممكن ادخال تشكيل آخر الى هناك . قال وزير الدفاع . نحتاج لاحتلال جبع فهي ملتقى طريق هام وهي النقطة الجنوبية القاصية التي يتواجد فيها السوريون . وفي هذه الحالة وضع وزير الدفاع امامه احتمالاً لا تقديراً بأن السوريين لن يقاتلوا . فعندهم سلم اولويات . وهم سيقاتلون في البقاع فهي حيوية لهم . وليست جبع على نفس الدرجة من الاهمية

ووفقاً لبعض التقديرات فقد اتضح اتجاه سوري على الاقل في هذه المرحلة فكأن السوريين يقولون لنا : لاتقتربوا منا . انكم تضربون المخربين ونحن لانتدخل عسكرياً . اننا سنكتفي بالعمل السياسي للتوصل الى اتفاقية وقف اطلاق النار . ويتوقع المخربون مساعدة أسد . ويطلبون منه تنفيذ الاتفاقيات وارسال قوات مشاة لمساعدتهم . ولم يستجب أسد حتى الان . وليس مستبعداً ان يرسل كتيبة مظليين حتى يقوم بالواد .

هذا التصرف السوري الذي يعتمد على التأوه سيتغير كما هو معروف اذا هاجمنا الصواريخ في البقاع وسوف يعتبر أسد في هذا الامر تعبيراً عن قرار اسرائيل لطي قيد وضعه العسكري في لبنان وسوف يعتبر هذا الامر كسراً لمعنوياته ومن مثل هذه الحالة يكون الافتراض محتملاً بأن يحرك قواته ويزج بها في المعركة .

والهدف المتمثل في ابعاد النار عن الحدود الشمالية وتحطيم المخربين وقاعدتهم في لبنان قد نشر كثيراً كما ارسل للرئيس ريغان ، فهذا هو الهدف المحدد وهكذا كان ينبغي ان نفعل . وهو يتضمن كذلك جنوب البقاع . وعندما عرضت هذه الخطة على الحكومة قلنا ان ابعاد النار عن الحدود الشمالية ينتهي خلال ٢٤ ساعة فيما عدا منطقة البقاع لان السوريين موجودون هناك . ولن نهاجمهم من الجنوب للشمال . الا في حالة اطلاق النار من مجالهم . لاننا نريد ان نعطي السوريين امكانية القيام بتغييرات في مواقعهم وانتشارهم . الا انه لدينا ان هذه ليست نية السوريين . والنتيجة ضرورة معالجة السوريين بحركة تطويق جناح اكثر عمقاً . وكان وزير الدفاع مقتنعاً ان هذا الامر هو الذي وافقت عليه الحكومة في جلستها منذ مساء يوم الاحد وهذا مايقوم به جيش الدفاع الاسرائيلي . فاذا كانت هناك قوات سورية في مفترق طرق جبع فان التشكيل يريحها في طريق تقدمه .

وصل رئيس الحكومة الى مجموعة القيادة وقد حكينا وزير الدفاع وأنا له ماحققه جيش الدفاع حتى الان وماهي المشاكل المتوقعة مع السوريين عند استئناف النشاط .

وكرر رئيس الحكومة رجاءه ـ طلبه للخروج للساحة حتى يرى الجنود فقال وزير الدفاع مبتسماً هناك مشكلتان خطران الاول «لاينبغي المخاطرة برئيس الحكومة . والثاني ـ الهليوكبتر . ففقد هليوكبتر مشكلة . فقال رئيس الحكومة بمرح : «هليوكبتر ، فهمت . هذه مشكلة حقيقية اما كرئيس حكومة فان عندي نائبين . . .» فقلت : بالتأكيد سيبقيان نائبين زمناً طويلاً ، كلاهما» . قال وزير الدفاع «يارئيس الاركان لم نستمع الى ملاحظتك السياسية» . قال رئيس الحكومة بسخرية ومودة : ماهذا رئيس الاركان يتدخل في السياسة ؟ دع عنك ذا .

اريد ان اشم الهواء وارى الجنود ، اعددنا الرحلة الجوية لـ «بوفور» ولم يكن عدد الضحايا معروفاً بعد وعند زيارة رئيس الحكومة لـ «بوفور» كان متأثراً .

ومن الواحدة ظهراً استأنفنا الدراسة (دراسة الموقف) في القيادة الشمالية والقى العملاء (القادة) تقاريرهم عن سير المعركة وكانت هناك حادثتان لاطلاق النار مع السوريين بعد ان اطلقت المدفعية من داخل المنطقة التي يسيطر عليها السوريون . اكدت من جديد اننا غير متأكدين ان السوريين انفسهم هم الذين فتحوا النار . واستقر الوضع في النبطية وليست فيها مقاومة . وفي صور بدأت عمليات الاستسلام . ويقوم الصيب الاحمر بالاهتمام بالاهالي . اعلن المخربون للصليب الاحمر ان لديهم احد أسرانا . ونحن لانعرف من يكون . وقد صادفت قواتنا التي دخلت (المثلث الحديدي) مشاكل مع جنود الـ «بونيفيل» الارلنديين الذين سدو الطرق بالحجارة ولم يقاوم الـ P ١/٢ القوة عندما ازاح جنودنا الحواجز . الطريق مغلقة من الجنوب . لواء غولاني نزل من الجبل واستمر باتجاه الشمال .

وقام المسيحيون بمساعدتنا في المناطق التي احتللناها في التفريق بين اللاجئين والاهالي والمخربين . وقابلت الجنرال كلهان للمرة الثانية ورفضت مطالبه بشأن الاسرى اللبنانيين عندنا ودخول قوات «اليونيفيل» في المناطق التي تم احتلالها من قبلنا .

قلت للجنرال كلهان : «انني مقاتل وقالوا لي طهر لبنان . وانا اطهر» . وفي هذه المرحلة المتقدمة كنت قد اصدرت اوامري لتخفيض القوات واعادة الاحتياط ـ وكل من يمكن ان يكون زائداً عن حاجتنا . وكان كل من يبدي الملاحظة : «اذا كان علينا ان نهاجم صواريخ ارض جو وتنشأ حرب مع السوريين فاننا سنحتاج الى الرجال . كنت اجيبه : لم نحصل على قرار بمهاجمة صواريخ ارض جو وانني افضل الا نعالج هذه الصواريخ ينبغي ان نتفادى بكل الوسائل وقوع اشتباكات مع السوريين . واذا ركزنا جهدنا في احتلال الساحل ونصل من هناك الى القسم الذي يسيطر على طريق بيروت ـ دمشق فاننا لانحتاج الى معالجة صواريخ ارض جو . ومنطقة الصواريخ لاتصل الى محور الساحل . ان باستطاعتنا ان نحقق سيطرة على طريق بيروت ـ دمشق ونعزل السوريين الذين في بيروت وحتى بدون وجودنا على الطريق بالضبط . فمن الممكن تحقيق هذا الهدف عن طريق احتلال طريق محور الدامور ـ خلدا ـ عالية .

وفي الثالثة من صباح الثامن من حزيران كانت القوات قد حققت حتى الان الهدف طبقاً للخطة . وسألت وزير الدفاع عما اذا كنا واقعين في هذه المرحلة تحت ضغوط سياسية وعن قيود الزمن فاننا نتوقع اليوم القريب فاجاب وزير الدفاع ان لقاءات سياسية مختلفة تجري الان .

اننا نستعد للسيطرة على المناطق التي احتلت من الناحية الامنية والتنظيمية . وحتى

نحقق السيطرة على قطاع عمقه ٤٠ كم من اية نقطة حدودية اصبح واضحاً في يوم الثلاثاء الذي سيكون عده يوم الاربعاء من هذا الاسبوع اننا في حاجة لمعالجة السوريين في البقاع ولذلك ينبغي تحطيم الصواريخ أرض ـ جو التي في البقاع . لكن حتى الان ليست لدينا اوامر للعمل . ولقد حددنا الاحتياجات لكن حتى الان ليس هناك امر عمل . وحتى في هذه المرحلة ـ وعلى الرغم من الوضوح الكامل ان السوريين لن يخلوا طائعين المنطقة الجنوبية للبقاع ولن يسحبوا المخربين المحتمين بظلهم . وحتى تتحقق المسافة الحيوية وهي ٤٠ كم من المطولا فلن نبادر بمهاجمة السوريين . ولو استمر السوريون بالتدخل بشكل محدود في الحرب كما حدث في الايام الاولى لتحملنا الخطر ولم نهاجمهم ولم تصب القوات السورية بأذى في البقاع وعلى محور بيروت ـ دمشق وقد افترضنا اننا اذا تقدمنا بالرابية فلن يكون السوريون راغبين في البقاء محاصر جناحهم في البقاع وسيسحبون قواتهم الى المنطقة الواقعة في جنوب بحيرة عون .

الا ان السوريين لم يتصرفوا هكذا . فقد تدخلوا تدخلاً كبيراً ليس فقط باطلاق الصواريخ والمدفعية بل كذلك بحركة قواتهم نحو الجنوب الشرقي ونحو الشمال ومقابل القوة الاسرائيلية التي تحركت على الرابية . وكان من شأن هذه الفعاليات ان تحرمنا من التقدم شمالاً على محور الرابية ونحو الغرب . تحركت قوة سورية لجزين بهدف اغلاق محور حركة قواتنا . ولو كنا انتظرنا يوماً واحداً لاستطاع السوريون مهاجمة الجنوب . واصبحت عملية التقييم على نشاطنا في لبنان محدودة جداً . وفي مثل هذه الحالة كان من الصعب علينا جداً ان نحقق اهدافنا ضد المخربين ، ولست متأكداً ان في وسعنا تحقيقها أبداً . وقد عرض قرار المهاجمة امام القيادة السياسية فوافقت . ولم تكن الموافقة ابداً هي تحطيم الصواريخ ارض ـ جو في البقاع في يم الاربعاء . لم تكن هناك موافقة على هذا ولذلك لم تكن هناك نية لمهاجمة السوريين في اماكنهم على طول محور الساحل في الدامور وشماله . ولم تكن هناك موافقة او نية لمهاجمة المنظومة العامة للسوريين في البقاع . لقد كانت الموافقة محدودة شأنها شأن النية : مهاجمة القوة السورية المتحركة لجزين ، اغلاق محور الرابية لا اكثر وفي هذه المرحلة كان البحث لايزال جارياً حول مسألة ما اذا كان تحطيم الصواريخ حيوياً لاستمرار فعالياتنا .

انعمل ، دون استثناء قد تم بناء على موافقة الحكومة . فلم تكن في الماضي مثل هذه الحرب حيث تجلس الحكومة كقيادة حربية ويبحث الوزراء كل اقتراح من جيش الدفاع الاسرائيلي وتوافق الحكومة او ترفض اي عملية . ولم تكن لجيش الدفاع الاسرائيلي اية محاولة لزج الحكومة في اي خطوة . وعرضت الموضوعات والاوضاع والخطط بشكل مضبوط وحقيقي ـ في كل مرحلة من مراحل الحرب حتى اذا كانت كثرة المداولات فى

القيادة السياسية قد ادى الى تأخير العمليات واطالة زمن الحرب بسبب تأير التخصيصا ـ فانني مقتنع ان هذا هو الطريق الامثل . فلم تأخر الحكومة جيش الدفاع في حربه ضد المخربين . وتحققت جميع الاهداف حتى اذا كان العمل قد طال ايام احرى اكثر .

وفي يوم الثلاثاء زعم قائد القطاع الشرقي العميد غل (يانوش) ان السوريين قصفوه طول الوقت وكان يتجمل بضبط النفس حسب الاوامر . وقد اخبره وزير الدفاع بأنه يستطيع ان يرد عليهم عندما يقصفوه لكن عليه ان يمتنع من التقدم الى المنظومة السورية . وكان ممنوعاً على جيش الدفاع في هذا الصباح كذلك ان يتقدم على محور الساحل بسبب مشكلة الدامور التي يوجد بها سوريون . وكان مسموحاً لنا فقط ان نتقدم في محور الرابية حتى توافق الحكومة على تقدم اخر في محور الساحل .

حاول السوريون قصف قواتنا جواً في صيدا ، الا انهم هربوا والقوا القنابل بعيداً عنا في الشماللشرقي واسقطت طائراتنا طائراتهم بين المري ومرج عيون وفي نفس اليوم الذي حاول السوريون لاول مرة ان يقصفوا بالطائرات اهدافاً ارضية تم اسقاط سبع طائرات لهم وكان عندنا ثلاثة من طياري الميغ ٢٣ السوريين .

تأكدت الانباء المضبوطة والمفصلة وانتشرت بأن قوة دبابات سورية قد عبرت في حركتها نحو الحركة في الرابية متجهة الى جزين . لغلق محور حركتنا . فخرجت طائرات سلاح الجو للعمل واصابت الطابور على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات جنوب جزين وحوصر الطابور وقد اوضحت لنا (الطائرة الصغيرة بدون طيار) ان القوة السورية قد أصيبت . وقد قدمت تقرير لوزير الدفاع يفيد ان قوة دبابات لنا قد دخلت جزين في مواجهة القوة السورية المحاصرة . وقد حرمت دباباتنا القوة السورية من القيام بأي عمل .

في منطقة بحيرة كرعون انتظمت فرقة سورية . وقوات سورية في هضبة الجولان اصبحت في حالة الطوارئ وليس من الواضح ان هذه الاستعدادات لها علاقة بخرق اتفاقيات الفصل (بين القوات) .

وعندما نتوقف للمحادثات والتقديرات ذات العلاقة المباشرة بمسارات الحرب يعلو صوت وزير الدفاع قائلاً : «عندما تنتهي هذه الحرب ينبغي ان يتم انسحاب جميع القوات الاجنبية من لبنان . وكذلك ينسحب جيش الدفاع الاسرائيلي فليس لنا شأن في لبنان . لكن سيكون الانسحاب على اساس متبادل . وسيضطر السوريون للانسحاب ايضاً . ولن ننسحب من لبنان اذا ظل السوريون في لبنان» . لكن الحرب لم تنته ولم تنسحب القوات وفقاً لاتفاقية . **بحب القوات وفقاً لاتفاقية .**

طلبت اذناً بتعبئة الاحتياط للدروع وعرضنا على وزير الدفاع خطة العمل في مهاجمة

السوريين في البقاع اذا حصلت موافقة الحكومة . وتضمنت الخطة تقدماً على جبهة واسعة من طريق عرفات في الشرق وحتى محور الحركة والذي يحده القسم الغربي للبقاع . وذكر وزير الدفاع ان على جيش الدفاع ان يصل الى مواطيء قدم ايا كان على محور بيروت ـ دمشق فأجبته ليست هناك اية ضمانة ان نحقق هذا ، فاذا دخلنا الى مجال سيطرة الصواريخ أرض ـ جو فان امكانية عمل طائراتنا في هذه المنطقة ستتحدد بشكل كبير ويتأخر مدى تقدم قواتنا . واذا توانى التقدم في الرابية فانه يتوانى بسبب التحديدات التي تفرض على طائرات سلاح الجو ـ واذا لم تكن هناك موافقة الحكومة على مهاجمة الصواريخ ـ فاننا سنحاول قصف بطاريات الصواريخ بالمدفعية بعيدة المدى . ويكون اول عمل هو الاغارة على جبل بروخ من الجو . كانت هناك مراقبة ممتازة للسوريين ومنظومات رادار . وواصلنا الانزال من البحر حتى نختصر الطريق لقواتنا ونتغلب على الازدحام وعلى الحواجز التي في الطريق وعدنا لبحث المسألة السورية . وذكر وزير الدفاع ان هذا الصباح كان صاخباً . وحددت الحكومة امس اذا كان السوريون مستعدين للعودة الى مواقعهم الاساسية في البقاع . فان على جيش الدفاع ان يحاصرهم ولايهاجمهم . وقد عارض وزير الفاع اتفاقية مع السوريين تحصل بموجبها على شرعية الوجود طول المدة في لبنان . اذن فان مدى تقدمنا يتأثر بشكل واضح بصعوبات القيادة السياسية ماهو المسموح وماهو الممنوع على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يعمل وفقاً لحقيقة المدى ام كنتيجة للحركة يدخل السوريون حرباً شاملة ام لا . بمعنى ان كل حركة لجيش الدفاع الاسرائيلي تحتاج الى موافقة مسبقة للحكومة ـ وعن عدل اقنع وزير الدفاع الحكومة بالاهمية البالغة لاستمرار تقدم قواتنا في الرابية . واذا حدثت مواجهة مع السوريين في البقاع فمن الاهمية بمكان ان نكون في وضع حصاد مريح لهم (لايقيدهم) لجناحهم الايمن ومن خلفهم .

قال وزير الدفاع انه لن يكون هناك قرار من الحكومة بمهاجمة الصواريخ السورية غداً حتى ولابعد غد .

يتحرك فيليب حبيب بسرعة في المنطقة الامر الذي سيؤدي الى تأجيل العمل لتحطيم الصواريخ . وقد تسرب الشك الاول لقلب وزير الدفاع فيما يتعلق بمستقبل العلاقات مع بشير الجميل . لان شارون ومنذ وقت سابق قد توقع تطوراً بعيد المدى : فقد تغير موقع بشير ولم يعد بعد زعيم «عصابات» فقد اصبح سياسياً على المستوى الوطني . وهناك خوف ان تغيير الموقع يؤدي الى تغيير اللون وسوف لاتكون العلاقات معه بعد الحرب وكما اعتقدنا كما كانت قبل بدئها بالضبط . وخطرت لشارون خاطرة سياسية جعلته يفكر بصوت عالٍ هل سيكون في لبنان وجوداً امريكي نتيجة للحرب ومايتبعها

من تحركات ان شارون يرى في هذا الاحتمال تطوراً سلبياً اما رئيس الحكومة بغين فقد تعامل مع هذه المسألة بشكل ايجابي وهو يرى ان الوجود الامريكي له ميزته ومن الواضح ان في هذه اللحظة فقط كأن الغشاوة زالت عن اعين السوريين وقد بدأوا يرون الواقع ويفهمون مايدور . وعلى قدم وساق يجري نشاط سوري فقد صدوا تقدم قواتنا في مختلف القطاعات ويحركون قوات للوقوف في مواجهتها ـ وصلت تقارير ان السوريين يدخلون للبقاع بطاريات صواريخ ارض ـ جو اضافية . ووفق تقدير رئيس الاستخبارات فان الساعة السياسية تقدم وهو يعتقد ان يوم غداً الاربعاء سيكون الموعد الاكثر مناسبة لوقف اطلاق النار بالنسبة لمصلحة السوريين وسوف يعملون سراً لتحقيق ذلك قبل ان تتضرر قواتهم .

وفي المساء اتضح فساد الافتراض القائل بان المحور المؤدي لدار البيدر في الرابية مطهر . فقد واجه التشكيل مقاومة صعبة جداً . وانني اعتقد ان السوريين الان يرغبون في وقف اطلاق النار ـ وانهم سيرغبون في ذلك فقط عندما «ينامون على الارض» بما في ذلك احساسهم بان هذا هو وضعهم . وفي منتصف الليل اتسعت دائرة المواجهات العسكرية مع السوريين . اكد وزير الدفاع وجهة نظري وفي المحادثات التي جرت بين رئيس الحكومة وفيليب حبيب لم يتطرق المبعوث الامريكي الى وقف اطلاق النار .

قال لي رئيس الحكومة في مكالمة هاتفية ان لدينا وقتاً غير محدود . حاول زعماء المخربين ان يذهبوا غرباً وان ينقذوا انفسهم عن طريق البحر الى قبرص . واصدرت اوامري باحكام الحصار البحري دون تناس المشكلة الخطيرة فاذا رفضت احدى السفن التوقف او الاعراب عن هويتها فاننا لانستطيع ان تطلق النار عليها مخافة ان يكون بين مسافريها نسوة واطفال ومواطنون ابرياء . ولايستطيع المخربون الابحار من ميناء بيروت . فالميناء في ايدي المسيحيين . وهم «المخربون» يستطيعون الابحار من السواحل في زوارق صغيرة اوفي زوارق سباق ، نفتح اعيينا لكننا لانطلق النار على هذه الزوارق حتى لانصيب النسوة والاطفال .

والان وفي ساعة من ساعات الليل تمت الموافقة على تحطيم الصواريخ ارض ـ جو . وفي الحادية عشرة من صباح الغد يكون سلاح الجو مستعداً للعمل . ويكون وزير الدفاع في القدس في التاسعة صباحاً . وبعد ان يلتقي هناك مع القيادة السياسة تعرف ما اذا كان سلاح الجو سيهاجم ام لا .

وانني اعتقد ان مهاجمة الصواريخ . ارض ـ جو ضرورية فقط عندما لايكون هناك خيار اخر . وانها عمل يختلف تماماً عما فعلناه حتى الان . فهذا مستوى اخر للعمل ومن شأنه ان يؤدي الى ردٍ سوري بمستوى مختلف . وينبغي ان نفكر في الاسس اذا كان لنا

غرض في هذا . وعلى الاقل فان كل البطاريات السورية تقع في مرمى مدفعيتنا وعندما تلتحم قوة الرابية مع كل الوحدات التي تتحرك على هذا المحور يصبح من الممكن استخدام المدافع بعيدة المدى ضد البطاريات في البقاع وصوب اهداف اخرى هناك .

لم يكن وزير الدفاع مرتاحاً تماماً لقرار الحكومة الذي ابلغ بواسطة رئيسها لفيليب حبيب ـ وكان الاقتراح ان جيش الدفاع الاسرائيلي لايهاجم السوريين ولايتحرك مستقبلاً صوبهم بشرط ان يجلي السوريون المخربين لمسافة ٢٥ كم عن المكان الذي يتواجد فيه في الوقت الحاضر . تمسك وزير الدفاع برأيه بأن اتفاقية من هذا النوع تتيح وجوداً شرعياً وسورياً في لبنان ويصبح عاملاً في المفاوضات لاجلاء القوات الغربية بعد الحرب .

اختلف وزير الدفاع مع ماقدره رئيس الحكومة من اننا غير محدودين بزمن وهو «وزير الدفاع» يعتقد اننا في هذه المرحلة نسابق الزمن . ينبغي ان تنتهي الحرب على طريق بيروت دمشق وعندما تكون قوات جيش الدفاع الاسرائيلي في البقاع موجودة شمال بحيرة كرعون .

نشأت مشكلة في صيدا : فمن كلا جانبي الطريق الرئيس الذي يخترق صيدا هناك الكثير من البيوت وليس الطريق مأمون العبور وقواتنا ترمى من اتجاهات مختلفة . وعلى الرغم من ذلك فانني ادعى «اعتقد» انه لاينبغي القيام بعمل لهدم البيوت على جانبي الطريق فلتبقى البيوت هناك حتى اذا كانت نتيجة ذلك ان يستغرق تطهير المدينة من المرخبين وقتاً طويلاً جداً فاننا نتمسك بهذا .

يطلق السوريون صواريخ ضد طائراتنا من داخل حدود سوريا . هل تعالج هذه الصواريخ ؟ يعتقد وزير الدفاع ان على الحكومة ان تقرر غداً ما اذا كنا نهاجم الصواريخ في البقاع . اما مسألة البطاريات في سورية فهو موضوع اخر ويتم اقراره في مرحلة متأخرة اكثر . واذا لم توفق الحكومة على تحطيم الصواريخ في البقاع . ندرس المسألة من جديد . ويحتمل ان نقترح على الحكومة مهاجمة البطاريات المنعزلة التي يستخدمها السوريون في اطلاق الصواريخ باتجاه طائراتنا وحتى الان لم نصنع شيئاً ضد بطاريات الصواريخ في غياب موافقة الحكومة .

تحطيم الصواريخ السورية

في يوم الاربعاء حصلت موافقة الحكومة على تحطيم بطاريات الصواريخ . تركت مجموعة القيادة وطرت الى سيطرة سلاح الجو لاكون هناك في وقت مهاجمة الصواريخ وبدأت المهاجمة في الثالثة من بعد الظهر . وقبل مهاجمتها وخلال الشهور الطويلة التي استغرقها البحث والتقدير والتحليل والرصد انقسم رجال الجو ورجال الاركان العامة كما جرت العادة الى متفائلين ومتشائمين ووسطاء بين جماعتين متعارضتين ـ وقد اسكتت نتائج الهجوم المتشائمين كلية لكنها فاجأت كبار المتفائلين فلم تحدث المصاعب المتوقعة والمعوقات التي تم التنبؤ بها لم تحدث وقد جرت العملية بسرعة . وكان المكسب كبيراً فقد تمت مهاجمة تسع عشرة بطارية وتم تدميرها واصبح جهد السنين الكبير معبراً عما اعد له العقل اليهودي ابتداءاً وخلقاً ـ وقد أذهلت العملية الكاملة العالم .

يعتقد وزير الدفاع ان تصرف السوريين يدل على انهم قد بنوا معاييرهم على اساس الافتراض بانهم سيحققون قريباً وقف اطلاق النار . ومن الصعب بعد ذلك ان نفهم السبب الذي جعلهم يتمسكون بمواقعهم في لبنان .

وفقاً للمنطق فان تحطيم الصواريخ كان يفرض على السوريين ان يحركوا قواتهم وان يؤسسوا خط دفاع في داخل دمشق ومادام السوريون لم يتصرفوا بهذا الشكل فمن المعتقد انهم قد امنوا لانفسهم فعاليات جادة لتحقيق وقف اطلاق النار وانهم واثقون من تحقيقه قريباً .

وقدر رئيس الاستخبارات انه اذا كان السوريون قد قاموا بتقدير منطقي لما حدث لهم في ميدان الصواريخ فان امامهم احد خيارين : اجلاء القوات من لبنان ، وفي غياب دفاع الصورايخ والدفاع الجوي فانهم في حاجة الى تقدير ماهو متوقع منذ الان لقواتهم في لبنان او التفكير في عمل جديد مثل الرد على مهاجمة الصواريخ والخيار الثاني ان يدخلوا الى لبنان قوة كبيرة تفوق ماهو موجود من اجل مهاجمة جيش الدفاع الاسرائيلي من الجنوب . ورداً على سؤال وزير الدفاع اجاب رئيس الاستخبارات بان لادلائل على نية السوريين في الهجوم في حين كانت هناك دلائل كهذه قبل مهاجمة الصواريخ ارض ـ جو ، ويأمل السوريون ان يدخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ بعد ان تزداد سيطرتهم على محاور طريق بيروت دمشق وفي منطقة البقاع ، اصدرت اوامري لقواتنا في البقاع بان يشددوا الحصار على اجنحة السوريين لوقف اللواءين المدرعين السوريين ليس قوياً في الاجنحة ـ وبدت دلائل لإحتمال بحث السوريين عن طريق الانسحاب اذا لم

يستطيعوا تحقيق وقف اطلاق النار قبل ذلك هو الامر الذي يعفيهم من ضرورة القتال ضد جيش الدفاع الاسرائيلي . ينبغي الضغط عليهم لحثهم على اتخاذ قرار الانسحاب وهذا القرار لايأتي من القيادة العليا في دمشق بالضرورة بل يمكن ان يكون نتيجة لمبادرة من القيادة المحلية .

وينوي وزير الدفاع ان يعلن للسوريين مرة اخرى ان اسرائيل لاترغب في حرب معهم وان لهم الان طريق انسحاب آمن ويمكن ان يجدوا انفسهم محاصرين من قبل قواتنا . «ونحن لانرغب ان نسبب لهم خسائر» ويريد شارون ان يبين للسوريين «انسحبوا قبل ان نهاجمكم» وكان شارون يريد ان تلقي طائراتنا منشوراً بهذا النص الى القوات السورية . وحدد صباح غد لمهاجمة القوات السورية الا ان نية القاء المنشورات لم تخرج الى حيز التنفيذ .

انني قلق بصورة جادة من بيان السوريين بان طائراتنا قد القت قنابلها على دمشق . ولم يكن هناك شيء من هذا القبيل حتى ان ايا من طائراتنا لم تعبر الحدود بين لبنان وسوريا ولم تدخل المجال السوري . ومن المحتمل ان الطائرة السورية التي اصيبت في المجال اللبناني قد تحطمت في منطقة دمشق . غير ان البيان السوري مقلق من حيث اتجاهه : ومن المحتمل ان يكون بمثابة اعداد للرأي العام لتبرير هجوم سوري . وليست لدينا اجابة عن السؤال عما اذا كان السوريون يعرفون الحقيقة باننا لم نهاجم دمشق وعما اذا كان السوريون يستعملون هذا الزعم لتبرير هجوم الصواريخ او انهم لايعرفون الحقيقة . وقد نشرنا تكذيبات قاطعة ومنفصلة وقد تعلن الحقيقة فيما بعد : كانت هذه طائرة تحطمت في دمشق .

وفي مساء يوم الاربعاء حلل وزير الدفاع مغزى تحطيم بطاريات السواريخ السورية ، الان نستطيع ان نضرب المدفعية والكاتيوشا في منطقة البقاع الجنوبية الامر الذي لم نستطيع ان نتخذه حتى الان بسبب ان المخربين كانوا يحتمون بالصواريخ التي في المنطقة التي تسيطر عليها سوريا . وهذه اذن نقطة تحول . بعد تحطيم الصواريخ بدأ انسحاب سوري ودفعتهم قواتنا من المنطقة التي يسيطرون عليها عن طريق انزال اضرار فادحة بالدروع السورية . وخلال ساعات معدودة قدرنا ان كل مستوطناتنا في الشمال اصبحت خارج مدى اي سلاح لدى المخربين .

يقول وزير الدفاع ان الهدف في القطاع الغربي قد تحقق بالفعل قبل يومين اي في اليوم الثاني للحرب وبدأ في توزيع التحية على رجال الجيش بسخاء بيده الواسعة وقبعته من اجل ماقام به جيش الدفاع الاسرائيلي وتخطيط الاركان العامة برئاسة رئيس الاركان العامة وعميد القيادة وقادة التشكيلات والالوية وحتى آخر القادة والجنود الذين قاتلوا

على محور الساحل ولان هذه العملية هي احدى العمليات العظيمة التي نفذت كثيراً وليست باعتبارها اصعب عملية في تاريخ جيش الدفاع الاسرائيلي فالمسائل هنا ليست في صعوبة التنفيذ ولا لان هذه العملية لم تشبها شائبة بل كانت فعاليات صعبة ومعقدة ومركبة للغاية والتي احتاجت الى حسابات كثيرة والى قدرة على التصور والتغلغل قبل العملية واثناءها . وكان المطلوب تسلسلاً منطقياً متواصلاً ساعة بساعة لهذه الاحداث والتطورات . وكان التعاون بين اجنحة القوات البرية والبحرية والجوية في العمليات المركبة والمعقدة للغاية نموذجاً لم يسبق له مثيل . ولم يكن جيش الدفاع الاسرائيلي قد قام بمثل هذه العملية في تاريخه من حيث اتساع نطاقها . ولم يقتصد وزير الدفاع في الثناء على سلاح البحر وسلاح الجو بسبب السيطرة النادرة والتخطيط المتقن لسلاح الجو بقيادة قائد السلاح وان هذه الامور ستكون درساً يدرس في المعاهد العسكرية .

وفي اعقاب تحرك اللواء المدرع السوري في البقاع بدأت طائرات سلاح الجو في مهاجمته ليلاً . وقد تكبد اللواء خسائر فادحة . وفي هذه المرحلة اصبح بامكاننا ان نخطط لخلق ضغط على السوريين في البقاع وايضاً من ناحية الرابية ومن ناحية جبل باروخ وفي المنحدر الموصل بين الهضاب وبين البقاع . وعلى الرغم من استعمالهم لهذا المحور فان قوة من قواتنا قد تحركت عليه وقد جوبهت بدبابات تي ٧٢ فحطمتها القوة قبل ساعتين من دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ في يوم الجمعة ظهراً .

وطلبت من جناح الامداد والتموين ان يبدأ في اخلاء المخلفات والمركبات العاطلة للعدو لنا من المحاور المزدحمة لاخلائها بقدر الامكان وجمع المخلفات من الغرف العسكرية تحت الارض ومن المغارات (الانفاق) . وكانت محاور الحركة مزدحمة للغاية وامكانية التحرك فيها مرتبطة بمعنى الغدوة وسلوك الجنود والقدرة على التغلب على العقبات الفنية . وفي العاشرة من مساء العاشر من حزيران تحدث وزير الدفاع هاتفياً مع رئيس الحكومة واخبره ان كل شيء قد تم بخصوص العملية واخبر شارون بغين ان شاكوتي «العميد يكونيآل آدم» قد قتل في نفس اليوم . وتحدث شارون لرئيس الحكومة عن السوريين بان الفرقة المدرعة رقم (١) قد فقدت قدرتها كقوة قتالية . ولم يعد هناك الا لواء واحد منها قادر على القتال حتى الان وهناك فوضى عارمة بين الدبابات السورية غير القادرة على العمل بشكل منتظم .

وعلم فيما بعد ان الفرقة السورية المدرعة رقم (٣) تحركت من سوريا في اتجاه الحدود السورية اللبنانية . وسأل وزير الدفاع عن كيفية وقفت نشاطنا ضدها فأوضحت له ان لدينا مشكلة : وهي ان الفرقة تحميها منظومة الصواريخ ضد الجو الموجودة في المنطقة السورية وهذا يحد من امكانية عمل طائراتنا .

اصاب سلاح الجو اللواء السوري الذي تحرك من شمال سوريا نحو البقاع اصابة بالغة وخسر حوالي ٣٠ دبابة وفي نفس يوم الاربعاء اسقطت ثمان وعشرون طائرة سورية . وفي المعركة الاخيرة تم اسقاط سبع طائرات من مجموع الطائرات الثمان السورية التي اشتركت فيها . وانني اقول «لقد توقفت عن عد الطائرات السورية التي سقطت في المعارك يومياً . . .» .

اني «اشك» ان وزير الدفاع لديه تصور يقل او يكثر اعتماداً على الوقت الذي نضطر فيه لقبول وقف اطلاق النار ولكنه لم يصغ . «يعترض» هكذا قال مع التأكيد على كلمة «يفترض» ـ يفترض ان يكون غداً (في يوم الجمعة اي اليوم الخامس للحرب) في الساعة ١٢ ظهراً يدخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ فماذا سيكون حالنا ؟ وماذا نستطيع ان نحقق حتى هذا الموعد ؟

وعلى ضوء الوضع الحالي والتقدم المفتوح حتى ظهر الغد فصلت تصوري : القوة التي في قطاع البقاع بقيادة يانوش تستطيع ان تسيطر على محور بيروت دمشق بمساعدة قوة واحدة على الاقل من قواتنا وهي القوة التي تحركت في المحور الواقع اسفل الرابية يتحفزها في القسم الغربي من البقاع . وسأل وزير الدفاع عما اذا كنا مقتنعين من حيث القوة ان ليس هناك احتمال لاصابة مستوطناتنا التي تقع على بعد ٤٠ كيلومتراً من كل مكان . فأجبته بالاعجاب : نعم نحن مقتنعون .

من المفهوم الان ان وزير الدفاع قد تلقى افتراضات مضبوطة من رئيس الحكومة عن موعد وقف اطلاق النار ولم يكن شارون متأكداً ان رئيس الحكومة تحدث معه عن الساعة ١٢ مساءاً ليلة الخميس على الجمعة ام عن الساعة ١٢ ظهر يوم الجمعة . وطلب الاتصال برئيس الحكومة هاتفياً مرة اخرى وقبل ان يتم الاتصال كان هناك تعزيز آخر يقول ان سبعين دبابة سورية قد تم تحطيمها حتى الان في القطاع الشرقي وان السوريين يتحملون خسائر فادحة .

تحدث شارون مرة اخرى مع بغين تحددت الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الجمعة لوقف اطلاق النار وسوف نعلنه من جانب واحد دون اشتراط موافقة السوريين . واذا هاجمونا سنرد عليهم . نعد العدة لمواجهة العقبات التي ستواجهنا مع الفرقة المدرعة السورية الثالثة ومع دباباتها تي ٧٢ ـ لسنا قلقين فسوف تكون هذه معركة دروع لدروع تركز كل جهدنا المدرع والجوي والمدفعي والالكتروني . نحاول ارباك حركة الفرقة المدرعة السورية من الشمال للجنوب بالوسائل الوقائية فاذا دخلت الفرقة البقاع فانها تصبح هدفاً مركزياً لكل فعالياتنا .

وقف اطلاق النار بصورة نهائية . ويبدو انه سيكون بالايجاب ويوقف جيش الدفاع

الاسرائيلي المعارك في يوم الجمعة ظهراً وفقاً لقرار الحكومة . اوضح وزير الدفاع ان في حالة وقف اطلاق النار وحتى اذا التزم السوريون فاننا لن نمكن السوريين من اعادة بناء منظومة الصواريخ ارض ـ جو بالبقاع . وهذا امر يتفق عليه الجميع ومن الواضح ان اعلان اسرائيل عن وقف اطلاق النار من جانب واحد سيؤدي الى ارتياح الامريكيين ـ وحسب تقدير فيليب حبيب الاخير عن محادثاته في دمشق فان السوريين غير مستعدين لاجلاء المخربين من منطقتهم في لبنان وابعادهم عن الحدود الاسرائيلية لكنهم مستعدون لوقف اطلاق النار .

يستمر الضغط في قواطع القتال الاخرى حتى وقف اطلاق النار وتواصل القوة التي في محور الساحل التضييق على خدله والتقدم عبر عالية وتحتل مطار بيروت اذا امكن ذلك .

ويعمل القادة معظم الوقت وانا من بينهم مع القوات في الساحة . وتدعو الحاجة بين آن وآخر الى اشراك عناصر مختلفة من القادة في البحث والتخطيط واستكمال الخطط واتخاذ القرارات في وضوح تام والتزام بظروف الحرب . واحدى نتائج تركيز كل الجهد باتجاه هدف مركز كهذا وهو الفرقة الثالثة التي تستطيع ان تحول بيننا وبين الوصول لطريق بيروت دمشق . ولاننا نريد الوصول الى طريق بيروت دمشق فان المعركة ضد الفرقة الثالثة تتقدم في الاولوية هدف الطريق . اننا مستعدون بشكل ممتاز لمعركة مع الدروع السورية ولاننا نعرف ماهو مستوى اداء الدبابات السورية المشهورة فان لدينا قدرة جيدة لتجاوزها في الجناح عندما تكون احدى قواتنا مستعدة عند سفح الجبل والقوة الثانية على اتساع البقاع على شكل حرف L ويحلم كبار خبراء حرب الدروع بامكانية الامساك بدرع العدو يدخل حرف L ويمكن ان تكون هذه المعركة معركة كلاسيكية دروع لدروع عندما نتمتع بالتفوق الجوي والمدفعية والدبابات والرصد والاستخبارات . انني اقدر ان في حوالي الساعة الثانية قبل الفجر ستبدأ الدبابات السورية في الحركة للدخول في البقاع لم يزل امامنا ساعتان وعشر دقائق .

أخبرنا وزير الدفاع بالمحادثات التي سيجريها رئيس الحكومة مع الكسندر هيج الذي من المنتظر ان تبدأ زيارته لاسرائيل يوم الاحد القادم وسوف تجتمع الحكومة غداً اي صباح يوم الجمعة لاقرار مسألة

غير ان كل القادة يفضلون في كل الاحوال البقاء بين المقاتلين . فالجنود هم دائماً مصدر تشجيع . ويؤكد البقاء بينهم الشعور المشترك . وقد اختط جيش الدفاع الاسرائيلي بهذا الشأن نمطاً للحياة يختلف عما يتبع في جيوش اخرى : فلاتبقى القيادة العليا لنا في المؤخرة في الوقت الذي يكون الجنود في الجبهات الامامية ـ وانني شخصياً اتنقل من وحدة لاخرى اتابع الاحتياجات اتحدث مع كل من استطيع التحدث معه اوضح

اهداف القتال اقدم تقاير عن المكاسب وعن المشاكل وحتى اصل للتفاصيل التكتيكية في الاحوال التي اواجهها . وتسود القادة والجنود الحساسية تجاه الحرب في المناطق المأهولة بالسكان مما يجعلني اذهب الى حد القول : بأنني لست واثقاً بان لهذا الشعور نظيراً ومثل في الجيوش الاخرى . فالالتزام الذاتي بالمحافظة على حياة المواطنين حتى اذا كان مقاتلوا يختبئون في بيوتهم ويتخذون منهم رهائن رغم انفهم وهذا امر واضح وفريد لايحتاج الى التأكيد .

وفي الليل حدثت مواجهة عسكرية مع الفرقة الثالثة وقد خاضت سرية دباباتنا الامامية معارك مع دبابات طليعة الفرقة السورية إننا نواصل فعالياتنا ضد الصواريخ ارض جو لافشال محاولات احياء المنظومة في البقاع وقد حال سلاح الجو دون تحرك احد الوية الفرقة السورية الثالثة في محور البقاع ضمن الاعمال الوقائية لقواتنا . وحصرت طائراتنا اللواء السادس ليلاً في ضواحي بعلبك ولم يصل اللواء الى خط الجبهة .

اما اللواء السوري في بيروت فقد تكسر ولم يعد قادراً على الصمود وفقدت قيادته السيطرة على وحداته . وفي هذا الصباح سمعنا عن الكتيبة التي اصيبت في سلطان يعقوب . وفقاً للتقرير الاولى فقد اصبحت الكتيبة خارجاً ولم تعرف في هذه المرحلة ماذا حدث للكتيبة .

طائراتنا تهاجم بطاريات الصواريخ التي ادخلها السوريون لحدود لبنان وتم حتى الآن تحطيم اثنتين . ولازلنا نبحث من جديد مسألة بطاريات الصواريخ ارض جو على حدود سوريا فهي تعطل سلاح الجو عن مهاجمة الفرقة السورية الثالثة . واذكر انه في يوم الاربعاء وعندما حطمنا بطاريات الصواريخ ارض جو في البقاع هاجمت طائراتنا بطاريات سورية على الحدود سوريا ولبنان . ويختلف خط الحدود المضبوط جزئياً بين سوريا ولبنان وكان هناك قليل من الخلط .

فمكان البطاريات السورية الثمان التي حطمت كان مختلفاً جزئياً : فهو حسب تقديرنا يقع على الحدود السورية اللبنانية وان كان السوريون يزعمون ان هذه البطاريات كانت داخل المنطقة السورية . واصدرت اوامر اخرى لقائد سلاح الجو بمهاجمة الفرقة السورية الثالثة ولتحطيم البطاريات ٢٥٢ السورية القريبة حتى اذا كانت في الجانب السوري ونفذ الامر بدقة وحطمت البطاريات القريبة .

وكان واضحاً لوزير الدفاع انه اذا دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ في يوم الجمعة في الساعة الثانية عشرة ظهراً فلن يكون من الممكن ربط دار البيدر بطريق بيروت دمشق عن طريق محور الرابية . اذن فالامر هو التقدم بقدر مايسمح الوقت لاقامة موطىء قدم في المنطقة .

والامر الذي يحددنا هو الاحتياجات التكتيكية للحرب فمن الممكن ان تبدأ معركة الدروع مع السورين . وسيكون مصير السوريين في مثل هذه المعركة محسوماً منذ البداية على ضوء التفوق الجوي الحاسم لنا بعد تصفية بطاريات الصواريخ .

ويعود قائد القيادة الشمالية من الميدان ويدلي بتقريره عن الظروف التي اوقعت الكتيبة في كمين سوري في سلطان يعقوب . لم يكن هذا كميناً سورياً منصوباً لكتيبتنا بل كان منظومة سورية مهيأة للدفاع وقد دخلت الكتيبة بسبب خطئها الى هذه المنظومة . وقال قائد القيادة الشمالية في تقريره كذلك ان الكتيبة قد اخترقت المنظومة السورية .

وفي ساعة متأخرة من مساء يوم الخميس وبعد ان وصلت معلومات اضافية من قطاعات الجبهة انتهينا من اعداد الاوامر لقتال يوم غد : وكانت المشكلة الاساسية امامنا هي الجناح الشرقي . وتتقدم في محور الساحل للالتحام مع المسيحيين وسيكون الجهد الرئيسي في القطاع الشرقي في معركة دروع لدروع مع السوريين حتى نوجه اساس جهد سلاح الجو . قال وزير الدفاع محدداً بأننا نريد تقليص المواجهات العسكرية مع السوريين بقدر الامكان في القطاع الشرقي فاذا هاجم السوريون نقاتل ونحصل مكاسب فلم يكن قرار الحكومة توسيع الحرب مع السوريون . وهو يعتقد ان السوريين لن يحترموا وقف اطلاق النار الذي تعلنه حكومة اسرائيل غداً وهم سيطالبون بانسحاب قواتنا ونحن لانستطيع ان نوافق .

عادت الفرقة الثالثة السورية لتتحرك من جديد من سوريا الى داخل لبنان وقد امرت بأن تستمر طائرات سلاح الجو بالفعاليات الوقائية لكن يقتصر هجومها على منطقة لبنان ولاتعبر الحدود لمهاجمة الدروع السورية في محور حركتها في المنطقة السورية .

امر وزير الدفاع انه في حالة محاولة السوريين تجديد منظومة الصواريخ ارض جو في البقاع فإن سلاح الجو يهاجم الصواريخ كما فعل بالامس .

لايزال قسم من قيادات المخربين في بيروت فاعلاً امر وزير الدفاع بمهاجمتها مع التقيد الكامل بعدم اصابة المدنيين وقد تعجب وزير الدفاع من ان هذه القيادات لاتزال فاعلة بعد الهجمات الشديدة لطائراتنا .

قررت الحكومة ان يدخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ في يوم الجمعة الحادي عشر من حزيران في الساعة الثانية عشرة ظهراً . وقد حدد قرار الحكومة بوضوح انه في حالة عدم احترام السوريين لوقف اطلاق النار فإننا نعمل وقف معاييرنا .

وقد بينا للامريكيين انه فيما يتعلق بشأن الصواريخ ارض جو فقد طرأ تغيير شامل يختلف تماماً عن الشؤون الاخرى : فاذا حاول السوريون اصلاح وتجديد منظومة الصواريخ في لبنان فان هذا الامر يعتبر في نظر اسرائيل كسراً لوقف اطلاق النار واننا

سنهاجم الصواريخ . وقد عرف السوريون ذلك وهم يتصرفون بحذر . فحتى الآن لم يحاولوا تجديد منظومة الصورايخ لكنني لست واثقاً ان يستمروا على ذلك . وانني اعتقد ان الحرب ستستأنف خلال يومين بمبادرة من السوريين .

الامريكيون معنيون بفضل القوات بين جيش الدفاع الاسرائيلي والسوريين . وهم يريدون (الامريكيون) ان يعيدونا الى الخلف لمسافة محددة . فقال لهم وزير الدفاع ان هذا الامر غير وارد فهذا عود على ماكان في حروب سابقة . ليس ثمة سبب لفصل القوات . اذا اراد السوريون من جانبهم ان يحافظوا على وقف اطلاق النار فانهم يستطيعون ان يصنفوا ذلك حتى في وضع الاستعداد الحالي واذا لم يرغبوا - فانهم يستطيعون ان يكسروا وقف اطلاق النار حتى بعد فصل القوات .

وقف اطلاق النار

وفي ساعة وقف اطلاق النار في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الجمعة الثاني عشر من حزيران كنا مواجهة نار مع الفرقة الثالثة وبدأنا في تحطيم دبابات تي ٧٢ . وفي نفس الساعة كنا الى الشمال من بركة قرعون على بعد حوالي ثمانية كيلو مترات من طريق بيروت - دمشق . وكان في الغرب في منطقة مطار بيروت في خلدة .

وكانت التقارير عن المعارك الاخيرة مع السوريين قبل وقف اطلاق النار مشجعة للغاية . فدبابات مركفا قد صمدت بامتياز في المعارك مع الـ تي ٧٢ . ووفقاً لتقديرات رجالنا فان وقف اطلاق النار سيستمر لمدة اسبوع ولكنهم يتوقعون مشاكل يومية من شأنها ان تؤدي الى اندلاع قتال متجدد مثل التلغيم او رمي سوري في خط المواجهة .

وكان تقديري ان وقف اطلاق النار سيكون اقل من اسبوع ، اي يومين او ثلاثة . وعند كسر السوريين له يمكن تحقيق مكاسب اخرى مثل قطع طريق بيروت - دمشق والتحام مع المسيحيين .

وقبل ان يدخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ كنت في القطاع الشرقي في البقاع وقد استطعت ان ارى بعيني كيف تضرب دبابات مركفا الدبابات السورية الاكثر تطوراً . اتصل رئيس الحكومة بي هاتفياً . قال لي السيد بغين ان الحكومة قررت وقف اطلاق النار في الساعة الثانية عشرة ظهراً . وسأل عما اذا كانت هذه الساعة مناسبة لي ام انني احتاج الى قليل من الوقت اكثر من ذلك . فأجبت اذا لم يكن هناك خيار وكان هذا هو الموقف السياسي المطلوب الآن ، وفقاً لما تراه الحكومة فانني اطلب يحدد وقت وقف اطلاق النار في الساعة الثانية عشرة والنصف . وقد سئلت لعدة ايام لماذا لم اطلب مهلة

اخرى . وكان الجواب بسيطاً . لم يكن رئيس الحكومة مستعداً لمثل هذه الامكانية . ولو كنت طلبت وحصلت على مهلة اربع او خمس ساعات لكان من الممكن ان يكون لهذا مغزى كبير في الساحة . لكن رئيس الحكومة كان مستعداً لاعطاء نصف ساعة او ساعة وقررنا ان يدخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ في الساعة الثانية عشرة والنصف .

هناك افتراض مقبول لدى بعض القادة يقول ان السوريين يستعدون استنزاف كما فعلوا في حروب سابقة وهم قادرون ان يسمحوا لانفسهم بدخول مثل هذا النوع في الحروب . واذ ايفينا في مواضعنا الحالية فان هذا الامر سيدعو السوريون لبدأ حرب استنزاف متواصلة .

وقد قدرت ان السوريين سيتمسكون بالهدوء فترة قصيرة طالما يحتاجون الى اعادة الاستعداد والتنظيم وزيادة قواتهم في البقاع حتى يجمعوا المدفعية وينصبوها من جديد ولتلغيم المناطق . وعندما يستعدون وحتى خلال استعدادهم ستكون مشكلات التلغيم والرمي من جانبهم . وسيزعمون انهم لم يكسر ووقف اطلاق النار بل المخربون هم الذين كسروه من داخل مناطقهم وليس لهم (للسوريين) ذنب .

وحتى يكسب تقديري قوة وصلت اخبار ان طابوراً سورياً قد تحرك من زحله في الجنوب . لقد انتظموا من جديد كما فعلوا في حروب سابقة عن اعلان وقف اطلاق النار . ليس هناك مايؤكد الخبر ان هذا الطابور من السوريين يحمل معه صواريخ ارض جو جديدة . لكن المسألة الاساسية هي : كيف نتصرف مع حركات عسكرية سورية كهذه ؟

وفي القطاع الغربي كما في كل مكان يقف المخربون في مواجهتنا فأن الوضع واضح دون ريبة او شك : اعلن المخربون من جديد انهم لايقبلون وقف اطلاق النار ولن يحترموه ولسنا في حاجة الى طرح مزيد من الاسئلة فنحن مقتنعون انهم اعلنوا ذلك وفي المساء عملنا على تركيز جهدنا لاكمال الهدف وللوصول الى عالية فان من الممكن ان نقوم بهذا دون خسائر كبيرة . واذا كان المخربون جيدين (في حرب) البلاد والجبال ـ فان مقاتلينا العاديين احسن منهم عشرات مرات ـ لاينبغي استعمال كثير من الدبابات هناك على الرغم من ان الدبابات قامت بعمل خارق على طول المحور . وفي الاماكن التي يمكن استعمل الدبابات فيها فاننا سنستعملها . وفي المكان الذي يفضل فيه استخدام صنف المشاة ـ فأننا ستقوم بهذا مع صنف المشاة . اننا افضل منهم واننا نستطيع ان نعمل ببطء ونكمل الهدف حتى مساء واذا لم يكف هذا فاننا نواصل العمل غداً طول الليل . وهذا يمكننا من عزل بيروت وعندها نفكر فيما نفعله هناك مع المخربين . اننا نستطيع ان نضرب المخربين المطوقين من الجو ونصيبهم بكل الوسائل التي

نملكها . ولااعرف ما اذا كان المسيحيون يرغبون في تنسيق العمل الجيش اللبناني . اننا نوضح مهم : انتم تريدون بيروت تفضلوا خذوها لكم . ونعطي لكم مساعدة مدفعية حتى تذهبوا وتغملوا بأنفسكم من اجل انفسكم .

هناك شيء واحد ينبغي ان يكون واضحاً شيء واحد وواضح : اننا نمتنع عن التفكير والكلام والاعداد وفقاً لمفاهيم حرب الاستنزاف . لا ولن تكون مثل هذه الحرب . لن نعود الى ماكان يحدث في الماضي . لن يحدث مرة اخرى ان يرمي السوريون بمدفعيتهم ونجيب نحن بالمدفعية عديمة الارتداء او ننتظر ساعة او ساعتين لمناقشة ما اذا كان هذا جندي سوري هائج او مجنون او انه عمل فقط مخطط له من قبل القيادة السورية . فاذا حدثت محاولة سورية مثل هذه لكسر وقف اطلاق النار فلن نتجر وارءهم .

نعد هجوماً مدرعاً كبيراً وجيداً ونحن نقدر ونعرف كيف ننظمه ونصف السوريين من البقاع . وهكذا نخلق وضعاً جديداً مختلفاً في قوته عن حرب الاستنزاف . وادنى البقاع لدينا ساحة تقليدية لهجوم مدرع شامل كبير وحاسم .

وفي الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم الجمعة الحادي عشر من حزيران قال وزير الدفاع ليت لدينا ادنى شك بالنسبة لمسئلة الصواريخ فهناك امر من البداية ان جيش الدفاع الاسرائيلي يحطم اي بطارية صواريخ ارض ـ جو . ليت هناك مايدل على ان السوريين سيحالون بدء حرب الاستنزاف وان الوزير سيتشاور مع رئيس الحكومة .

واعود للقول مادام ليس هناك اي وقف بأطلاق النار مع المخربين بانهم مستمرون بالرمي فلسنا ملزمين بتقليد النار في حربنا لهم . وينبغي تركيز الجهد للوصول الى طريق عالية . وصل تقرير ان السوريين يرمون قواتنا في الرابية . ويعتقد السوريون اننا نتقدم هناك ولذلك فهم يرومون . انهم مخطئون . فجيش الدفاع الاسرائيلي لايتقدم في الرابية منذ دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ .

وفي يوم السبت الثاني عشر من حزيران كان وزير الدفاع متمسكاً برأيه بان اسرائيل لن تقوم بانسحاب من جانب واحد من لبنان باي حال من الاحوال . وينبغي عرقلة اي لقاء مباشر مع حكومة لبنانية . فليس ثمة سبب ان يلتقي اللبنانيون مع السوريون لقاء مباشراً ولامعنا واننا يجب ان نطلب تنسيق اللقاءات . وقد ذكرت الكتائب لوزير الدفاع انه خلال ايام تتشكل في لبنان حكومة جديدة وانهم سيكونون شركاء فيها .

تلقت قيادة الشمال امراً للاعداد لهجوم مدرعات كبير يتفوق على الدروع السورية في البقاع . فاذا كسر السوريون وقف اطلاق النار . فتكون القوات التي تحت امرة القيادة الشمالية كافية لهذا الغرض . واذا حدث هذا نواصل تقدمنا في الرابية .

وفي المقابل ذلك فقد اقترحت ان نفك الحصار عن بيروت وان نعلن عن ذلك . وفي

هذا تعبير واضح حتى يستغل المخربون فك الحصار ويهربوا من بيروت . وفي هذا ميزة كبيرة اذا قل عدد المخربين في بروت . يكون بوسعنا ان نتوجه الى المسيحين بان يفتحوا محور بروت ـ دمشق ويمكنوا المخربين من الهرب من هذا الاتجاه كذلك . حيث يسيطر المسيحيون على منطقة تقع في مدخل هذا الطريق ويقول وزير الدفاع انه امتنع عن كل توجه الى المسيحين وعن كل طلب منهم . اذا رغبوا ان يفتحوا بانفسهم منطقة طريق بيروت ـ دمشق ليمكنوا المخربين من النجاة يجب الاتصال بالمسيحيين حتى ولو بقوة صغيرة بعد ان يحدث الامر .

الحت علينا مسئلة الاسرى المخربين الذين اخذ عددهم يزداد ففي البداية نقلوا الى منطقة اسرائيل . وقد عارضت بكل شدة النية في اقامة معسكر اسرى في منطقة اسرائيل . فاعدنا الاسرى للبنان وكان جميلاً ان نضع هذا . فقد خشيت اذا تم التوصل الى تسوية في نهاية الحرب فاننا سنجد انفسنا مع الاف الاسرى في منطقتنا هذا العدد الذي لايمكن ان تستوعبه اي دولة عربية .

ووضع وزير الدفاع مسودة لطرق التسوية فيما بعد الحرب انسحاب القوات من لبنان لايكون الا على اساس التنسيق . واسرائيل تفضل ان تدخل الى لبنان قوة متعددة الجنسيات وليست من جنسية واحدة وبالتأكيد ليست قوة للامم المتحدة وليس باشراف مجلس الامن والاتحاد السوفيتي . اننا مهتمون بالمحافظة على وقف اطلاق النار ولانقوم باي عمل يؤدي الى كسره . ولسنا نريد حرباً متجددة . وفي حالة كسر السوريين لوقف اطلاق النار فاتنا سنقاتل . وفصل وزير الدفاع مايطلبه منا لنقوم به في حالة كسر وقف اطلاق النار من جانب السوريين : ادخال صواريخ لارض لبنان ـ وتحطيم فوري دون امر آخر رمياً مدفعياً بنفس الطريقة التي حدثت اليوم من دار البيدر بأتجاه عالية ـ نرد بهجوم جوي . ولن نلعب معهم اللعبة المعروفة رمية مدفع برمية مدفع ورمية رشاش برمية رشاش اننا سنرد بالطريقة التي تناسبنا في الرد . والاحتمال الثالث الذي يراه وزير الدفاع لكسر وقف اطلاق النار . زحف قوات سورية الى الامام . وهذا احتمال موجود بشكل واضح في قطاع عالية وفي القطاع الشرقي ولامجال لاي تسامح : ينبغي اعادة القوات السورية الزاحفة الى اماكنها .

والاحتمال الاكثر قوة من سابقيه : هجوم دبابات سورية في البقاع . الرد ـ تحطيم الدبابات السورية وعملية كاسحة لدروعنا للاغارة على القوات السورية في البقاع كما لو لم يكن هناك اي وقف لاطلاق النار . وتتم بحث تزويد المسيحيين بالدبابات .

ينبغي تسريح الاحتياط سواء في هضبة الجولان او في لبنان . واصدرت امرت بتسريح قوات احتياط كثيرة بقدر الامكان والاعتماد على الجيش النظامي في العمليات

العسكرية في هضبة الجولان ولبنان . وزادت الدعايات بان المخربين يطلبون وقف اطلاق النار ابتداء من التاسعة من مساء السبت وان الامريكيين ينشطون لتحقيق غايتهم تلك . وفي الحقيقة فقد تحدد موعد وقف اطلاق النار مع المخربين في التاسعة مساءاً من يوم السبت .

وفي يوم الاحد الثالث عشر من حزيران اصبح واضح تماماً ان المخربين لم يتقيدوا بوقف اطلاق النار الذي صدر امس في التاسعة من مساء السبت . واستمرت الحرب الكاملة ضدهم . وكانت آخر معركة قد جرت بلامس قبل وقف اطلاق النار في كفر سيل . وهو الموقع الاخير قبل مطار بيروت حيث جرت المعركة في منطقة مجاورة جداً وفي الليل . تم تحطيم جميع الدبابات التابعة للمخربين . ومادام ليس هناك وقف اطلاق النار مع المخربين استمرت قواتنا في التقدم بالمحور الغربي حتى الالتحام بالمسيحين .

اتصلنا بالمسيحيين على المنحدر في بيروت الشرقية . وهكذا امنا السيطرة على مدخل طريق بيروت ـ دمشق . بيروت مغلقة باحكام . وليس لنا اي هدف من الدخول الى بيروت الشرقية وقد امرت الرجال الذين يعملون في البحثو ببدأ دراسات حول وسائل القتال وحول دروس الحرب وخاصة تكن الموضوعات الجديدة التي وردت للمرة الاولى في هذه الحرب مثل موقف واضعي النجمة والقبعات المصنوعة من النايلون الفريد من نوعه .

وفي يوم الاثنين الرابع عشر من حزيران تضمن تقرير لوزير الدفاع ان الامريكيين يعتمدون على تقرير كاذب من سفراء في بيروت . واعتماداً على ذلك فهم يدعمون انفاً احتلالنا قصر الرئاسة في بعبدة . وكانت النكتة لدى السفير الامريكي في بيروت ونتيجة تقاريره للحكومة في الولايات المتحدة الامريكية فقد مارس الامريكيون الضغوط علينا .

وبعد احترام وقف اطلاق النار الاول مع المخربين ومن قبلهم حدد وقف اطلاق نار ثان بمبادرة منا في الساعة الثانية ظهر اليوم . ولم يكن حظ هذا الموقع افضل من سابقه . لم يحافظ المخربون عليه . وقد نفذ المخربون في اماكن مختلفة عمليات مخيفة . وفي منطقة صيدا ومناطق اخرى قتل المخربون اطفالاً امام اعين آباءهم لانهم (الاطفال) كانوا يريدون ان يعبروا الخطوط الى جانبنا . وسكان مخيم اللاجئيين الذين ارادوا انيسلموا انفسهم لقواتنا ذاقوا مرة اخرى الرعب والقسوة من قبل المخربين .

وكان موت الملك خالد بمثابة دعوة لعقد مايشبه مؤتمر قمة في السعودية للزعماء العرب . سافر (اسد) الى هناك . ووصل حسين ومبارك في طريقه الى للرياض وسوف يرتفع زعيق السوريين هناك باعتبار ان اخوانهم العرب قد تركوهم وانهم صامدون في الحرب بمفردهم ضد اسرائيل وانهم يشتتون ويضربون . مستبعداً ان تخلق بداية جبهة

عربية في لقاء الرياض هذه الجبهة التي تدعم حرب الاستنزاف طويلة في لبنان ـ باوجهها العديدة والمتلونة .

الكوماندو السوري موجود هنا بكثرة . وهو يستطيع ان يهاجم المحاور . وليس مستبعداً ان تحاول القوات السورية تنفيذ عمليات خاطفة فالسوريون متلهفون جداً لتنفيذ عهدهم تجاه الفلسطينيين والعالم العربي بأن يكونوا رأس الرمح في الكفاح المسلح ضد اسرائيل . وهم غاضبون من العبارات السورية التي تزداد قائلة ان سوريا قد تخلت عن الفسلطينيين في بيروت وسلمتهم الى جيش الدفاع الاسرائيلي المجرم . ولم يكن المخربون معزولين اعلامياً . فهم يصرخون يومياً في آذان العالم كله . وهم يصرخون في آذان زعماء الدول العربية يبشرونهم بأنهم بالرغم من صمودهم في المعركة ضد جيش الدفاع الاسرائيلي معتمدين على انفسهم الا انهم صامدون بشجاعة . وقد عادوا ليطلبوا من العالم العربي ان يهب لنجدتهم .

ومن ناحية الموقف الامريكي اتضح اتجاهان اساسيان يختلف احدهما عن الآخر : الاتجاه الاول هو اتجاه البنتاجون بزعامة وينبيرغر الذي يسعى الى تهدأة المنطقة . ووفقاً لهذا الاتجاه ينبغي اعادة السوريين الى منطقة بيروت حتى يتمكن الفلسطينيون من التمركز والانتظام في بيروت وضمان امن اسرائيل تخلق حاجز بعمق اربعين كيلو متراً توضع فيه قوة دولية . ومن وجهة نظر البنتاغون فان هذا يشكل تسوية ولاينبغي اجراء تغيير ابعد من هذا .

وفي مقابل ذلك بدأت انماط اكثر بعداً من هذا الاتجاه تتبلور في ادارة الدولة : اذا لم يكن ممكناً تغيير الواقع السياسي في لبنان فليس لدى ادارة الدولة كبير ثقة ان المسيحيين يستطيعون الحصول على قوة سياسية مستقرة من اجل رئيس لهم وحتى يطلبوا من السوريين ومن كل القوات الاجنبية الاخرى الخروج من لبنان وحتى يسقطوا شرعية بقاء السوريين في لبنان . ويحس الامريكيون طول الوقت نبض تصرفات السوفييت ومن الواضح ان مواقفهم ستكون متأثرة بالمواقف والتصرفات السوفيتية . لدينا اساس في افتراض انه مادامت الحرب مستمرة في منطقة لبنان فقط فأن السوفييت لاينون اسعاف السوريين والمخربين بعون حقيقي بتدخلهم تدخلاً مباشراً . ومن شأن السوفييت ان يغيروا موقفهم بشكل حاد اذا دخلنا الى منطقة سوريا . وفيما يتعلق بلبنان فأن السوفييت يميلون الى تصبير السوريين

وتعقيلهم . وقد قرأوا بصورة صحيحة خريطة المعارك والاهداف المتعلقة بعدم تدخلهم المباشر فليس اسد امكانية المحافظة على ماله في لبنان اذا استؤنفت الحرب . وفي مقابل

ذلك فان السوريين مقتنعون ان التسوية السياسية في لبنان من شأنها ان تمكنهم من تأمين موقف سوريا .

ومن جهة نظر السوفييت فأن المشكلة لاتكمن فيما حدث للسوريين . بل ستبدأ ازمة ثقة في حلف وارشو والسوفييت في حاجة الى مراجعة انفسهم وحلفائهم من اجل اعادة الثقة في منظومتهم المتقدمة المضادة للجو .

ولأول مرة منذ بدء المعارك اقترح قائد القيادة الشمالية على اللبنانيين في بيروت ان يجلوا المخربين وان يقترحوا عليهم الخروج من المدينة . وسوف توافق اسرائيل اذا القى السوريون والمخربون السلاح من بيروت وخرجوا منها . ولن نؤذيهم . وقلت يحتمل ان يكون في هذا الاقتراح حل لاخراج المخربين والسوريين من بيروت ومن كل مكان وهذه محاولة جديرة بالتنفيذ .

اكد وزير الدفاع انه يعلق اهمية سياسية كبيرة على اغلاق بيروت من كل اتجاه وخاصة لان رئيس الحكومة يوشك على السفر لاجراء محادثات مع قادة في الولايات المتحدة الامريكية . وفي الخامس عشر من حزيران عرضت على وفد رسمياً برلمانياً مجتمعاً في قيادة الشمال تقريراً وبسطت امامهم صورة حديثة للوضع فهناك في منطقة بيروت حوصر اجانب وبصفة رئيسية بنغلاديشيون وقليل من الاتراك . وبعد التحامنا بالمسيحيين عاد المخربون يقترحون عن طريق وسطاء وقف اطلاق النار . وافقنا . وقد ساد اثناء ذلك هدوء في منطقة بيروت . وبدأنا في معاملة المناطق التي احتللناها باسلوب مدني . ولم نفرض حكماً عسكرياً . وأرسل المسيحيون مندوبيهم من الشمال لتنفيذ الحكم المدني . واستعمل ضباطنا عناوين منعطفات المواطنين اللبنانيين . وبدأ المسيحيون في العودة الى اماكنهم وقد وجدوا فيها الخراب والدمار الذي فعله المرخبون وبدأوا كذلك في اصلاح حياتهم . وبمساعدة نجمة داود الحمراء ووزارة الصحة بدأت الجهات الصحية التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي من معالجة الاهالي في المدن وقمنا بتشغيل المستشفيات من صور وصيدا ومن مستشفى صيدا اكتشفنا لابسي المعاطف والمتظاهرين بمظهر الاطباء الذين لم يكونوا الا مخربين وقصدوا بمحالوتهم تلك اخفاء هويتهم الحقيقية وكان بينهم غرباء كذلك . وطلب احد الحاضرين في الاجتماع ان يعرف ماذا يصنع «٣٠٠ او ٤٠٠ الف مواطن لبناني الذين بقوا بدون مآوى» . احتججت على استعمال الارقام لانها ليس لها اساس في الواقع . وكانت اشاعات ظهرت في اسرائيل ووجدت طريقها بسرعة الى اجهزة الاعلام الغربية للاساءة الى سمعة اسرائيل . فلا ٣٠٠ الف بدون مآوى ولا اقل من ذلك بكثر . وانا لااعرف حقيقة العدد المضبوط لمن لامآوى له غير انني اعرف ان في صور وصيدا حيث وقعت فيهما معارك طاحنة مجرد عدد قليل من الاهالي بصورة نسبية

ظلوا بدون مآوى . وفي كل مكان فاننا نقدم المساعدة لاصلاح وبناء البيوت التي هدمت . وعندما دخلنا الدامور وجدناها قرية وليس فيها مواطن واحد ولم تصب الاحياء السكنية في الجبل ابداً . وكانت هناك معارك في عين زحل لكن البيوت التي تضررت فيها قليلة وظل كل المواطنين هناك . وبين الجبل ومحور الساحل لم تكن هناك حرب في اي مكان وشملت النبطية ولكن لم يكن بها اهالي وتضررت بيوتها قليلاً نسبياً . وقتل المخربون كثيراً من الاهالي الذين حاولوا الخروج من المخيمات .

وحول الناس الذين ظلوا بدون مآوى وخاصة في صور وصيدا فان الادارة المدنية اللبنانية تعالج الامر ونحن نمدهم بأي عون يطلب منا وطلب احد المشاركين في الاجتماع ان يعرف عما اذا كان هناك لحد الآن مئات الآلاف من الاهالي على شواطىء البحر المتوسط باعتبار ان ليس لهم بيوت حتى يعودوا اليها . اوضحت انه في اليوم الاول للحرب خرج بعض الاهالي من صيدا لشاطىء البحر الا انه لدى زيارتي الى هذا المكان امس لم اجد مواطناً واحداً وقد بالغ الاعلام المحلي والاجنبي في الموضوع حتى وصلت المبالغة الى حدود مخيفة تخرج عن اي سياق وبهذا تحقق ضرر كبير لاسرائيل . يتحدثون كثيراً عن الهدم الذي احدثته طائرات سلاح الجو في بيروت ووزعت الصور في جميع انحاء العالم «وتناسوا» فقط ان يذكروا ان بيروت كانت مدينة مهدمة بسبب الحروب الاهلية . واشترك احد الحاضرين وهو ذو ماض عسكري متألق وهو مهتم بما يجري في مطار بيروت . وكان قد شاهد في التلفزيون الامريكي طائرة تشتعل فيها النار في المطار . اوضحت اننا وصلنا الى المطار لكن لم تكن هناك معركة ولاقذفنا منطقة المطار . لكن المخربين هم الذين قذفوا المطار بالهالون والكاتيوشا وطلب رجل يساري في الاجتماع ان يعرف ماذا كانت اهداف اسرائيل قد تحققت من العملية فأجابه رجل آخر من المعارضة تحققت وزيادة وقلت رداً على احد الاسئلة اذا كان اللاجئون الذين هربوا من مخيمات اللاجئين يريدون العودة الى اماكنهم فإننا نمكنهم من ذلك وعن بيروت قلت للحاضرين ان الهدف السياسي غير معروف لي اما الهدف العسكري فهو عزلها «بيروت» لابقائها معزولة ومحاصرة حتى لايستطيع المخربون السيطرة عليها مرة اخرى وقد جاء الضرب الجوي من قبلنا فقط لضرب قيادات المخربين ونحن حريصون بشدة على الا نضرب الاهالي لقد اصبنا كل القيادات ومعظمها كانت في غرف عسكرية تحت الارض محصنة . وقد وجد الزعماء الفلسطينيون مخبأ في هذه الغرف فلم يصابوا . اننا نسيطر على بيروت من كل الاتجاهات وليس لنا اي هدف ولن يكون في احتلالها .

وقد عرضت على المشتركين «في الاجتماع» تقديري حول ثلاثة انواع من الاسرى الذين بين ايدينا : سوريون ، مخربون ، فلسطينيون ومقاتلون اجانب . اما المسيحيون

الذين خدموا في الجيش اللبناني فقد هربوا من خدمتهم وطلبوا ضمهم لقوات حداد . واستجبنا لطلبهم . وبالنسبة للمخربين الاسرى والاجانب فقد اقمنا لهم معسكر اعتقال عند النبطية .

وكان احد الحاضرين مخالفاً لمن على طول الخط ولم يكف عن القول بأن لديه معلومات خاصة تقول بأن صيدا وصور كان حظمها من الهدم والتخريب واسعاً بصورة كبيرة جداً . وقد اجبته مراراً ان هذا الوصف باطل من اساسه .

ولااعرف ماذا كنت قد استعطت ان اقنع هذا الزميل بأن مالديه من معلومات كاذب في اساسه وخار وانني اقول له الحقيقة وقد طلب بخشونة اقالة المتحدث باسم جيش الدفاع الاسرائيلي الذي خدع وسائل الاعلام ولم يبين لها نطاق الهدم . فأجاب المتحدث باسم جيش الدفاع الاسرائيلي : امس اصطحبت معي لصيدا وصور صحفيين كثيرين ، اسرائيلين ، واجانب مندوبي اجهزة الاعلام العالمية . ولم تجر اي محاولة للاخفاء او التغطية او التعتيم . فمن غير الممكن اخفاء الهدم . والبيت المهدوم واضح للعيان . وقد سمحت للصحفيين بالتجول كما يشاؤن والتحدث مع السكان في اي موضوع . فلم تكن هناك اية تحديدات . هناك هدم في صور . هناك هدم في صيدا . كانت هناك حرب . لكن المبالغة في غرض مديات الهدم كانت تصرخ في السماء بكذبها . ضواحي كثيرة لم يصبها اي اذى ولم تصبها قنبلة واحدة والامر الاكثر وضوحاً هو ماقام به جيش الدفاع الاسرائيلي من اعمال لصالح العرب المحليين لتحسين ظروف الاهالي في المدن المتضررة . لقد ساعدنا في التزويد بالماء والمؤن ومثل ذلك من خدمات . صيدا هي جبل من المتفجرات لايمكن وصف كميات السلاح والعتاد التي اكتشفت هناك . وفي غرفة واحدة تحت ارض عمارة سكنية تم اخلاء حمولة ١٩ شاحنة كبيرة من الكاتيوشات والقذائف والاسلحة ولاتزال هذه الغرفة غير فارغة . وقد دعيت الصحافة لزيارة صور وصيدا لترى وتتكلم وتعد تقارير .

قال احد المشاركين وهو من رجال المعارضة للحكومة كلاماً غير متوقع «ينبغي القيام بعمل اعلامي جاد من اجل تفنيد كل الدعايات الكاذبة حول الهدم واللاجئين . يمكن ان لنا انتقاد حول هذا التفصيل او ذاك الا اننا تأثرنا من القدرة القيادية بكل مستوياتها . وقد وصلت كتب شكر الى رئيس الاركان العامة وكل القادة وجنود الاحتياط والنظاميين وقد وجدت من واجبي ان ادلي بعبارات التقدير هذه وليس لهذا اي علاقة بموقفي كمعارض» .

وذكرت للمشاركين اننا اقترحنا على المخربين والسوريون ان يلقوا السلاح في بيروت ويغادر المدينة دون اذى . وانني اؤكد ان عمل في هذه الحرب قد عرض على الحكومة قبل تنفيذه ولم ينفذ الا بعد موافق الحكومة .

وشرحت رداً على سؤال انه ليس في نيتنا احتلال المطار الذي يمسك به المخربون فليست لنا الحاجة في هذا فالمطار ممتد ويتواجدنا على الهضبة المحيطة به نسيطر عليه سيطرة كاملة . واحتلال المطار يؤدي الى هدمه . ولسنا في حاجة لاستعماله . واذا كان اللبنانيون محتاجين اليه لاغراضهم فعليهم احتلاله بأنفسهم .

وفي الخامس عشر من حزيران قدرنا ان في منطقة بيروت الآن بين ١٢ الى ١٥ الف وغادر عدد من زعمائهم الى دمشق والكويت وبقي معظم زعمائهم في بيروت ويوجد في منطقة المطار وشمالها الآف المخربين المسلحين وهم يقتربون من الضواحي التقليدية صبرا وشاتيلا ومركز المدينة الغربية .

وضع السوريين في بيروت هو وضع يائس ولم تبق هناك الا شراذم قوات . ولم يبق لاحد قادة الالوية السورية من كل لوائه الا تسع دبابات وسبعة مدافع وسريتان .

ووفقاً لاحد التقديرات فإن السوريين قد تكبدوا خسائر فادحة في كل وحداتهم : حوالي ١٥٠ دبابة حطمت . واصيب اللواء ٧٢ . وفي اللواء السوري الثاني والاربعين اصيب بين ٣٠ الى ٤٠٪ من جنوده .

قدرنا السوريين والمخربين راغبون جداً في وقف اطلاق النار على امل ان المرحلة الاولى من التسوية ستنتهي بالفعل بين القوات . وان اي فصل للقوات على طول محور بيروت دمشق الذي هو خط التقاء الجيوش سيؤدي «الفصل فوراً الى خلق ممر مفتوح لنوجه السوريون الى بيروت . الامر الذي يحل لهم مشكلة الحصار . ومادام املهم هذا قائماً فالافتراض ان السوريين والمخربين يتمنون وقف اطلاق النار .

حقاً ان محامي الدفاع الرئيس للمخربين المسيحيين هو مصر . صرخ المخربون مستعطفين المصريين ان يبادروا لنجدتهم وحث المصريون الامريكيين لتكثيف جهودهم وتشديد قبضتهم على اسرائيل لتحقيق وقف اطلاق النار . وتخشى الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الا توافق اسرائيل طول الوقت على حصار بيروت دون ان يخرج منها المخربون . ووفقاً لهذا المفهوم تحتل اسرائيل بيروت وتضرب المخربين على البطن . وهذا الاحتمال يفزع الامريكيين . واشتد طلب التعجيل بموعد وقف اطلاق النار حتى يؤدي هذا الانسحاب اسرائيل الى قطاع يصل الى ٤٠ كيلو متراً من الحدود الشمالية ولادخال قوة دولية مثل الـ «يونيفيل» . وليست هذه هي وجهة النظر الوحيدة في الولايات المتحدة . فهناك بالمقابل وجهة نظر اخرى والتي تعبر في هذه اللحظة هي المهمة لنا ، وهي خلق وضع جديد في المنطقة وينبغي استغلال هذا الوضع لتحقيق تسوية جديدة في لبنان يكون نتيجتها انسحاب كل القوات الاجنبية في لبنان واقامة سلطة مركزية مستقرة في بيروت

وقد اوضحت افلام وتقارير القادة الكبار لسلاح الجو عن غارة الصواريخ وغارات اخرى ومعارك جوية ـ اوضحت الانتصارات الكبيرة لسلاح الجو ومعظمها تعود لعمل الهليوكبترات التي اغارت على الدروع السورية . وكانت نسبة الاصابة عالية جدا ولم تحدث اية خسائر في الهليوكبترات .

وانني واثق من رايي ، ممنوع منعا باتا التقليل من قيمة العدو (لقد دفعنا ثمنا باهظا في حرب يوم الغفران لاننا اخطأنا في التقليل من قيمة الاعداء . قلت للقادة كلاما واضحا : اننا قللنا من قيمة المخربين في مجالات قليلة ـ وفوجئنا . لم نقد بصورة صحيحة كم من العتاد عندهم وماهي انواع العتاد . ولم نقدِّر جيدا كيف نظموا المدن والبلدان التي توقعوا مرورنا بها عند دخولنا للبنان . ليست لدى ايه ادعاءات حول اي عنصر . لم نستطع ان نعرف اكثر مما عرفنا . لم تستطع ان نعرف ان في عشرة بيوت في المدن هناك اطنان كثيرة من الاعتدة والأسلحة . لقد كانت صورة تصرف المخربين مفاجأة ـ وينبغي ان نقول هذا لانفسنا : انهم لم يرفعوا الايدي ولم يرفعوا الارجل . انهم قاتلوا بطريقة مناسبة وأوقعوا بنا خسائر في الأرواح والعتاد . وهذا السلوك يختلف عما توقعناه بمدى معين . ان واجبنا يحتم علينا ان نعرف هذا .

ومن مقابل تقديرنا الناقص بالنسبة للمخربين فقد كان تقديرنا زائدا بالنسبة للسوريين فقد بالغنا في قدرتهم لقد قاتل الكوماندوز السوري بطريقة مناسبية لكن لم يحافظوا على هذه المستويات .

ومن كل مرة يقاتل فيها صنف مشاتنا امام الكوماندوز يتفوق عليه وحتى دون ان تحدث صفوفه اية خسائر في الأرواح . وكان مدرج المظلين يعج بقتال الدبابات السورية على مديات بين عشرة الى عشرين متراً من مواجهة كثرة من الكوماندوز السوري . وقد انتهى القتال في القطاع الغربي في محور الالتحام مع المسيحيين دون وقوع خسائر في المظلين . وكان عدد من الجرحى فقط . وفي هذا الميدان الصعب قاتل الكوماندوز السوريون معرضين انفسهم للخطر وقتل عدد كبير جدا منهم . وقد كان التعبير عن ميزة صنف مشاتنا بصورة لاتقبل الشك . وكانت القدرة على دراسة صورة المعركة والعمل بموجبها هي التي ضمنت لرجالنا تفوقا كبيرا .

كان استعداد الكوماندوز السوري في منحدرات المصاطب في القطاع الاوسط مختلفا ولم تقدر ان السوريين سيستعدون بهذا الشكل . تكبدنا خسائر . وقد تم تحطيم (السوريين) وكان المستوى الشخص للمقاتلين السوريين مناسبا كذلك . انني مقتنع ان تقديرنا الزائد (السوريين) كان يعتمد على فعاليات رجال الكوماندوز السوري في هجومهم على جبل الشيخ في حرب يوم الغفران وكانت استخباراتنا جيدة بل جيدة جداً وهكذا

استطعنا استخدام قواتنا بصورة جيدة ـ والاستخبارات لاتستطيع ان تعرف كل شئ ومن يعتمد على ان بامكاننا ان تعرف كل شئ واننا نخطط لفعالياتنا اعتماداً على المعلومات الكامله فانه مخطئ .

تم الاستعداد للعملية وتعبئة الاحتياط بالمستوى اللائق . وكانت التجهيزات في وحدات مخازن الاحتياط وساحة العمليات منتظمة تماماً وقد تحققت كل التوقعات وزيادة من حيث وسائل القتال الحديثه التي استعملوها في هذه الحرب لاول مره .

واقول دون شك اننا لم اوجه حتى الآن ومتأكد اننا لن اوجه من الآن فصاعداً اي حادثة لتصرف غير منطقي تجاه السكان في لبنان . وآمُلْ ان يكون هذا بفضل التوجيهات والتاكيدات والامر المفصله قبل الحرب وهناك كثرة كاثره من المواطنين المدنين ـ وهم ليسوا فقط مسيحيين بل من ابناء كل الطوائف ـ كانوا بتسمون لجنودنا على امل ان يتخلصوا الى الابد من الفلسطينين وان نقدم لهم الصون لاصلاح حياتهم بعد سنوات طويلة من الصبر .

وبصفة إجمالية ضرب الجيش المثل الاعلى في كل المجالات ـ في البر والجو والبحر وحقق اهدافه المرسومة له بسرعة وبشكل منقطع النظير . وكان اللواء ٢٢ السوري على حافة الهلاك وانقذه وقف اطلاق النار وهكذا الحال في كل الحرب فعندما نوشك على تحقيق نصر واضح لاتكتمل هذه الحرب .

قال وزير الدفاع للقاده ان هذه احدى الحروب الناجحة للغاية بالنسبة لجيش الدفاع الاسرائيلي وقد أديرت بشكل غير عادي على يد رئيس الاركان وقائد القيادة «الشمالية» وقادة التشكيلات وقادة سلاح الجو وسلاح البحر وقد رأي وزير الدفاع جيش الدفاع الاسرائيلي وهو يُقاتل بكفاءة عاليه تفوق ما كان عليها عندما يخدم في جيش الدفاع الاسرائيلي ـ وتستطيع ان نزهو بجيش الدفاع الاسرائيلي الفريد في روحه القتالية ألتي تسوده وتسود قادته وجنوده .

ولم ينسي وزير الدفاع كما فعل في بعض المرات ـ ولم ينسى التذكير باهداف الحرب : إحتلال ٤٠ كم من الحدود لهذا الغرض خطأ . وليس لهذا اي ذكر في اي أمر . لقد حددنا هدفنا بالوصول الى القطاع الذي نُخرج كل اسلحة العدو عن مدى مستوطناتنا . والمستوطنه الاكثر بعداً هي مطولا ـ وإن أبعد مدى الاسلحة العدو هو المدفع ١٨٠ ملم الذي يصل من ٤٣ حتى ٤٥ كم .

حتى او لتك الذين وقفوا طول الوقت على مالدى المخربين في لبنان من كميات الاسلحة والعتاد وقرأوا يومياً تقارير حول هذا الموضوع قبل الحرب فوجيئوا عدة مرات جاء اكتشف في الساحة فلقد كان الموجود اكثر بكثير من كل التقديرات السابقة . وكانت الضربة التي وجهها جيش الدفاع الاسرائيلي اليهذه القاعدة ضربة قاسية .

عاد وزير الدفاع واكد الأهمية الكبرى لاغلاق محاور يجرون وتضيق الخناق عليها من اجل مفاوضات قاسية موصلة الى توقعاتنا يقدر الامكان وفي مناسبات متغايرة عبر شاروت عن الموضوع الذي يشغله كما يلي : يزعمون بان الحكومة اخطأت عند قررت شيئاً واحداً وبشكل محدد ولو حدثت على الساحة احداث أخرى هذا شئ لم يحدث النيه ـ وعاد للقول لم تعد الحكومة أبداً حصانه للمخربين خارج اي خط . ولم يؤمن ابداً اي مدى يستطيع المخربون خارجه ان يعشوا ويستعدوا ويعملوا بمأمن من اذى جيش الدفاع الاسرائيلي . ومن الحماقة البالغه ان نحدد فعل هذا المدى . وفي تسوية محتمله ستمتسك بمسافة ٤٥ كم يعبدة عن ما طولا وتوضع قوة ليست تابعة للامم المتحدة ولا للـ (يوتيفيل) بل قوة متعددة الجنسية على مشاكلة ما في سيناء يكون فيها الامر يكبون عنصراً اساس وكل دوله تشارك في هذه القوة متعددة الجنسيات توقع على إتفاقية منفصله مع إسرائيل تلتوم بالايسمح جنودها للمخربين بالمرور عبر الخطط الن تقع ضمن مسؤوليتها في الحراسة ـ وهذا للحيلوله دون تكرار الظوتهر التي سبقت الحرب عندما سمحت وحدات الـ (يوتيفيل) للمخربين بالتحرك في مناطقهم وفق هو اهم . يقول وزير الدفاع اننا سنطلب في التسويه المنتظره ان تفاون إسرائيل في تشغيل وسائل التفيسن في القطاع الامني حتى بأمن عدم دخول المخربين والاسلحة الى هناك حصار بيروت .

أبديت ملاحظة على قول وزير الدفاع بان اسرائيل ستطالب بانسحاب كل القوات الأجنبية ولاتنسحب بمفردها وتتلخص هذه الملاحظة في ضرورة ان نأخذ في الحسبان ان يكون جيش الدفاع الاسرائيلي محتاجا للبقاء في لبنان فترة اكثر طولا حتى يتحقق شرطان : ان توافق سوريا هي الأخرى على اخراج قواتها من لبنان ويتم تأمين المنطقة التي ننسحب منها الى اقصى حد تتيجه التسويات الأمنية والتي تحؤل دون دخول المخربين وتحديد قاعدتهم التخريبية والعسكرية .

لكن وقبل ان تأتي ساعة التسويات فاننا سنبقى على اهمية الاستعداد للكفاح المسلح . وفي بيروت هناك ستة آلاف مخرب مسلح بقياداتهم الممزقة . وانسجاما مع قرار الحكومة فان على المسيحيين وجيش لبنان ان يأخذوا هذا الأمر على عاتقهم فعليهم الدخول الى بيروت الغربية ومعالجة المخربين . وهم لم يقوموا بذلك . فلننتظر اياما معدودة ونرى كيف تتطور الأمور . فاذا لم يقم المسيحيون واللبنانيون بواجبهم واذا استمر المخربون في المخادعة ولم يوافقوا على الخروج من بيروت . فان الحكومة ستضطر للتدخل وتقرر الأعمال القادمة . وانني اعلم ان هذه ستكون صعبه على الحكومة . ولا اعرف ماذا ستقرر الحكومة اذا اتضح حقا ان المخربين لن يخرجوا .

وفي ٢١ حزيران ذكرت التقارير ان الكوماندو السوري يزحف الى الأمام في منطقة عالية . واصيب لنا اربعة . فحطمنا اربع دبابات سورية .

بحثنا امكانية القيام بنشاط بحري لاحكام الحصار على بيروت . قامت الحكومة بجولة في القيادة الشمالية . وقد اخذ الوزراء صورة للوضع على الطبعة . وقد تأكد الوزراء من خلال نقطة مراقبة من انتشار جيش الدفاع الاسرائيلي في القاطع الشرقي من مقابل السوريين . وفي نفس الساعة سحب السوريون معداتهم التي تضررت في المعارك من المنطقة المتروكة . وامتنعت عن اصدار الأوامر لطرد السوريين حتى نتحاشى الوضع الذي يرمون فيه باتجاهنا في الساعة التي يوجد فيها الوزراء في خط النار .

وفي يوم ٢٣ حزيران لم تكن هناك بعد مفاوضات رسمية عن طريق الوسيط فيليب حبيب لاحلاء المخربين من بيروت الغربية غير ان الاتصالات معهم كانت مستمرة عن طريق اللبنانيين . وكنا نبحث مختلف احتمالات الاجلاء نحن مستمرون في حزب اهداف المخربين على طول الساحل وحول بيروت ـ من الجو والبحر . وكانت النتائج جيدة حدا وتكبد المخربون خسائر فادحة في الأرواح والعتاد . كما تلقى السوريون ضربات قاسية . وكان فيليب حبيب في دمشق وشكا اليه السوريون مظالم اسرائيل . وقد تأثر بالروح الكئيبة التي تسود عاصمة السوريين . «ما ذنْبُنا ان يستمر المخربون في الرمي في بيروت ؟» هكذا سأل السوريون حبيب واضافوا «ماذا يريد الاسرائيليون منا ؟» ولم يُجبْ حبيب .

مواطنون ولاجئون يهربون من بيروت باتجاه الشمال . اختلس المخربون امس في بيروت ضربة نارية قوية للغاية . عادوا يطلبون وقف اطلاق النار . وافقنا كنت مقتنعا ان وقف اطلاق النار لن يستمر اكثر من ساعات محدوده ثم يستأنفون الرمي وقد أشّرنا أهدافاً مختارة للمخربين يهاجمها سلاح الجو والمدفعية في منطقة بحمدون واذا كسر وقف اطلاق النار ثانية فاننا نوضع هناك ضربات شديدة .

قال آلي غفْع في مجموعة القيادة في كفر سول جنوب المثلث الاسفل الخلده ان من الضروري تشديد الضغط على بيروت حتى يهرب المخربون وكان يعتقد ان من الضروري مهاجمتهم كل مرة في قسم مختلف ثم بعد ذلك نغلق الخط مع الأقسام الأخرى لأن هذا الأمر سيكسر المخربين ويؤدي الى هربهم وقد اشار بان ضربة من نار المدفعية تجعل بالتقدم في كل قسم . ينبغي القيام بالتقدم فوراً وبعد ضربة المدفعية القوية . وكان العالم كله يعرف اننا لن نسمح للمخربين بالبقاء في بيروت يجب استعمال المدفعية وسلاح الجو بكثرة حتى نتحاشى الاصابات في جيش الدفاع الاسرائيلي أو تقليص عددها الى الحد الأدنى . واذا كان الثمن كثيرا من الاصابات بين المدنيين وهدم

المدينة ـ فهذا هو الثمن الذي نضطر لدفعه . وينبغي هذا ان نأخذ في الحسبان اصاباتنا ولاينبغي ان نتراجع هكذا يعتقد آلي غفع قبل ان يترك جنوده بوقت قصير ـ زاعما انه لايستطيع ان ينفذ الأمر اذا كُلِّفَ باحتلال بيروت .

وتحدثت تقاير عن محاولات السوريين المستمرة لتحسين المواقع . فأصدرت امرا بوقف هذه المحاولات لقد دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ منذ ١١ حزيران لكن المخربين لم يوافقوا عليه وحاول السوريون تحسين المواقع ، توقفوا ثم حاولوا مرة اخرى . ونحن لانقوم بتحسين المواقع الا في القطاع الغربي امام المخربين الذين لم يوقفوا اطلاق النار بعد ان التجمعنا بالمسيحيين .

وقمنا بدراسة امكانيات تقليص منطقة بيروت الغربية والاستيلاء وقت الحاجة نواحي وضواحي برج البراجنة والاوزاعي والمطار الذي نسيطر على نصفه تقريبا . وذا لم يوقف المخربون اطلاق النار واذا حصلت موافقة الحكومة فاننا نحتل الضواحي المحيطة بالمطار وهكذا نستطيع ان نشغّله . قال لي فغع من جديد ياخسارة على اصاباتنا و «ينبغي ان نقوم بهذا العمل (مداخل بيروت) بكثير من المدفعية وسلاح الجو والنار القوية والضغط الشديد حتى اذا كان الثمن اصابة الكثير من المدنين ومدينة مهدَّمة . فالاساس هو ان نحول دون اصابات بين قواتنا . فوافقه الجميع . وحصلت موافقة الحكومة . واليوم ومن الساعة الحادية عشرة قبل الظهر انزلنا نارا كثيفة فقط على اهداف عسكرية للمخربين وبدأنا الاستيلاء على أجزاء برج البراجنة والاوزاعي من اجل الاستيلاء الكامل على المطار . ولم نواجه مقاومة قوية من قبل المخربين فقد دُفعوا الى الوراء لداخل بيروت الغربية .

ومن اللقاء الذي جرى بين رجالنا وبشير الجميل قال الزعيم المسيحي ان المخربين والسوريين سيرفضون طلبه بالجلاء عن بيروت . وهو يعتقد ان يجرد المخربين من سلاحهم كشروط اساس لاية تسوية . واوصبح بشير لماذا لايعتبر منطقبا اشتراكهم عسكريا في بيروت الغربية . فمساهمتهم من الناحية العسكرية هي مساهمة هامشية (وهو على حق في هذا) وحتى ان مشاركتهم العسكرية في حد ذاتها تشكل خطورة عليهم على المدى البعيد وتضر بموقف المسيحيين في لبنان بشكل خطير . ويعترف بشير انه لا يملك حلا لهذه المشكلة . وقال «اذا كان ذلك ضروريا فانني انفذ لكن الفائدة العسكرية ستكون ضئيلة ويكون الضرر السياسي بالغا» .

لقد عرفت المسيحيين منذ زمن . وعرفت الفرق بين كلامهم وافعالهم وعرفت قدرتهم على القتال . لقد كانوا متعبين مُستنْزفين بسبب كلا الحدين . وحقيقة كنت مقتنعا ان تدخلهم سيكون بمستوى مختلف ولم اتجاوز الحقيقة عندما قلت للنكته . انهم يشاركون من الفعاليات فقط عندما لايمكن تمييزهم .

ولم اتجاوز الحقيقة لاننا خضنا حربنا لا حربهم ولم نقم باي عمل من اجلهم . ولم اية خطة او اية عملية عسكرية لنحقق لهم ميزة .

وقد فهم بشير نفسه هذا وعبر بصورة صحيحة . وفي حديث مع وزير الدفاع في نهاية حزيران قال (بشير) «جاءت العملية الاسرائيلية لتحقيق اهداف اسرائيلية لا اهداف مسيحية . ومن المهم ان يستمر هذا وان يكون واضحا امام عيون الكل . انني افتش عن طريقة لتشكيل حكومة تعتمد على قاعدة واسعة بقدر الاركان يشترك فيها المسلمون» ولم يذكر الدرز وقال وزير الدفاع أنه لمس بوضوح على امتداد حديثه بشير أن بشير مهتم باهدافه السياسية وقد اثر ذلك على تصرفه وحدد تعامله مع العملية العسكريه وحتى اتصاااله بالأمريكيين .

اوصى وزير الدفاع بعدم تغيير نهج اسرائيل تجاه المسيحيين . وينبغي ان يبقى هذا النهج ايجابيا كما كان . وهو يعتقد بامكانية حدوث تطور سياسي كتشكيك حكومة موسعة تدعى انها لاقلك ان تنهي التسوية مع المخربين . ويقوى ادعاء المخربين بانهم لن يدخلوا المخيمات قبل ان تنسحب اسرائيل مسافة عشرة كيلو مترات من بيروت . ومن الأهمية بمكان اذ نمسك بطريق بيروت دمشق كورقة مساومه هامة للتوصل الى التسوية السياسية والأمنية في قطاع الـ ٤٥ كم . ويعتقد شارون ان من المحتمل ان نضطر للخروج من بيروت والابتعاد عن الاماكن التي نوجد فيها . قدم شارون للحكومة خطة لتضييق الحصار على بيروت من الجنوب والشرق في منطقتي الاستاد وحديقه البلدية العامة وضواحي برج البراجنة والاوزاعي من اطرافها الشمالية . وتوقعت الحكومة ان يغير المسحيون على المخربين في بيروت ولكن حتى الآن لم يغيروا ولن نضغط عليهم .

اليوم انزلنا بالسوريين غارة شديدة . ثلاثة ايام يَتَحَدَّون جيش الدفاع الاسرائيلي ـ ونحن نتحمل والآن قذفوا صواريخ على ناقلات الاشخاص المدرعة التابعة لنا في عين سريا . لقد فاض الكيل . أغار سلاح الجو واوقع بالسوريين اضراراً فادحة . فأعتدلوا . وتوجهوا للأمريكيين بصيحة يأس : «ماذا يريد الاسرائيليون منا . وكان رئيس الحكومة بغين في الولايات المتحدة . استدعى بغين نائبه سمحا أرليخ (حمه الله) الذي طلب ايضاحات . فأوضحتُ : لن يكون هناك استنزاف من النوع الذي قام به السوريون اعتمادا على تجارب الماضي . لأننا سنرد بالأساليب المفيدة لنا وفي الأماكن الأكثر أيلاما للسوريين . فلن نخوض حرب استنزاف بالشروط التي يفرضوها . وبينتُ للسيد أرليخ أننا سوقف وقف اطلاق النار في السادسة مساءً من جانب واحد . وحتى هذه الساعة نكمل خطة النار رداً على الرمي السوري وفي نفس اليوم اغرنا بقوة على مراكز المخربين في بيروت .

وللأسف السديد وصلت أنباء اعمال دنية اقترفها جنودنا . وتم القبض عليم في ممرات الحدود . طلبت معاقبتهم بكل شدة . دون تساهل . وحبسهم في السجن لحين المحاكمه . وامرت بنقل وحدة ابضاط عسكري نظاميه الى بيروت الشرقيه للإشراف على إبضاط سلوك جنودنا .

هناك مشكلة المتدينين «بني هيشيڤوت الذين تركزوا في وحدات بعينها وقعت فيهم خسائر في معركة سلطان يعقوب . أمرت بتوزيعهم على مختلف وحدات صنف المشاة ـ دراسة يوم ٢٨ حزيران . في منطقة بحمدون وصلنا الى طريق بيروت ـ دمشق بعد كسر متعدد لوقت إطلاق النار من قِبل السوريين وكان هذا المحور أصعب من محور عين زحلتا ـ دار البيدر غير انه في منطقة بحمدون كانت هناك مقاومة سوريه اقل كثافة وبالرغم من الصعاب بشكل اكثر راحة وكانت الحكومه قد وافقت من قبل على العملية .

والقى علينا السوريون من على بعد حوالي ٢ كم من الطريق نار مدفعية كثيفة . وقد كنت تحت النار . اكلت لحماً محفوظاً «بولوبيف وانا احب البولوبيف كثيراً . كنت في وضع الإستعداد . وإختبأت خلف صخرة وواصلت الاكل مستعيناً بعصا صغيره .

وصلت تقارير عن ترميم الجيش السوري فقد وصل عتادٌ كثير من الاتحاد السوفيت من ليبيا ـ وذكرت التقارير الامريكيه ان منظمة التحرير الفلسطسنسه مستعده لإجراء مفاوضات حول خروجها من بيروت قيما كنا نُحكم حصارنا على المدينة طول الوقت وتمتع عنها الماء والكهرباء . وكلما تقدمت المفاوضات كلما عززنا الضغوط في هذا المجال . سقطت كحلا وعاليه بعد بحمدون ـ تحركت قواتنا من منطقة بحمدون غرباً ومن منطقة شرقاً . وقد هرب السوريون القلائل وأصبحت بيروت الغربية منطقة صغيرة ومتعزله تماماً ونغلص حجمها .

يعتقد رئيس الاستخبارات ان منظمة التحرير الفلسطينية سترفض الخروج من بيروت . وزعماؤها يدركون المغزى السياسي للإنسحاب من المدينة وتأثير ذلك «الكفاح الفلسطيني» وعلى حد قولهم فان ترك بيروت دون سلاح والخروج من صدود لبنان هي مرحلة جديده في «الثورة الفلسطينية . ستبحث منظمة التحرير الفلسطينية عن اي حل آخر لايكونون بموجبه مضطرين للخروج من بيروت في هذه الظروف .

اعيد وازيد في ان اشرح هنا ان هذه التوقعات قد يدي فمنظمة التحرير الفلسطينية وكما هو معروف ان كانت قد خرجت من بيروت بسبب عوامل مختلفة فان لديها القدرة اليوم ان تُترل بإسرائيل ضربع مرة ـ فليست هذه منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت قبل الحرب . إن منظمة التحرير الفلسطينية هي اليوم تحظى بوصاية بعض الدول التي

تجد فيها ملجأ . وفعالياتها محدودة الى درجة كبيرة عما كانت عليه قبل الحرب . ليس لها إقليم اكبر وليس لها إمكانية جمع السلاح والقاد في مخازنها او إقامة معسكرات تدريب وقادات . وقد كانت هذه الحرب واحداتها سبباً في أن يقرفي قلب زعامة منظمة التحرير الفلسطينيين الإدراك بتحريم الوصاية على المنظمات هذه الوصاية التي تؤدي بالمنظمات للعمل لمصلحة دول عربية بما في ذلك سوريا التي تستعد للإستحواذ على منظمة التحرير الفلسطينية وتقييدها . وقد توقعت في ايام الحرب إمكانية رغبة احدى الدول العربية ـ مصر في ان نقطف ثمار هزيمة منظمة التحرير الفلسطينية وخيبتها المره من جراء تتكر الدول العربية الأخرى حتى تهد (مصر) لنفسها طريق العودة الى العالم العربي من جديد . وقد جرت احداث اخرى بعد الحرب بما في ذلك لقاء الرئيس مع عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مما يؤكد هذا الإقتراض وإننا اعتقد ان عملية التقارب بين مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية ستأخذ عن الازدياد لدرجة ان ليصيح السلام بين مصر واسرائيل في خطر . وكان رئيس الاستخبارات قد توقع هذا التطور اثناء الحرب وأضاف ان المصريين يريدون القيام بدور الشرطي حتى يسود النظام الضجيج اللبناني ـ ومن اجل ذلك فقد دعوا بشير الجميل لمصر وبادروا بإجراء محادثات معه . ولم يرفضن لبشير الدعوه وفي التهاية لم يسافر . وكان رئيس الاستخبارات يخشى ان تكون تتجه حرب لبنان ان نجد انفسنا داخل دائرة من الضغوط لتعديل «تحريف» اتفاقيات (كامب ديڤيد) بل حتى تجاهلها وتناسى خمس سنوات من الحخكم الذاتي وان ندرس مع الفلسطينيه والاردنين والمصريين مصير يهودا وشمرون «الضفه الغبيه» وغزة وقيام وجود مستغل . وهو يعتقد ان علينا ان نكون واعين لهذا الاحتمال وان نتتش عن السبل التي تُفشله لدى زعماء المخربين في بيروت رأيان واضحان : فعرفات والزعماء المقربون منه يزعمون ان لامعنى لفصد الدم بعد . فهذه معركة ضائعة وينبغي الخروج من بيروت بأسرع مايمكن والشروط الطيبة التي تزال ممكنة التحقيق . وفي مقابل هؤلاء هناك مجموعة من المتطرفين التي تنادي بالكفاح حتى الموت دون أي مساومة وحتى آخر رجل وقد أكد ظهور عرفات في نفس المساء في الـ بي بي سي ان يد المتطرفين قد اشتدت فقد اعلن «لن يخيفونا !» وكان الامر الملموس في المنطقة ان المخربين مستمرون في الرمي ، بالرغم من اننا اعلنا انه ابتدءاً من السادسة فان جيش الدفاع الاسرائيلي سيوقف اطلاق النار وقد قرروا عدم الاجراء بل القتال . ولم تكن هناك اية علامة على استعدادهم للاعتدال والانتقال الى دولة اخرى دون سلاح . وهم يأملون حتى الان وكما كانوا يأملون دائماً بأن يعفيهم النشاط السياسي من ضرورة الاجلاء عن بيروت . وهم يتكلمون «مع كل العالم» وحتى مع الولايات المتحدة ويماسون السفسطة والتضليل وهم

يهدفون من كل ذلك الى هدف واحد : ان تخفف اسرائيل من ضغطها على بيروت الغربية حتى لايضطر المخربون للجلاء عنها . فهذا هو أمل منظمة التحرير الفلسطينية الكبير .

وفي محاولاتهم اليائسة لم يهملوا كذلك اجراء اتصالات مختلفة مع عناصر اسرائيلية معارضة لاشعال نار الخلاف بيننا ولازادة التفتت في موقف الحكومة . وفي هذه المرحلة كانت المواقف الامريكية موافقة لهوى اسرائيل . وكنا راضين ان على كل القوات الاجنبية مغادرة لبنان . فيما عدا التحفظ التي اضافها الامريكيون : ان لسوريا مصلحة امنية شرعية في لبنان من اجل الدفاع عن الحدود وينبغي الاعتراف بهذه الشرعية . ولهذا الاعتراف بهذه المصالح معنى واحد : ان السوريين لن يطلب منهم ان يسحبوا قواتهم من كل لبنان . ويكون هناك اعتراف بحقهم في العودة لتعزيز قسم من المنظومة في البقاع . وهذا مالاتستطيع اسرائيل ان توافق عليه مالم يتم الاعتراف بحقها في ابقاء جيش الدفاع الاسرائيلي في جزء من جنوب لبنان لمستلزمات الامن .

وهناك أمر منتهي فيما يتعلق بموقف الامريكيين من المخربين : وهم (الامريكيون) يطالبون بأن يغادر المخربون بيروت لكنهم لم يبينوا ما إذا كان قصدهم ان يحمل المخربون معهم سلاحهم ام انهم يجبرون على نزعه منهم . مصر تضغط على الامريكيين ان لاتجرد منظمة التحرير الفلسطينية من كل شيء . ومغادرة بيروت بدون سلاح هي تجريد من كل شيء . وينبغي وفق هذا المفهوم البحث عن شيء يحفظ لمنظمة التحرير الفلسطينية كرامتها والسماح بصورة تحفظ ماء الوجه . وقد سعت الولايات المتحدة لتشجيع هذا المفهوم (وفي النهاية اتضح ان المخربين غادروا مع اسلحتهم الشخصية ومع الـ آر بي جي) .

بدا من غير الممكن السماح ببقاء الوضع المعقد في لبنان في هذه المرحلة . فأسد يضغط من سوريا عن طريق وكلائه في لبنان حتى لايتم انتخاب بشير الجميل للرئاسة . وعلى حد زعمه فأن اللبنانيين لايستطيعون انتخاب رئيس لهم لايرضى عنه السوريون . ومادام لامفر من (انتخاب رئيس) فان السوريين يوافقون على ان يكون الرئيس مسيحياً لكن المسيحيين ايضاً ليسوا على شاكلة واحدة فصديق السوريين كميل شمعون على سبيل المثال أقل سوءاً لكنهم لن يوافقوا على انتخاب بشير الجميل وبدت الخلافات بين الطوائف في لبنان غير قابلة للرأب . وهناك شك كبير حول ما إذا كان المسيحيون قادرين على تسلم السلطة والمحافظة عليها . ولن يوافق الدروز حتى على مجرد الجلوس الى مائدة واحدة لاجراء مفاوضات مع افراد عائلة الجميل .

وقد عدنا لدراسة الموقف السوفيتي . لم يحدث تغيير . البيانات نسبياً . ليست هناك قرائن مقلقة تتعلق بالنية في التدخل . وقد قدرنا انه عندما يجري الحديث عن وضع قوة متعددة الجنسية كجزء من التسوية السياسية فان السوفييت يتمنون ادخالهم في الامر حتى يقيسوا التأثير الامريكي . وقد بدى فساد هذا التقدير فيما بعد .

ونقل رئيس الحكوة الذي كان لايزال في الولايات المتحدة بياناً يقول ان لدى فيليب حبيب موافقة من منظمة التحرير الفلسطينية على الجلاء من بيروت ولم يكن في المنطقة حتى الآن مايدعم هذا الخبر ولا كانت الشورط واضحة .

ويسرع الامريكيون : فقد توجهوا لنا طالبين معلومات عن الحرب وعن التكنولوجيا العسكرية السوفيتية . وقد تم تحديد العموميات المتعلقة بمعالجة المطالب الامريكية لدى دراسة الامر مع وزير الدفاع . وفي اجتماع القادة رجعت على موضوع النهب والناءة وطلبت من جديد الحيلولة دون حدوث مثل هذه الظاهرة بحزم ودون تساهل او تسامح ومعاقبة كل جندي يضبط وفقاً للاحكام . كما أمرت باجلاء جنود اكثر من منطقة بيروت وجونيا والضواحي وكلما كان عدد الجنود الموجودين اقل امكن تحاشي التورط .

أمرت القادة بأن يعودوا ويشرحوا لمن بأمرتهم (وهؤلاء يشرحون للجنود كافة) ان ليست هناك اية نية لاحتلال بيروت الغربية ولم يبحث مثل هذا الاحتمال . وان مانعده له هو مستوى اضافي من الضغط على المخربين باحتلال المخيمات والقواعد الواقعة الئ شمال خلدة حتى منطقة معينة ـ يعني : السيطرة على الضواحي الجنوبية للمدينة وليس احتلالاً بأي شكل .

وعلى ضوء ازدياد الانتقاد لاطالة الحرب ذكرت للقادة ان هذه الحرب قد بدأت قبل ثلاثة اسابيع . وأية حروب سابقة مهما اختلفت الاسماء والتي مقرراً لها ان تكون قصيرة بقدر الامكان ـ مثل حرب الايام الستة ـ قد طالت اكثر من هذه الحرب .

وفي الثاني من تموز واصلنا ضغطنا على المخربين . بثلاثة اتجاهات للضغط : معركة نفسية بطرق مختلفة : تحركات القوات ورمي منسق دون تقدم في الساحة . ولم يكن الامريكيين يعارضون في التعجيل بالمفاوضات لجلاء المخربين باستعمال الوسائل الثلاث .

وفي القاطع الشرقي حدثت تجاوزات (زحف) سورية وقد تموضعوا في مرتفعات الى الجنوب الشرقي من راشيا وفي منطقة ينطا . وحدثت مواجهة مع احدى قواتنا . وعلى طول الخط في البقاع قام السوريون بعمليات تعزيز واقاموا ملاجيء للدبابات . وجيء بعتاد كبير بدل العتاد الذي ضرب . ووصلت الى نقطة المواجهة وحدات جديدة .

كان وزير الدفاع أمس في طريقه من بيروت الى البلاد عندما طلب اليه ان يعود الي

بيروت لمقابلة فيليب حبيب . بدأ حبيب يفهم ان بشير هو الوحيد ذو القوة والامكانية لينتخب لمنصب الرئاسة . فقد كان حبيب في سوريا وحكى لاريك (شارون) انه لمس هناك جواً صعباً ووضعاً نفسياً كئيباً . فالسوريون لم يكونوا مستعدين ابداً للحرب مع اسرائيل لقد تحدثوا بلغة لم تجر على السنتهم «ماذا يريد الاسرائيليون ؟ لماذا يضغطون علينا بهذا الشكل في بيروت ؟» .

انني اعتقد ان الذي كسر السوريين هو تحطيم الصواريخ ارض ـ جو دون وقوع خسارة واحدة لنا . لقد كانت هذه الصواريخ املهم الكبير فقد انفقوا كل مالديهم على هذه الوسائل وبعد ذلك رفعوا انقاضها والفضل لسلاحنا الجوي . كما ضُرب سلاح الجو السوري ضربة قاضية ووصلت معنويات الطيارين والقادة الى الحضيض .

وفي الرابع من تموز سنة ١٩٨٢ عزز السوريون مواقعهم في منحدرات جبال لبنان من جبل صنين شرقاً . وهذا تقرير عن الخسائر السورية في الحرب : ٣٤٥ دبابة محطمة ـ من بينها ٢٠ دبابة تي ٧٢ ، ٢٠٠ دبابة تي ٦٢ و ١٥٢ دبابة تي ٥٥ وكذلك ٧٠ ناقلة اشخاص مدرعة B . M . P و ٧٥ مدفعاً . اما في القوة البشرية فهي ـ ١٨٦٠ اصابة منهم ٤٠٠ قتيل ، وخيل لنا ان السوريين قد رفعوا مستوى الاستعداد العسكري في هضبة الجولان لدرجة عالية على الاقل حتى يضغطوا على الزناد ولم يكن في ذلك اي منطق من جانبهم على ضوء قوتنا الكبيرة في الساحة . وافترضنا احد امرين فأما ان يكون احد القادة المحليين مخطئاً واما ان يكون السوريون قد قصدوا من وراء التهديد في الهضبة تخفيف الضغط على بيروت . واذا كان هذا هو الهدف فانه لم يتحقق .

واصل فيليب حبيب محادثاته مع بشير الجميل وسمع منه بصفة قاطعة الطلب القديم ان يجلى كل المخربين عن رقعة لبنان . ولم يستبعد بشير احتمال ان تبقى بيروت بمثابة وجود سياسي لمنظمة التحرير الفسلطينية لكن هذا الاحتمال سيكون بعد تحقيق وتنفيذ التسويات بما في ذلك جلاء المخربين والسوريين من لبنان وهو مستعد لبحث هذا الاحتمال في مرحلة متأخرة جداً وهو ان يكون في بيروت تمثيل رمزي فقط لجيش فلسطيني ـ وحتى هذا التمثيل سيكون في نطاق الجيش اللبناني .

توقع رئيس الاستخبارات تطورات في سلوك الدروز (لقد تحققت هذه الامور بعد ذلك بكاملها على الاقل) . وكانت حسابات الدروز بعيدة المدى . فقد رؤا بأم أعينهم التطورات التي ستحدث في مرحلة تحقيق تسوية في لبنان فضلاً عن رؤيتهم للوضع الحالي . فهم لاينوون ابداً العودة لمواقفهم كأقلية محكومة فهم يطلبون القطعة المميزة من كعكة السلطة . وقد أبدوا موقفاً متشدداً لتأكيد طلبهم لقطعة كهذه . وقد اعتمدت الضغوط الدرزية على تعاون دروز لبنان والدروز الاسرائيليين . فهذا لوبي مشترك .

وان على اسرائيل ان تحول دون تدخل الدروز الاسرائيليين في المسألة اللبنانية وفي المسألة الدرزية بوجه عام . فالدروز الاسرائيليون هم مواطنو اسرائيل في كل شيء وليس لهم موقف خاص في اي مسألة خارج الدولة .

وقد اتضح ان عرفات على وشك التوقيع على وثيقة وانه يوافق على القاء السلاح الثقيل والجلاء من بيروت مع السلاح الخفيف . والمشكلة هي الى أي حد تضرر المخربون وما اذا كانت قوة امريكية ستأتي او ستأتي قوة دولة لتأمين خروجهم من بيروت .

ولاول مرة تصدر عن أجهزة الاعلام السوفيتية اقوال بصيغة حادة جداً . وكان تقديرنا لهذا الامر ان هذا الكلام غير موجه الى اتباع الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط بل موجه الى زعماء دول «حلف وارشو» . والروس قادرون على تحمل انتقاد السوريين لنوعية الاسلحة السوفيتية لكنهم غير قادرين على تحمل تدهور الثقة لدى رؤساء «حلف وارشو» . فاذا كانت الصواريخ ارض ـ جو التي يعتمد عليها دفاع «حلف وارشو» لم تصمد في الاختبار ويمكن صفيتها دون وقوع خسائر حتى في واحدة من الطائرات فهذه ليست مشكلة تخص الشرق الاوسط وحده بل يضطر الروس ان يوضحوا لحلفائهم في أوربا ما الذي حدث ولماذا ونفس الشيء يسري على الدباب تي ٧٢ فقد ثبت ان لدى جيش الدفاع الاسرائيلي القوة والوسائل لاختراق درع هذه الدبابة الجديدة وتحطيمها .

لم يكن لدى شخصيا شك ان الدبابة السورية ممتازة . الا ان الذين يستخدمونها غير قادرين على استغلال امكاناتها . ولو كانت الآية معكوسة وكان السلاح السوفيتي عندنا ـ فانني متأكد ان نتائج الحرب ستكون معروفة : كنا قد تفوقنا على الحرب بالوسائل القتالية السوفيتية .

استُضِيف ملحق جيش الدفاع الاسرائيلي مناحيم مرون في مقابلة مع عدد من الضباط فقال ان المخاوف التي انزلتها بنا السلطة الامريكية بصورة كبيرة لم تتحقق . وهناك التقاء في المصالح بين اسرائيل والحكومة الامريكية بالنسبة للأهداف الاساسية وامكانيات جني نتائج الحرب . فلبنان المستقبل المترر من التأثيرات الخارجية (الأجنبية) هو المطلوب بالتأكيد للأمريكيين أما ضرب السوريين ذوي الحماية السوفيتية وضرب السلاح الروسي فهو امر لايحزن الحكومة الامريكية .

وفي هذه الاثناء ارتضت الحكومة الامريكية راي وزير الخارجية هيغ : كانت الولايات المتحدة حقا ضد العملية وكانت تخشى عواقبها لكن مادامت اسرائيل قد نفذتها ووصلت الى ما وصلت اليه فيها نجني حلاوة القوة . ولا يُشْتَمُّ من هذا ان التقاء المصالح من هذه المرحلة يؤمِّن تعاونا وتفاهما على طول الخط . فينبغي الاخذ بالحسبان

احتمال افتراق الطرق . فان لدينا مشكلة مع الأي العام الأمريكي الذي كان من شأن ضغطه على الحكومة الأمريكية ان يبعدها عنا والى افتراق الطرق . شأن الحكومة أن تغير رأيها بالنسبة للضغوط الأوربية المتواصلة . وكان موقف الرئيس ريغان مريحا لنا لكنه يخضع لضغط شديد من قبل وينرغر وكلارك وعناصر موالية للعرب وليس هناك ضمانة لوقوفه من وجه الضغوط .

وكانت خسائرنا حتى الآن : ١٢٨ شهيدا . ١٥٢٨ جريحا . ولم نتطرق حقيقة قبل الحرب لعدد الاصابات المحتملة . ولم اضع ذلك طول حياتي قبل العمل العسكري . لكنني لم احسب قبل الحرب ان يصل الامر لمثل هذه الاعداد . وهذه الاعداد تعود الى الحرب المستمرة والى طبيعة الساحة .

هذا ليس من قبيل القياس ولا حتى من قبيل العزاء لكننا سمعنا تقريراً حول موضوع الغنائم : ١٣٥٠ شاحنة ، ١١٣ عجلة مدرعة ، منها ٨٧ دبابة ، ٢٥ ناقلة أشخاص مدرعة ، ٢٥٠ سيارة ، ٢٢ ألف قطعة سلاح مختلفة من بينها ٩٠٠٠ كلاشنكوف و ١١٠٠ رشاش ، ٦٥٠ قطعة سلاح ضد الدبابات ، ١٢ الف قذيفة صاروخية ، ١٠٠ قاذفة صواريخ ، ٤٣ مدفعا من بينها ٢٤ مدفعا عيار ١٣٠ ملم وآلاف من قطع الاتصال والنواظير ، ١٨ ألف قنبلة هاون عيار ٨٢ ملم ، ٨٠٠٠ قذيفة عيار ١٢٠ ملم ، ١٢,٥٠٠ قذيفة آر بي جي ٦,٥ مليون إطلاقة ، ٧٠٠٠ لغم ، صواريخ أرض جو سام ٩ . ولايزال كثير من الانفاق لم تُخْلَ . وقد واصلنا اخلاء حمولة ما بين ٧٠ ـ ١٠٠ شاحنة في اليوم ولايزال في الخابئ كثير من السلاح .

أخذنا في الحسبان ان يجدد السوريون منظومة صواريخهم في البقاع وهذا ما حدث حقيقة فبعد تحطيم منظومات الصواريخ عادو السوريون ادخال بطاريات جديدة . هاجمنا مرة ثانية وحطحناها ـ دون وقوع خسائر في سلاح الجو .

وفي المداولة مع الضباط صيغة اجراء المفاوضات مع المخربين : ومع اي انسان يتكلم مع حبيب . نقل هذا الكلام الى رئيس الوزراء الوزان . وقد استمع الوزان بشكل انتقائي ما يعجبه يسمعه ونقل الكلام لزعماء المخربين بشكل انتقائي . وقد سمعوا ايضا ما يعجبهم . اختلط الأمر وتشوّه الاتصال . هذه مفاوضات وطولة ومعقدة ويكمن صلب الصعوبة من ان المخربين ليس لهم مكان هبون اليه . الدول العربية ترفض استقبالهم . ومصر التي اعربت في البدايه عن استعدادها لاستيعاب مخربين او على الأقل استيعاب هيئة سياسية مصغرة لهم قد نقضت موافقتها . واذا قبلنا الافتراض القائل ان المخربين مستعدون او حتى راغبون من الخروج ـ فليس لهم مكان يذهبون اليه . فسوريا لاتوافق على الاستقبال وربما لاتوافق على استقبال زعمائهم .

والسعودية ـ ليس هناك ما نقوله عنها . والأردن تزدريهم أجمعين . ليبيا والجزائر ليس هناك مايدل على موافقتها تعارض الولايات المتحدة نقل المخربين الى ليبيا حتى اذا وافقت الأخيرة . ومن المحتمل ان يكون الامر يكبون خائفين من المشاكل من افريقيا ومصر . ومن المحتمل ان ليبيا اذا وافقت على استيعاب مخربين ان ترسلهم مباشرة للقتال في تشاد . اما الجزائر فيمكنها ان ترسلهم الى الحدود المغربية . اذن فليس هناك حل . ومن المحتمل وفي مرحلة معينة اذا تضح ان اية دولة عربية لم تغير موقفها ـ ان نوافق على الحل الذي نعارضه الآن وهو : نقلهم الى طرابلس بلبنان .

اننا نواصل الضغط على المخربين ـ بالمدفعية وسلاح الجو ووسائل اخرى . وقد اقترحت امس على الحكومة ان تستوعب ايران المخربين . فهذا احسن اقتراح من الظروف الراهنة . ومن المحتمل ان يعارض الامريكيون هذا الامر كذلك .

وفي الكنيست اقترح عضو الكنيست موشه شاحال ان يستوطن المخربون المُحبَلَوْن من نابلس والضفة الغربية . اعلن عرفات انه عائد الى الديار . الامريكيون يوافقون . اناس لايفهمون مدى الضرر الذي يمكن ان يسببوه بمثل هذا الاقتراح غير الحَذِرْ وخلال اليومين والنصف الأخيرة تصرف المخربون كما كانت امامهم حرب طويلة وعليهم مواجهتها . فقد رَمَوْا بطرق متعددة باتجاه قواتنا . وهذا تعبير عن الصيغة التي يجرون بها مفاوضاتهم . كما اننا اطلقنا ناراً واسعة المسار ودعوناهم بمكرات الصوت للاستسلام . هذه اللعب لن تكون في مصلحتهم . انهم لن يخفوا اي تفوق . لن نسمح لهم باطالة الوقت والمساومة على الجلاء . ومن جانب آخر فانني واثق قادرون على المحافظة على كرامتهم والخروج بدون السلاح الثقيل الا انهم ببساطة ليس امامهم مكان يذهبون اليه .

سألني أحد القادة : لنفترض ان المخربين سيخرجون هل نحن سنخرج كذلك من لبنان ؟ اجبته : لا . وبعد ذلك ستبدأ المناقشات في موضوع الجيوش الأجنبية في لبنان ولا أعرف كيف ستنتهي المفاوضات .

نشأت اوضاع معقدة وصعبة في المناطق التي يسيطر عليها جيش الدفاع الاسرائيلي . فقد اشتعلت نار الكراهية بين مختلف الطوائف ويتوق المسيحيون لمجيء يوم القصاص بين المسيحين والدروز فبينهم سفك دماء طال امده . وقد وقف الدروز الى جانب الفلسطينين والسوريين عدة سنوات في مذاابح ضد المسيحين أثناء الحرب الأهلية والأن فان المسيحيين متلهفون للانتقام من الدروز وقد تخمرت كل مشاعر الانتقام لدى المسيحيين . والانتقام عندهم ليس ضربة في الرجل او انقضاض على العجز . والانتقام هو ذبح وقتل بالضبط كما حدث لهم . ودون التعريف بمسؤليتنا بالمطلحات القانونية فانه

من الواضح ان قادة جيش الدفاع الاسرائيلي لم يدضخروا جهدا لوقف سفك الدماء والمذابح من اي نوع في المناطق الواقعة تحت قيادتهم . وفي مرحلة سابقة كنا نعتقد ان الدروز الاسرائيليين قادرون على القيام بدور ايجابي في تهئة النفوس والقيام بدور الوساطة بين الدروز اللبنانيين والمسيحيين . والآن اتضح لنا ان السماح بتدخل الدروز الاسرائيليين بانه صورة كانت ممنوع حدَّ التحريم . فالدروز الاسرائيليون في نظر المسيحيين هم دروز في كل شيٍ لايختلفون عن الدروز اللبنانيين وان اي تدخل من جانبهم يفسر كما لوكانوا يعملون اعتماداً على دعم اسرائيل باعتبارهم مواطنيها . وهذا مصدر عقاب وسوء فهم وخلافات لاينضب .

كذلك كانت الاجراءات التي اتخذها قادة جيش الدفاع الاسرائيلي واهيه ولاتشكل حلا على طول المدى . وقد ضربت مثلا لذلك كعظمة بين كلبين . فعندما يكون لكل كطلب عظمة فان كل واحد منهما يجتهد في قضمها ويسود الود بينهما . وعندما لاتكون هناك الا عظمة واحدة لكلا الكلبين فانهما يبدآن في الشجار ويحرق احدهما الآخر وان امكانية القضم بالتناوب بينهما ليس لها كبير فرصة . وبالرغم من ذلك فان ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي يواصلون مساعيهم للحيلولة دون اي شكل من اشكال سفك الدماء ويمنعون بصورة جاادة اشتراك الدروز الاسرائيليين في محاولة الاعمال الذبح و الانتقام .

اننا نتناقش حول عدد من المشاكل : اذا اضطررنا بالدخول بيروت فعل ان المفاوضات لاجلاء المخربين ستفشل ؟ وحتى الآن فليس هناك جواب مؤثوق . ومن هذه الاثناء ممنوع علينا تخفيض القوات او تخفيف الضغوط على المخربين في المدينة . بدأنا مناقشة الاستعدادات الحيوية لقضاء الشتاء في لبنان . فنحن في تموز . وفي القريب ستكون امطار وبردو ثلوج . وهناك أمور كثيرة تتعلق بالانشاءات والتدفئة والملابس واعداد الجنود لظروف شتاء حقيقي لم يتعود عليها حتى الآن سوى قلة .

وفي اجتماع للقادة حدَّدْتُ ان من فصاعدا نتصرف كما لو كانت الحرب قد انتهت . لانستخدم سلاح الجو في بيروت ونكتفي بالمدفعية . فاستخدام الرابعة من بعد ظهر اليوم نبدأ بوقف اطلاق النار من جانب واحد فاذا حافظ المخربون على وقف اطلاق النار فاننا لن نستأنف الرمي . واذا لم يحافظوا عليه نستأنف اطلاق النار . وممنوع نحتفظ بالآلاف من رجال الاحتياط على أساس الافتراض بان الحرب لازالت مستمرة . لن نحتفظ في لبنان بدرجة الاستعداد القصوى بل الدنيا . ونبدأ في تسريح جنود الاحتياط على أساس الأفتراض ان الحرب قد انتهت فعلا . واذا اتضح ان هذا الاقتراض غير قائم فليست امامنا اية مشكلة في تعبئة قوات او استخدام القوات التي نملكها . اننا نستطيع تحطيم المخربين في بيروت فقط بجنازير الدبابات . وقلت ان احد الجنرالات

الالمان في عهد فردريك الأكبر امر ان يحمل كل جندي معه على الوام ولما سُئل عن فعزى هذا أو ضح انه (مايلزم لدفع الباب) . اننا لانحتفظ «بمنظومه» . وتحتفظ فقط في بيروت بالقوة الدنيا التي تحكم الحصار فلا يخرج منها احد ولايدخل . واذا دعت الحاجة فإننا نُنزل ناراً قويه واذا ـ لاقدر الله ـ امرونا باحتلال بيروت فاننا نستعدو نحتلها بما لدينا . وفيما يتعلق بالسوريين فاننا نحب حساباً لطول الوقت تبعا للافتراض بانه هذا كذلك قد إنتهت الحرب . فلا تقييم هبه خاصة تكون مستعده يومياً لضرب المنظمة السورية في البقاع ـ نستعد لطول الوقت مع القوة اللازمه للدفاع عن المنطقة واذا نثبت مرة اخرى حرب مع السوريين فيكون لدينا وقت كاف لتقدير القوات وفق ما عليه الحاجه . وكانت الصورة إستعدادنا في الدولة السورية الاجنبية بعد حرب يوم الغفران هي المثال الذي نستطيع ان تعلم منه فكان هناك ثلج بارتفاع متر بين وبردٌ بلغ ١٥ درجة تحت الصفر ولم يتجمد او يُصب جندي واحد وإرتعدت اجسامنا طول اليوم من البرد لكننا صمرنا .

والقضية الآن هي قدرة وقوة الدولة على مصارعة الظروف التي برزت حول إجلاء المخربين . هذه القدرة الذاتية على عدم الخضوع للضغوط الداخلية ومشاعر الهزيمة هي اكثر اهمية من عدد الدبابات التي تحيط بيروت وحتى اذا كان استعدانا بالحد الادنى فان هذا الايشكل اغراءاً للعدو بمهاجمتنا ـ ومن غير المسموح ان نقيس علاقات القوى وفقا لعنصر واحد مجمل علاقات القوى بما في ذلك سلاح الجو يؤكد ان السوريين لايفرون على مهاجمتنا ـ وعلينا ان نتصرف هكذا فالقدرة الاساسية للقوات وتدريباتها لاتُضار ـ وقد اشرف على القادة ان بيدأو التدريبات داخل لبنان في الوضع الذي نحن فهناك ١٠٪ من مجموع القوة تدرك معن المعركة العسكرية . اما الآخرون فهم محتاجون للتدريب او ان يسرحوا الى بيوتهم وبعد الحرب سنعمل على نطاق واسع في دراسة محكمة للوقوف على كيفية وضع قوات كبيرة لجيش الدفاع الاسرائيلي دون ان تحقق فائدة عملية ، وإذ اضطررنا الى قضم بيروت ومخيماتها فان لنا قوات كافية للقيام بذلك سواء في الدعم او في الهجوم او في قوة السلخ .

واذا حلت مشكلت بيروت ـ فانني لا أعتقد ان السوريين يرغبون في الخروج للحرب . ومعالجة اخراج القوات الاجنبية من لبنان ستتم على النطاق السياسي وليس العسكري . فسوريا مشتتة اكثر من ذي قبل وضعيفة فان سوريا قد تحملت بشكل طبيعي في حرب يوم الغفران ضربة قاسية اكثر مما تحملت الان . لكنها بالرغم من انها فقدت حين ذاك الف ومائتين دبابة الا انه لم تصب بشكل خطير مثل منظومة الصواريخ

ارض جو ومن كل مكان وكان لدينا احساس عندئذ ان سوريا مستعدة للمهاجمة واستئناف الحرب . الوضع الان مختلف تماماً .

التاسع عشر من تموز اجتماع للضباط ـ السعوديون يقترحون منح سوريا اموالاً . المخربون يتوسلون الى السعوديين ان يطلبوا من السوريين استيعاب المخربين وقد ضغط السعوديون على السوريين للموافقة على استيعاب الخارجين (من لبنان) .

لم نستخدم سلاح الجو في بيروت ـ وخلال ايام معدودة كانت هناك ٢٤ حادثة اطلاق نار من جانب المخربين ـ على وجه الخصوص سلاح خفيف قنص وان كانت هناك رميات هاون ـ رد جيش الدفاع الاسرائيلي على النار استمر المخربون في بيروت بالاستعداد كما لو لم يكن في نيتهم ان يخرجوا أمرت باستخدام قناصينا . فللقنص تأثير نفسي كبير في منطقة مدنية (مأهولة) .

وافقنا على خطط مختلفة لتعقب المخربين وبشكل اساس في منطقة المطار (خلده) وفي خط البلدية وفي منطقة « «١ هـ ١ هـ ١٧أ . وسوف نضع هذه الخطط موضع التنفيذ الى تعزيز الضغط لنجعل مفاوضات جلاء المخربين . ستضعنا الفعالية التي نقوم بها في خط البلدية على أبواب المخيمات ومن المحتمل ان يكون كل قادة المخربين موجودين هناك في السراديب . واستمرت معارضتي لاي نية في احتلال بيروت الغربية . فالثمن الذي سندفعه سيكون باهظاً . الا انني اؤيد تماماً الجهد الذي يؤدي الى زعزعة المخربين في منطقة « «١ هـ ١٧أ . فهذه منطقة تصلح للعمل بسبب طابعها . وهكذا نستطيع ان نتواجد في نقطة بارزة داخل جهاز المخربين وداخل خططهم .

ينبغي ان نتحاشى قدر الامكان أمرين : تعبئة الاحتياط مالم تكن هناك ضرورة لايرقى اليها الشك وقد كررت القول عدة مرات ان لدينا تمييزاً واضحاً وفريداً بين الجندي في الخدمة النظامية وبين مقاتل احتياط ترك في بيته امرأة وأربعة اطفال . ومجموع قوة جيش الدفاع الاسرائيلي مبنية في الحقيقة على ضرورة تعبئة الاحتياط لكن عندما تكون هناك امكانية الاستغناء عن هذا فينبغي ان نبذل قصارى جهدنا ولانجند الاحتياط . الامر الثاني : حتى اذا بالغنا في القول بأن القتال في منطقة مبنية يتطلب ضحايا كثيرة جداً فهو بالتأكيد يتطلب ضحايا اكثر من القتال في مناطق اخرى . وقد اعتمدت مبالغتنا أساساً على التجربة القاسية للواء الذي احتل القدس في حرب الايام الستة وتحمل كثيراً من الضحايا . وينبغي تجاهل واقع واحد هنا : ان هذا اللواء لم يتدرب على قتال الناطق المبنية في السنتين او الثلاث التي سبقت تكليفه بالقتال في منطقة مبنية في القدس فالتمرين والتدريب الخاصين بالمناطق المبنية من شأنها ان يقللا عدد

الضحايا وفي هذه الحرب ومن جميع جهاتها اقطع بتحاشي القتال في منطقة مبنية بقدر الامكان . وما أحسن ان نعمل وفقاً للخطة التي تتضمن تطهير المخيمات والقواعد والقيادات التابعة للمخربين جنوب بيروت بما في ذلك المطار في خلدة . ومن غير الواضح في هذه المرحلة ما اذا كانت الحكومة ستقرر هذه العملية فأمام الحكومة احتمالان : اقرار خطة عامة لاحتلال المخيمات والمطار جنوب بيروت او تأمر الحكومة بان يستمر الوضع الحالي ويكون الضغط على المخربين عن طريق تنفيذ خطة النار . واذا أقرت الحكومة «الخطة الساحقة» وكما وضفتها من قبل نصل الى نداخل دينة بيروت عندما يكون المطار والمخيمات الجنوبية من ورائنا والخط البلدي على الشرق منا . وهكذا نفصل مخيمات اللاجئين جنوب بيروت عن المدينة ونكون مستعدين لتطهير المخيمات والقواعد والقيادات في المرحلة الثانية . والمخيمات التي نتحدث عنها في هذه الخطة هي برج البراجنة صابرا شاتيلا وفكهاني . وتكون قيادة الشمال على استعداد لتنفيذ العملية خلال ٩٦ ساعة وكما هو معروف تبعاً لاقرار القيادة السياسية وليست هناك ايضاً حتى الان وكما أكدت اية نية لاحتلال بيروت الغربية كما ان معالجة في نفس المدينة يكون انتقائياً جداً وبحساب كما اعتدنا التعبير عنه .

٢٦ تموز . في اجتماع للضباط تمت الموافقة على عملية صب النار على القوات السورية في البقاع . وقد اعدت العملية بأولوية كبيرة وقد جاءت بعد سلسلة طويلة لعمليات كسر وقف اطلاق النار من قبل السوريين . فعلى امتداد فترة زمنية طويلة نسبياً كان السوريون يرمون من خطوطهم وفتحوا النار في اماكن مختلفة وادخلوا مخربين وحاولوا تحريك قوات برية لتحسين موقفهم . عرضت امام الحكومة الوضع والاستعدادات السورية . وقد دلت كل الدلائل على نيتهم فرض حرب استنزاف ثابتة علينا كما فعلوا بعد حرب يوم الغفران . واقرت الحكومة فعالية نار قوية جداً على اتساع القطعة . وتعتبر انذار هجوم للسوريين . لان اسرائيل لاتتحمل حرب استنزاف بالشروط التي يسعى السوريون لاملائها . لن يحدد جيش ادفاع الاسرائيلي رده بالوسائل التي يستعملها السوريون . ولايترتب عليه اي التزام قبل السوريين لقياس رده وفقاً للمقاييس التي يمليها السوريون وفقاً لحاجاتهم . وبعد الاقرار السياسي للعملية صبت على السوريين نار جهنم بواسطة المدفعية والدبابات وسلاح الجو . وقد اعدت الخطة وفقاً لاولويتها البالغة وعلى اساس ان لاتحس في المنطقة الى بحركات قليلة بقدر الامكان . كانت المفاجأة كاملة . ولم يفلح السوريون على الاقل في الرد الا بشكل هزيل . سقطت قذيفة هاون في موضعنا وجرح جنديان . ويبدو ان السوريين في هضبة الجولان قد دخلوا في حالة الاستعداد لتحمل الخسائر . لم تكن لنا اية نية ان نصيبهم

هناك . وقعت بالسوريين خسائر فادحة . ووفقاً للحد الادنى من تقديرنا ٢٠ قتيلاً وعشرات الجرحى و٧٢ دبابة وعشرات ناقلات الاشخاص المدرعة ووسائط نقل وكثير من المواقع المدمرة .

ويتميز السوريون ـ منذ اللحظة التي لاينتون فيها الرد بالنار او الانتقام لمثل هذه الضربة انهم يستعيضون عن ذلك ببيانات كاذبة على انهم ردوا على هجوم جيش الدفاع الاسرائيلي بـ «ضربة نار رهيبة» وانهم حطموا لنا عشرات الدبابات واعملوا قتلاً بجنودنا . وقد اقنعتنا البيانات الكاذبة على مدى يومين بعد ضربتنا انهم لايفكرون في الرد . وبعد ذلك . وهو شيء متوقع ومميز ـ يأتي دور التباهي . فهم اي السوريون غير ملزمين بحماية اسرائيل من اعمال التخريب على ايدي المخربين فلا شأن لهم بذلك . لكن لتعلم اسرائيل ـ على حد تعبيرهم ـ ان لديهم اسلحة بمعنى الكلمة تستطيع ان توقع بهم ضربات مضادة وانتقامية قاسية ورهيبة .

وعلى الرغم من تنصلهم من «حماية اسرائيل» من المخربين الا ان الضربة اعادت اليهم صوابهم : فقد عملوا بجدية على تقليص فعاليات المخربين من المناطق التي يسيطرون «السوريون» عليها وقد بذلوا جهوداً مع منظمتين ـ التابعتين لجبريل وحوائمه . ومنع رجال المنظمات من التواجد في امكان محدودة في البقاع . وقد ساد الهدوء القطاع السوري منذ هذا الوقت .

ومع هذا فقد بدت امكانية ان يشجع السوريون العمل ضد قواتنا من داخل منطقة لبنان وفي عمقها ـ بواسطة منظمات تخريبية او منظمات يسارية .

سقطت لنا في الضربة طائرة فانتوم . قتل احد الطيارين وأسر الثاني فقد اصاب صاروخ الطائرة . وكان عندنا قتيل آخر وثمانية جرحى .

قام السوريون بمحاولات سابقة لادخال بطاريات س . أ . ٦ و س . أ . ٨ وفشلت ويبدو انهم نجحوا الان ان ينصبوا عدداً من قاذفات س . أ . ٩ عند ياطا . سنجدها ونحطمها . فقد اعلنا اننا لن نسمح بادخال الصواريخ ارض ـ جو للبنان وعلينا ان نلتزم بذلك .

قضية آلـي غفع

قدمت تقريراً في الاجتماع عن آلي غفع . وقد ذكرت بالتفصيل من قبل الامور الاساسية . وانني اضيف هنا عدداً من الوقائع التي تضمنها تقرري للضباط الكبار . توجه الي قائد اللواء آلي غفع طالباً ترك قيادة اللواء . (بدافع) من ضميره وواجبه ، فهو

لايستطيع ان يذهب بلوائه للحرب في بيروت . ولايمكنه ان يقتل هناك نساءً واطفالاً وانه غير قادر على ان يتحمل مسؤولية ان يسقط كثير من جنوده في القتال . لقد تحدثت معه وتحدث معه وزير الدفاع كما ان رئيس الحكومة تحدث معه . ولم احدثه بكلمة واحدة عن موضوع الضمير في قتل النساء والاطفال ولو بمجرد كلمة . ولم احدثه عما اذا كان ضرورياً او غير ضروري ان نهاجم بيروت . بل تحدثت معه فقط في موضوع واحد : بأي حق يستطيع ان يقول : انني استطيع ان اترك لكن جنودي غير قادرين . انهم سيرسلون (كما يخاف غفع) الى بيروت وهناك (كما قلق غفع) سيقتلون نساءً واطفالاً ويسقط جنود اللواء . سألت غفع : بأي حق يمكنك ان تقف امام جنود اللواء وان ترسلهم الى بيروت بعد ان نتركهم وشأنهم . فهاهم قد وضعوا ثقتهم فيك : لماذا يسمح لك بما يمنع عليهم ؟! ولم تكن لدى غفع اجابة على هذا . فقد تمتم بشيء شبيه بـ «أنا أعرف ماذا اقول للجنود عندما اودعهم» .

تحدثت مع قادة الكتائب وقادة السرايا في لوائه وحدثوني ، ان ليست بيروت هي التي تقلق راحة غفع ـ وبالتأكيد ليست بيروت وحدها فعنده محن اخرى . وبيروت هي الغطاء . انها القصة المريحة . وفي حديثي مع غفع قلت له : تعال نطرح على المائدة اموراً واضحة . هل هناك كتيبة معينة تجثم على ضميرك ؟ اجاب غفع بالسلب . (والمقصود بهذا الكتيبة التي ضلت طريقها في صور عندما كانت تحت امرة غفع) . فسألته هل هي دبابة مركفا التي تركت في المنطقة الحرام عند كفر سيل التي تقلقك ؟! وكان جوابه نفياً . وجسست نبضه «هل تضغط عليك زوجتك في البيت ؟» نفى غفع . وكان غفع قد نسي انه ذكر لي قبل يوم اثناء حديثي معه ان زوجته تمارس عليه ضغطاً شديداً حتى يترك اللواء . وبادرني بالقول انه تشاور مع عدد من الرجال ، فقلت له «لاتحدثني عمن تشاورت معهم . بل حدثني فقط ماذا قالوا لك ، وبماذا اشاروا عليك» . قال : «لا . بل سأحدثك عمن تشاورت معهم وكذلك عما قالوه لي . تشاورن مع اسحق رابين وقد اخذت منه دشاً (توبيخاً) فسألت اسحق رابين ماذا اصنع فضميري يعذبني . فقال لي رابين ان الضابط في جيش الدفاع الاسرائيلي لايتصرف هكذا . وكان الرجل الثاني هو طلبك (العميد طل) قال لي طلبك : اصنع مايلو لك اذا كانت هذه قضية ضمير . وتشاورت مع ابي (العميد يوسف غفع) فأعطاني دشاً لم ار مثله حتى الآن . لقد سمعت كلاماً خطيراً منه . اما الشخص الرابع فهو زوجتي . فقد قالت لي : عد فوراً الى البي ! وهكذا اشار علي احد قادة الكتائب عندي والذي استشرته .

لقد كانت لغفع احاديث مع وزير الدفاع ومع رئيس الحكومة . وفي النهاية رجع اليّ قائلاً : «لم اقتنع فضميري اقوى من خوفي على جنودي . اصدر اليّ امراً بالبقاء في منصبي . فأرفض . فتأمر بحبسي في السجن» . فرفضت . طلب مني ان اسمح له بوداع جنوده . قلت : «لامانع . سأكون معك في الوداع فماذا ستقول للجنود ؟ قال : «لا أعرف فلم احسب حساباً لذلك» . تحيرت طويلاً هل اسمح له بتوديع جنود اللواء . تشاورت مع كبار الضباط . وقد استقر رأيهم على ألا اسمح لغفع بتوديع جنوده . وذكر قائد القيادة الوسطى انه تحدث مع قادة كتائب اللواء وقد طلبوا الا يحضر غفع لتوديع الجنود . فقررت : ألا يودع غفع جنود اللواء . قابلت كادر قادة اللواء : وحكيت لهم تطورات الامور . فكانوا مصدومين وغاضبين على قائدهم . اما طبيب اللواء واحد قادة الكتائب ونائب احد قادة الكتائب فقد اوضحوا لي انه كان من الضروري ان نسمح له بتوديع الجنود . لكن البقية الاخرين كانوا مقتنعين بقراري .

ولم يترك غفع جنوده بل طلب ان يتزين بريش الاخلاقية . وقد قال لي بوضوح : «ان ضميري اقوى بكثير من قلقي على جنودي» فقلت له : «هذه انانية . ان الميزة الاولى للزعامة (القيادة) الحقيقية هي ان يكون الحب الاول للجنود المأمورين . لانهم ليس لهم الحق ان يقولوا قائلين : «هذا لايعجبنا ولن نقوم به» او : «ان هذا ضد ضميلانا ولذا فنحن ذاهبون الى البيت» ـ وهذا الحق غير مكفول كذلك للقادة» .

وقد ذهلت عندما سمعت من مساعد قائد لواء غفع ، انه ومنذ اندلاع المعارك لم يقم بأية زيارة لعائلة احد شهداء اللواء وهو الذي يعلل فعلته الغريبة بالاخلاقية والضمير . فهناك ، كما يخيل لي لهذه الواقعة معيار محدد .

لديّ ما أبني عليه الاعتقاد بان غفع قد قام باعماله وخطواته بتأثير من عميد (قائد) بعينه ذلك الذي ذهب الى وزير الدفاع واقترح عليه ان يعين غفع في احد المناصب في هيئة الركن التي تبحث الحرب وقد كان لهذا الامر ما أنعش الآمال لدى غفع . ولذلك فلقد كانت مفاجأة كبيرة له عندما الغيت كتاب تعيينه وسرحته من جيش الدفاع الاسرائيلي فتوقفت الكلمات في فمه . في احد احاديثي معه قال غفع : «لست رجل سياسة . ولن اذهب الى وسائل الاعلام ولا انوي اطلاقاً ان اثير خلافات ولن اتسبب في اذى» . وقال لي في حديث آخر : «انني اريد ان اختفي لمدة ٤٨ ساعة . وان اجلس وحدي في هدوء في اية زاوية . لأكون مع نفسي فقط وان افكر» . وسرى الى قلبي ضن مخيف ، ان يذهب وينتحر (فكل جلده جروح) . ومن ايقظ اماني السوء في نفسه بان نبقيه في جيش الدفاع الاسرائيلي قد ابعد عن لوائه وعن لبنان ومن بعد انقلب السحر على الساحر .

وفي اجتماع القادة جرى تقييم الوضع في بيروت : جرجرة المفاوضات تشجع المخربين . فقد صحوا من الصدمة الاولى بعد الحصار . وهم مقتنعون ان جيش الدفاع الاسرائيلي لن يحتل المدينة . وفي ظروف الحصار القائمة هم قادرون على الصمود وقتاً طويلاً . وهم يشعرون ان موقفهم لايتزعزع من الناحية السياسية فضلاً عن نواحي اخرى . بل من المحتمل ان يزداد قوة . وهم يعتقدون ان الامكانية قد تحسنت في ان تعترف الولايات المتحدة بهم كأصحاب موقف في المفاوضات حول حل المشكلة الفلسطينية باقامة دولة فلسطينية . ومن الناحية العملية فهم لايبحثون عن طريق للخروج من بيروت .

افتراض آخر : ان تعتبر الولايات المتحدة الامريكية الوضع الحالي صمماً لخدمة مصالحها في الشرق الاوسط ودفع ارجل السوفييت والمصلحة الاولى للولايات المتحدة وهي شرط لتقدم المصالح الاخرى التالية هو : الهدوء في الشرق الاوسط ومنع مزيد من الاشتباكات العسكرية على الاقل في هذه المرحلة . وان اي اشتباك عسكري وفقاً لهذا المفهوم من شأنه ان ينزع القشور التي في يدها الان باعتبارها الوسيط الوحيد الذي له امكانيات بحث حل اساسي القضية الفلسطينية مع جميع الاطراف . وهذه الفكرة الامريكية منطقية على الزمن ولاتتغير بتغير الحكومات الامريكية : فقد حدد مشروع روجرز ان الولايات المتحدة لاتعترف بما احتلته اسرائيل في سنة ١٩٦٧ . ولازالت الولايات المتحدة عند رأيها بضرورة بحث مصير يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة بما في ذلك موقف القدس من اجل التوصل الى حل في الشرق الاوسط . حقيقة ان الولايات المتحدة ملتزمة بتأكيدها لاسرائيل بعدم اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية مالم تعترف باسرائيل . لكن هناك مايدعو الى الخوف الان من ان ينشأ تقارب في الافكار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية . وهذا مايمكن التعبير عنه باجراء محادثات غير رسمية ، او عن طريق وسطاء في العالم العربي . ولاينبغي تجاهل امكانية ان تنشر منظمة التحرير الفلسطينية بياناً غامضاً غير ملزم باعتراف ما بقرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وترى الولايات المتحدة في ذلك مسوغاً لاجراء مفاوضات معها (المنظمة) وتحقيق التفاوض .

زعماء المخربين موجودون الان سوية في سلة واحدة اكثر من الماضي وهم قادرون على ان يتحدثوا فيما بينهم عن تغيير تكتيكي . واذا تحدثوا عن الاعتراف بالقرار ٢٤٢ حتى بصورة رزمية وغير ملزمة ، فان النتيجة من شأنها ان تؤدي الى مواجهة اساسية وجذرية بين اسرائيل والولايات المتحدة . فالولايات المتحدة ستعمل بالتأكيد على اتخاذ سلسلة من الخطوات لتفرض على اسرائيل ارادتها حتى ترضى . وان لدى الولايات المتحدة

وسائلها : تقليص الدعم السياسي . اضرار بالامداد العسكري وحظر على السلاح .

اذن زاد الخوف ان يكون من غير الممكن تحقيق جلاء المخربين من بيروت ويجبرنا الوضع المتطور للمساومة في المشكلة الاساسية للنزاع الاسرائيلي العربي .

قررت ان اوصي وزير الدفاع وحكومة اسرائيل بعدم المساومة في المسائل الاساسية وعدم التنازل عن طلب اخراج المخربين من بيروت ومن لبنان .

بدأت مناقشة مطولة لمسائل محددة : كيف يؤثر ضرب المخربين في لبنان على الفلسطينيين في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) ؟ هل اضعفهم ؟ ام قواهم ؟ هل هناك احتمال كما يتوقع قائد سلاح الجو لمحاولة الكلام مع السوريين ؟ هل هذا ممكن لتحقيق مثل هذا الكسر لحالة التجمد ؟ كيف تؤثر الاحداث على الاردن وعلى حكم حسين ؟ لماذا لم يعد حسين من زيارته الى لندن في موعده ؟ هل يدل هذا على اي تطور ام ان هذا حادث غير ذي قيمة ؟

وهناك اسئلة تكتيكية مختلفة : هل من الافضل لنا ان يبقى المطار في خلدة مغلقاً ام ان علينا ان نسيطر عليه ونفتحه ؟ ماذا ينبغي ان يكون موقفنا من الحوار السوفيتي السوري عندما يدعي السوريون ان السلاح السوفيتي فشل بسبب نوعيته المتدنية ، ويجيب السوفييت ان السلاح جيد ومناسب للمنطقة إلا ان المقاتل السوري لم يكتشف سره ؟ هل علينا ان نكسب ام ان ندعم الفكرة السوفيتية ؟

ليست لدينا اجابات رصينة على كل هذه الاسئلة . فمعظمها لايمكن التعامل معها إلا عن طريق التخمين . وفي نهاية المناقشة قلت : ان لاسرائيل في الوضع الراهن الكثير من سبل العمل ، إنْ ضد السوريين وإنْ ضد المخربين اكثر مما كان لن قبل الحرب . فقد تشرذم التشكيل السوري . وقد كان الكثير منا يحسبون السوريين ابطالاً اشداء عظماء . لايمكن منازلتهم . لايمكن مواجهتهم . وامام اعينهم انكشفت اسمالهم البالية ، وليتها انكشفت فقط امامهم فقد ضربناهم ضربة مهلكة في الواقع حتى في ظروف محدودة على الساحة وقد تعلموا درساً جميلاً جداً . وعلمناهم علومهم . واليوم فان لنا وسائل عمل متعددة ضد السوريين سواء من الناحية النفسية او العسكرية . وأقول : حتى السياسية .

وفيما يخص المخربين فان الوقت ليس عنصراً ضاغطاً . فنحن نسيطر على الوضع . ولدينا سبل عمل كثيرة . ومن يزعم ان وضع المخربين في بيروت لم يتغير فهو لم يقرأ الخريطة . فمدى التغيير وان لم يكن بالضبط وفق مانريد إلا ان التغييرات التي طرأت والتغييرات المتوقعة كلها لصالحنا بالتأكيد . فمواطنو بيروت لم يسمحوا للمخربين بالتحرك غرباً . وقد ثارت ضجة حول هذا الامر . فهناك تبادل اطلاق نار . حدثت

اضرار . هناك خسائر . وقد اثرت الضربات التي تلقاها المخربون على الوضع في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) . العالم العربي يتجاهل الفلسطينيين وظل غير مبال بما حل بهم من كرب .

وعندما تكون للدولة سبل عمل مفتوحة ومتعددة الاشكال .

فانها تملك ثروة من الافضلية الهامة . وعندما لايعرف الاعداء اي سبيل تختار اسرائيل . فهذه ميزة هامة . ويعرف الامريكيون ذلك . وكذلك الحال بالنسبة للسوريين والمخربين . ولم تكن اسرائيل تملك في يوم من الايام مثل هذه الميزات الواسعة . فكل شيء مرتبط وبرغبتنا فقط . حقاً لم تشكل حتى الان حكومة حرة في لبنان مستقلة ولم نوقع حتى الان معاهدة سلام بين اسرائيل ولبنان . إلا انه من الواضح اننا اذا بقينا في لبنان تتحقق هذه الاهداف ونملك ان نقرر ا اذا كنار اغبين البقاء في لبنان ودفع الثمن الواجب دفعه من اجل تحقيق هذه الاهداف . فلم نخرج للحرب حتى نبطل تأثير المخربين والسوريين على انتخابات الرئاسة في لبنان ولتأمين انتخابات حرة . لكن مادامت قد جدت ظروف تضمن اجراء انتخابات حرة وتشكيل حكومة لاتخضع لاملاء السوريين والمخربين . فهذه نتيجة اتمنى ان تكون ايجابية ومقبولة للحرب . وحكومة اسرائيل هي التي تقرر كم من الوقت يبقى جيش الدفاع الاسرائيلي لتأمين تحقيق هذه الاهداف .

نشأ وضع اكثر ايجابية بشأن الحكم الذاتي وكانت تصفية القاعدة التخريبية في لبنان قد أتاحت امكانية اضعاف تأثير المتطرفين على المواطنين من يهودا والسامرة . فاذا برز نتيجة لذلك زعماء معتدلون وحقيقيون في داخل المواطنين العرب في يهودا والسامرة فان احتمال اجراء محادثات سورية حول الحكم الذاتي ممكن أثرت الحرب ونتائجها على كل النواحي واستمرت في التأثير بشكل قوي على الوضع في العالم . وليس هذا للمرة الاولى ولكنه بالتأكيد بشكل بارز وملموس فقد أصبحت «الوحدة العربية» فتاتاً . واتضح امام العالم الانفصال والانقسام في كل صورتيهما وأضافت حتمية مصير الفلسطينيين والاقتناع بهزيمتهم مزيداً من المحن في وحدة وسياسة العرب . اما موقف الولايات المتحدة (حتى ولو لم اكن متأكداً انها تعي استغلال الظروف والبديل) فقد تحسن بشكل سافر وفي مقابل ذلك فقد حدث تخل واضح في موقف السوفييت في الشرق الاوسط . (وداخل الاقواس أضفت : ان لنا سبلاً للاضرار بالمخربين في طرابلس واذا قررت الحكومة ـ نصل اليهم هناك) .

ومن الجدير ان تكون مناقشات العناصر الكبرى لجيش الدفاع الاسرائيلي بعيدة عن التعامل السياسي والانقسام الداخلي . وقد شددت على هذه المحظورات تشديداً

نهائياً . فليست الاركان العامة لجيش الدفاع الاسرائيلي ساحة للتناطح السياسي اما الانقسامات الداخلية فمكانها الكنيست ولجانها غير ان المسائل المتعلقة مباشرة بفعاليات جيش الدفاع الاسرائيلي في الحرب فمسموح لي ـ ألاّ أقول انني ملزم بتوضيح المواقف . وفي المراحل المتقدمة قبل الحرب ـ وحتى في المراحل الاولى بعد بدء العملية ـ لم يكن رؤساء المعارضة في مواقف معارضة الحرب . بل على العكس : فضرورة تأمين سلام الجليل كانت مقبولة لديهم وواجب اسرائيل هو تصفية القاعدة التخريبية ولم يكن هناك اختلاف في الخلاف . وفي الاسبوع الاول للحرب بالغ اسحق رابين رئيس الاركان ورئيس الحكومة سابقاً في إطراء الحكومة التي قررت وجيش الدفاع الذي نفذ ورئيس الاركان الذي قاد . وبعد ذلك تغيرت اللهجة وأصبح رؤساء مثل المعلقين في وسائل الاعلام اذ بدءوا يقولون اننا ايدنا العملية فقط لمسافة ٤٥ كم من حدود اسرائيل شمالاً ولما توغل جيش الدفاع الاسرائيلي في عدد من المناطق اكثر من هذه المسافة غيروا جلدهم وجمعوا كلمتهم الى جمهور المعارضين والمتناطحين . وكانوا كمن تمسك بموقف المعارضة للعملية العسكرية اساساً ، وليس لمسافة ٤٥ كم ولا لأية مسافة اخرى ـ لست موافقاً على الموقف لكنني استطيع ان افهم دوافع الذين يدعون معارضتهم لحل المشكلة بالوسائل العسكرية . إلاّ ان من يؤيد الحل العسكري يجعلني لا أستطيع ان افهم ادعاءه بانه أيد فقط ٤٥ كم ، وانقلب الى معارض لاكثر من هذه المسافة .

ماذا كان سيحدث لو وقفنا على مسافة ٤٥ كم ؟ كنا ندفع مطولاً بقدر الامكان لمسافة ٤٥ كم من خط مواجهة المخربين ـ ونبقى في نفس الوضع بالضبط ـ وفضلاً عن ذلك : كنا معرضين اكثر للاصابة من جانب المخربين . وعندما نعرف الان حقائق كميات السلاح والذخيرة التي كانت عند المخربين فينبغي ان نقول ، وبالتأكيد اننا لو اوقفنا جيش الدفاع الاسرائيلي على مسافة ٤٥ كم من الحدود ، فان المخربين خارج هذه المسافة كانوا قادرين على الاضرار بنا مرة بعد اخرى . وكنا نضطر لابقاء جيش على نطاق واسع حتى نكبح جماحهم . وكان المخربون قد انسحبوا بشكل كامل من منطقة الـ ٤٥ كم التي يسيطر عليها جيش الدفاع الاسرائيلي ، ويحشدون قواتهم هناك من جديد من خلال اصلاح قاعدتهم التي خرجنا لهدمها . وبتوقفنا على بعد ٤٥ كم ، نكون قد اتحنا بالفعل الامن للمخربين حتى يحشدوا قواتهم خارج هذه المسافة بارتياح لانهم محميون ومحصنون من اصابة جيش الدفاع الاسرائيلي . ان كل متر اضافي سيطرنا عليه ابعد من هذه المسافة قد قلص من احتمالات تجديد المخربين لقاعدتهم وتنظيم عملهم . ومن يتحدث عن الحاجة لتوقف على بعد ٤٥ كم ـ او من جعل من الحرب معولاً سياسياً يحفر به ، او لم يفهم ببساطة وكما ينبغي الخطر العسكري والسياسي الذي

كنا سندخل فيه في وضع كهذا مع الجماعة الاولى (المعارضين السياسيين) ، من الصعوبة بمكان ان ندخل معه في نقاش . فان لهؤلاء مواقف حزبية ضيقة ، وليس من سبيل لاقناعهم . اما الجماعة الثانية (المؤثرون) فمن الصعب فهمهم . وكل من يدعي اننا «لم نكسب شيئاً عندما توغلنا اكثر من ٤٥ كم فانه يدلل على الفهم الضيق ، ولايستطيع ان يصور لنفسه ماذا كان يحدث لو توقفنا على مسافة ٤٥ كم : كان المخربون قد وجدوا ملجأً خارج هذا النطاق ويصلحون قوتهم . ولم تكن ظروف التفاوض على جلاء المخربين قد نشأت . ولم نكن قد حققنا أي تأثير على مايحدث في لبنان من الناحية السياسية . ولم يكن موقف السوريين في لبنان قد تغير . ولن يطلب منهم أحد ان يجلوا عن لبنان ولم يطرأ شيء على تأثيرهم في لبنان وعلى الساحة السياسية اللبنانية . وحتى اذا لم تكن هناك ثقة مطلقة في ان وجودنا في المواقع الحالية قد مكننا من الحيلولة دون وقوع احداث سلبية وأمّنا كل التطورات الايجابية بالنسبة لنا ، فمما لاشك فيه اننا قد قطعنا كل الاحتمالات بشكل واضح .

وبالنسبة لمن يدعون ان الحرب لم تنته وانها طالت ابعد مما توقعنا فان لديّ اجابة : ان أي حرب سابقة لم تنته في المواعيد التي حددناها لها والتي نتمناها . فحرب يوم الغفران لم تنته إلا بعد مرور سبعة اشهر (ومن ناحية نتائجها السياسية كلفت ثمناً باهظاً سنوات طوال بعد ان سكتت الاطلاقات) . وحرب الايام الستة استمرت حوالي ثلاث سنوات ونصف وكلفت دماءً كثيرة ثمناً لها . ولم تتغير إلا الاسماء والصفات . فمن الممكن ان تدعو الحوادث العسكرية حرباً ومن الممكن وصفها استنزافاً ، وفي احدى المرات اسموا الاشتباكات الدامية بين اليهود والعرب احداثاً ، وبعد ذلك اسموا المشتبكين فدائيين ومن بعد مخربين وفي النهاية منظمة التحرير الفلسطينية ان الاختلاف في الكنى والاوصاف لا يغير من جوهر معنى النضال .

انتهت الحرب مع مصر ومع مرور السنين بالتوقيع على اتفاقية سلام . ولم تنته الحرب مع سوريا مرة واحدة . وسألوني مراراً اي صلاحية لنا ان نسقط طائرات سورية في سماء لبنان . والاجابة بسيطة : هذه حرب والسوريون يصرحون دائماً انهم في حالة حرب مع اسرائيل . ومن هذا التأكيد تأتي الصلاحيات والاوضاع التي تمتنع في علاقات السلام بين دولتين .

ومع العملية في لبنان كانت أيدينا مغلولة دروس الامكانيات مقلصاً . ولم نستطع ان نضرب السوريون ضربة واسعة . وكان في وسعنا ان نغير الاهداف ونضربهم في هضبة الجولان عندما كانوا مضطرين لحشد قسم كبيرة من جيشهم في حالة استعداد دائم .

واستنتاجي من هذا الوضع بسيط : ان اسرائيل في حاجة الى تأكيد اهدافها

السياسية ، وان تقرر ما اذا كان من الممكن تحقيقها بالوسائل السياسية او العسكرية . فاذا كان القرار يحتم عليها ان تدعم وتسرع نشاطاتها السياسية بوسائل العمل العسكرية ـ فان الاركان العامة تقترح وفقاً للاهداف كيف ومتى تضرب وبأي قوة .

في احدى المناقشات طرحت فكرة جديدة خبراً يمكن ان يكون غريباً عند الاستماع اليه لاول مرة : العالم كله مشغول بمسألة الاجلاء المخربين من بيروت . وعلى جانبي المحيط ينشغلون بذلك . وبالنسبة لنا هل من الاحسن ان ينشغلوا بذلك سنة او اكثر ؟ السيطرة في يدنا . فنحن نضغط ونضرب ونفجر . نغلق المياه ونفتحها . نمنع المؤن ونسمح بها . الجميع ينشغل اكثر ببيروت ولاينشغلون بنا الان ، لا بالحكم الذاتي ولابدولة فلسطينية ولا بحل لايرضينا للنزاع اليهودي العربي .

كان لنائب رئيس الاركان تحفظ : في حالة مالم يكن لدينا اصابات فانني اقول : الاصابات هي اصعب شيء بالنسبة لنا . لكن ينبغي ان يعرض هذا الامر بمهمة صحيحة ومن خلال حساب الخيارات . فاذا كان العالم كله مشغولاً حتى رقبته ببيروت فلماذا نساعده للتخلص من هذا العنكبوت ؟ فقد عمل فيليب حبيب سنة ونصف في مسألة سحب الصواريخ السورية حتى يأس منها وتركها . اننا متفاهمون مع الامريكيين على ضرورة سحب المخربين من بيروت . وان يشتغلوا بهذا الشأن . حرب استنزاف ؟ لا في الظروف الراهنة . من الذي يستنزف في بيروت ؟ نحن ؟ هل هناك اي تشابه بين وضعنا في بيروت ووضعنا في قناة السويس بعد حرب الايام الستة ؟ لا ! يرموننا بالقذائف في بيروت ؟ نحن الذين نرميهم بالقذائف نحن المتضايقون ! نحن الذين ننغص حياة المخربين ! انهم لايحاولون الخروج ، ولن يحاولوا في المستقبل . انهم داخل الحصار . تصرف صحيح وواضح ـ وهذا امر متعلق بالقادة ـ نحن نستطيع تحاشي الاصابات . نحن نرمي بالمدفعية ، نلقي القذائف من البر والبحر ـ نجعلهم يتنفسون لا مرة واحدة ، ولابفعالية كبيرة واحدة ـ شيئاً فشيئاً وبالتدريج المستمر .

لسنا مضطرين لان نحدد لانفسنا موعداً ملزماً ينبغي علينا فيه ان ننهي الحرب . ان علينا ان نحافظ على مكاسب الحرب دون تحديد الزمن . ومن الحماقة ان نقول اذا لم ننه الحرب حتى الشتاء . فاننا فشلنا . لم نفشل . اننا نستطيع ان نقضي زمناً طويلاً حول بيروت . ان علينا ان نبقى مستعدين هكذا حتى نستطيع ان نواصل الحصار من حيث عدد الاصابات ومن الناحية الاقتصادية .

ينبغي ان نستغل هذا الوقت دون تأخير في التحشد في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) ينبغي العمل بنشاط مطرد . فالفلسطينيون ضعاف هناك . ولم يعودوا قادرين ان يفعلوا مافعلوا قبل الحرب . بسام الشكعة لايستطيع ان يقابل عرفات وان يتلقى منه

النظريات والاوامر . وهذه فرصة للتعزيز في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) ولاينبغي اضاعتها . وهذه فرصة لانماء قيادة جديدة في المناطق (المحتلة) . ولم تتخل اسرائيل عن هذه المحاولة أبداً لكن لم تسنح امكانية منطقية للنجاح في هذا الامر ولو لمرة واحدة مثل الان .

واتناول بعد ذلك قضية هامة : من الجدير بنا ان نبذل كل جهد لتفادي مواجهة مع الامريكيين . اننا نقول لهم : لقد حملتم على عاتقكم امر اجلاء المخربين من بيروت . تفضلوا ان وجودنا في المنطقة والفعاليات التي نقوم بها هدفها الاخذ بأيديكم لسحب المخربين .

فاذا نشأ تعارض بين اسرائيل والولايات المتحدة على الرغم من كل الجهود الرامية الى تأكيد المصالح والاهداف المشتركة فمن الواضح ان لدى الامريكيين وسائل ضغط علينا . ومع ذلك فمن الضروري موازنة اهمية هذه الوسائل على ضوء الظروف المتغيرة . ففي موضوع السلاح وعلى ضوء الحظر الامريكي ـ فان وضعنا جيد بنسبة عالية عما كان عليه في الماضي . فالدبابات على سبيل المثال نصنعها بأنفسنا ـ وهذا تسهيل كبير يتيح قدرة على الصمود امام الضغوط الامريكية ويدعم تمسكنا بالمباديء الاساسية وعدم التضحية بل خوفا من حظر السلاح . ينبغي التحرر من الخوف الذي كان من نصيبنا بعد يوم الغفران . فعندها تحملنا خسائر فادحة في السلاح والعتاد ، وكان الخوف من حظر امريكي يفزعنا . ان قدرتنا على الصمود اليوم امام مثل هذا الحظر عالية بصورة لاتقدر .

في هذه المرحلة يواصل فيليب حبيب مساعيه ويركزها في محاولة لايجاد مأوى للمخربين في الدول العربية . ولاتبدو الاحتمالات وردية . واعود للقول ان ليس ثمة سبب عندنا لدخول بيروت حتى اذا طال اخراج المخربين منها .

ويعتقد رئيس الاستخبارات ان لنا تأثيراً كبيراً على هدفين من ثلاثة : اخراج المخربين من بيروت ، وجلاء القوات الاجنبية من ارضها . وليس لنا تأثير على امكانية اقامة حكومة قوية في لبنان يتوحد حولها تأييد الاحزاب والطوائف والتيارات المجتمعة في لبنان . اذا فموافقتنا على الجلاء من لبنان مرتبطة فقط بتحقيق الهدفين الاولين . ومن بين هذين الهدفين فان المهم بالنسبة لنا هو اخراج المخربين . وهكذا نحقق الهدف المركزي من العملية . وقال رئيس الحكومة في احدى جلساتها ان «من المحتمل ان يتوجب علينا ان نفكر في احتمال خروج المخربين من بيروت لكن لايخرجون من كل لبنان بل يتركزون في البقاع وطربلس» . ولو قبل هذا المسلك فان معناه تقسيم لبنان . وخروج السوريين من لبنان امر قائم بذاته ، فليس هناك مايستوجب ربطه بخروج

المخربين . فلسنا في هذا الوضع قادرين ان نطلب من السوريين صكاً لما نأمرهم به دون ان نحرر لهم صكاً مقابلاً لامرهم . ومثل هذا العمل السياسي يمكن ان يبرز امامنا مطالب يكون تنفيذها في غاية الصعوبة علينا .

نواصل الضغط العسكري على المخربين . احتل جيش الدفاع الاسرائيلي الاوزاعي . وكانت فارغة . تقدمنا باتجاه المنطقة المفتوحة جنوب السفارات . اصبحنا في مداخل برج البراجنة . وادرك المخربون انه لم يبق لهم طويل وقت . مسألة اخلائهم مرتبطة فقط باقتناع دول عربية بفتح ابوابها لهم .

وقبل اجلاء المخربين وانتهاء هذه المرحلة من الحرب ، بدأنا في عقد اجتماعات على مستويات مختلفة لاستخلاص الدروس الاولى من الحرب على مختلف الاصعدة . جيش الدفاع الاسرائيلي ينشط في استخلاص الدروس لانه من غير آراء ستكون الفترة قصيرة حتى تأتي الحرب القادمة . ولم يكن الغرض من هذه الاجتماعات ابداء ضربات شديدة على الكتف بل جهد مشترك ومركز لاكتشاف الاخطاء وايجاد الحلول لها واصلاحها .

اشتغلنا بتقدير قدرة وكفاءة الدبابة تي ٧٢ . ويحظر استعجال النتائج . وعلى الرغم من ان هذه الدبابة الحديثة قد تلقت من قبلنا ضربات ماحقة فمن المهم القول ، ان هذه الدبابة لم تأخذ فرصة حقيقية في هذه الحرب للاشتراك في معركة من الناحية العلمية . ومن غير المعروف ما اذا كانت لهذه الدبابة السوفيتية فرصة القتال كما ينبغي وتأكيد كفاءتها . فمن الخير ان نعرف هذه الدبابات المتقدمة وقد وضعت في مثل هذه الحال التي حطمت فيها قبل ان تتأهب للقتال .

كنا مدللين للغاية في هذه الحرب في كل ما يتصل بالنشاط الجوي للعدو ، ومحظور علينا من كل الاحوال ان نسقط انفسنا بأن نعتبر هذه الصورة للحرب هي نفس صورة الحروب في المستقبل . ويحظر على الجيش ان يعتاد على ظروف (اوضاع) مريحة او ان يتخذ لنفسه عادات وانماطا للتصرف اعتماداً على هذه الظروف . كان لنا في هذه الحرب تفوق جوي ساحق .

لم ينجح السوريون في تنفيذ اي هجوم ذي جدوى واحد على احدى قواتنا في اي مكان . ولم يطلب من منظومة ضد الطائرات عندنا ان تتعرض لامتحان . ويستطيع ان كان ان يستخلص نتيجة ، وهي ان لامعنى لبذل حماقة كبيرة . فلايستطيع سلاح الجو ان يؤمن دفاعاً كاملا ضد الغارات الجوية دوما ـ كما فعل في هذه الحرب .

اعود الان لوصف احداث الحرب . في ٣٠ تموز ١٩٨٢ قدرنا ان جلاء المخربين من بيروت قد حضى بموافقة عربية . طلب المخربون ان تأتي قوة دولية الى بيروت قبل

جلائهم وبعد ان تحتل القوة الدولية مواقعها ، يبدأ المخربون الجلاء الى المخيمات ومنها يجلون الى البقاع . وانهم في المرحلة الاولى لايستطيعون الجلاء الا للبقاع . ومن هناك وبعد مرور ١٠ او ١٥ يوما يجلوا المخربون الى دول عربية مختلفة وفق حاجتهم السابقة اليها . اما المخربون الذين لايجلون من البقاع - «فهذا امر يتعلق بموافقة حكومة لبنان» هكذا يدعون وتصبح القوة التي تبقى في البقاع قوة لبنانية تحت قيادة الجيش اللبناني .

وسألت هل هناك من طرح امكانية ان يجلو المخربون لايران الخمينية . وهمس قائد سلاح الجو : ننقل نصف المخربين لايران ونصفهم الثاني ننقله للعراق ويقاتل هؤلاء أولئك .

واضح ان اسرائيل لاتستطيع ان توافق على جلاء المخربين للبقاع . فليس ثمة ضمانة ان يوافقوا على الجلاء من هنالك . ويبقى املهم العودة الى بيروت . نستمر في الضغط عليهم بمنع الماء والكهرباء والغاز والعلاج الى جانب ضغط متوالٍ من النيران حتى يعيشوا في ظروف جهنمية . ولم ينكسروا بعد وهناك دلائل اولية بدأت في الظهور بين المخربين والمواطنين المدنيين في بيروت الغربية . فهناك مظاهرات ضد المخربين وهم يخشون ان يتجه المواطنون باتجاهاتهم ويطلبوا منهم الخروج . ولا يزال نشاط المواطنين غير منظم . وبالرغم من ضغطنا الشديد الا ان الدول العربية لم تحرك ساكناً وزعماؤها صامتون . يضغط الامريكيون بشأن الماء والكهرباء . اوضح وزير الدفاع للامريكيين ، ان ماء الشرب موجود للمخربين وغير موجود للاستحمام . وكان جوابنا بشأن الكهرباء حاسماً : الكهرباء تخدمهم في المخابئ وفي الغرف العسكرية تحت الارض ويطيل من قدرتهم على الصمود ورفضهم الجلاء .

ولم يؤد الضغط بمنع الماء والكهرباء واستمرار النشاط المختار بعناية لطائرات سلاح الجو الى كسر المخربين حتى الآن ، غير ان دلائل وجود تأثير على استعداد المخربين للجلاء قد اتضحت ، اعلن رئيس الحكومة للامريكين ان المخربين لايستطيعون ان يختاروا مايريحهم ، والا فكيف المحافظة على وقف اطلاق النار وكيف يكسر . من الواضح انهم يرتاحون لكسر وقف اطلاق النار في مناطق خارج بيروت في بحمدون وفي البقاع او في جبال الشوف ، لكنهم يفترضون اننا فقط نرد على كسر وقف اطلاق النار هناك . اما في بيروت فيسود الهدوء ، وهذا الافتراض غير قائم . فاسرائيل لاتقبل ذلك .

يعتقد وزير الدفاع ان اعلان المخربين منذ اليوم عن استعدادهم للجلاء من بيروت وقد وضع اسرائيل في موقف غير مريح . فمن جانب اسرائيل فان الشروط التي وضعها المخربون لاتختلف من الناحية الجوهرية عما رفضته اسرائيل من قبل : انسحاب جيش

الدفاع الاسرائيلي لمسافة ٥ ـ ١٠ كم عن بيروت والانسحاب من طريق بيروت دمشق . كما ان هناك مسألة مقلقة هي اجلاء الف ـ الف وخمسمائة مخرب من الضفة الغربية وقطاع غزة . اسرائيل لاتستطيع ان توافق ان يعودوا الى هذه المناطق . يؤكد وزير الدفاع بوجوب مواصلة الضغط على المخربين في بيروت لجعلهم يتنازلون عن شروطهم الاحد عشر ، باعتبارها غير مقبولة في رأينا . ويعلم الاميركيون اننا لن نوافق على شروطهم ان نمد بيروت الغربية بمياه شرب فقط . فهناك مواطنون كثر ولانستطيع ان نمنع عنهم مياه الشرب . وهناك من قال انه عندما سأل مندوبون امريكيون رجالنا عن سبب عدم وجود مياه في صنابير سكان بيروت فأجابوه بأن دولاب القطع مفقود ، وانهم يبحثون عن دولاب آخر حتى يفتحوا المياه . قال وزير الدفاع ان قصة الدولاب قد وجدت طريقها الطويل ، ووصلت حتى لـ . . . . البيت الابيض . فهناك تحدثت ايضاً عن الدولاب الذي ضاع ، وسألوا شارون في السفارة الاميركية في تل ابيب كيف اختفى الدولاب . وادليت بملاحظة «ان مثل هذا الدولاب الذي وصل للبيت الابيض هو دولاب ابيض» . اعد فيليب حبيب تقريراً لوزير الخارجية شولتز عن مصير الدولاب . ووصلت مسيرة الدولاب كذلك الى السفير ارنس في الولايات المتحدة ، وطلب ان نجيب عن كم من الوقت يطول البحث عن الدولاب المفقود . والحقيقة اننا اتخذنا وسائل مختلفة للضغط على المخربين . واعرب وزير الدفاع عن ملاحظة ان مسألة الدولاب قد سببت له ضيقاً . وعلينا ان نتصرف بفهم ولانتمسك بالادعاء لاننا قطعنا ضخ المياه عمداً .

تحدث وزير الدفاع عن امر آخر . فقد قال اسد لحبيب ان السوريين سيبذلون كل جهد لمنع الاضرار باسرائيل من البقاع ، لكن مقابل ذلك ليس لهم قوات في جبل لبنان ولايستطيعون ان يغزوا قوات هناك ولذلك فليس في وسعهم ان يمنعوا المخربين من العمل في المنطقة الجبلية العالية ومن ان يوقعوا الضرر بنا .

اعربت من خوفي من ان يكون هذا الوضع المستم الذي يعرب فيه المخربون عن استعدادهم للجلاء دون ان يكون لهم مكان يتجهون اليه ، من ان يكون هو الوضع الذي يرتاح اليه المخربون والسوريون . وفي مثل هذه الظروف علينا ان نزيد ضغطنا على المخربين حتى ولو ادى ذلك الى تجدد اطلاق النار بصورة كاملة . ونعمل وفقاً للخطط . تمت الموافقة بمواصلة الضغط على المخربين . رفضنا اقتراحاً من حبيب لاجلاء المخربين عن طريق الجو ـ بشرط ان تبتعد اسرائيل عن مطار بيروت . فهذا تكتيك لابعادنا من الخطوط الحالية في مداولة اخرى في نفس اليوم اعد رئيس الاستخبارات تقريراً حول اكمال احتلال المطار في خلده . وبالرغم من ان المخربين

كانوا مهيئين نفسياً وعسكرياً لهذا العمل ، الا انهم فوجئوا بالعملية وعندئذ حدثت اعمال فرار لدى المخربين ومحاولات الهروب من بيروت . خلق ضغطنا تأثيراً واسعاً وادى الى انخفاض الروح المعنوية . وللمرة الاولى يقول رئيس المخابرات بعد ثمانية اسابيع انني استطيع القول اليوم بأن في المدينة شك كبير حول الحصار ، والشك حتى الآن كان عن احتمال مواجهة تبادل اطلاق النار واحتمال العيش دون ماء ومؤن . وقد ظهرت شيئاً فشيئاً مظاهر عداءٍ عند المواطنين تجاه المخربين . هناك نقص حاد في الوقود . كثير من مولدات الكهرباء اسكتت والماء لايندفع الى الطوابق العليا في العمارات السكنية .

هناك تقارير ان السوريين يظهرون تشدداً تجاه المخربين لمنع الاصابات ضد قواتنا . وفي منطقة معينة حيث كانت قواتهم قليلة شددوا من اجراءاتهم حتى لايستطيع المخربون العبور في اتجاه قواتنا .

نصبنا كميناً في مكان غير متوقع . اصيبت وسائط نقل المخربين ، وقتل رجالهم وكان القصد الا يشعر المخربون بالراحة في اي مكان .

في مداولة عملياتية في غرفة عمليات الحرب وفي الثامن من آب كنا نراجع خطط احتلال بيروت الغربية . وكما جرت العادة فاننا نعد خطط عمليات للمستقبل دون ان يكون هناك قرار للتنفيذ . كان علينا ان نكون مستعدين لكل احتمال . فاذا كان هناك قرار ـ فالاتجاه العام ان نهاجم بأعلى حدٍ في الاتجاهات الممكنة ودخول المدينة عن طريق محاور كثيرة بقدر الامكان من الجنوب من الشرق من الشمال . واذا فعلنا ـ فاننا نعزل مخيمات اللاجئين برج البراجنة ، صبرا ، شاتيلا ، والفكهاني لكن جيش الدفاع لا يدخل الى داخلها . ينبغي ان نعد من البداية قاعدة منظمة للدفاع المدني من اجل العمل على الاخلاء وانقاذ المدنيين اذا ما اصيب كثير من المواطنين في الحرب في منطقة مبنية .

لانستطيع ان نقدر كم من الوقت يلزمنا لاحتلال المدينة . ونحن لانعرف قوة مقاومة المخربين والسوريين الذين في المدينة . ومن الصعب التكهن بمدى صلابتهم في حرب في منطقة مبنية . «وبعد العملية اتضح لنا انها اضعف مما توقعنا» .

١٦ آب ١٩٨٢ . هناك موضوعان يشغلاننا : الاستعداد للشتاء وانتشار قواتنا في لبنان . قررنا ان نبدأ بالاستعداد لقضاء الشتاء . وكنا لانزال في عز الصيف . وحددنا نظام القوات وانتشارها بالطريقة التي تمكننا من القيام بتحقيق الاهداف دون ارباك سياقات القدرة والتدريبات ودون المساس بالنشاطات العاجلة لجيش الدفاع الاسرائيلي .

جلاء المخربين

٣٠ آب . الجلاء على اشده . ينتهي حتى نهاية الاسبوع . حتى السوريون جلوا . يبدوا الجنود منهمكين . وفي كامل قيافتهم . غير ان آمر اللواء قد سافر بالمرسيدس اللامعة الصقيلة ، يرتدي ملابس الخروج ، ويضع الكثير من المداليات الذهبية . وكان قائدا عظيماً بين الجنود والقادة على عكس جيش الدفاع الاسرائيلي الذي لايعجب الناظر .

وكان التقدير ان قسماً من السلاح الثقيل قد اخرجه المخربون في القافلة السورية اليوم . وفي الغد سيضمون سلاحهم الثقيل كذلك للقافلة السورية . والقسم الاكبر من السلاح الثقيل سلمه المخربون الى المرابطين وهي منظمة اسلامية متطرفة تتكون اساساً من مواطنين لبنانين . وقد سلم المخربون لهذه المنظمة دبابات ومدافع عديمة الارتداد وناقلات اشخاص مدرعة ومعدات روسية متحركة مزودة بمدافع ضد الطائرات . فهناك استعداد مستور للمخربين في داخل بيروت . ونحن نعلم ذلك ، لكننا لازلنا لا نعرف ماهي نقاط استعدادهم . اما الفلسطينيون حاملوا الهويات اللبنانية فقد تلقوا امرا بالبقاء في بيروت . نحن نبحث عن طريق تعقب مخربين في بيروت بعد الجلاء ، وبعد ان تسيطر الحكومة اللبنانية على كل بيروت . وهدفنا هو ان تكون المدينة موحدة ومفتوحة ولايكون بها مخربون ومخازن اسلحة ، ولاتقوم بها حركة سريعة تعاون في عمل الغرف العسكرية ، وملاجئ الاختفاء ، ومخازن الاسلحة . اننا في حاجة الى طول نفس وصبر كبير ونظام استخبارات عال .

يمكننا ان نقول : اليوم انتهت الحرب . فعندما خرج عرفات من بيروت ـ انتهت الحرب في لبنان وفي هذا دلالة : ففي الاول من ايلول ، بدأت الحرب العالمية الثانية (قبل ٤٣ سنة) وانتهت حرب سلام الجليل ـ لدينا متسع من الوقت . وعلينا ان نتعقب بيقظة كل محاولة لاقامة حركة سرية في بيروت . نتعاون مع بشير الجميل حتى نتأكد ان نشاط المخربين الذي يعتمد على المخازن السريعة وتكديس السلاح والرجال الذين انقلقوا او ذابوا في السلطات المدنيين ، ولم يجلوا من المدينة لن يتجدد في بيروت . ومن المحتمل ان تغادر القوة الدولية فوراً بعد جلاء المخربين فهذه هي غايتها ـ لتأمين المخربين عند مغادرتهم . ويكون جيش الدفاع الاسرائيلي مستعداً عند الحاجة للاشتراك في الاخلاء وفي التفتيش في بيروت بالتنسيق مع القوات اللبنانية لاكتشاف مخازن سلاح معينة ، والعمل المشترك لمنع استئناف المخربين للاستعداد . وفي المحادثات مع بشير الجميل تم اقرار سبل التعاون في المسائل التي اتيت على وصفها . ولم تكن لبشير ولا

لقواته خدمات استخبارات . وقد وافق تماماً على التعاون . وواجب اسرائيل محدد : تتعقب مايجري في بيروت .

التزمت اسرائيل بواجباتها بصورة كاملة : انحنالللمخربينولزعمائهم مغادرة بيروت . كانت اخر فرصة لضرب المخربين عندما جلوا من بيروت . لكن التزام اسرائيل حال دون ذلك .

وكان آخر حديث عنيف مع بشير الجميل بعد جلاء المخربين ، وقبل ثلاثة ايام من مقتله ، ان الشيء الذي اختلف في نمط حياة بشير انه اصبح الرئيس المنتخب ، ان لم يكن قد تم تنصيبه بعد . تدفق نشاطاً وثقة بالنفس ، واتخذ لنفسه اسلوبا في الحديث كمن كانت خططه جاهزة ورأيه حاسماً لتنفيذ هذه الخطط ـ جلسنا في بيت خاص لضابط لبناني كبير وذي تأثير كبير . كان الجو وديا . وعرفنا ان مخربين ظلوا في بيروت وبدلوا ملابسهم واختبئوا وخدعونا . حتى عرفنا ان المخربين لم يسلموا سلاحهم الثقيل للجيش اللبناني كما تم الاتفاق عليه بل اخفوه في اماكن خفيه . لم نعرف كيف نجد هذه المخابئ .

كان الوقت مساءً . اجملنا مع بشير فعاليات الحرب . وقد وجد كما وجدنا في اجلاء المخربين نهايتها . تحدثنا عن المستقبل . لم يكن ثمة بديل لاهدافنا : جعل بيروت مدينة موحدة تطهيرها من كل العناصر السلبية . السيطرة على كل مخازن السلاح .

وصل بشير لمقابلتنا بعد جلسة اركان قيادة الجيش الاسرائيلي . قال كلمات واضحة : الان نسقت مع قيادة الجيش اللبناني موضوع الدخول الى بيروت الغربية . سيكون دخول رجال الجيش اللبناني والكتائب منسقاً . هناك موافقة كاملة على هذا الامر . حتى الخامس عشر من تشرين الاول تكون بيروت مدينة مطهرة . نزيل من داخلها كل المخربين . نسيطر على المدينة . نطوف في كل الارجاء . ومن بعد لم تكون هناك مدينة شرقية ومدينة غربية ولاتفرق بينهما اية حواجز . نجمع كل السلاح من كل المخازن . من كل الاماكن الخفية . نصفي كل القيادات وحتى الخامس عشر من تشرين الاول نكون قد نفذنا كل ذلك .

قلت لبشير اكملنا واجبنا . حربنا قد انتهت . سنبقى هنا بكل جانب . نقدم لكم العون . نستخدم وسائل لكشف مخربين ومخازن سلاح . نتعقب التطورات . لكن لاندخل بيروت الغربية . عليكم الآن استخدام الميزات التي حققتها الحرب . لاتضيعوا الفرصة من السيطرة على بيروت وتشكيل حكومة مركزية تسيطر على دولتكم . هذه فرصة لاتعوض .

اومأ بشير برأسه ايماءة حاسمة . تحدثنا عن تسويات مختلفة في جنوب لبنان . وكان

افتراضنا السابق ان تتحمل الكتائب مسؤولية السيطرة على كل مكان في الدولة بما في ذلك جنوب لبنان . وقد بين لنا بشير اخطاءنا : سيكون في لبنان حكم شرعي . يحافظ على ان يكون كل نشاط باسم الحكم الشرعي ومن قبله . وينبغي على الكتائب ان يكون من نطاق الحكم الشرعي ، وان يعمل طبقا لقرارات هذا الحكم . حتى لايعتقد انه كرئيس يوافق على استخدام جيوش خاصة فقد كان لبشير خطط بعيدة المدى .

وتحدثنا في آخر مرة كما كنا نتحدث في كل المرات عن مستقبل العلاقات بين اسرائيل ولبنان . وقال بشير كما قال في كل حديث : انفصلنا عن العالم العربي . لقد قطع الطريق . لانستطيع العودة . وانتم الوحيدون الذين نستطيع ان نقيم معهم علاقات متينة .

وهناك من زعموا كذلك ، ان بشير لن يتمسك بكلامه . وكان عندي احساس ان رغباته جادة وحقيقية . لقد قتل ولا يمكن ان نعرف ابدا من منا صاحب التقدير الصحيح .

قال بشير عن القوات السورية في لبنان : هذا موضوع مفاوضات . انا مقبول في العالم الغربي . وامر الانسحاب السوري سيعالجه المستوى الاعلى من القيادة الامريكية . اننا سننجح .

مقتل بشير واحتلال بيروت

كانت الايام الواقعة بين لقائنا الاخير هذا ومقتل بشير هادئة . ولم يخطر ببال احد اننا سنضطر لتنفيذ الخطة العملياتية لاحتلال بيروت الغربية . لم يكن لهذا اي داع . على العكس من هذا : بدأنا في تسريح رجال . قلصنا قواتنا . اخرجنا وحدات للتدريب . كان هناك احساس كبير بالهدوء وبنهاية الحرب .

بدأت الدعايات تنتشر في يوم الثلاثاء ١٤ ايلول في الساعات الاولى بعد الظهر . وكانت الاخبار مجزأة . فتات كلام . تجمعت الصورة ببطء : روع انفجار كبير قيادة الكتائب في بيروت . هناك كثير من الجرحى . هناك قتلى . غير معروف عددهم . ومن الطبيعي ان يتجه القلق الاساس حول مصير بشير الجميل . كان هناك ماذا حدث له ؟ هل اصيب؟ زاد القلق بشكل كبير قبل الغروب . تقدير رجل الموساد الذي كان في منطقة الانفجار كان موثقا . انه رأى بأم عينيه يخرج من بين انقاض البناية التي ركعت وهو ينفض الغبار عن ملابسه . كان هذا خبرا مفرحا للغاية . وعلى الرغم من ان رجلا

لايستطيع ان يتكهن في هذا الوقت بالاحداث التي تحدث في اعقاب مقتل بشير كان هناك شعور عميق بالارتياح .

لكن وفي حوالي الثامنة مساءً دعاني وزير الدفاع الى مكتبه . هناك شك ان يكون تقرير رجل الموساد صحيحا . يحتمل ان يكون قد اخطأ التشخيص . ليس هناك ما يؤكد ان بشير نجا . وزير الدفاع قلق للغاية . طلب منا ان نرسل الى بيروت اطقم مساعدة لاخلاء الانقاض . ليست لدى اللبنانيين خبرة في معالجة مثل هذه الاوضاع البالغة الصعوبة . كما طلب منا ان نرسل للمنطقة اطقم اطباء لتقديم العون .

ساد التوتر مكتب وزير الدفاع . تبادلنا التقديرات حول مايحدث اذا اتضح ان بشير من بين القتلى . كنا متأكدين ان الوضع قابل للانقلاب رأسا على عقب ، وحتى لايكون هناك مناص من دخول جيش الدفاع الاسرائيلي لبيروت الغربية . ولم تكن لدينا اجابات لاسئلة حادة : من يقف وراء الانفجار؟ هل السوريين يد فيه؟ هل عمل السوريون بالتنسيق مع المخربين؟ هل الحادث لن يتكرر وان غرضه مجرد القتل ام انه خطوة اولى من سلسلة اعمال تهدف لاعادة المخربين الى بيروت؟

اليوم عرفنا ان السوريين كانوا وراء الانفجار . وليس من المستبعد انهم قصدوا احداث ضجة كبيرة في لبنان لتمهيد السبيل لعودة المخربين .

قدرت مع وزير الدفاع ان نضع جيش الدفاع الاسرائيلي في حالة استعداد لكل الاحتمالات ونراقب التطورات . وكان وزير الدفاع مقتنعاً الا نسمح هذه المرة للكتائب ان تتهرب من القيام بواجبها في العمل العسكري . قال لي وزير الدفاع «تضغط عليهم» ، «لاتتساهل معهم هذه المرة»وهو على حق كما هو مفهوم . ففي كل مرة من مراحل الحرب حاولنا اشراك الكتائب في المعارك والاعمال العسكرية المختلفة . وقد نجونا في عدد من المرات . فقد احتلوا الكلية (كولدج) في ريحان . وشاركوا في القتال في جمهور وكحلا . لكن في معظم الحالات ومعظم القطاعات ومعظم المعارك كانوا يتمتمون بمجموعة من حجج التهرب والتفلسف . وسألني الوزراء في الحكومة عدة مرات : لماذا لايقاتلون؟ كل شيٌ على جنودنا؟ اليس لهم اي شأن في هذه الحرب ومن نتائجها؟ اليست هذه حربهم؟ اليست هذه دولتهم؟ اوضحنا ما اوضحنا . وعرفنا ان وزراء الحكومة قد خاب رجاؤهم وقد ايقنوا ان الكتائب يصمتون فقط حتى جمع الثمار . حتى نحن رجال الجيش ذقنا طعم خيبة الرجاء . سافرت الى البلاد (اسرائيل) وكانت الساعة العاشرة مساءً . وحوالي منتصف الليل اخبرني شارون ان بشير قد قتل ، وان القرار هو احتلال بيروت الغربية ـ بالسرعة الممكنة . بينت له ان دخولنا يكون عند الضياء الاول . طلبت هليوكبتر . طرنا الى القيادة الشمالية . كان الجميع مستعدون

لدخول بيروت الغربية مع القوات التي تحت امرتهم . تنضم القوات التي تصل من اماكن بعيدة . وحددت ساعة الصفر في الخامسة من صباح الخميس . منعت استعمال المدفعية وسلاح الجو . حتى لانصيب المدنيين . امرت ان تكون طائرات في الجو ابتداءً من الضياء الاول . لايزال الخوف من قلب المخربين الذين ظلوا في المدينة ، وحتى نكون مستعدين لاي وضع .

بعد الموافقة على الخطة سافرت لاركان الكتائب في الكرنتينا . كانت الساعة الثانية قبل الفجر . وجدت مجموعة من القادة مذهولين حائرين حز انى بسبب مدت قائدهم وزعيمهم . وكان سكرتير بشير مغبرا وملطخا ببقع الدماء ، ولم يكن لديه وقت لتبديل ملابسه . اوضحت لهم . اننا نخشى بعد مقتل بشير الجميل اندلاع اعمال انتقام وعداوة كبيرة من بيروت وفي اماكن اخرى واننا نخشى ان يكون الانفجار ومقتل بشير هو اول عمل ضمن خطة شاملة من اجل اعادة السيطرة على بيروت . ولذلك فلا خيار امامنا الا ان نقوم بعمل لم يزد ان نقوم به حتى الآن ـ ان نحتل بيروت الغربية حتى نفشل مآرب المخربين والسوريين ونمنع سفك الدماء . وسألتهم عما اذا كانوا قادرين على تحمل عبء في القتال . وكان ردهم ذا مغزى واحد : «نعمل كل ماتريدون ان نعمل» . ولم استطع الا اتذكر نفس الموقف في اجاباتهم المتهربة في المرات السابقة . فكلما سألناهم عما اذا كانوا قادرين على الاشتراك في الحرب لتحقيق اهدافهم . كانوا يخذلوننا باجابات غامضة : انهم يدرسون الوضع عليهم ان يسألوا قياداتهم السياسية وهذه حجج نتائجها بوجه عام انهم لن يقاتلوا على اقل تقدير . اما الآن فقد اعربوا عن رغبة شديدة للقيام بواجبهم . وسألت متى تكون قواتهم جاهزة للعمل . فأجابوا خلال ٢٤ ساعة . قلت : «في هذه المرحلة وحتى قبل ان تكونوا جاهزين دخول عملية عسكرية واسعة افرضوا حصاراً كاملا في المناطق التي تسيطرون عليها . وسنفرض حصاراً مماثلاً في المناطق التي تدخلها قواتنا» .

في هذا الوقت كان الكتائب يسيطرون على جونيا وبيروت الشرقية ومناطق محددة في الجنوب . طلبت ان تعزز الحدود الشمالية وطريق الساحل شمالا باتجاه طرابلس حتى نعجل بامكانية حزبهم من جانب السوريون . والامر الثالث الذي طلبته من قادة الكتائب : الاعداد لاحتلال مخيمات الفلسطينيين بالتنسيق الكامل مع القيادة الشمالية وان يكونوا مستعدين لدخول صابرا وشاتيلا والفكهاني . ولم تكن هذه المخيمات ضمن خططنا في اية مرة ولم يكن في حسابنا ابدا ان ندخل الى قلبها . وكان جواب قادة الكتائب على هذا الطلب او المقترح بالايجاب والوضوح وقالوا واخبرونا ان «غدا وفي مساء يوم الخميس نكون مستعدين كما اقترحتم» .

وعدت الى قيادة قواتنا في بيروت من مقابلة الكتائب حيث قضيت اليوم كله والليل حتى صباح الخميس .

بدأ احتلال بيروت في الموعد المحدد وهو الضياء الاول ليوم الاربعاء الخامس عشر من ايلول . ووفقا للخطة دخلت القوات التي كانت جاهزة في المنطقة اولا وفي المراحل المتأخرة وصلت قوات كبيرة من اسرائيل وكانت هذه عملية رشيدة كبرى . نقل الجنود والعتاد جوا بالطائرات والهيلوكبترات كما نقلتهم السفن ـ انها عملية لاسابقة لها في حجمها . المقاومة ليست كبيرة . فقط سقط في كل عملية احتلال بيروت الغربية ثمانية جنود ، اثنان سقطا برمي قرب شاتلا حيث عبرت احدى القوات . ثلاثة قتلوا في ظروف غير واضحة حتى الآن : في انقلاب دبابة ومغادرة طاقمها لها ، وجد ثلاثتهم قتلى الى جانب الدبابة . ولم يبق منهم احد على قيد الحياة لمعرفة ما اذا كان المخربون هم الذين قتلوهم . وثلاثة جنود قتلوا في المعارك في بيروت .

في يوم الخميس صباحاً كانت بيروت الغربية في ايدينا . وفي السابعة صباحاً غادرت المكان . اكتفيت برؤية مقاتلي الكتائب مستعدين في المطار ، وهم على استعداد لدخول صبرا وشاتيلا . لم اتحدث مع اي من قادتهم . اعطاني المقاتلون انطباعا طيبا ومقبولا . كانت الروح المعنوية عالية . اخذت انطباعا بأنهم يبدون ويتصرفون كوحدات الجيوش النظامية . لم احسن باحتمال ان تتسم تصرفاتهم بالشغب في مخيمات اللاجئين . وفي المرات القليلة التي تحملوا فيها اعباء قتالية تصرفوا بكياسة وحافظوا على عموميات القتال المعروفة . ولم يخطر ببالي ان يتصرفوا هذه المرة بصورة مختلفة .

وصل وزير الدفاع الى لبنان في يوم الخميس للمشاركة في جنازة بشير ولتقديم التعازي للحزانى . وقد التقى بأركان الكتائب ومع الزعماء القدامى للمسيحين ، كميل شمعون وبير الجميل ـ ابي بشير وامين . لم اشارك في المقابلات ولم اكن متعمد التغيب . وكفل جيش الدفاع الاسرائيلي دفاعا جويا لجنازة بشير مخافة ان ينكل السوريون والمخربون بالرجال الكثيرين الذين جاءوا للاشتراك فيها .

سافرت قبل مساء الخميس الى القدس للاشتراك في جلسة الحكومة التي اجتمعت في السابعة . وكانت تقاريرنا للوزارة انه وفقا للتنسيق مع القيادة الشمالية ستدخل الكتائب للمخيمات في الثامنة مساءً . وفعلا خلال جلسة الحكومة بدأ الكتائب يدخلون للمخيمات . ولم يتم الاعراب في الحكومة عن معارضة لهذا العمل الوزير دفير ليفي اندهش من غريزة الثأر لدى رجال الكتائب . قلت انه حسب انطباعي فقد عبر الكتائب عن اقتناعهم بأنهم يقاتلون شيئاً فشيئاً . وحسب التجارب السابقة فانهم يتصرفون وفق صيغة متبعة في جيش نظامي .

قلت في نفس جلسة الحكومة «اني رأيت السكاكين الطويلة ورأيت اللهفة على الثأر في عيونهم» . سارع المعلقون بعد احداث صبرا وشاتيلا ينسبون الى اتجاهات كما لو قلت في الحكومة ان الكتائب مغرمين بنزعات الثأر ، وسوف يعبرون عنها من صبرا وشاتيلا . وكما هو الحال في تعليقات اخرى فان هذا التعليق زائف ومشوه لانه لايقوم على اية حقيقة . ففي جلسة الحكومة اوضحت لماذا اصدرنا اوامرنا لجيش الدفاع الاسرائيلي لدخول بيروت الغربية من خلال الرغبة في منع فوضى عامة وسفك دماء بعد مقتل بشير . وكنت اشك كثيراً في اننا اذا لم نسيطر على الساحة ، فان بيروت ومدن اخرى ستكون ساحة دماء لاعمال الثأر التي تبادر بها جماعات اخرى ستكون لنا سيطرة عليها . ولم اقصد بكلامي الكتائب الداخلين الى صبرا وشاتيلا . فقد دخل هناك كيان عسكري منظم بقيادته . ويجلس عندنا ضابط اتصال له ويجلس ضابط اتصالنا عندهم في القيادة . وانني اعتبر ان هذا امراً مختلف تماماً . ولقد كانت لنا في الماضي تجارب ايجابية مع هذه القوة . وفي مناسبات مختلفة كررنا الطلب ان يتصرفوا وفقا للمبادئ العسكرية المتبعة . ولم يكن لدي اي احساس ان يتصرفوا خلافا لذلك في صبرا وشاتيلا . وقبل ان ندخل المخيمات قدم لنا الكتائبيون سلسلة مطالب لمعاونتهم : ارادوا مدفعية ، دبابات ودعما جويا ولم نستجب لاي منها . وافقنا فقط ان نساعدهم في الاضاءة باعتبار ان العملية بدأت تنفذ في ساعات الليل . زودناهم بقذائف هاون مضيئة . واوضحنا لهم بأننا لن نستعمل المدفعية ولا سلاح الجو في احتلال بيروت الغربية حتى نحول دون وقوع ضحايا من السكان المدنيين ، وان التحديدات التي فرضناها على انفسنا تفرض هي الاخرى عليهم .

صبرا وشاتيلا

عقب انتهاء اجتماع الحكومة عدت الى تل ابيب وفي اليوم التالي عشية رأس السنة وضعت الحرب اوزارها في بيروت . حيث اضحت المدينة كلها بأيدينا . وعند الظهر تلقيت مكالمة هاتفية من قائد قيادة الشمال بشأن وقف نشاط الكتائب في مخيمات صبرا وشاتيلا لانه «يبدو له انهم يتمادون» . سألته : ماذا يعني يتمادون؟ وفي اي شيء يتمادون؟ اضاف القائد قائلاً : «انهم يطهرون منازل دون اخراج المدنيين من داخلها ويطلقون النار على الناس هنا وهناك» وابلغني القائد بضرورة الحضور الفوري لقيادة الشمال . اقلقتني دعوته جداً . وقعت في حيرة منذ ساعات الصباح الاولى فيما اذا كنت سأتوجه الى الشمال . تحدثت مع الرجال في هيئة القيادة واخبروني بعدم الحاجة الى الذهاب .

فكل شيٌ يسير على مايرام . وبعد ان ابلغني قائد القيادة نقلت مضمون كلامه فوراً الى وزير الدفاع وتوجهت الى الشمال . وفي بيروت التقيت بالعميد «انير» الذي كرر ما ابلغه لي في الهاتف . ولم يتضمن كلامه تفاصيل جديدة . وتوجهت الى قيادة الكتائب . وكانت الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر . وكان كافة اعضاء القيادة في انتظاري . قالوا لي: «كل شيٌ على ما يرام . انهينا احتلال مخيمات صبرا وشاتيلا» . وتكبدوا هناك عدة قتلى . طلبوا مني ان نضع تحت تصرفاتهم جرارات لهدم الخنادق والمواقع المحصنة والمغارات في المخيمات . وسألتهم عن كميات السلاح وكيف تم اكتشاف اماكن القيادات . اجابوا بانهم سيجمعون كل الاسلحة وسيهدمون كل القيادات . كما سألت عن كيفية ادارة المعارك وماهية المشاكل التي اعترضت سيرها . واجابوا : «كل شيٌ مائة في المائة» . وافترضت انهم لم يعلموا في نفس الوقت بالاحداث المؤسفة التي قدم لي بشأنها قائد القيادة تقريراً . لم يشترك في محادثاتنا جنود كان رجال القيادة فقط .

وافقت على وضع عدة جرارات تحت تصرف الكتائب لغرض هدم المواقع المحصنة والملاجئ غير ان رجالنا اعتقدوا ان هذا غير ضروري حتى لايتهموننا بتدمير المخيمات . اصدرت تعليماتي باعطاء الكتائب جراراً واحداً وبدون عامل تشغيل حيث يقوم الكتائب بتشغيله بأنفسهم . واتضح بعد ذلك بأنه لم يكن لديهم من يشغل الجرار وعليه لم يتمكنوا من استخدامه . وعدت ليلاً الى اسرائيل لم اتمكن بعد كل المباحثات واللقاءات والشروح ان ارسم لنفسي صورة واضحة عن الاحداث كما انجلت في المرحلة الاخيرة . واكد لي قائد قيادة الشمال مرة اخرى انه اوقف نشاط الكتائب في المخيمات .

في صباح يوم السبت اتصل بي رئيس الوزراء هاتفياً قائلاً الامريكان يشتكون بأن رجال الكتائب دمروا مستشفى «غزة» في غرب بيروت ماذا حدث هناك؟ . اكدت له انني سأتقصى الامر . وبعد تقصي الامر اتصلت برئيس الوزراء واخبرته بأنه لم يحدث مثل هذا الامر وليس هناك ادنى صدق في اقوال الامريكان . ولم يستفسر رئيس الوزراء في ذلك الصباح عن اي شيٌ سوى عن مسألة مستشفى «غزة» ولم نتحدث عن اي شيٌ آخر .

وفي يوم السبت بدأ جمع المعلومات بشأن الاحداث المؤسفة في مخيمات صبرا وشاتيلا . اتصل بي وزير الدفاع بعد الظهر هاتفياً قال : لقد اتفقت مع رئيس الوزراء بأن تتجه صباح غدا الى بيروت وتجتمع بالصحفيين لكي توضح ان جيش الدفاع الاسرائيلي لم يكن له اي علاقة بالاحداث في مخيمات اللاجئين» قلت لشارون : «لماذا انا ؟ لااريد ان اتناقش ولكنني فهمت في نفس اللحظة بصورة قاطعة ان رئيس الوزراء ووزير الدفاع يلقيان بهذا المهمة على كاهلي : ان اخرج واشرح . قال شارون : المهمة الاكثر خطورة

بالنسبة لنا في هذه اللحظة هو ان نزيل كل اتهام موجه الينا . لقد بدأوا يفترون علينا . ويوجهون الينا الاتهام في كل ما حدث . انهم يقولون ان جنودنا ساهموا ونفذوا المجزرة بالاشتراك مع الكتائب . من الضروري ان ندحض هذا الاتهام بكل قوة وحسم» .

وفي صباح يوم الاحد ظهرت في المؤتمر الصحفي في بيروت حيث سألني الصحفيون عن اذا كان جيش الدفاع الاسرائيلي يعلم بدخول مقاتلي الكتائب المخيمات . كما سألوني عن الجهة التي دخلت منها الكتائب . قلت يمكنهم الدخول من الشرق وعندئذ فإن جنود جيش الدفاع الاسرائيلي لايستطيعون رؤيتهم عند الدخول . انهم دخلوا اما من الشرق او من الجنوب . وكان لبعض الصحفيين دليل لايحتاج الى شرح : حيث تمكنوا من زيارة المخيمات ورأوا بأم اعينهم ماحدث هناك . انا لم اكن في المخيمات ولم اكن على علم بالتفاصيل . وفي ظهر السبت عندما تسربت الاشاعات حول ما حدث دخل قائد جماعة تابع لنا مع جندي وعامل اشارات لمخيم صبرا قالوا : انه يحدث هناك ذعر انه كان في مركز المخيم . اهتم وبحث فيما حدث . قالوا له : كيف نحن انهينا تطهير المخيم من المخربين حيث قدر انه لايوجد اساس للشائعات حول وجود ذكر والمحال مؤسفة ولم يكن لدي صورة واضحة اثناء حديثي مع الصحفيين . عرفت شيئاً واحداً فقط بكل تأكيد . ان جنودنا لم يشتركوا بأي صورة في الاحداث التي وقعت . عرفت انه مهما حدث من احداث ـ فإن رجال الكتائب نفذوا الاعمال . وتمسكت بهدف واحد : ان نبرأ جيش الدفاع الاسرائيلي من كل اتهام .

وكانت اسئلة كثيرة على شفاه الصحفيين وكانت اجاباتي مقتضبة وجزئية لم اعرف الكثير سخر مني احد الصحفيين قائلاً : كيف رئيس هيئة الامريكان لايعرف ماحدث؟! حقيقة رئيس هيئة الاركان لايعرف . وكان حوارا غير مريح . لن نتوقع من رئيس هيئة الاركان الذي يضطر ان يكرر لمرات عديدة كلمات : «انا لااعرف» ان يثير الثقة في قلب السامعين .

خرجت من اللقاء مع الصحفيين بقلب قاسي على هيئة الكتائب . جمعت القيادات وقادتها . واعترف بالهجة القاسية التي كانت تقلق حديثي . كانت بالتأكيد لهجة ملحة في الطلب : وقعت احداث صبرا وشاتيلا . رجالكم نفذوها . يجب ان تكونوا ـ على الاقل ـ شجعانا تعلنوا فوراً وعلى الملأ انكم نفذتم اجابوا : حسنا حسنا هذا بفيض . ولكننا انه امر مكوه وكان هذا هو الختام . اكد رجلهم السياسي : «انا اعلم» . انهم لم يعرفوا شيئاً . لافي هذه المرحلة ولافي اي مرحلة اخرى . لم يكن لهم القوة ولم يروا في الاعمال اي شيءٌ خاص . مايتعلق بنمط الحياة السائد في لبنان فإن المسيحيين يذبحون المسلمين والمسلمين يذبحون المسيحيين فلا تشكل محاكم تحقيق ولا يوجهون الاتهامات

من اجل المنصب . في اسرائيل هاجت النفوس واشتعل الضمير . جيش الدفاع الاسرائيلي عنده علم . انه يشترك رأينا الدم الجاري في المخيمات وصمتنا اشخاص متمرسون نفخوا النار الغريبة . زودت النار الاسرائيلية النار في العالم . ومن المتفق عليه في افتراء اليهود اي الامة انه حتى اذا لم يكن عدو اسرائيل واضحا فانه لن يكون اكثر اعتدالاً من اليهود اعداء انفسهم . وبعد جهد وفي مرحلة متقدمة عينت ضابطا برتبة عميد لفحص ودراسة الاحداث . قام الضابط ـ وهو من اكثر المخلصين والثقاة في جيش الدفاع الاسرائيلي ـ بالفحص والبحث وقدم لي اضبارة مكتظة بالنتائج وكانت النتيجة الاولى التي تم استخلاصها من بحث وتدبير الضابط انه كان يجب ان يوضع في الاعتبار احتمالات حدوث مذبحة قبل السماح للكتائب بالدخول الى مخيمات صبرا وشاتيلا . حيث نسبت نتائجها الفعلية الى الضابط الذي عرف ولم يعلق في حينها ـ والى جماعة جيش الدفاع الاسرائيلي التي رأت ماحدث ولم تبلغ فوراً الرتب العالية . وقد تطابقت النتائج الضابط ـ او على الاقل تشابهت ـ مع نتائج لجنة التحقيق الحكومية لجنة كاهان . وعندما صدر القرار لتشكيل لجنة التحقيق الحكومية لم ار سبباً لنشر نتائج تحقيق الضابط الباحث او لبحث نتائجه الفعلية . ومنذ ان اصبح البحث والتحقيق بأيدي لجنة حكومية وجب انتظار النتائج . وتم تبليغ تقرير الضابط للجنة التحقيق الحكومية .

جابه رئيس الوزراء ضغوطاً ثقيلة من الداخل والخارج لتشكيل لجنة تحقيق . سألني السيد بيغن عن رأي بشأن تشكيل لجنة تحقيق حكومية . وكانت اجابتي : «سيدي رئيس الوزراء هذه مشكلتك . وليس عند الجيش مايخفيه . ماتقرر يقبله الجيش مقدماً» .

واجه رئيس الوزراء مصاعب كما واجه ضغطاً اكثر شدة داخل الحكومة خاصة من قبل (زبولون همر) وزير التعليم . كما اثرت عليه مظاهرة الجماهير التي اندلعت في ميدان «ملخي يسرائيل» في تل ابيب . حيث اثرت بشكل فعال على مواقف وزراء في الحكومة وهم الذين عززوا ضغطهم على رئيس الحكومة .

دعاني السيد بيغن الى حديث في بيته بالقدس . وكانت ساعة مساء . وهو آخر حديث لنا قبل قراره بتشكيل لجنة تحقيق . عاد وسألني عن رأيي ، وجدته يعاني من الحيرة . قلت له مرة اخرى : «ليس عند الجيش مايخفيه . انا لن اقول لك الا تقيم لجنة تحقيق . هذه قضية تخصك .

لم اعرف ماذا توقع رئيس الوزراء ان يسمع مني . لست ادري ماذا اراد ان يسمع انني معترض على لجنة تحقيق . لست ادري ماذا كان سيقرر لو اعترضت . وربما كان قد قرر ولايريد سوى ان يسمع تأييداً لقراره . قلت لرئيس الوزراء : «رأيت الضغوط عليك . رأيت المظاهرات . اعرف ماذا يطلب منك وزراء بالحكومة . فالتفعل وفق مايمليه تفكيرك ان من الضروري عمله» .

امعن رئيس الوزراء النظر الي لدقائق طويلة وقال : «لامفر . لامفر . سوف اشكل لجنة تحقيق . استطعت ان الاحظ على وجه رئيس الوزراء ماخفف عنه . لم يخبرني . انما شعرت ان السيد بيغن وثق تماماً وباقتناع داخلي عميق ان اللجنة ستكشف ان دولة اسرائيل لم تكن مذنبة وجيش الدفاع الاسرائيلي ليس مذنباً في احداث صبرا وشاتيلا . ومن المعروف ان الحديث تحول الى نهاية اخرى .

وكنت شخصياً غير مبال عندما علمت ان رئيس الوزراء قرر تشكيل اللجنة . لم افكر مطلقاً ان تضر اي شخص من الاسرائيليين نتيجة للتحقيق ونتائجه . لم يكن لدى اي احساس بالراحة او المعاناة كنتيجة لقرار تشكيل اللجنة . لم اخش من اقاويلها ولم اخف من نتائجها . علمت انه كان هناك مجزرة في صبرا وشاتيلا . عرفت ان الذي نفذها هم رجال الكتائب . كنت واثقاً ان جيش الدفاع الاسرائيلي واسرائيل براء من اي اتهام الى هذا الحد كنت واثقاً بانه لن يصيبني ضرر من نتائج اللجنة . ولم افترض انه يجب الاستعداد للادلاء بشهادتي امام اللجنة او الاستعانة بمستشار قانوني . اعتقدت : انني سأمتثل امام اللجنة وأروي الحقيقة . وهذا سيكفي . نبهني المدعي العام العسكري الى خطئي : «من المستحيل الا يعين من اجلك قانوني متضلع في القانون يعرف كيف يجمع المادة ويعد الاعمال المهمة» . تلقيت الامر بدون حرص . حيث عين ضابط قانوني برتبة مقدم ومعه هيئة مستشارين صغيرة لغرض جمع المادة والتهيئة لغرض الادلاء بشهادتي امام اللجنة . وقد اعتمدت في جزء من شهادتي التي ادليت بها امام اعضاء اللجنة على ذاكرتي وفي جزء آخر على وثائق كانت تحت يدي . ابلغت كافة الرتب في جيش الدفاع الاسرائيلي ان يضعوا تحت تصرف اللجنة والمحققين وجامعي المادة كل مايطلبوه دون استثناء . وحتى بعد ان نشرت اللجنة ـ وفق نص القانون ـ انذاراً لكل من يتضرر من نتائجها وكان اسمي ضمن القائمة ـ بقيت غير مبال مطلقاً . فليس هناك مايخيفني او يسبب لي قلقاً .

مقابل ذلك لم يكن شارون وزير الدفاع مكترثاً . فقد طلب مني ان اذكر ماقلته له مساء يوم الجمعة وهو اليوم الثاني من عملية الكتائب في صبرا وشاتيلا . اراد ان ادلي امام اللجنة انه في مساء يوم الجمعة قدمت له تقريراً «بانه يوجد قتلى كثيرون في المخيمات وانه يوجد هناك مذبحة» . بموجب تعليماته كان مهماً جداً بالنسبة له ان اقول هكذا في شهادتي امام اللجنة . غير انني لم استطع ان انفذ طلب شارون . لايمكن مطلقاً ان اذكر انني قلت هذه الكلمات . وحيث انني لم اقل هذه الكلمات فاه في استطاعتي ان اشهد فقط على ماقلته فعلاً لشارون في تلك الليلة «انهم يبالغون» كما جاء في التقرير لي قائد قيادة الشمال .

لانني لم اخشى من تشكيل اللجنة لم اتأثر في شهادتي امامهم ولم اخرج عن حدودي عند نشر نتائجها . ورغم كل ماقالته اللجنة علي شعرت بذاتي تماماً وكان ضميري مرتاحاً . وقد مارست اللجنة اثناء مجريات الامور ضغطاً على من في الخارج والداخل . وكان لذلك تأثيره . يمكن ان يأتي يوم يقوم فيه شخص ما ببحث مافعلته اللجنة . لم يكن لي اي محصلة في ان الفق اقوالا عندما امتثلت امام اللجنة ولم اتظاهر . قلت الحقيقة . بعد تجربتي في الماضي مع الكتائب لم يكن عندي مصدر للخوف ولم يكن لدي سبب ماللخوف حذرناهم اكثر من مرة بان عليهم ان يعملوا وفق مقاييس عسكرية تقليدية . وبالاحرى عندما اشتركوا في معاركنا كنت واثقاً انهم لن ينحرفوا عن المألوف . وقبل ان تشرع الكتائب في عملها كانت لدينا تقارير كثيرة تؤكد بان المخيمات ـ خلت من سكانها نتيجة هول القصف حيث اتجه السكان داخل بيروت او لاماكن اخرى . وافقت الكتائب على الاشتراك في اماكن لم نكن نحن راغبين في ان يدخلوها . ان مصلحتنا القومية استوجبت ان يقاتل رجال الكتائب في مخيمات صبرا وشاتيلا . وسادت الحكومة ضجة واسعة عندما قدمنا تقريراً بان الكتائب وافقت على الدخول الى المخيمات . واخيراً قاتلوا .

ولانني قلت الحقيقة وكنت واثقاً فيها . لم اتأثر بنتائج اللجنة . وليس عندي ـ ولم يكن لدى ـ نية الاختباء وراء شخص ما انني اعترف بالاخطاء عندما اخطا . ولم اطلب مرة واحدة بل لم اتطلع لان يربتوا على كتفي من اجل الانتصارات والانجازات . لو تنبأت من البداية احتمال ان تنهج الكتائب في المخيمات مانهجته ولو سمحت لهم بالدخول ـ لتحملت الاتهام واعترفت به . لو استطعت التنبأ بمثل هذا الاحتمال ـ ولم اكن عرافاً ـ لكان الاتهام ضدي . غير ان هذا الاحتمال لم يكن وارداً .

كما ان جزءاً من النتائج الاخرى للجنة والتي لم تتعلق بي شخصياً بدت في نظري غير صادقة . تسببت اللجنة في الحاق الاذى برئيس شعبة الاستخبارات العميد (يهوشع

سجيا) . وتصرفاً غير مقبول . ان الموساد وليس شعبة الاستخبارات هي التي اجرت الاتصالات الاساسية الاصلية المستمرة واليومية مع الكتائب . كان «الموساد» متمرساً على الاتصالات مع الكتائب وليست شعبة الاستخبارات . وخرج «الموساد» نظيفاً من امام اللجنة . وخرج رئيس الموساد الجديد ـ الذي تولى منصبه قبل ايام من الاحداث التي وقعت في صبرا وشاتيلا ـ بريئاً من كل اتهام مثل سابقه رئيس الموساد السابق .

لايمكنني الجزم فيما اذا تصرفوا مع وزير الدفاع بقسوة بالغة ام لا . ولكن يمكن ان اقول في كل خطوة من خطوات الجيش . وكل مسلك من مسالك الحرب . لم ينفذ الجيش اي خطوة في تلك الحرب دون علم الحكومة بها بصورة كاملة . ان وزير الدفاع هو الرابط الموصل والجيش لكن المسؤولية وقعت على الحكومة وعلى كافة وزرائها . كما لا يوجد وزير واحد يتحمل مسؤولية اكثر من رفاقه او اقل منهم . تلك هي المهام الحقيقية للمسؤوليات الجماعية لوزراء الحكومة . اذا فكر مليا وزراء الحكومة ـ وهو ايضاً نائب لرئيس الوزراء ـ اثناء جلسة الحكومة التي عقدت مساء يوم الخميس عما سيكون عليه الامر اذا عبرت الكتائب في عملياتها عن غريزة الانتقام ـ مادعمته اللجنة يمثل امامها وما سألته : انت توقعت من البداية . احتمالا وآخرون لم يتوقعوا (وبناء على ذلك وقعت اللجنة على عقابهم) ـ فلماذا لم تطلب في جلسة الحكومة ان يتوقف دخول الكتائب فوراً وخلال المرحلة الاولى من عملياتها ؟ .

وعندما سمع وزير الاعلام على لسان صحفي ان احداثاً خطيرة تندلع في المخيمات ، اتصل هاتفاً بوزير الخارجية ليبلغه بالحديث الذي سمع حيث لم يعره وزير الخارجية الااذنا صماء ـ هل انتهت مسؤولية وزير الاعلام ؟ الم يكن له قنوات اخرى ؟ الا يستطيع ان يرفع سماعة تلفونه الى رئيس هيئة الاركان العامة او الى رئيس الحكومة ؟ لماذا لم تسأل اللجنة وزير الاعلام : ان وزير الخارجية يتعامل مع كلامك باستخفاف ـ لماذا لم تنذر جهات اخرى ؟ الست وزيراً في الحكومة ؟!

لماذا استحق وزير الخارجية في رده بوزير الاعلام ؟ لماذا لم يبلغ رئيس الوزراء ؟

من الصعب ان نحدد الضرر الذي لحق بجيش الدفاع الاسرائيلي من جراء نتائج لجنة كاهان . وتؤكد التجربة انه عندما تلحق مثل هذه التهمة برجال الجيش وينتهي الحكم ـ سيكون لذلك آثار متراكمة ومستمرة في الميادين والمصالح من الصعب توقعها من قبل . عندما يلتقي المشاغبون في يهودا والسامرة الحجارة على جنود جيش الدفاع الاسرائيلي ، يتردد الجنود فيما اذا كان مسموح لهم بالرد . انهم يخشون ان يصادفوا حالات تستوجب منهم الامتثال امام المحكمة او امام لجان للمشاكل . ان المشاغبين ومن يساندهم يستمدون الشجاعة من هذا الضعف الذي يعكسه جنود جيش الدفاع

الاسرائيلي . وفي حالات حرب ومعارك من شأن هذا الوضع السلبي ان يؤدي الى اضرار وعوائق . ان احساس المقاتلين هو انه طالما تثار مشاكل وينال جيش الدفاع الاسرائيلي العقاب . وتمكن داخله اخطار بعيدة المدى . ان انحراف القيادة السياسية لابعاد نفسها عن المسؤولية ولصق التهمة بالقيادة العسكرية ادت الى نتيجة متطرفة بعد حرب يوم الغفران . عندما تحدث (مناحم بيغن) رئيس الوزراء مع بداية الحرب في لبنان قائلاً : «افقنا من جرح حرب يوم الغفران» . ربما كان التوجه نحو ذلك اي الاتفرض القيادة السياسية مرة ثانية المسؤولية على القيادة العسكرية فقط . وقد تكرر الخطر في مثل تلك التجربة بصورة اكثر خطورة : استطاع قادة الجيش التمسك ـ مراراً ـ بالحالة العقلية التي لايمكن ان نبالغ في خطورتها : انه اذا القيت المسؤولية كاملة على كاهلهم فمن الاجدر ان يتمتعوا هم أنفسهم ايضاً بالصلاحية . ان محاولة الفصل بين الصلاحية والمسؤولية بالصيغة الفريدة ، التي تقرر ان الصلاحية تكمن دائماً في ايدي القيادة السياسية ، ولكن المسؤولية تلقى على القيادة العسكرية من شأنها ان تصر بثقة الحكم الديمقراطي وتقوض نظمه .

بقي مناحيم بيغن رئيس الوزراء منطقياً في موقفه طوال الوقت ولم يحد عنه في الايام التي واجه فيها المصاعب بشأن تشكيل لجنة التحقيق ، سألني في مناسبات عديدة عن وجهة نظري . وقد صاغ حينذاك تعبيراً «كلنا معاً» اي : ان المسؤولية مشتركة وليس هناك فصل بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية . وقد استخدم رئيس الحكومة هذا التعبير بقوة قبل تشكيل اللجنة واثناء مناقشتها وبعد ان قدمت نتائجها . كلنا معاً . لم يكن لمناحيم بيغن بكل تأكيد هدف التنصل من المسؤولية والصاقها بالجيش .

بناء على هذا اجتمعت الحكومة في جلسة هماسة للنظر في اقوال شارون . وقد تأخرت شارون في الوصول . ان الاشاعة التي تؤكد ان الوزراء يميلون الى ان يؤكدوا للجيش ان شارون سوف يلقي المسؤولية على عاتقه قد وصلت على مايبدو الى مسامعه .

وخابت توقعات الوزراء . ورجحت الكفة حيث تحملت الحكومة كل النتائج دون تمييز وكان الامر الذي يتعلق بشارون هو اقالته من مهمته ، ولكن دون ان يلق المسؤولية على عاتقه . وكانت جلسة عاصفة . وعندما تحدث ضباط الجيش ذرف وزير الداخلية الدمع . وسيطر الانفعال على وزراء آخرين . قلت للحكومة : قضيتكم هو ما اذا كنتم تتحملون النتائج ام لا . استدعيت ثلاثة ضباط وقائد قيادة الشمال ورئيس الاستخبارات وقائد التشكيل . اتضرر قائد التشكيل من النتائج بصورة بالغة . وكذلك رئيس شعبة الاستخبارات . هاهو الجيش طرف امامكم . لن نسألكم فيما اذا كنتم تقبلون التوصيات ام لا . تعاملت اللجنة مع شريحة صغيرة واحدة من مجموعة الاحداث

في الحرب . انها لم تمس اي شيءٍ آخر . انني اطالب ان اسمع الحكومة اقوال الضباط .

دافع قائد قيادة الشمال عن قائد التشكيل ودافع رئيس شعبة الاستخبارات (شجياً) عن نفسه . كما دافع قائد التشكيل عن نفسه وعن الجيش . وخرج الضباط وبقيت انا في الجلسة عبر الوزراء عن انفسهم حزنهم العميق نتيجة الظروف التي جعلتهم يضطرون الى قبول نتائج لجنة كاهان . رغم مااصاب جيش الدفاع الاسرائيلي . وساد جو مكفر على غرفة الاجتماع .

وقبل ان توافق الحكومة على النتائج دافع شارون عن حياة السياسيين . اعتقد شارون انه غير مسموح للحكومة ان تتحمل النتائج ـ وزعم ان الحكومة بذلك تكون قد فرضت تكتماً خطيراً على دولة اسرائيل . وصاح قائلاً ان الاسرائيلي لايجب ان يعاقب أن المسيحيين ذبحوا المسلمين في عملية عادية من نمط الحياة لبنان . وحزر قائلاً ان اي اتهام يلحق باسرائيل وبالجيش من الصعب محوه .

وقال وزير الدفاع في جلسة الاركان العامة انه يجب ان نعترض على النتائج . انه لم يتحدث عن جبهة مشتركة للاعتراض بينه وبين الضباط ولم يكن في حديثه نغمة تمرد . انه لم ينفذ اي اسلوب للاعتراض او اي خطوة تجبر الحكومة على رفض النتائج .

ايد كثير في اسرائيل تشكيل لجنة مستقلة يقوم التحقيق فيها ولنتائج المرتبطة به على عدم المحاباة . انني لم اتعد الاستنتاج . يوجد في العالم يهود واصدقاء سيعجبهم ـ بهذا العمل الحر وما يعقبه من اقالة وزير الدفاع وضباط كبار من مناصبهم ـ اسرائيل الديمقراطية ويحسن من صورتها الاخلاقية . ودائماً سيوجد الرجال الذين يتوقعون ان تختلف اسرائيل عن كل العالم وستتصرف بعدالة تامة .

سمعنا ايضاً اصواتاً اخرى يعضها جادة وبعضها مخلصة ، وليست دائماً من افواه الاعداء : انتم اغبياء . انكم تستعجلون القاء التهمة على انفسهم علماً بانه ايديكم لم تسفك قطرة دم واحدة القتلة يجلسون ويضحكون وانتم تلتقون على موائد الاتهامات وتصدرون احكامكم ، على كل مواطن في العالم ان يثني عليكم وعلى ديمقراطيتكم واخلاقكم العالية . سيفرك عشرة وربما مائة ايديهم ابتهاجاً ويدعونكم قتلة بغياب المضمون الحقيقي تحقيقات اللجنة ونتائجها . انكم تستحقون السخرية وليس التقدير .

وتقديري من خلال هذه الضجة العاصفة من الكلمات والتقديرات والتفسيرات من كافة الاتجاهات : ان اللجنة لن تمدح اسرائيل لولا قيامها ماوصلت العلاقة بيننا الى هذه المرحلة السيئة ، كان يمكن اكتشاف الحقيقة دون لجنة ايضاً . والحقيقة هو ان اسرائيل ليست متهمة مطلقاً في احداث صبرا وشاتيلا .

تضرر مناحيم بيغن رئيس الوزراء من النتائج الى حد كبير . واعتقد انه من المستحيل ان يحدث مثل هذا الاسلوب بشأن مصير شخص واحد في القيادة .

سينفذ جيش الدفاع الاسرائيلي نتائج اللجنة دون اعتراض . من البديهي ان يستقبل رئيس شعبة الاستخبارات من منصبه كما حكمت اللجنة اجرى ففي عدة محادثات عن الاحتمالات المختلفة لمواصلة خدمته العسكرية . تشدد (شجيا) في اتخاذ القرار وقلت له . «لاتحترق . يمكنك مواصلة مهامك كرئيس لشعبة الاستخبارات فترة معينة فاللجنة لم تحدد بعد موعد استقالتك .

وفي غضون ذلك تقرر استقالتي من منصبي ومن جيش الدفاع الاسرائيلي . ومع استقالة شارون عين البروفيسور (موشيه ارنس) لشغل منصب وزير الدفاع . وجاء التعيين بالنسبة لي مفاجأة . لم يكن له اي اهتمام وبصدق يرسم لي السياسات المتعلقة الجديدة بفارغ الصبر . وكان لنا عدة لقاءات في هذا الموضوع . ان منصب رئيس هيئة الاركان العامة لايورث ولايجب على وزير الدفاع ان يعين رئيس هيئة الاركان العامة الجديد وفق توصية رئيس هيئة الاركان العامة المخلوع . اثق في القيادة العسكرية للعميد ابيجدور بن جال (يانوش) حيث اوصيت وزير الدفاع الجديد بتعينه كرئيس لهيئة الاركان العامة ولم يقبل (ارنس) توصيتي واقترح على الحكومة تعيين العميد (موشيه ليفي) . وقبل الاقتراح .

ان جيش الدفاع الاسرائيلي جيش ديمقراطي وربما «اعلى ديمقراطية» . واعتقد ان هذا امر جيد . اثناء حرب لبنان وبعده وفيما يتعلق بالعلاقات المباشرة في احداث صبرا وشاتيلا ، او مايتعلق بالعلاقات غير المباشرة ، اجتاز الخلافات القطاع المدني الى جيش الدفاع الاسرائيلي ولم يتخط القادر الكبير من الضابط . تحدثوا عن كل شيء . تناقشوا وحاولوا في كل شيء : عن اهداف الحرب وعن اقامة العلاقات بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية . عن مهام وزير الدفاع كاداة اتصال بين الحكومة والجيش . عن تبرءة السلاح . وبالطبع عن صبرا وشاتيلا . لايمكن ان اصف كل المناقشات والاشارات . فقد دارت كثير من المناقشات بعيدة عن مسامعي ولم تصل الي .

ساد توتر شديد في اجتماع القيادة الموسع والذي اشترك فيه وزير الدفاع (شارون) في ٢٨ سبتمبر / ايلول ١٩٨٢ . كان للاجتماع اهداف محددة : ان يزود الضباط بالمعلومات وان امكانية التعبير عن انفسهم بحرية بشأن صبرا وشاتيلا وفي موضوعات اخرى .

عقد اجتماع لقسم القوى البشرية في ١٩ يناير / كانون ثان ١٩٨٣ . وتركز محور الحديث الذي تناولته في هذا الاجتماع : الاهتمام بالمصابين والضحايا . مبدأ مقدس في جيش الدفاع الاسرائيلي . فلذلك تأثير من الدرجة الاولى على معنويات واحاسيس الجندي . يجب ان يعرف الجندي انه لن يترك في ميدان المعركة جريحاً بل سيتلقى

احسن علاج في الميدان . وينقل بعد فترة وجيزة الى المستشفى التي تعتبر من احدث المستشفيات في العالم . وهو يعرف ذلك . علينا ان نرصد لصنف الخدمات الطبية والحاضامية العسكرية كل الوسائل المطلوبة . وعندما نتحدث عن حرب مشروعة من جانبنا ، فان الاجهزة الطبية تستطيع ان تبذل الجهود في الاعداد للحالات المتوقعة وفق الخطة . ويختلف الوضع في الحروب الاخيرة كحرب يوم الغفران على سبيل المثال . لذلك يجب على تلك الاجهزة ان تكون جاهزة مسبقاً بشكل يمكنها من اداء مهمتها بصورة جيدة في ظروف الضغط وفي الحالات الغير متوقعة .

يعتبر رجل العلاج الاول الذي يهرع الى الجندي في ساحات القتال هو في اغلب الاحيان ـ المعتمد العسكري . ان المضمدين العسكريين يعملون تحت النار دون استثناء وهم في الحقيقة ضحاياها . ويختلف الوضع في الحروب بين جيوش اخرى : وفق ميثاق جنيف يرفع المضمد علم الصليب الاحمر . انه لايرفع سلاحاً ولايطلق النيران . في حروبنا مع العرب نحن بعيدون عن هذه الحالة يجب علينا ان نحلل انواع اصابات جنودنا : ماهي العلاقة بين نسبة المصابين اثناء النهار وبين نسبتهم اثناء الليل ؟ ماهي النسبة بين المصابين من القصف المدفعي وبين نسبة المصابين من انواع الاسلحة الاخرى ؟ قبل حرب لبنان كانت المدفعية التي يملكها العرب ـ بما في ذلك القطاع الشرقي ـ تسبب لنا تهديدات كنتيجة لحرب يوم الغفران وحرب الاستنزاف المختلفة . بينما في حرب لبنان سبب لنا السلاح المضاد للدبابات القصير المدى خسائر ـ فاقت القيمة التي قدرناها للتعامل معها في ميدان القتال . مع ذلك يجب الاهتمام بما اصيب من مقاتلين عندما يوضع داخل الية لها قاعدة حواجز .

الموضوع الثاني : الحالة النفسية للمقاتلين ومسؤولية القادة وقدرتهم على حل مشاكل بسيطة في هذا المجال في نفس المكان . اي رفض من شأنه ان يعقد المشاكل بعد ذلك . في هذا الموضوع كما في دروس الحرب الاخرى فنحن نتبنى التوصيات التي يتم الموافقة عليها في اعمال مقر القيادة ونقوم ببحثها وتجميع المعلومات وتنظيمها عن طريق دراسة في دورات وكذلك في اوامر وفي تمارين . وهنا كما في موضوعات اخرى نعرف الاهمية المتزايدة ـ واحيانا الحاسمة ـ لعلاقة القائد بجنوده . وهناك قادة ابعدتهم التطورات التكنولوجية عن مسؤوليتهم تجاه جنودهم . فاذا كان لعشر جنود جهاز اتصالا واحد فللقائد مكبر صوت صغير . هناك قادة يهتمون كثيراً بهذا . القائد يتحدث في مكبر الصوت والجنود يسمعون . غير ان تقارير الحرب تؤكد دون ادنى شك على اهمية التحدث الى المقاتلين وجهاً لوجه وبقدر الامكان الاستماع اليهم ضمن حدود القتال والوقت . ان تكنولوجيا الجهاز العسكري لايمكن ان تكون بديلاً عن العلاقات

الشخصية للقائد بمقاتليه والاهتمام بهم . ان العلاقة الشخصية والاهتمام المباشر هي مسؤولية القائد تجاه الشباب اليافع وتجاه اسرهم . ومن المؤسف ان كل قائد ـ غالباً في كل مكان ـ لايشعر بهذه المسؤولية العليا تجاه كل واحد من الرجال المسؤول عنهم والمرتبطين به جميعاً ـ على كل المستويات وبدون استثناء ـ يجب ان نكون واعين ويقظين لمسؤوليتنا تجاه قيادتنا واعتماد الجنود على القادة في كل المجالات .

وتحدث الكثير في هذه المعركة عن ظواهر صدمة القتال . بينما كان يوجد في الحرب الاولى ـ حرب التحرير ـ حوادث كثيرة جداً من حوادث صدمة القتال . ممن اشترك في تلك الحرب يذكر ان بعض الرجال هربوا من ساحة القتال والبعض منهم لم يرد الذهاب الى ساحة المعركة وبعضهم هرب من اسرائيل عندما سمع الطلقة الاولى وبعض الرجال اسر نتيجة الخوف الشديد بعد معركة او اثنين في البلماح (وانا اتحدث عن البلماح لانني لم احارب في حرب التحرير في اي وحدة اخرى) وفي الكتيبة الرابعة بالقدس كانت هناك سرية كاملة اطلق عليها «سرية الدجيم» ـ سرية المصابين بصدمة القتال ـ كانت من اكبر السرايا .

في حرب يوم الغفران وفي اعقابها لم يبحث ـ حسب اعتقادي ـ موضوع صدمة القتال بدرجة كافية . من عانى من صدمة القتال وكيف تؤثر صدمة القتال وكيف تؤثر صدمة القتال ـ بصورة مختلفة ـ على الافكار ، التصرفات ، التعبير عن النفس الاوامر والانضباط . اليوم نبحث الموضوع بصورة اساسية كي نعطي القادة ادوات طبيعية قيادة نموذج شخصي وشجاعة وخبرة مهنية . يجب ان نعلمهم ـ كل القادة صغاراً وكباراً ـ استخدام هذه الادوات بالشكل الامثل . تعتبر السرية في وحداتنا البرية ـ من وجه النظر تلك ـ ضمن النطاق الاكثر اهمية الاصرة الجماعية والقرب والعلاقات بين الرجال تعتبر عناصر حاسمة .

الحديث هنا عن الشجاعة . الحقيقة هو انه قبل المعركة جميعهم «شجعان» نعم جميعهم وخاصة اولئك الذين لايعرفون من تجاربهم ماهية حنكة القتال فالقتال بالنسبة لهم خبرة جديدة صعبة حيث المجهود والارهاب والتوتر الشديد والدم والقذارة . وعندما نسأل الجندي عن شعوره بعد القتال نلتقي بشخص صغير آخر : واقعي ، كئيب واقل شجاعة بصورة عامة . وتلك هي ساعة القائد . عليه ان يتحدث مع جنوده في الفرصة الاولى . يجب ان يعقد مقارنات بين حالتهم النفسية قبل المعركة وبعدها . ان الامال التي يمنحها القائد لجنوده لها اهمية عظيمة . وأثبت ان غياب المعرفة من شأنه ان يعرقل الجنود في اداء مهامهم . ان المحادثات والامال التي تميز جيش الدفاع الاسرائيلي تجعله يحظى بتفوق واضح . ففي الجيوش التي تعتبر اكثر عصرية مثل الجيش

الامريكي ـ لايتحدث القادة مع جنودهم كما يحدث عندنا . في هذه الجيوش لايخرج قائد الكتيبة للمعركة على رأس رجاله في تلك الحرب كان حوالي اربعين في المائة من المصابين من بين القادة . بينما وصل المصابون من القادة في حروب الجيش الامريكي ثلاثة في المائة . هذا هو الفرق . هذا هو مقياس لتعاون بين المقاتلين وقادتهم . هذا التعاون يجب ان يعبر عن نفسه ايضاً في حديث القائد مع جنوده يجب ان نعلق على ذلك اهمية عظيمة . حتى اذا لم يعلم القائد عن خطة الحرب ليوم او يومين فأن أوكد له ـ اي للقائد في اي رتبة : دع جنودك يسألون . دعهم يعبرون عن انفسهم . دعهم يتحررون من التوتر الداخلي . امنحهم احساس التعاون والتقدير . فهذا ليس اقل اهمية من حمل مخزن (البندقية) او من تعبئة زمزمية (حافظة للماء يستعملها الجندي) قبل الخروم الى المعركة . ان المحادثات مع الجنود والعناية بهذه العلاقة يجب ان يوضع على رأس سلم الاولويات . نحن نتحدث كثيراً جداً مع الجنود ـ اكثر مما هو مألوف في اي جيش آخر واكثر مما كان مألوفاً في جيش الدفاع الاسرائيلي في الفترات السابقة . حتى اذا لم يكن عند القائد الكثير مما يرويه لجنوده ـ فخير مايفعله ان يجعلهم يسألون ويتكلمون ويدهشون ويربطهم بكل موضوع قريب من قلوبهم او يهمهم .

يجب تتبع التغيير النفسي بين علاقة الجندي بالقتال ـ قبل ان تحنكه التجارب وبعد ان عاشر التجربة . علينا ان نسعى الى ان نقلل بقدر الامكان من الهوة بين الواقع والخيال حتى تكون تطلعات الجندي بخصوص ساحة المعركة اكثر استعداداً . يجب ان نتحدث مع الجنود عن خطورة الوقوع في الاسر فهذه مشكلة ليست سهلة . يجب ان نكرس لها اهمية وان نحدد مبادىء للتصرف اذا وقع الجندي في الاسر . علينا ان نعرف الحقيقة : انه في لحظة وقوع الجندي في الاسر تفقد المبادىء المدروسة الكثير من وزنها الملزم . كانت المبادىء في حرب التحرير جامدة : لاتقعون في الاسر لانه كان معروفاً لهم جميعاً ما مصير الجندي الاسرائيلي الذي يأسره العرب . فجر (زوربيل هوربيتس) نفسه مع آليته عندما كان في (بني دانيال) حتى لايقع في الاسر .

يجب ان اقول بعض كلمات في موضوع التعليم في جيش الدفاع الاسرائيلي وهذا الموضوع يرتبط مباشرة بالموضوعين السابقين اللذين تحدثت عنهما : الاهتمام بنفسيه الجندي واحاديث القادة . القائد يعتبر مربي . لن تكن صورته كاملة اذا لم يكن معلماً . انه يتحدث مع الجنود وينصت بخفقات قلوبهم ويؤثر عليهم . انه النموذج الشخصي الجدير بالتقليد (اذا كان نموذجاً جيداً) وهو هدف للاستخفاق من جانب جنوده (اذا كان نموذجاً سلبياً) .

سمعنا هنا هي العناصر الثابتة في نظر الجنود والتي يقيم بها قادتهم : المعرفة المهنية ـ انها الخبرة في الدعوة المناسبة للمواقف والمحافظة على رباطة الجأش واعطاء الاوامر المضبوطة في الوقت المناسب واقامة الحاجز في الوقت المناسب واستخدام السلاح بصورة محكمة . يجب ان نقول للجندي «هكذا تفعل وهكذا لاتفعل» . الشجاعة ـ وهو استعداد القائد المهاجم اولاً . القدوة الشخصية ـ انه القائد الذي لايتقدم لتناول الطعام قبل ان يتناول آخر جندي من جنوده الطعام . يرى الجندي في قائده شخصاً ذا حنكة حاسماً : لانه ذا حنكة ـ افعل مثله . ولكن اذا كان القائد متردداً ومخطئاً يستخف الجنود به ولايثقون فيه ـ فتلك هي نهاية وحدته . التعليم هو العنصر الاساسي في اثارة دوافع الجندي .

يوجد الكثير مما يقال في موضوع فعاليات الاعلام في الحرب . اتفق مع جزء من النقد الذي وجه بخصوص ذلك . يقولون ان الاستعداد الدعائي بخصوص الحرب كان ناقصاً . ربما كان هذا صحيحاً . لااريد ان اتهم احداً . ربما يكمن مصدر الخطر في اننا تصورنا ببساطة ان الاقوال مفهومة ـ حيث ان الاقوال المفهومة تتحرر من عبء الدعاية . تصورنا انه ليس من الضرورة ان نوضح لماذا يجب ان تبعد دولة محبة للحياة عن حدودها مخربين يوجهون ضربات بالكاتيوشا على كريات شمونية ويقتلون (٢٢) طفلاً . تصورنا انه لن يكون هناك نقاش على هذا . وان اي نقاش يمكن ادارته بسؤال ما اذا كان ينبغي ضرب المخربين في لبنان نتيجة ماالحقوه بنا خلال تلك السنين الطويلة وما سفكوه من دماء ؟ اعتقدنا ان كل واضح نفس الاسلوب كان الخروج لعملية الليطاني واضحاً ومفهوماً وعقب الهجوم الدموي على الاوتوبس في طريق الساحل . هل كان حينذاك صراخ او احتجاجات او عدم اتفاق او توجيه ضربة انتقاماً للخطأ ؟ لم يكن ! وربما تمت عملية سلام الجليل بعد مقتل (٢٢) طفلاً في (معالوت) هل اثيرت مناقشات ؟ لا ! ثم ماذا ؟ عندما يخرجون لعملية قبل مقتل المزيد من الاطفال او المدنيين ولكي نمنع اعمال قتل اخرى ـ يتناقشون وينقسمون ويتخاصمون .

وفيما يتعلق بالاعلام في جيش الدفاع الاسرائيلي في ايام الحرب ـ كان تحيط بها عوائق خطيرة : اخذوا رجالاً (وهم رجال يصلحون لاهداف اخرى ولايصلحون لهذا الهدف) وارسلوهم لالقاء المحاضرات في الوحدات ـ وقد حرضوا الجنود على معركة ، بالفعل حرضوهم . وكان هذا خطأ جسيم ينبع ـ في تقديري من السذاجة : «الشعب يدخل الحرب ـ من المستحيل ان يلقي شخص ما على مسامع الجنود اقوالاً في استنكار الحرب وشدة المعارك» . الحقيقة ان هذا حدث ويجب علينا ان نستخلص من ذلك الدروس . وحتى لايكون هناك خطأ . ولكي تفهمونني جيداً : يجب ان يكون هناك آراء مختلفة في

كل مكان وفي قضية . ليس هناك اتفاق مطلق في الرأي في اي موضوع وبالتأكيد لايوجد مثل هذا الاتفاق في الرأي داخل جيش الدفاع الاسرائيلي . من يقول انه يجب التطلع الى اتفاق تام في المواضيع المتنازع عليها لحماية اسرائيل وحدود اسرائيل وانه يمكن تحقيق مثل هذا الاتفاق ، انما يقول شيئاً خطيراً للغاية : لان المبادرة لم تكن بأيدينا مرة واحدة . ستكون المبادرة في ايدي العرب وانه في حالة امتلاك العرب المبادرة والهجوم علينا ـ سنتفق تماماً وسنتحد لان الجميع يتفقون على الخروج والدفاع عن النفس وليس في ذلك مايثير المشاكل .

غير ان الثمن الذي يجب دفعه مقابل مثل هذا الاتفاق باهظ ولانستطيع تسديده : يمكن لمثل هذه المبادرة العربية أن تحسم اسرائيل . وقد حدث ذلك تقريباً في حرب يوم الغفران . ماسبب الاثارة الضخمة والخلاف الشديد والهياج النفسي والاحاسيس المريرة والاحباط بعد تلك الحرب ــ حرب يوم الغفران ؟ مزاعم مفرضة من المزعم التي نسمعها اليوم : لماذا اعطيتم لهم الفرصة لمهاجمتنا ؟! .

لذلك غير مسموح ان ندعي ان اتفاقاً عاماً في محتواه شرط للخروج لحرب دفاعية . اقول : انه في اي مكان نقاتل فيه ـ انما نقاتل من اجل وجودنا : في عينتيبة في بغداد وايضاً في بيروت . غير ان عدم الاتفاق التام في هذا الموضوع واختلاف وجهات النظر تعتبر شرعية .

كلمة عن التحدث باسم جيش الدفاع الاسرائيلي . كان المتحدث في تلك الحرب في حالة صعبة : قاتل وكأنه مهاجم في الامام ومن الجانب . غير انني قلت لمتحدث جيش الدفاع الاسرائيلي قبل الحرب بفترة طويلة : «مايجب ان يحدث في الحرب او في السلم الا تكذبون ! ما ان تقولوا الحقيقة اولاً تقولوا شيئاً ١» واثناء هذه الحرب لم اسمح بقول شيئ كاذب مرة واحدة . حدث ذات مرة ان اخرنا البيان ومرة اخرى لم نجب ومرة ثالثة منعنا ـ ولكن لم نكذب مرة واحدة .

ومن بين الامور نطالب المتحدث بان يتغلب على المزاعم حول ردود مبالغ فيها من جانبها عند اختراق السوريين والمخربين لوقف اطلاق النار . جاءوا واخبروني : «يطلقون النار على جيش الدفاع الاسرائيلي في البقاع حينئذ فلجأوا تقدمتم في «المصورية ؟» واعاءات من هذه القبيل وقد نسىٰ اصحاب هذه المزاعم او ربما تناسوا اننا بوضوح : «لن يكون في هذه المرة استنزاف مع مبادئ !» قلنا هذا للسوريين ولجميع الاطراف الاخرى ولانفسنا ايضاً : «في الاستنزاف لايوجد مبادئ ولن نقطع على انفسنا عهداً للمحافظة على مبادئ ومن رغبات وتطورات السوريين والمخربين . هناك وقف لاطلاق النار ـ نحافظ عليه . ولايوجد وقف اطلاق نار بل استنزاف . ليس هناك مبادئ . يطلقون النار علينا ـ نتقدم . الى اين ؟ الى مانريده .

ولم يكن في حرب لبنان استنزاف حدث على طول قناة السويس وفي وادي الاردن في السنوات من ٦٨ ـ ١٩٧٠ وفي هضبة الجولان بعد حرب يوم الغفران . لم نتصرف بمنطقة «مبادئ الاقوياء» : انت تطلق النار من مدفع ـ انا بمدفع إطلاقتان لك واثنتان لي . واذا اردت ان تطلق الاطلاقة الاخرى ـ سأحملك هذا الثقل قلنا في تلك المرة : لا ! لايوجد مبادئ . مبدأ واحد فقط : «احتل حسب قدر تك» . العدو يصمت وانا اقف . العدو يطلق النار وانا اتقدم . هكذا تصرفنا في بيروت ثبتنا في مواقع اطلقوا علينا النيران في كل حين . احتفظنا لانفسنا بحق الرد وفق اختيارنا : هل من المفد ان نقصف من الجو؟ بالقنابل ام من الافضل ان نقصف بالمدفعية ؟ بالقذائف . من المناسب ان نخرج ليلاً وان نحتل نلارملياً في نهاية «خلاه ـ يحتلون . بدون مبادئ .

كانت الكلمات التي قلتها في هذا الاجتماع خلاصة وجهة نظري في موضوعين ـ القيادة والتعليم ـ وضعت كليهما على راس سلم الاهمية .

القيادة ـ ليست فقط في القتال بل في القتال الذي يأخذ طابعاً دراسياً وفورياً ذات اهمية . القيادة ـ ايضاً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي كل المجالات التي تحمل القيمة العظيمة لعناصر القيادة الاسياسية الثلاثة : النموذج الشخصي المعرفة المهنية والشجاعة . وهناك قادة نميا لي ان نطلق عليهم قادة بالفطرة فهناك من ينمو مع المهام ويتطور بتراكم الخبرات . وانا اثق كثيرا في القادة من النوع الثاني .

يخطئ اناس كثيرون : تبدو القيادة في نظرهم بمثابة تجارب عظيمة لاشخاص متمرسين : رئيس او رئيس حكومة او وزير مهم ـ في الحياة المدنية رئيس هيئة الاركان العامة او قائد قيادة او قائد صنف . في الحياة العسكرية ودون ان اقلل من اهمية مثل تلك القيادة العظيمة ، فأنا اعرف اصحاب حنكة ليسوا اقل اهمية في القيادة تجاه الجنود كلما ارتفعت الرتبة ـ قل الالتزام . ان المعرفة المهنية والشجاعة والنموذج الشخصي التي تميز القائد يجب ان تظر امام ثلاثين جنوده كي يسيروا خلفه في القتال اكثر اهمية وايجابية مما يجب ان يظر امام قائد القيادة الذي جاء لزيارة .

ان القيادة ـ من وجهة النظر الحقيقية ـ انما تتجه نحو الاشخاص وليس تجاه أوراق ووثائق وشهادات . ان من لم يخطط جيداً لايعتبر قائداً اختبرت خلال عشر سنوات الاف الرجال في الجيش تعقبت قيادتهم . درست اساليب ردهم . وصلت الى نتيجة (ولست واثقاً انها ستصل الى مستوى الاختبار العلمي) هو ان القادة لايولدون . فالكل يولد متساوياً .

ظروف الحياة تشكل شخصية الفرد . من المعروف ان الشخص يتركب من مجموعة اساسية من الصفات ولكن جهاز التعليم بكل عناصره ـ البيت ، المدرسة وحركة

الشعبية والشارع وتأثيراته في اسلوب الحياة التي تحولت الى رموز ومصادر للتقليد ـ بشكل الشخص . واذا كان جهاز التعليم لايكون شخصاً ايجابياً ولايعلم القيادة ـ فإن الشاب يصل الى في الجيش مزوداً بقناع يخفي الصيوب يحقق الجهاز العسكري في حالات كثيرة انجازاً هاماً .

وفي اغلب الاحيان لاينجح في تغيير اشياء من صنعهم واصلاح العيوب ولكن الرغم من هذه النتيجة فلا يستطيع الجهاز العسكري الموافقة على الحكم حيث ان الشباب في جيل بـ ١٨ من حياته لايكون قد نال التعليم الا مثل والنظم الاساسية . انه يتحمى ويكتف هذا النطاق لاصلاح الصيوب ويوجد في جيش الدفاع الاسرائيلي تأكيد واضح للاهتمام بالقيادة . نحن نرى بدون توقف القيادة على القيادة ونرفع الاقل حتى يصل الى اقصى ارتفاع .

ان القيمة الاكثر فاعلية في الاهتمام بالقيادة العسكرية تكمن في الاحساس المشترك بين القادة والجنود في جيش الدفاع الاسرائيلي بأن القادة لايرسلون جنودهم للقتال . انهم يحملوهم الى الحرب . يذهبون على رؤوسهم . والنتيجة هو ان عدد المصابين من بين القادة في جيش الدفاع الاسرائيلي يصل الى اعلى عدد في العالم . في الجيش الامريكي ـ اقل نسبة في العالم . هذا هو رمز نموذج الشخصية . القادة في المقدمة . وهذا احد العناصر الاساسية في مرتبة القيادة .

ان تاريخ حربنا لايزال يؤكد على نوعية قيادة ونموذجهم الشخصي في القتال . هكذا كان (دودو تسركس) ـ في هجومه على (بني يوشع) في حرب التحرير . ذهب في المقدمة وسقط . وهكذا كان في (بني صموئيل) حيث قتل هناك القادة . وكذلك كان في (كتمون) : نفذنا هناك هجوماً مضاداً واحداً لابعاد العرب من هناك . ولم يشترك جندي واحد في القتال . فقط القادة . هكذا حدث في حرب يوم الغفران حيث ذهب القادة على رأس القوات خلال معارك الصد والانقضاض ضد مصر .

وفي عملية بحيرة طبرية عندما اكتشفنا المفرزة السورية . هجمنا عليها بخمسة جنود من جيش الدفاع الاسرائيلي . اثنان ـ وانا بضمنهم ـ كنا ضباطاً . جرح كلانا .

ان جهاز التعليم المدني عندما مصاب بكثير من العيوب . لم اقصد بذلك ان اغمط حقوقه او اتجاهل ما يواجهه من مصاعب . ولكنني لا اشك في انه بالترجه السليم وبتحديد اهداف حقيقية يمكن ان نفصل الكثير . باسلوب نموذجي ـ يجب ان نضع في كل روضة وعلى كل باب مدرسة لافتة بارزة : هنا يعدون الجيل القادم للدولة وللشعب . ونحن كدولة تناضل من اجل حياتها ضد اعداء كثيرين واقوياء لايسلمون

بقيامها ولن يتنازلون عن حلم تدميرها . لايكفي ان نعلم الاطفال الكتابة والقراءة . ان مربية الاطفال والمعلمه يجب ان يعرفوا المهمة التي تلقيها الحكومة عليها : اودعت الامة في ايديهم تشكيل شخصية الشعي وقدرته على الصمود والنضال ونوعيته الاجتماعية . لسنا فقط شعباً يناضل من اجل وجوده وانما من اجل مجتمع راسخ ايضاً . ان صفات مجتمع تطور كهذا هي مرهفه ومهذبة . اقسام معنية في المجتمع معترف بها مقابل اقسام اخرى ولم يخلق الغريب كراهيته ذات مرة انه يكره الهاوية ليس اقل من يقيم جسراً عليها .

كثر الظواهر في المنطقة اهتماماً كبيراً : شبابنا يفكرون ملياً في عدالة قيام الدولة وعن ماهيتها ويشكون في حقنا على الارض بشكل خطير . يوجد في ذلك ما يضيف قدرتنا على الثبات .

ان شبابنا واحيانا البالغين بتقوقعون داخل اصدافهم ويوسعون من افاق الاغتراب وعدم المبالاة بأي امر ذي علاقه بميزات التمتع بالتفريط بأممهم ان الرغبة في حلب الدولة بدلا من منحها ـ يؤثر بصورة سلبية على وضعنا الاقتصادي ويعرضنا لضغوط ثقيلة من الاغنياء وخاصة الولايات المتحدة .

وهناك ظواهر يميل الناس الى التعامل معها بعدم مبالاة ودون اكتراث كما لو كانت مشينة وعديمة القيمة : العلاقة بين سلطة الاغلبية واملاك الغير مزدراه . حول المتنزهون شواطئ الاستجمام ـ بعيد الاستجمام الجميل ـ الى صناديق قمامة متبدلة . لم نعلم الاطفال في رياض الاطفال وفي المدارس ان يحافظوا على النظافة وان يتعودوا احترام الغير واملاكه . يجب ان نحثهم على عمل منظفي الشوارع وعمال النظافة امر ضروري . يجب على كل مواطن في اسرائيل ان يكون عامل نظافة لدولة ولشارعه ولمنطقته .

تبدأ اي مشكلة عندما يعاني التعليم من خلل خطير في الاهتمام . يصل الى جيش الدفاع الاسرائيلي كثير من الاشخاص بعلاماتهم الفارقة وهو عدم الاهتمام في جيل متأخر عندما تشكل خطوط شخصيته الفرد الصغير يجب على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يتعامل مع تلك الموضوعات التي قد يتخطاها الجهاز التعليمي المدني او يفسل فيها .

ان المحور الحقيقي في جهاز التعليم ـ فيما يتعلق بتعليم الفرد ـ يجب ان يشتمل على اهو صالح للدولة ولمواطنيها . انقلبت النظم عندنا . اصبح المعروف منكرا واصبح المنكر مصروفاً . المعروف هو ان يهتم الشعب بذاته وبأرضة وبدولته . هذا هو الاساس في العالم كله . تلك هي القيادة الطبيعية للشعب . والمنكر عندما يهتم الشعب بالأخرين اولا ثم يهتم بنفسه بعد ذلك نحن مستعدون احيانا ان نقتل انفسنا لكي نعجب

الآخرين . وليس هناك من جميل يقدمه احد . لايوجد من يقدر ذلك . ان هذا لايجعلنا اكثر اخلاقاً في نظر شعوب اخرى .

وتبرز النتيجة : الشعب منقسم ممزق ـ هذه الانقسامات من شأنها ان تقوض قدرتنا على مواجهة من يريدون تدميرنا ولا تضعف من اهدافهم . يجب ان يكون الجهاز التعليمي قدمياً الى حد بعيد ومتبلولاً في هذا الموضوع الى حد كبير . يجب ان نعلم الاطفال حب الارض . يجب ان نحرثها بالاقدام . يجب ان نعترف بجميلها . يجب ان نشم رائحتها . عندنا لايقيمون حتى مراسيم رفعة العلم القومي في الصباح قبل بدأ اليوم الدراسي لماذا يتعجبون بعد ذلك انه في اماكن كثيرة يحتقرون العلم ؟ لماذا يدهشون بأن رفعة العلم في المراسيم الحكومة لاتثير في قلوب الكثير رجفة هذه الاثارة والاحساس بالعزة والكرامة ؟ ! .

يقول رجال شباب قبل تجنيدهم : «انا لست مستعدا لان اموت من اجل هذه الدولة» . نحن مستعدون لان نموت من اجل الدولة . بل يجب ان يقولوا هذا فقط : «انا مستعد لان اقاتل من اجل الوطن . انا مستعد لان اعمل من اجل الوطن كل مايطلبه مني» . كان هذا الاستعداد قوياً قبل قيام الدولة . بعد قيام الدولة اخذ يتلاشىٰ ويتبخر . خلت القيادة . وساعدت في نشر وسيطرة هذه الحالة النفسية السلبية : نتد جاءت سيطرة الدولة بمثابة حل لكافة المشاكل خفض الاستقلال من الحاجة الى الطليعية والتفاني . ولم تفلح القيادة في ربط الشعب بالاحساس بأن تحقيق الاستقلال هو فقط مرحلة وانه محطة في طريق طويل . لايجب ان يتعب الشعب من نضاله . ولايجب ان تسمح القيادة للشعب ان يكل وللمواطنين ان يفرقوا في ذاتهم لو كان هذا الشعب يعرف كيف يعيش من كدح بديه ولو قالت الحكومة ببساطة انه يمكن ان نطلب اجهزة «فيديو تيب» على حساب دافع الضرائب الامريكي ولا يجب تفريغ خزينة العملة الصعبة كل نتمتع بالمناظر الطبيعية للدول الأجنبية ومطاعمها وحوانيتها العامرة ـ لاخذ الاقتصاد الاسرائيلي صورة اخرى ولأضحىٰ مواطنو اسرائيل اكثر رفاهية . قبل حرب التحرير اعتبر من يشترى سلعة من الخارج خائناً تقريباً . اليوم يشتري اسرائيليون ورق (التواليت) من انتاج هونج ـ كونج . يجب ازالة هذه المعواقات .

لايمكن ان نخطوا بالشعب الى طريق جديد وان نطلب منه ان يعيش من عمل يده حسب الامكانية الحقيقية لاسرائيل وان نكتفي بالقليل ونتكيف مع نمط حياة اكثر تواضعاً ـ اذا لم تقدم طبقة القيادة للجماهير نموذجاً شخصياً في سلوكها ونمط حياتها . ان اي قائد لايحقق في نفسه المبدأ الذي يدعو له ـ يصبح مسموعاً في الحديث ولا تثير دعوته سوى السخرية والاستهزاء . مثل ذلك مثل قائد الفصلية الذي يصبح في القتال بصوت

عال : ورائي ! ويسرع للتخندق في ملجأ أمين . تلازمه خيبة الامل اذا توقع ان جنوده سوف يهجمون ويقاتلون .

لقد ازداد تبلد الاحساس عند اغلب قادتنا ـ تقريبا ـ بشكل مذهل ان افتراضهم القدرة على اقامة نمط حياة مسرف والاقامة في فنادق غالية والطيران في الدرجة الاولى وتناول الوجبات الغالية في مطاعم فاخرة ودعوة الشعب «لان يشد الحزام على البطون» ـ انما هو افتراض احمق من الدرجة الاوى . حتى لو كانت القيادة قادرة على استخدام نموذج لنمط حياة ملائمة لكان هناك امل في ان يتبعها الشعب . كان يجب ان يكون ممثلو الشعب على رأس القائمة في تخفيض مرتباتهم وكان يجب ان يستغنوا عن السيرات الفاخرة التي يملكونها ويسافرون في سيارات متواضعة . يجب عليهم ان يقللوا من الذهاب الى اي مطعم فاخر وان يبتعدوا عن اسلوب البذخ . طالما لايستخدم اعضاء الكنيست نمطاً ايجابياً (ولماذا نحتاج عموماً ـ الى كنيست مكون من (١٢٠) عضواً وحكومة مع نواب ثلاثين من اصحاب السيادة والسيارات مكون من (٧٠) عضواً وحكومة مكونة من (١٠) اعضاء ؟) ليس هناك امل مطلقاً في ان يتغير نمط الحياة طالما يستطيع عضو الكنيست ـ قائد حركة العمل ـ ان يسافر في سيارة (خاصة) ثمنها عدة ملايين من الشيكل وطالما يستقل اعضاء الكنيست مجتمعهم في المؤسسة الشرعية كي ينجحوا كمحامين في عملهم ويضعون الثروة في جيوبهم الخاصة . طالما ان تدهور الحصانة لايوجد له مثيل في انحاء العالم الديمقراطي يستطيع اعضاء برلماننا ان يرتكبوا المخالفات وان يدينهم القانون ـ فبدل ان تستخدم قيادتنا نمطا ايجابيا نجدها تستخدم نموذجاا سلبيا وهداماً .

عرفت منذ عدة سنوات اسرة في (عفولا) . اشفق القلب . فقر وفاقة . وصلنا رأينا ـ سمعنا وتصلبنا في ان نصدق : في دولة اسرائيل الاكثر اسرافاً في الثمانينات نجد مثل تلك الظواهر ؟ لم اصدق . ما قدمناه كان من اجل الاطفال . ليس من الضروري شخص . ولكنني ادركت : لو زار الوزراء واعضاء الكنيست ومدراء الشركات هذا المكان مرة واحدة ورأوا بأم اعينهم هذا المنزل وهذه الاسرة وهؤلاء الاطفال والشعور باليأس والصبر على الوضع اليائس ـ ربما فهموا انهم لن يتمكنوا من مواصلة الحياة كما يحيونهم . ولكن للوزراء واعضاء الكنيست حلاً مستحيل ان يمروا بمنزل تلك الاسرة وبقبورها ولديَّ تخوف جاد .

نماذج شخصية

احببت اناسا كثيرين . اكن لكثير في قلبي شعوراً عظيماً التقيت خلال السبعة والثلاثين عاماً التي خدمتها بالجيش بالمتوحش بكل تعنيه هذه الكلمة . كثير منهم يسوا مثلنا . لايمكن ذكرهم جميعاً ويعذرني كل من اتخطاهم لضيق الصفحات . وليس هدفي ان اخلدهم في هذا الكتاب . ان ذكر اسماء البعض مطلوب لي زليس لهم . كانت الشخصية الموقرة الاولى بين هؤلاء بكافة النواحي ووفق جميع المقاييس ـ (فوزا) [حاييم فوزتنسكي] قائد فصيلتنا في البلماح . قتل في حرب التحرير كما قتل اخوه ايضاً في تلك الحرب . كان (فوزا) من اكثر الشخصيات التي عرفتها في حياتي اكتمالاً لكل الصفات الرائعة للقائد : نموذج شخصي خبرة مهنية وشجاعة . ربما رأيناه كاملاً في عيون الرجال الاكثر شباباً الذي لاشائبة فيهم . وربما كان حكمتا محدداً غير ان هذه الشخصية لم ولن تفارق ضيالي طلية حياتي . كان مقاتلاً عظيماً . جميلاً كتمثال يوناني شجاعاً الى حد الذهول . طافحا بالمعلومات عن اسرائيل . مستعد ان يعمل بنفسه كل شيٌ قبل ان يطلبه من الآخرين . ابن المدينة كان ضليعاً وفاهماً لاسرار الميدان حبب تربة اسرائيل . وكالعادة خرج على رأس السرية في «بني صموئيل» وسقط . قبل ذلك بأسابيع سقط اخوه في «بيت ـ كشت» . ان ماكن في قلب «فوزا» لم حينذاك ولن نعرفه الى الايد . لم يقل مطلقاً : «ورائي !» . لم تكن عنده ضرورة ذهب في المقدمة وسار الرجل خافه . لم يترك شخص عرفته منذ ذلك الوقت اثراً عميقاً عندي مثلما ترك (فوزا) . كان سامياً بنفسه وفي نظري ينفرد وفي نظري ينفرد عن قيادة الرجال الذي احترمتهم الى حد بعيد .

لايمكنني القول انه لايوجد حدود من انواع مختلفة في الاسلوب الذي قدرت به (اريك شارون) . ما يتعلق بعلاقتي مع (فوزا) كانت متصلة ومستمرة وليست متغيرة . عرفت علاقتي مع (اريك شارون) الصعود والهبوط وفق حالات التغير كقائد كتيبة المظلات كان بمثابة المخفر لانجاز اشياء . للتنفيذ . يمتلك طبيعة حيوية لاتعرف الكلل . له القدرة على اعداد تكنيك بمستوى عال للغاية وعلى التكتيك . حيث ترك منذ ذلك الوقت وحتى اليوم اثاره ـ كخط ناقل ـ في الفكر العملي على كثير من القادة ولم يتخطان ايضاً . ولكن وهذا هو العامل الرئيس في تقدير لشارون ـ هو انه كان طوال السنين شخصية مؤثرة .

وكان (اورى بن آرى) [اورى بنر] قائداً لسريتنا في حرب الاستقلال . كان دائماً في المقدمة . يلبس القبعة الاسترالية التي تميزه عن الآخرين ويسير الرجال خلفه . من اراد ان يصور شخصية قائد عسكري يخرج على رأس رجاله ـ يجدها في شخصية (اورى بن آرى) لم اكوِّن انطباعاً في انه يعمل كثيراً في شؤون السرية لكن كانت عنده شجاعة فائقة ونموذج الشخصية التي ابداها في القتال تعتبر قدوة .

وخلال فترة المظلات وعمليات الانتقام تجدر الاشارة الى تقدير اثنين من الرجال : (مائير هار تسيون) و «عوفد لدغينسكي» . كان (مائير) المنفذ المخلص لرأي (شارون) في التكتيك . كان شجاعاً للغاية ، مفكراً عظيماً صاحب ادراك تكتيكي غير عادي ، هادئاً ، يحترم رجاله بحق . لم يشترك في دورة ضباط مطلقاً ولكنه كان يملك قيادة طبيعية لم تدرس في اي دورة كان رجاله على استعداد للسير خلفه الى اي مكان دون تردد .

كان (عوفد لدنينسكي) يختلف عن مائير هارتسيون) في مقياس معين . لم يكن في ١٠١ . حيث وصل مباشرة الى المظلات . ثائر وغير مريح نافذ الصبر عنيد كان متعهداً جيداً في تنفيذ العمليات . . . شجاعاً ذا خبرة مهنية متميزة . بينما كان (مائير) متعهداً ايضاً اضافة الى انه كان يدير العمل وكان ايضاً سمكرياً ـ كان (عوفد) متعهداً فقط . يقبل المهمة وينفذ التعهد . رجاله يخافونه .

عرفت (جاد منله) ـ طيب الله ثراه ـ عندما كان عريفاً وكنت قائد لواء . كان تحت امرتي في البقاع من سنة ١٩٦٧ رما اعقبها . كان فيه سر : من جانب يجد صعوبة بالغة في الحياة خمسة نطاق النظام والترتيب ومن ناحية اخرى من عاش تحت قيادته عاش ضمن نطاق صلب منظم ومرتب بصورة غير عادية . كان شخصية ساحرة : شجاعة بصورة نعجز عن وصفها نموذج شخصي للخبرة المهنية ذات المستوى الراقي . كان صامتاً خجولاً قليل الكلام . صاحب ادراك تكتيكي عال كان (جاء) شاباً وسيماً للغاية . لكنه لم «يثير» القلوب ولم يكيل الى القيام بما يقوم به اقرانه الآخرون كان يحب العزلة ويحب ان يعبر عن امكانية دون اي قيد . ضابط انعزالي من نوع «ويجيب بأنفه الصغير» .

يقف في الصف الاول مع (جاد منلّه) ـ (اريك رجف) ـ طيب الله ثراه ـ كانت شخصية مهمة : رجل تنفيذ مفكر يرى طرق عديدة امامه .

فقط في حرب كحرب يوم الغفران ـ بسبب ظروفها وخطورتها ـ يمكن ان الشيْ برز الضعف بصورة هائلة كما برز الرجال الحقيقيون بشكل واسع ايضاً . وكان (يانوش) (اڤيجدور بن جال) قائداً حقيقياً . تحمل كقائد لواء في حرب يوم الغفران عبْ الحرب الذي ادركه قليل قبله ويعده . قاتل لواء (يانوش) وصمد حتى تحقق استرداد الانفاس .

وبعد حوالي ٢٤ ساعة نجح في تنظيم اللواء من جديد . انه مقاتل ماهر شجاع ذو مهمارة فنية غير عادية من النماذج العظيمة لحروبنا . بنفس المستوى يقف (اورى اور) . وربما تفوق (اورى) على (يانوش) في شجاعته . قاد (يانوش) في حرب يوم الغفران لواء متماسكاً ومنظماً . وكان (اورى) قائد لواء احتياط لواء غير تعبوى . وعلى رأس لواء دخل للقتال مباشرة من البحر الميت .

كل مافعل هو انه تحرك واتجه للقتال . وقاتل وضرب وحرق يعتبر (أورى) قدرة شخصية رفيعة في تلك الحرب . ومن الصعب ان نصف ذلك .

اوصيت ان يمنح الاثنان شهادة تقدير بلغوني : «ان رتبه عقيد وما اعلى لايحصل على شهادات تقدير» . تأسفت اجتاز كلاهما الامتحانات في حرب يوم الغفران حيث تحملوا العبُ بصورة غير عادية متوهجة .

كان «البيجدور كهلاني» جدير بالحصول على وسام القوة حيث ابدى كقائد كتيبة في حرب يوم الغفران مهارة فائقة مميزة في الامتحانات الاكثر خطورة التي امكن تصورها . كان (مهلاني) صالحاً لاداء دور الشخصية المثالية للشباب : بحبه العميق ، بقدرته في القتال بإخلاصه وشجاعته . وقد حصل على وسام القدرة ايضاً في حرب الايام السنة انه قائد متميز . كان قائد السرية (مائير زمير) . (نمر محطة الاذاعة في حرب الغفران) شخصية فريدة تماماً . كان يوجد سريته في هضبة الجولان ثمان او تسع دبابات تمكنت السرية تحت قيادته ان توقف بقتال جبلي لواء دروع سوري وان تحطم القسم الاكبر منه ولم يخسر (مائير) دبابة واحدة ما كان هناك من يعرقل هذا اللواء ولم نكن تعرف اين موطئ قدمه وما هي وجهة القتال سوى ان نوقفه . رويت الاساطير عن شجاعة (مائير) وعن الاسلوب الخاص الذي تعامل به مع جنوده حيث غرس فيهم الحماس والاثارة العظيمة وعن القدوة الشخصية (لمائير) كمقاتل ان وسام القوة الذي حصل عليه مائير انما يعبر بصورة متواضعة عن انجازات هذا القائد المتميز .

اضافه الى ذلك هناك شخصيتان ـ يختلف هدف احدهما عن الآخر ولكن طابع التماسك يكمن فيهما . احداهما ـ (يجال آلون) طبيب الله ثراه . كان مسؤولاً خلال فترة وجودي في الجيش في البلماح ـ قبل قيام الدولة . كان الانفصال عن البيت وعن المزرعة في سنة ١٩٤٦ صعباً ويأتي من وراءه التأنيب . ونتيجة لخوض المفاهيم والمتغيرات الكثيرة التي طرأت حينذاك ـ من الصعب ان نفهم اليوم الاهمية التي كان يحظى بها حينذاك العنصر البشري الذي كان يعمل في المزرعة . ولايمكن ان يخطر ببالي حينذاك ان يستأجر ابي اجيراً مكان ليسد العجز في المزرعة . لم يقف ابي في طريقي ولكنه وافق ان اذهب فقط لعام واحد في سنة ١٩٤٧ بدأت المرحلة المصيرية في الحرب السياسية على

ارض اسرائيل وفي اعقابها جاءت المرحلة الحاسمة في حرب الاستقلال . لم اتمكن من التسرح من الخدمة العسكرية . كان مكتب (آلون) في منزل «سولك بونيه» في شارع الميناء بحيفا . ذهبت اليه بهيئة اركان البلماح . طلبت منه ان يتحدث مع ابي حتى يوافق على استمراري في الخدمة عرف الاب واشد الى المهمة ونفذها بنجاح .

كان (يجآل) شخصاً ثانياً وفريداً . كان يحمل الترابط الرائع لرجل عسكري عظيم وحاصب فكر ابداعي ووجهة نظر شاسعه على المستوى العسكري وسياسي صاحب رأي جاد . من لم يتفق مع اجراء من رأيه السياسي لايمكنه باي حال ان يتجاهل ذكاؤه المتقد وكفاءة قيادته . كل هذه الصفات العظيمة تكمن داخل شخص اكثر بساطة فراح عامل بعيد عن اي اسلوب من اساليب التعالي او الفطرسة . ومن خلال خدمتي العسكرية ومنصبي كرئيس لهيئة الاركان العامة التقيت في مناسبات عديدة . كان متحدثا جذاباً تمكنت كالآخرين ان اتحدث معه كل شيْ في العالم بمشاعر الحب والود ولمرات عديدة كان يخامرني الاحساس بأن كثيراً من اعماله جديرة بالمحاكاة . كنا اكثر اقتراباً . تعودت ان ازوره في «جنوسر» وتعود ان يحضر الى . وعندما عينت كقائد لقيادة الشمال اصطحبته لزيارات الى وحدات في الميادين المختلفة . حب الاستطلاع عنده ليس له حدود وبالمثل حبه لرجال جيش الدفاع الاسرائيلي . وعندما كنت رئيساً لفرع العمليات كان يحضر الى مكتبي .

كنت استثيره في مواضيع مختلفة وفي احد تلك الزيارات اصيب بأول اذمة قلبية واقع اليم رهيب . ارقدته على الاريكة وصحت الى طبيب من المعسكر . وعندما افاق قال لي : «لاشي (رفائيل) لاشيْ مجرد ارهاق فقط» . ولكنني عرفت ان هذا اكثر بكثير وياله من شعور عميق بالأسس ـ لفقده ـ سيطر على . كان (يجال) رجلاً نادراً عظيماً جداً متواضعاً جداً . احببته كان مجمع كل ذلك دون شك . لم اناثر مرة واحدة نتيجة وجود هوة بين وجهات نظرنا السياسية . لم اسمع مطلقاً منه كرماً واضحاً لكنني اخذت انطباعاً من محادثلتنا بأنه يفق في حقنا على ارض اسرائيل الكامله ولكنه اعتقد انه لايمكن تحقيق هذا الهدف الاعلى مراحل وكان مشروع (آلون) ـ ضمن هذا النطاق ـ المرحلة الاولى . ولا اعتقد ان (آلون) كان يفترض ـ بصورة او بأخرى ـ قيام اي كيان فلسطين في اي مكان من اسرائيل .

الشخصية الثانية ـ شخصية اخرى تماماً . نسوه : «جورج بربينج» كندي مسيحي بطل الحرب العالمية الثانية تجند وهو (ولد) صغير جداً في بداية الحرب العالمية انتقل الى السلاح الجوي البريطاني . وسجل مآثراً رائعة في الحرب كتب كتاباً مشهوراً : «طاره سييت فاير فوق مالطا» وخلال الايام الخطيرة التي مرت بها القوافل اليومية في المحيط

الاطلسي عندما كانت قطع البحرية الامريكية والبريطانية تنقض على الغواصات الالمانية صعد «برلينج» في شعبتة ليصل الى انجلترا وهناك تجند في القوة الجوية الملكية البريطانية ولكونه صغيراً طلبوا منه موافقة مكتوبة من ولي أمرة ووجدت توسلاته اذ انا صماء ، البريطانيون ليس لديهم المرونة في التعامل مع قوانينهم ولوائحهم . واخذ معه الورقة المطلوبة . ولن اصف هنا مآثرة البطولية كطيار في الحرب العالمية الثانية . يمكن ان نملأ مجلدات في وصف معاركه . اسقط عدداً كبيراً من الطائرات الالمانية . كان عنده حماس منقطع النظير للقتال الى جانب الحق وضد الظلم .

ومع نهاية الحرب العالمية اعتبر «جورج» ان هذه الحرب حربه وان خدمته للجانب العادل لن تنتهي ورغم انه لم يكن له مطلقاً علاقات مع اسرائيل ومع الشعب اليهودي فقد بحث ووجد طرقاً للانضمام الى حربنا ـ اي الى جانب الحق ـ الى جانبنا وبعد ان نفذ مايقرب من عشر طرق للقتال وبعد المخاطرة بحياته ـ تجند في «الهاجاناه» بأوروبا قبل اعلان قيام الدولة وجيش الدفاع الاسرائيلي الفي على كاهله مهمة رئيسية : ان يطير الى اسرائيل بطائره (نورسمان) . وكانت طائرة صعبه ژمعقدة في طيرانها . تحطيم اثناء اقلاعه من مطار بروما ولم يصل اسرائيل . طلبت عدة مرات ان تقيم اسرائيل يوم ذكرى الـ «جورج» كأنسان ومقاتل ولم يتم ذلك حتى الأن .

كان هذا الطريق الطويل مرصوفاً بالتضحيات . ودفع الشعب ثمناً باهظاً من اجل حقه في الحياة عرفنا الموت في طفولتنا في قرية صغيرة عشنا معاً وحملنا الموتى معاً . الاجراس تدق والدراسة تتوقف . هناك جنازة .

غير ان الضحية الاولى ، اول عملية قتل جلبت معها احاساً آخر تماماً : كان عندنا مدرسة محبوبة في (تل ـ عداشيم) . ركب زوجها دراجته الى (عفولا) سحقه سائق عربي . والحقيقة لايعرف الانسان ماذا كان السائق العربي داس الشاب عمداً ام لا ولكن القرية اعتبرت ذلك قتلاً وانه ضحية كراهية العرب . وكان الضحية الثانية (يتسحق ليوفولد) . حيث قتل في انفجار قنبلة في حقل . ولم يكن للعرب يد في ذلك . حيث قتل في حادث . كانت هناك عائلة في بيته كان في نظرنا ضحية الخلاف الاسرائيلي العربي وجزء من هذا الجو الذي ساده الدفاع الامن وتجميع القوى .

كان لقائي الاول مع الموت في حرب الاستقلال الى الشرق من (حولده) (اليوم ـ موشاق تل ـ شحر) . كانت القافلة الاولى استعدت للتوجه الى القدس وتجاوزت الكمين . وكان هناك ضحايا عديدة من فصيلتنا التي قمت بتأمينها والوصول بها الى المكان . سقط اربعة افراد . لم كثيراً من الجال مرة اخرى . كان هذا لقاء صعبا للغاية مع واقع لم اعرفه من قيل . لم اشعر بخوف . ولم احس بالضعف . لم اغير شيئاً

في الاعداد للقتال وتنفيذ المهمة . كان هذا ايضاً اللقاء الاول مع نمط السلوك العربي في مساحة القتال . رأينا ماذا فعل العرب في جثث رفاقنا . واجهنا مصاعب كي نتأكد انهم قتلوا كل الجرحى والاسرى وكانت تلك حقيقة . لم ار قبل ذلك كيف تكون الحرب .

وبعد ذلك وقبل ان احتل القسطل (القلعة) القي على كاهلي جمع الجرحىٰ وجثث جنودنا في طريق سفح الجبل ـ القسطل القلعة. وجدت الشباب الذي دافعوا عن القلعه ليسوا بجرحى فقط اجسام ممزقة ومشوهة مع مظاهر القسوة التي لايقرها العقل . عرفت : هذه هي الحرب . ويجب ان نعيش مع تلك الظواهر . وقد اثار ذلك الرغبة في الانتقام ويجب ان يكون هناك قدرة على ضبط النفس بمعدل زائد . لن نقلد المعايير السلبية . يجب ان يحافظ على صورة الانسان .

في تلك الايام الطويلة القاسية تبلورت علاقتي بالضحايا والظواهر الصعبة الاخرى لنتقبل بارتياح مالايمكن ان يتغير . كلما وثقت انك قادر على ان تغير وان تمنع تحسن ـ فلا تدخر اي مجهود . تحددت الحقيقة ووقعت الكارثة ـ فلتتصارع معها بنفسك وفق قدرتك وبهدوء ومنطق . لاتخرج من مخباءك . لاتبحث عن مساعدين كي تذرفوا عليهم الدمع . لنبتهل اليهم . يجب ان نبتهل معاً . وان نقيم الحداد ـ على انفراد . الحداد الشخصي . حدادك الفردي .

هكذا تصرفوا ايضاً مع اسرتي . اخي الوحيد الذي لم اعرف سواه . سقط من لمركبة وقتل في (كفرسبا) عندما تجند ابي في الجيش البريطاني وترك (تل عداشيم) مؤقتاً حتى انتهت الحرب ، لكوني صغيراً استفسرت من امي وطلبت ان تصف لي اخي . لم تبق له صورة واحدة . اردت ان اعرف ماذا حدث . كانت قليلة الكلام . هكذا حدث . اهل يمكنك ان تغير شيئاً . قبلت ذلك بارتياح . طبقت هذا المبدأ على نفسي دائماً . في كل كارثة . قبلت ماحدث وواصلت العمل كالعادة .

هكذا تصرفت عندما ابلغوني عند ملتقى طرق رفح عشية اول يوم في حرب الايام الستة ان «جيورا» اين اخي «صموئيل» قتل قلت للضابط الذي ابلغني الخبر : شكراً . تذكرت «جيورا» مرات عديدة ـ طوال يوم القتال الاول . ففي نفس الصباح وقبل ان نخرج للقتال احضر لي زجاجة ويسكي . احتفظت بها في عربتي نصف المجنزرة . الآن عرفوا بسقوطه . لقد وضعت سوراً بين الكارثة وبيتي . كانت الحرب امامنا . اديت مهمتي كالعادة . كانت مشاعري خاصة . رشفت في كل صباح من ايام الحرب المتعاقبة رشفة قليلة من زجاجة ويسكي «جيورا» . وتذكرت .

وهكذا عندما سقط ابني الطيار . وكنت كرئيس هيئة الاكان العامة اشترك في المشاورات التي كانت تدور في مكتب رئيس الحكومة بالقدس . تليفون عاجل من قائد

السلاح الجوي . كارثة طائرة . لم يروا الابن هابطاً بالمظلة . انهم يبحثون . عرفت الصيغة . وعرفت انه ليس هو . عدت الى تل ابيب . في نفس تلك الليلة كانت لدينا دعوة لتناول وجبة عشاء عن يوما شبيط» في تل ابيب . زوجتي (مريم) على وشك الوصول الى تل ابيب . اتصلت بالمستشفى في (عفولا) حيث تعمل (مريم) كممرضة . اخبرتها الا تحضر . سأحضر الى البيت .

وفي تل ابيب ارادوا ان يطيروا بي الى «عفولا» بالهليوكوبتر . طلبت الا يبلبلوا افكاري . طرت بنفسي بطائرة خفيفة الى (رمات دافيد) . وواصلت بسيارة الى عفولا . اخذت (مريم) من المستشفى . سادنا الصمت . لم تسأل عن شيء . ربما عرفت . ربما احست . نزلنا من السيارة . ذهبنا الى الفناء . رويت لها ـ ساد الصمت مرة اخرى ردت مثلي . مالايمكن ان يتغير يجب ان نتقبله بارتياح .

وكان الاستعداد لضرب المفاعل العراقي على اشده . لم استطع ان اروي (لمريم) ولكني اخبرتها اننا نستعد لعمل كبير وعلي ان اعد سريعاً بقدر الامكان لتنفيذ مهمتي . لم يكن عندي شك في ان تفهم . كلانا كنا راضيين . لن نستطيع ان نعيد ابننا «يورام» الى الحياة مرة اخرى .

وفي ذكراه السنوية توجهنا الى قبره في (تل عداشيم) . اهتممنا بالاشجار والمشروبات . وكنا نزيل الاعشاب الضارة .

كانت الكارثة نتيجة خلل فني . شيء ما في الجهاز الهايدرولوجي لـ «الكفير» انه اهمال بسيط جداً ولكن خطبه عظيم . لم يكن بالامكان فتح المظلة .

بعد ذلك كنت في «عتسيون» وهناك تمت كل اعمال الهجوم على المفاعل في العراق .

كنت هناك مرات عديدة . في المرة الاولى رفضت العملية . في المرة الثانية اقلعوا واغاروا . قابلت زملاء يورام من الطيارين . تحادثنا . تحدثوا عن يورام . قلت لهم انني عرفت يورام جيداً . قذف عدة مرات . ومرة تراخى كان الموجه . كان معه متدرب . دخلت الطائرة في دوران مقلوب . وهذه حالة لايمكن تقاديها . في مرة ثانية ـ سكاي هوك ـ دخل عصفور الى المحرك . بذل كل مافي وسعه لانقاذ الطائرة واضطر للقذف . في المرة الثالثة حاول انقاذ الطائرة . ولو لم يقذف قبل خمس ثوان لكان قد انقذها . هذه مسألة شخصية . كل انسان يعمل وفق ماتمليه عليه حالته النفسية .

اندهش الشباب في عتسيون : كيف استطيع ان احادثهم بمثل هذا البرود وان اتصرف بشكل اعتيادي في مسألة تحطيم الفرن (الذري) العراقي ولم يكن قد مضى على سقوط يورام هنا في عتسيون الا وقت قصير . اوضحت لهم : لانخلط المجالات . كل امر له مجاله . لكن مالا ينبغي ان يتغير ان تبقوا مرتاحي البال .

لم تجر في بيتنا كلمات كبيرة لم الزم اولادي بأي واجب لم يكونوا في حاجة الى اثبات جدراتهم امامي . وليس هناك انسان يحتاج ان يفعل شيئاً حتى يكون في نظر اي واحد آخر . كما اراد يورام ان يتحرر من اية تبعية لي . وقد اقام لنفسه عالمه الخاص ووفقاً لما تمليه عليه مبادىء هذا العالم ـ تصرف بالشكل الذي تصرف به .

ولم يبق الا جمع الاحداث ـ وسأل شخص ما ذات مرة عما اذا كان هناك علاقة بين الحوادث في عائلتي وعائلة زوجة يورام . اب زوجة يورام عقيد زوريك لف طيار محنك سقط في حرب يوم الغفران عندما قاد تشيكلاً من طائرات سكاي هوك لغارة في قناة السويس . كان هناك ستة من اليتامى في بيته . وكل سنة يخرجون مع الام طلي بمناسبة ذكرى زوريك لغرس الزيتون حيث زرع زوريك الزيتون واحبه . اما الولد الاكبر اودي ـ «زوريك الصغير» ـ كما يسمونه والذي كان يتحدث كأبيه ويمشي كأبيه فقد اصابته نوبة ربو مات فيها . كما ان ابني الكبير قد توفى منذ سنتين نتيجة نوبة ربو في تل عداشيم . لم يكن قد مضى على زواج يورام واوفير الا اسبوعان عندما قتل في حادثة الطائرة . وفي كفر بلو حيث يقع بيت زوريك تجلس اثنتان من ارامل الطيارين . وفي تل عداشيم والدان واخوات فقدوا الابن والاخ .

لم اقل هناك اية علاقة بين الحادثتين . فهذا مجرد سرد للاحداث ، وليس ذلك من مغزى . فكل انسان عليه ان يواجه كوارثه بنفسه .

وتبقـــى كلمـــــة

في التاسع عشر من نيسان فتحت المفكرة . مراسم في مكتب رئيس الحكومة في القدس . حضور جمعية في كريه . تهاني . ولم يكن لدي اي احساس بمرحلة جديدة او عتبة اخرى . لم تكن لدي اية ازمة . سمعت وقرأت عن ضباط كبار كان تسريحهم من جيش الدفاع الاسرائيلي مرتبطاً بمخاوف كبيرة وعلامات استفهام حول ماذا سيصنعون من الآن فصاعداً . لم يحدث الى شيء من هذا . عدت الى البيت . فلم اترك طول حياتي تل عداشيم . كنت في مهمة انتهت . بدلت ملابسي وذهبت الى ورشة نجارتي . مرت خمس سنوات وثلاثة ايام منذ تقلدت منصب رئيس الاركان العامة .

لم اتصرف كما جرت عليه العادة : كان بوسعي وفقاً للعرف ان ابقى سنة محسوباً على جيش الدفاع الاسرئيلي . اتقاضى كامل راتبي واقود سيارة عسكرية . اتمتع بكل المزايا . مقتنعاً الا اتصرف هكذا . فبعد عشرة ايام من تركي منصب رئيس الاركان

العامة وتسريحي من الجيش اعدت السيارة واقتنيت سيارة خاصة وفي نهاية نيسان كنت مدنياً بمعنى الكلمة مع كوني طياراً احتياطاً .

ومنذ تسريحي تزاحمت علي الطلبات ـ فقد دعيت للمحاضرة في المدارس والمعاهد في مدن وضواحي ومستوطنات العمل . درت في كل البلاد . ولم تعد الآلة التي تعودت عليها تعمل : متحدث بأسم جيش الدفاع الاسرائيلي ، رئيس المكتب ، السكرتارية . لقد اجبت تحريرياً على الجهات . وسافرت الى كل مكان بسيارتي . دفع لي اصحاب الدعوات مصاريف الوقود .

تبلورت النواة السياسية التي ادت الى ظهور حركة «تسومت» على مراحل مختلفة . فقد جرت محاولة لبعث «حوغ عين ڤرد» ، اي (دائرة او جماعة عين ورد ـ المترجم) ، وبعد ذلك قررنا ان نقيم صيغة غير حزبية لصهيونية متجددة تعتمد على اربعة كبادىء ـ اهداف : الامن : لصيانة اسرائيل من خطر الابادة . المجتمع : تكوين قوة مستمرة ليهود العالم . الاقتصاد : للحد من الانكال على السياسة : التوصل الى اعتراف دولي بحدود دولة اسرائيل الكاملة وحقنا في ارض اسرائيل الكاملة .

بدأنا في جمع القوة وبلغ عدد الاعضاء المسجلين اكثر من خمسة الآف وجمعنا الاهداف الاربعة في خمسة مبادىء مفصلة : الاستيطان ، التعليم ، الهجرة ، العمل بوتيرة عالية والاستعداد دون تنازل للنضال من اجل دولة اسرائيل دون كلل .

حلت الكنيست العاشرة قبل موعدها . وكان علينا ان نقرر ما اذا كنا سندخل الانتخابات . واذا كان الامر كذلك هل ندخلها بمفردنا ام مع عنصر آخر . وبعد حيرة قررنا دخول الانتخابات مه «هتحيا» . اجريت المفاوضات مع زعماء «هتحيا» وزعم اصدقائي بأني طيب ولم احسب حساباً للمسائل الشخصية . ولست آسفاً اننا سرنا مع «هتحيا» حتى وان كان نجاحنا متواضعاً عما توقعنا .

وزعم الخصوم السياسيون وحتى الاصدقاء انني لم اتعود على الكنيست . وانني وجدت نمطا لم اعرفه الا بحضوري لجان الخارجية والامن . فاذا كان معنى عدم مقاطعتي انني لم اعايش حياة الكنيست ـ فأنني معترف بهذا الاتهام . انني لااتكلم الا عندما يأتي دوري . جلست شهرين استمع في الكنيست . تعلمت . اخذت من تجارب الآخرين . مبادىء النشاط العملي في لجان الكنيست . حتى وان لم تكن ذات اسس فان التعبير هناك حر والمداولة جادة بوجه عام .

وعلى خلاف مايتصوره الناس (حتى انني كنت اتصور ذلك) فان الكنيست مؤسسة مرتبة ومنظمة وتعمل بنظام مستقر كما ينبغي ، بصيغ وأطر ثابتة .

والمسألة الاساسية كما هو مفهوم هي ، ما اذا كانت الكنيست ذات اثر على مجريات

الامور . فالحكومة الموسعة قد حرمت الكنيست من امكانية التأثير بنفوذها على السلطة التنفيذية . فالحكومة تستطيع ان تمرر كل مايخطر ببالها على الكنيست . والحكومة لاتتصرف كعنصر حاكم في السلطة ، بل تتصرف كادارة ائتلاف كبير ذي طرق لايتنازل عن افكاره . ومعظم الصراخ والمباريات الكلامية في الكنيست يكون بين عناصر الائتلاف .

ان الحكومة الموسعة التي تعتمد على قاعدة واسعة قد اضاعت فرصاً ذهبية لحل المشلات الاقتصادية والمالية لاسرائيل . وقد اصبح واضحاً ان القاعدة الواسعة هي عارضة خرسانية مقسومة قسمين تعتمد في وسطها على عمود واهن وان اية هزة تهددها بالسقوط .

قال لي احد اعضاء الكنيست المجربين وهو يمثل احدى الجماعات : نحن ممثلو الشعب . لقد وصلنا . ولايكفي مانأخذه . سنحصل على امتيازات اكثر ومزيد من الحقوق ومزيد من الراحة ومزيد من الاجور وكان هذا كل ماجرى بيني وبين اعضاء الكنيست من نقاش . وهكذا يكون (هذا العضو) قد استوفى حقه . وفي اعتقادي ان على ممثلي الشعب ان يكونوا المثل الذي يقتدي به . وفي هذا الوضع الاقتصادي العصيب وعندما يكون مطلوباً من كل المواطنين ان يخفضوا مستوى حياتهم ـ فأن على اعضاء الكنيست ان يتقدموا الصف في التنازل عن الاجر والمميزات والمظاهر . وبهذا فقط يكونون جديرين بتمثيل الجمهور وزعماء له . تنازلت عن ٥٠٪ من راتبي الشهري لصالح «ليبي» . وعندما دخلت الكنيست لم يكن علم الدولة قد رفع عليها . بدأت في ورشة نجرني في عمل القاعدة التي يرفع عليها العمل . قالوا لي : ان هذا الامر لايجري هكذا . ان المعماريين هم الذين يصنعونها . كنت مهموماً . وعندما علمت ان عمل المعماريين يحتاج الى تكاليف كبيرة وفكرت : ها انذا ادعو للتوفير والى حياة التقشف اتسبب في انفاق اموال من خزينة الدولة . ارسلت الى سكرتارية الكنيست مبلغ ١٠٠ الف شيكل مساهمة لاقامة قاعدة العلم الوطني . تبعني نحمان راز . سمع الآخرون وهزوا رؤوسهم . قال لي رئيس الكنيست : لسنا دلافين (جمع دلفين) وهذا هو الحوار بالضبط : اننا بالتأكيد دلافين ! لاتزال حوالتي موضوعة في درج سكرتير الكنيست . طالما لم ير الشعب اعضاء الكنيست كمبشرين وكقدوة فان الهوة ستتسع بين المواطنين وبين ممثليهم .

«البشارة» قد صدرت عن «الزعماء» : لم تحقق الحرب أياً من اهدافها . واضاف الصحفيون والمعلقون وغيرهم كلمات من عندهم . وقبل ان انتهي من هذا الكتاب الشخصي اريد ان احدد : لقد حققت حرب لبنان كل الاهداف التي رسمت لها : ازيل

المخربون . حطمت قواعدهم . وضع حد لزعامة عرفات في لبنان . تضاءل التأثير السوري في لبنان . اذا لم يكن قد اختفى ، وعن طريق سيطرتنا على طريق بيروت دمشق . قضينا على الاتجاه السوري للعمل في لبنان قضاءً جسدياً . تم توقيع معاهدة حكومة لبنان تقوي علاقة الدولتين اسرائيل ولبنان بصيغ قريبة للسلام . وضعت قوات متعددة الجنسية في لبنان لتأمين استتباب وسيطرة نظام امين الجميل . وبعد ان اصبحت هذه المكاسب ملكاً لنا قلبنا الامر بأيدينا رأسا على عقب : نزلنا من جبال الشوف . اخلينا طريق بيروت ـ دمشق . قمنا بهذا الامر نتيجة عدم التحمل وقصر النظر . خضعنا للضغوط الداخلية . اعدنا السوريين للبنان وأمننا تأثيرهم هناك . الغيت الاتفاقية مع لبنان . اخرج الارهاب القوات متعددة الجنسية . بدأنا في الضغط لابعاد الارهاب عن جيش الدفاع الاسرائيلي . كانت هذه حماقة مخيفة . لايمكن التسامح معها . لو بقينا في الشوف عدة شهور او الفترة الزمنية المطلوبة لكان الوضع قد تغير تماماً في لبنان . لقد فهم السوريون الوضع احسن منا بكثير . لقد احسنوا قراءة الخريطة الاسرائيلية لسنة ١٩٨٥ . لقد بدأوا حرب استنزاف ضدنا . من الحماقة الحديث عن ارهاب شيعي ، عن ارهاب الانتحاريين . كلهم يعملون بأسم حافظ اسد رئيس سوريا بتشجيعه وأمره وتكليف منه . لقد خلقنا السوريين وضعاً مثالياً . انهم يستعملون الارهاب ، ويوجهونه انهم يتعجلون ويحثون ويضرمون النار ـ ويقفون جانباً ويحظون بتبريك الرئيس ريغان على دورهم في اطلاق سراح المختطفين في طائرة تي دبليو أي . ونحن ـ على حد تعبير ضباط كبار ـ ننتقص من شأن انفسنا ونعترف اننا «لانستطيع ان نتعامل مع الارهاب الشيعي» ولم تكن هناك مثل هذه الاهانة منذ تأسيس الدولة واقامة جيش الدفاع الاسرائيلي . ولم يحدث فشل مخيف كهذا . وهكذا نكون قد صادقنا على امر مفزع : قرأ العرب ضعفنا وردنا بشكل صحيح . وهم يقولون : اذا لم يستطيع جيش الدفاع الاسرائيلي التعامل مع الارهاب فاننا نستعمل الارهاب في كل مكان . والنتيجة ان يكيدوا لنا في كل مكان . وتعود النار الى الشمال ونضطر للعودة للبنان ـ في ظروف اصعب واخطر مما عرفنا حتى الآن . كان عندنا دلو مملوء لبناً فركلناه ركلة وسكبنا كل مافيه .

جيش الدفاع الاسرائيلي الذي حارب وانتصر في كل الحروب الصعبة جيش الدفاع الاسرائيلي جيش التحرير ، جيش الدفاع الاسرائيلي جيش حرب قادش ، جيش الدفاع الاسرائيلي جيش حرب الايام الستة ، جيش الدفاع الاسرائيلي جيش حرب الاستنزاف الصعبة في السويس ، جيش الدفاع الاسرائيلي الذي اغلق سهل الاردن ، جيش الدفاع الاسرائيلي الذي سد الحدود الشمالية ، ولم تستطع مجموعة تخريبية ان تخترقه منذ

١٩٨٠ ، تلقى هزيمة منكرة في حربه ضد الارهاب في لبنان . لقد رفع الايدي واضطرت القيادة السياسية ان تعمل ضد المصالح الوطنية المعلقة لاسرائيل . لم يحدث هذا الامر قط من قبل وغداً يدفن الارهابيون بعض الشحنات في قطاع غزة ويضطروننا لتركه وهذا تعبير خطير عن الضعف . سمع العرب ماقلنا . وقد فهموا وسيعملون اللازم .

كان باستطاعتنا ان نحتفظ بقسم من المكاسب لو حافظنا على السيطرة الكاملة على كل الليطاني حتى ساحل البحر . فهكذا كنا نستطيع ان نحرم المخربين من النزول جنوباً . لكننا لم نضع هذا الشيء : وقعنا في مأزق نفسي كبير نتيجة الضغوط السياسية الداخلية . عاد المخربون يبثون اقدامهم جنوب الليطاني وكان جيش الدفاع الاسرائيلي السبب في اضعاف القيادة السياسية .

ولكل من يقول ان الجيش استغل في لبنان لضرورات سياسية اقول من فضلك عرفني لماذا وجد الجيش . لقد وجد واقيم كآداة تستعملها القيادة السياسية . والحكومات السابقة استغلت الجيش لأي غرض سياسي ـ بما في ذلك التدخل في اضراب البحارة في الخمسينيات ، لكن في هذه المرة اصبحت مشكلة : القيادة السياسية من نوع آخر وذات شخصية سياسية مختلفة عن الحكومات السابقة . يمكن ان يكون الثمن صعباً ومستمراً : اننا نتوقع ارهاباً معززاً وذكياً وحاداً اكثر مما عرفنا حتى الآن . يستأنف الضغط في لبنان ويحتمل كذلك في الحدود الاردنية . ومصر لم تخرج من حلبة الحرب . لن يتردد اول فرصة تسنح لمبارك لاعادة زعامة مصر في العالم العربي فلن يتردد في القيام بهذا (الاشتراك في الحرب) على حساب السلام مع اسرائيل . وليس من الضروري ان يعبر عن هذا تعبيراً حربياً ، وان لم نستبعد ان يحدث هذا . لقد اذللنا انفسنا ذلاً وطنياً عندما طلبنا ان يعود سفير مصر لتل ابيب . لقد اضعفتنا هذه المذلة امام العرب .

ان كل محاولات الحوار مع وفد اردني فلسطيني لن تؤدي الى اي شيء . لم يبق الاسلام واحد على طريقة السلام مع مصر ـ وفقدناه ـ لاكلام بعد عن انحاء سيناء المهجورة والخالية . هذه ارض اسرائيل وسوف يحاولون حثنا على اخلائها . ومن يتوق لسلام شكلي مع الاردن فانه ينسى ان الوضع الآن هو الوضع المثالي : امن على الحدود . تعاون امني . علاقات تجارية مزدهرة . والسلام الشكلي ليس ضمانة من الحرب وغياب هذا السلام لايؤدي الى الحرب ـ لافي الشرق الاوسط ولافي منطقة اخرى . فحسين واقعي وعملي اكثر منا : فاذا وقع معنا معاهدة سلام ـ فهذه نهايته . كما كانت نهاية السادات . فالتعاون مع الاردن احسن مما مع مصر . لكننا نخطىء لاننا لانفهم العالم العربي ونحاول سحب حسين لمائدة المفاوضات .

لم تنته حرب استقلالنا فنحن في اوج حرب وجودنا . محظور علينا ان نستعجل النهاية . محظور ان نتعب . محظور ان نعد السنين ومحظور علينا ان نتوصل الى النتيجة القائلة : من غير الممكن اكثر من هذا .

ان احدى المخاطر الكبرى التي تحدق بنا ، وربما اخطرها على الاطلاق هي وجود سلاح نووي عند العرب . وقد اثبتوا انهم تعودوا على الاسلحة غير التقليدية ـ سواء في حرب اليمن او حتى الحرب العراقية الايرانية ولن يترددوا بالتأكيد من استخدامها ضدنا وان الاستنكارات العالمية لن تجعلهم يرتدون . ولامجال في الشرق الاوسط لميزان الرعب ، كما بين الدول الكبرى . وبسبب المدى الجغرافي وقلة السكان فليس في استطاعتنا الانتقام بنفس المدى ممن يستخدمه ضدنا . وعلينا ان نمنع بكل السبل وجود سلاح نووي لدى العرب ، حتى وان اضطررنا للعمل كما فعلنا في العراق . ولو لم تحطم اسرائيل الفرن (الذري) العراقي ، لكنا اليوم عرضة لتهديد نووي باستعمال قنبلتهم النووية . يحاول الليبيون الآن امتلاك قنابل ذرية وليس ثمة ضمان ان تصمد بعض دول الغرب امام الاغراء المالي (ويتصرف الاتحاد السوفيتي بمسؤولية كاملة في هذا الشأن) .

واختتم حديثي بهذا الاستشهاد المناسب : لن نسمح بالتخلي عن شبر واحد من ارض اسرائيل . ان حاجة الشعب اليهودي في العالم والاستيطان اليهودي في ارض اسرائيل يحتمان عدم تقليص مساحة الدولة الصهيونية بل توسيعها . لاتقسيم الارض بل توسيعها وتطوير كل مناطقها هذا رأي واضح نشرته «هشومير هتسعير» في تموز ١٩٣٧ ، قبل ثمانية واربعين عاماً (من كتاب «هشومير هتسعير» الجزء الاول ص ٢٩٠) .

هذه الحقيقة لم تتبدل . لقد فشلت كل المحاولات الاخرى . ويبقى فقط التمسك الكامل بالاهداف الوطنية . وتأسيس دولة قوية ، ساحرة ، مناضلة هو الضمانة لوجودها . وكل طريق آخر يؤدي الى الوهن والى مزيد من الحروب . انني اثق في الشعب ولم يفقد الشعب سحرة واستعداده للنضال . لكن بعضاً من القيادة السياسية والعسكرية وقعوا في الوهن ونفاذ الصبر .

اول تموز ١٩٨٥

ملحـــق

« الصـــور »

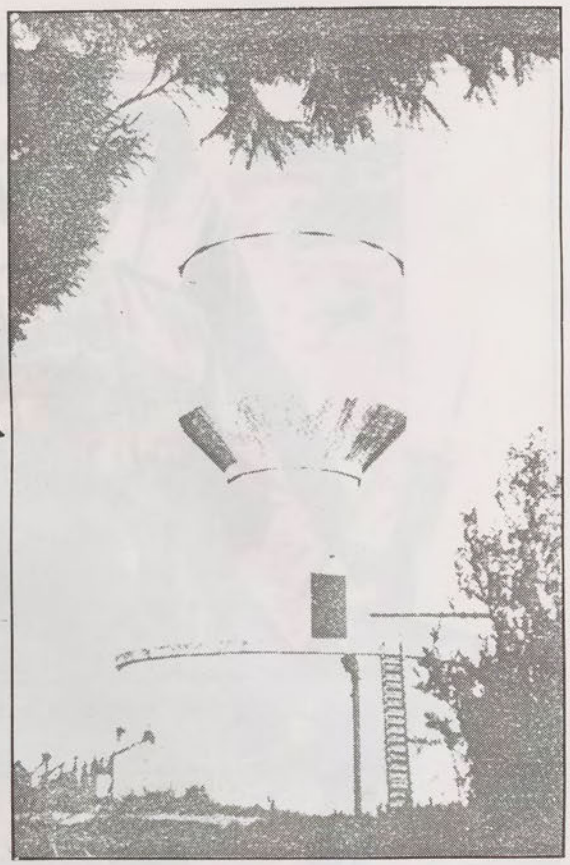

خزان الماء القديم في تل عداشيم .

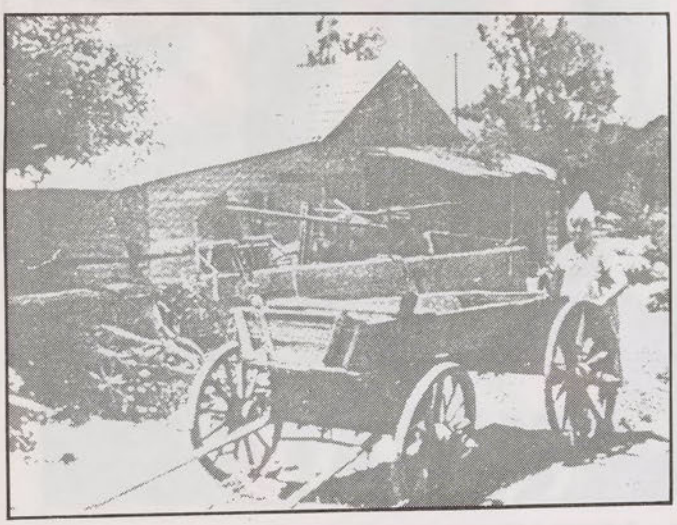

العربة القديمة

بمزرعة اسرة إيتان .

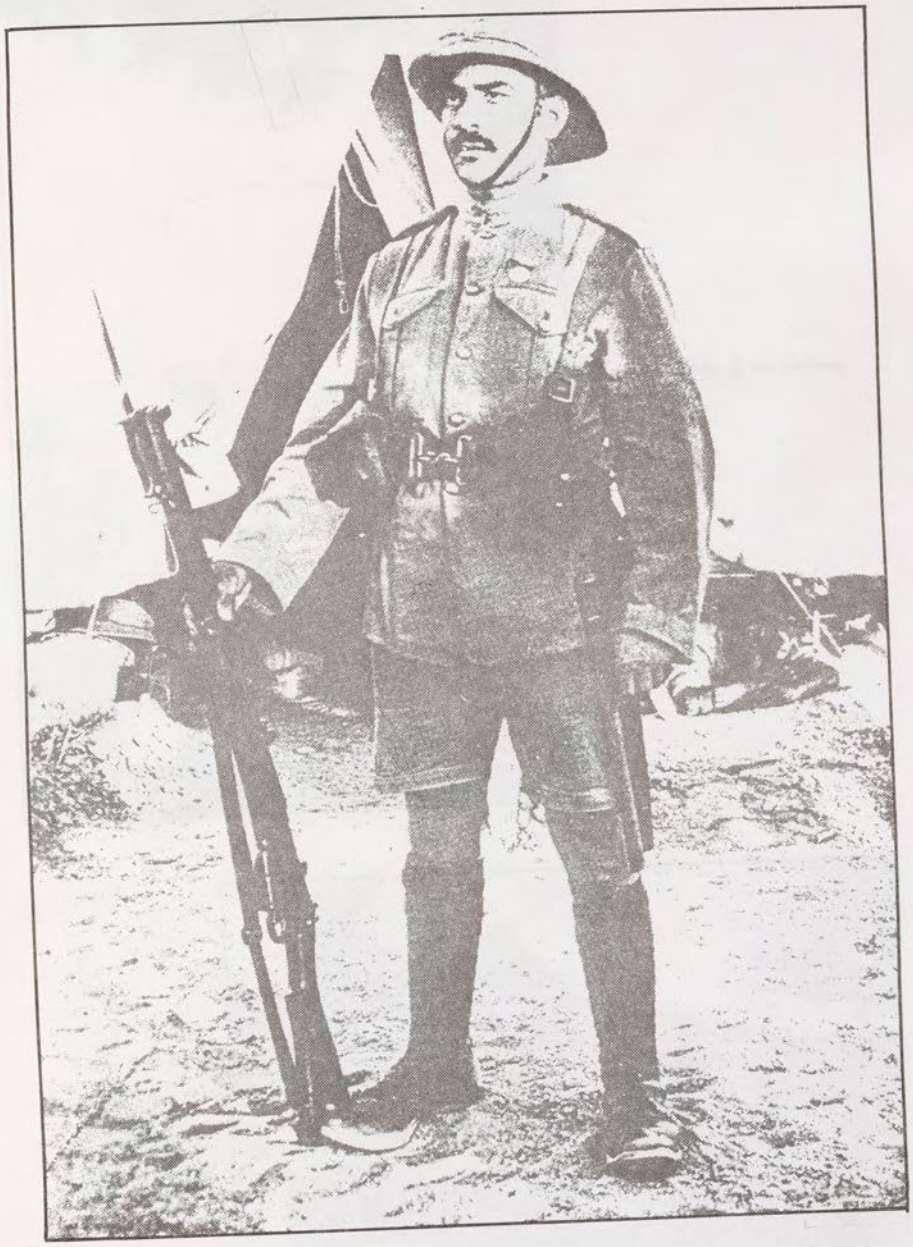

والد رَفول في الجيش البريطاني .

رفول وعمره ست سنين في تل عداشيم .

رفول (الجالس في الوسط) برفقة اطفال المستوطنة التعاونية .

رفول (من اليسار) برفقة صديق باجتماع السرية (و) في جحره .

رفول (من اليمين) برفقة صديق في فصل سرايا الصاعقة (بلماح) بمستوطنة مشماروت الجماعية ـ ١٩٤٦ .

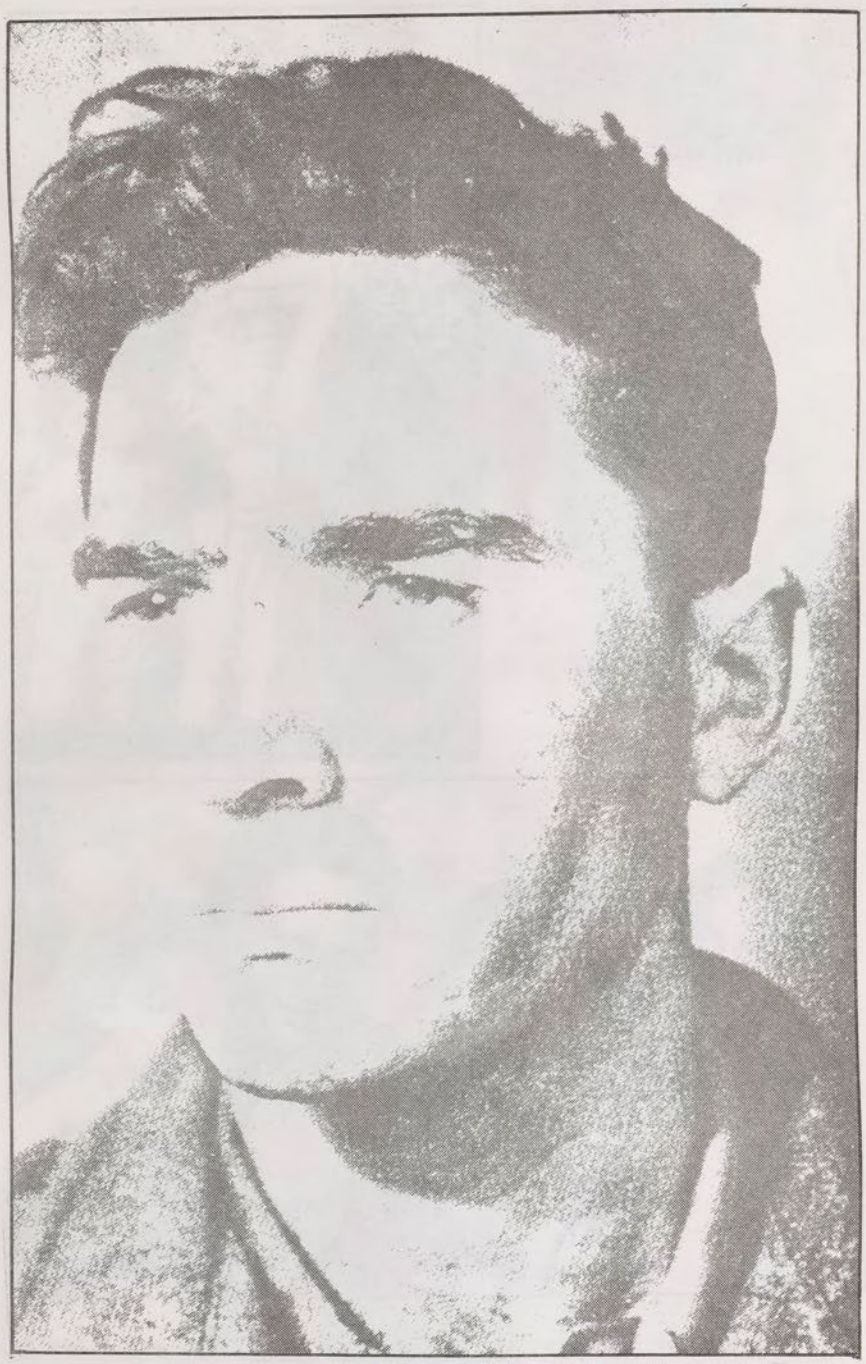

رفول في حرب الاستقلال ـ ١٩٤٨ .

١٩٥٦ - رفول وزوجته والاولاد

من اليمين الى اليسار : يورام (ابن رفول الذي مات في حادثة طائرة) ، الزوجة مريم ، الابن البكر يونتان (ابن رفول الذي مات في نوبة ربو) ، والدة رفول

من اليمين الى اليسار : الببت روبي

رفول ، مريم ويورام طاب ذكراه .

١٩٦٣ ـ من اليمين الى اليسار :

رفول ، يورام ، روتي والجده

أبناء صف رفول في تل عداشيم ، في اجتماع عقد قبل ست سنين .

قيادة الفوج الرابع في بيت جز في حرب التحرير.

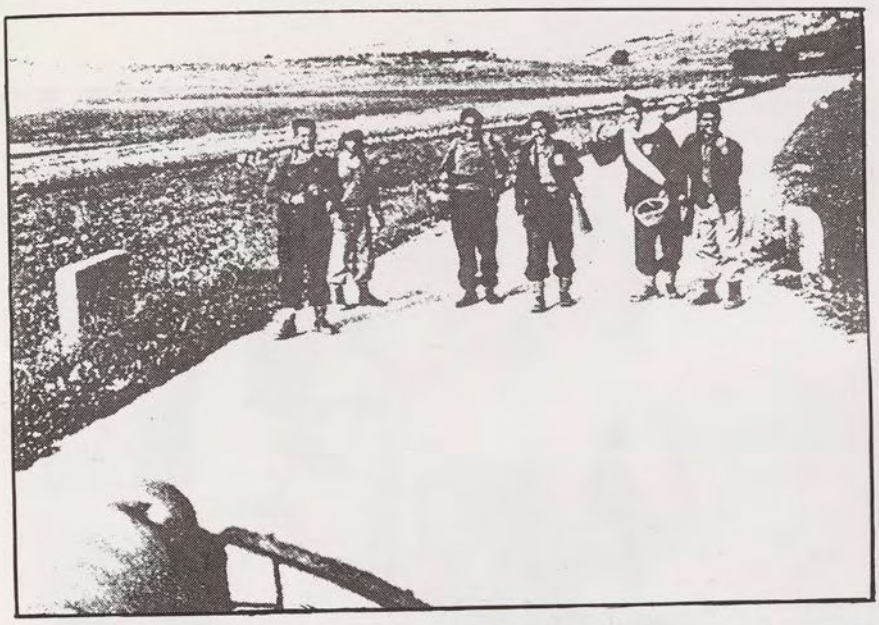

في شارع هارطوف - بيت جملين ، في حرب التحرير.

في فناء بيت بيرمان بقرية عناقيم ، في حرب التحرير.

رفول (من اليمين) في دورة امراء الافواج - ١٩٥٣ .

موسكو ١٩٥٦ - رفول (الثاني من اليمين) مع ممثل وفد الولايات المتحدة ومرافق روسي .

المساهمون الاجانب بدورة «المارينز» في الولايات المتحدة الامريكية امام نصب ايفو جيما . رفول الثاني من اليمين في الصف الاوسط .

وفد المظليين لموسكو في زيارة توديعية لرئيس الوزراء داڤيد بن جوريون طاب ذكراه . رفول ـ ثاني الجالسين من اليسار .

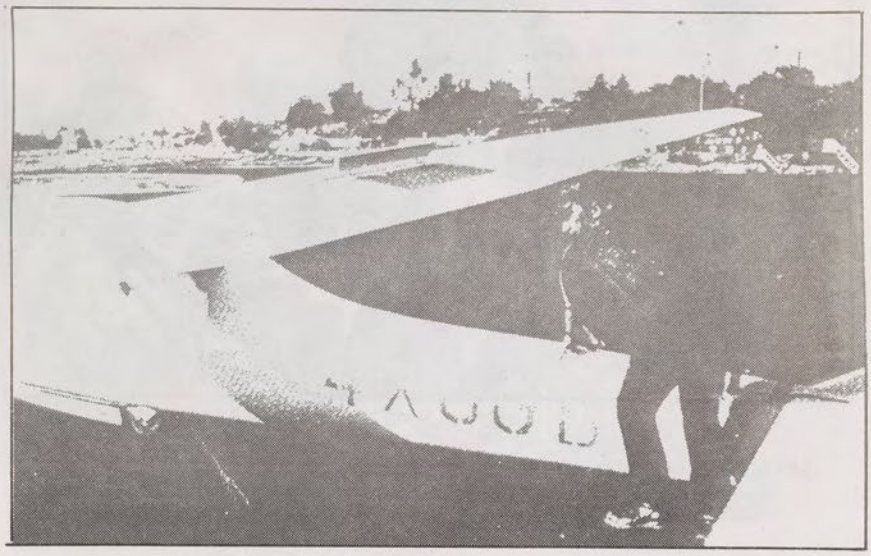

رفول والمنزلقة بعد الهبوط في إيلات

«حملة قادش» ١٩٥٦ . لواء شارون يصل الى المتلا من اليمين الى اليسار : رفول ، شارون (امر اللواء) ، داني مط ، إيليعزر (ضابط ارتباط رفول) ، موطي غور وعما نوئيل شقد ضابط شعبة حركات اللواء .

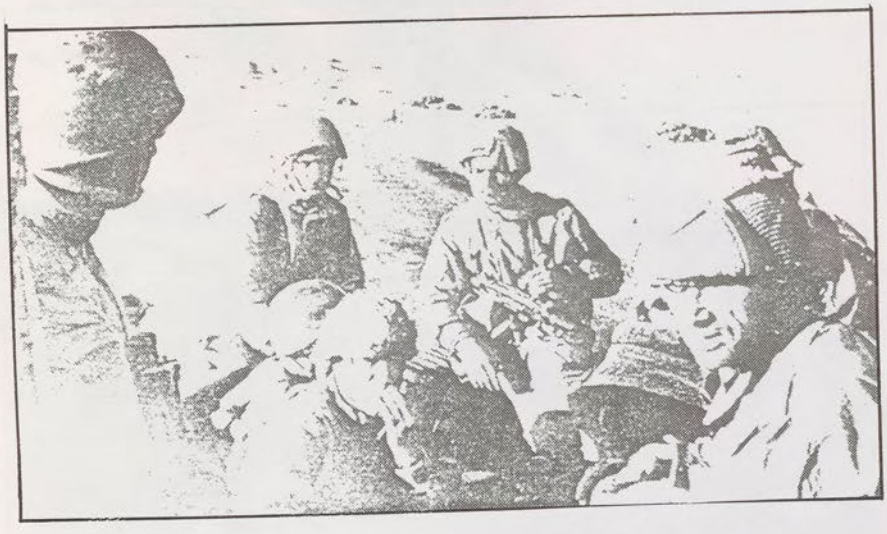

رفول (من اليمين) في عربة القيادة المسرفة ، في الطريق الى راس سودار . «حملة قادش» ١٩٥٦ .

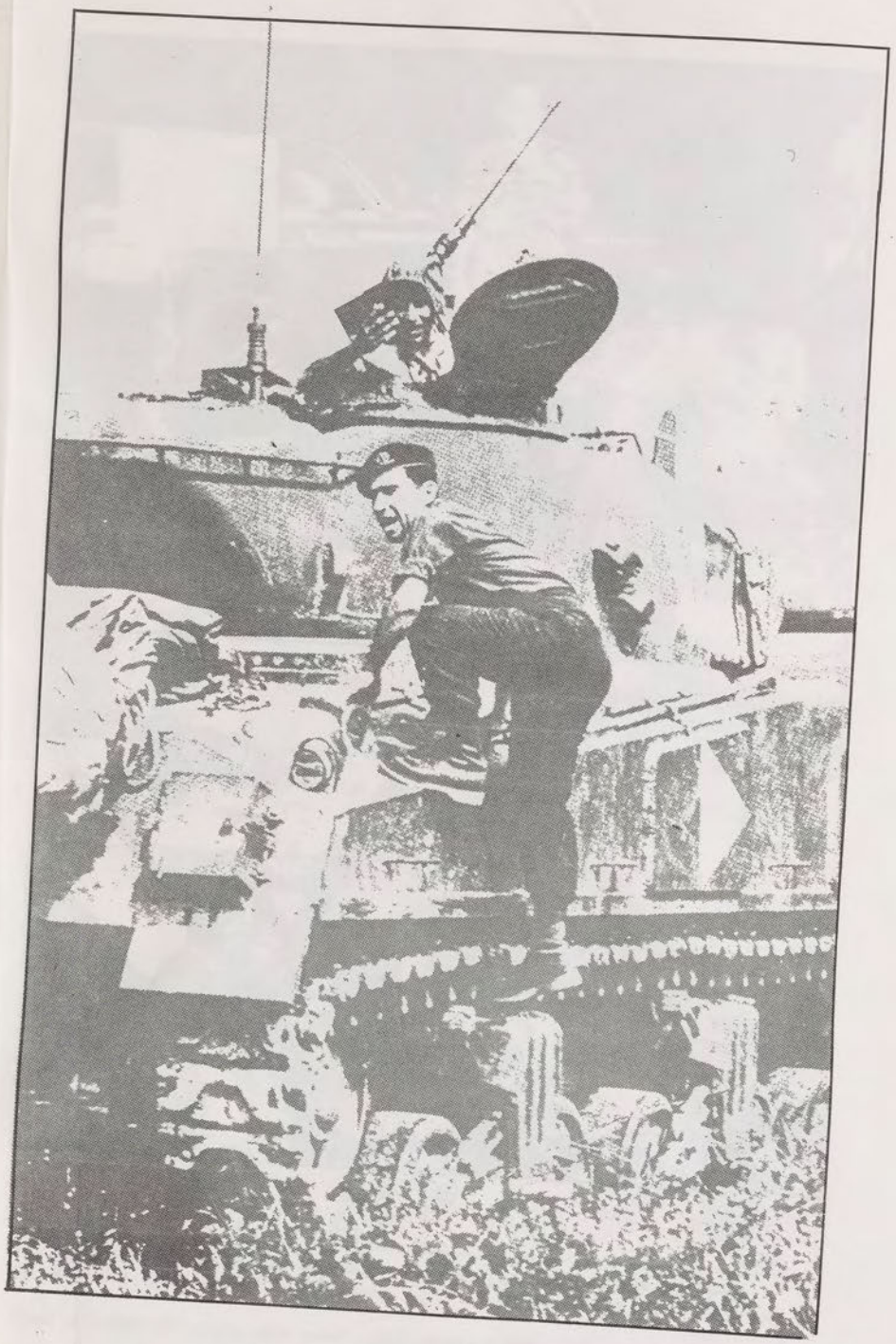

رفول في حادث تبادل نيران قرب حولته - ١٩٥٦ .

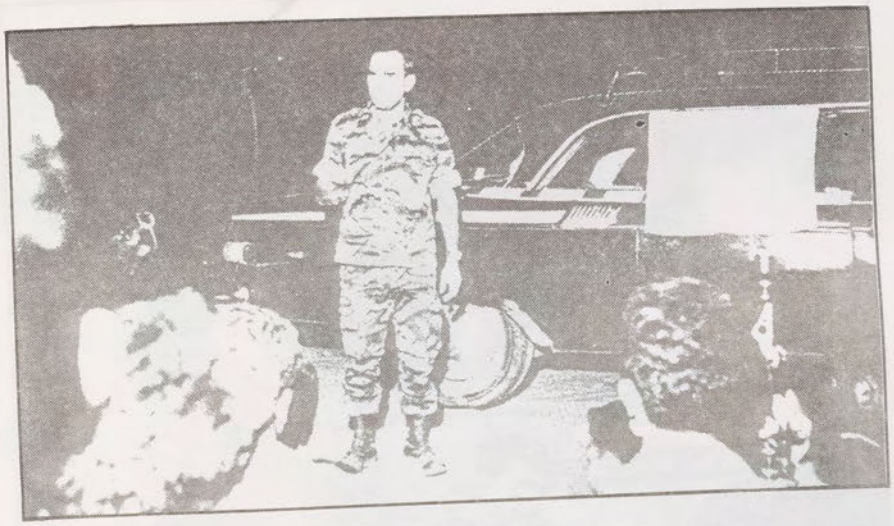

رفول يلخص الاوامر النهائية للمقاتلين قبل الإغارة على قلقيلية ـ ١٩٦٥ .

رفول (من اليمين) وموشه ديان طاب ذكراه عندما كان وزيراً للدفاع ، في لقاء مع الجنود

في حادث تبادل نيران في سهل ايلون . رفوّل آمر لواء مظليين ، الجالس من اليمين .

رئيس الاركان العامة ، اللواء جيم برليف (من اليمين ، يتطلع بالناظور) في تمرين مظليين . والى جانبه ، من اليمين الى اليسار : رفول (ضابط المظليين والمشاة الاول) ، العميد دافيد إبليعزر طاب ذكراه (آمر شعبة الحركات) ، العميد رحبعام زئيفي (كندي ، قائد القطاع الاوسط) .

رفول (من اليسار) مع العميد يسرائيل طل (طليك) في مفرق رفح في نهاية يوم المعارك الاول بحرب الأيام الستة ـ ١٩٦٧ .

رفول (من اليسار) مع ددو (دافيد إيلعزر) طاب ذكراه .

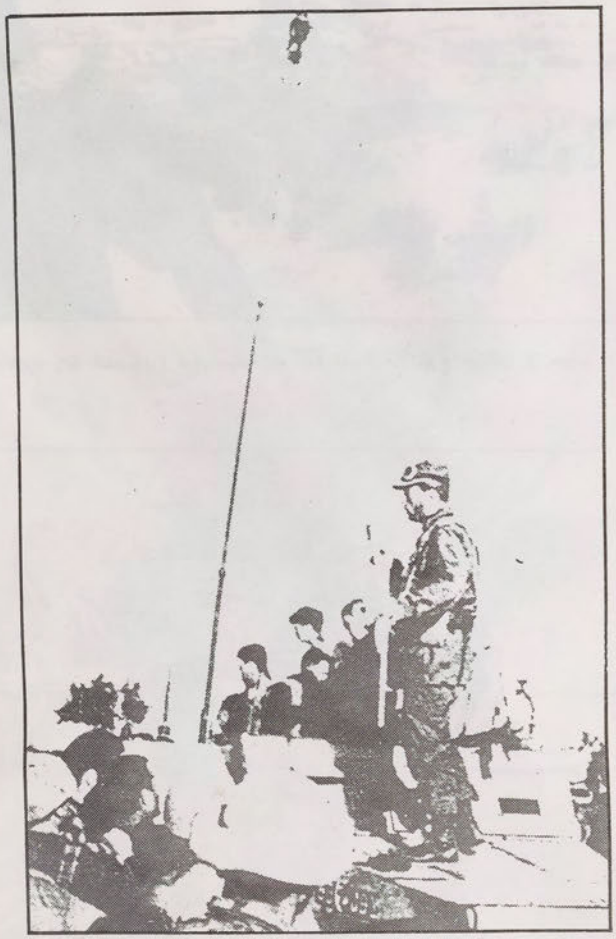

عربة قيادة رفول المسرفة في حرب الإيام الستة

رفول (ظهره لالة التصوير) امام دبابة مصرية ثقيلة من نوع ستالين في حرب الأيام الستة .

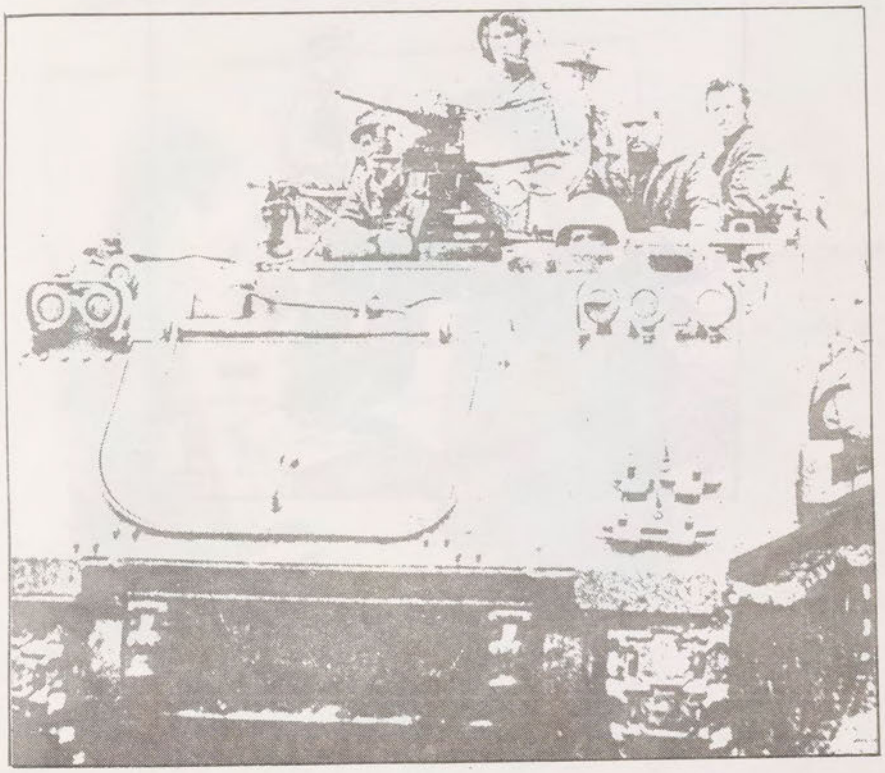

رفول (الثاني من اليمين) وموشه ديان طاب ذكراه (الاول من اليسار) في الطريق لموقع حرمون (جبل الشيخ) حرب عيد الغفران .

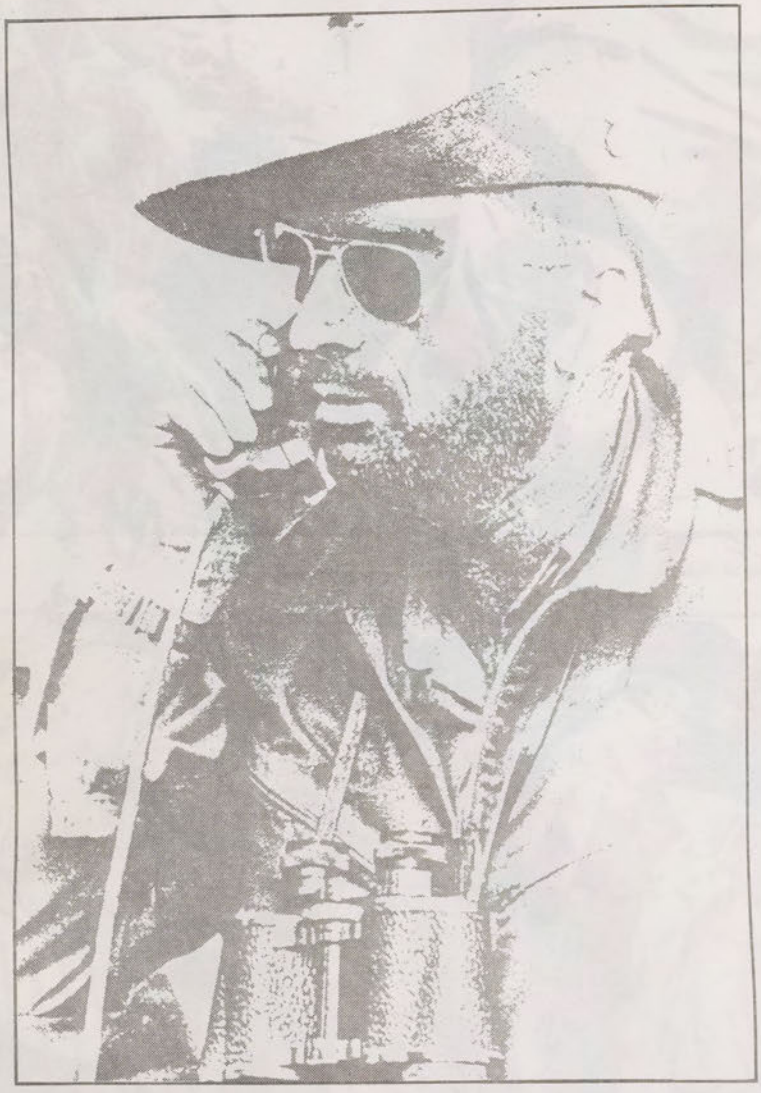

رفول في حرب عيد الغفران .

خريطة معارك رفول في حرب عيد الغفران

مجموعة قيادة الفيلق في حرب عيد الغفران . رفول من اليسار .

رفول (من اليسار يتطلع بالناظور) في جولة على الحدود اللبنانية . من اليمين الى اليسار : موشه ديان ، موطى غور ودافيد إيليعزر طاب ذكراه .

رفول (الثاني من اليمين) مع قادة في حرب عيد الغفران ـ ١٩٧٣ .

٩

رفول (الاول من اليسار) مع اسحق ربين (الاول من اليمين) وموطى غور.

مع رئيس الوزراء ربين (من اليسار) في جولة على طول الحدود اللبنانية .

وزير الدفاع شمعون بيرس (من اليسار) في جولة مع رفول في الحدود الشمالية .

ثانية قبل الهبوط بالمظلة ، بباب الطائرة .

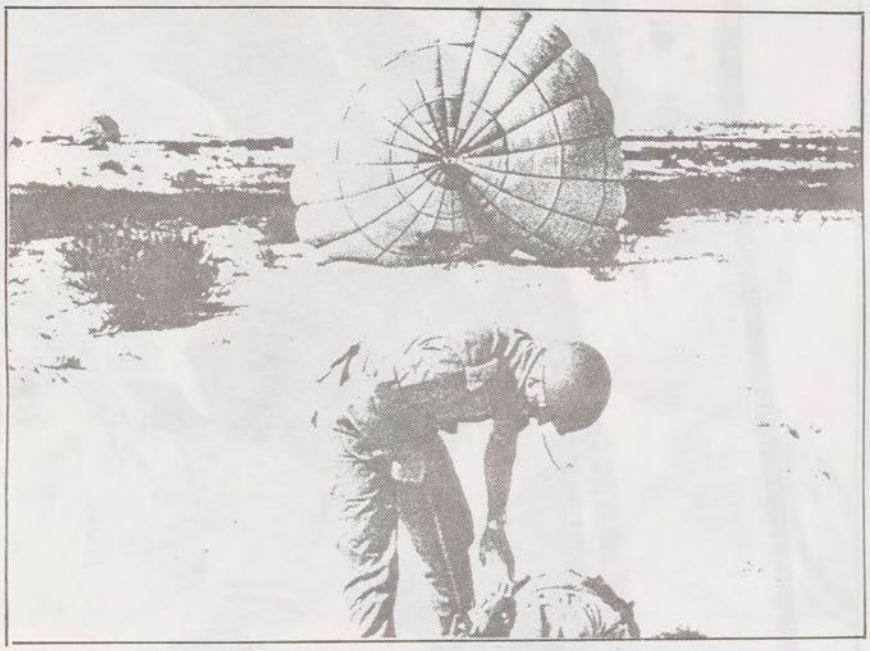

رفول يطوي المظلة بعد الهبوط.

إغفاءة قصيرة على المدرج قبل الهبوط.

مع الابن يورام (طاب ذكراه) قبل هبوط مشترك .

رئيس الوزراء بغين (من اليمين) ووزير الدفاع وايزمان (من اليسار) يقلدان رفول رتبة رئيس الاركان العامة

رئيس الاركان العامة غور (من اليمين) يصافح رئيس الاركان العامة رفول (من اليسار) عند تسلمه منصبه

وبينهما رئيس الوزراء بغين

ضباط أمريكيون يؤدون التحية لرفول في مراسيم تغيير قيادات الاسطول السادس . نابولي ١٩٧٩

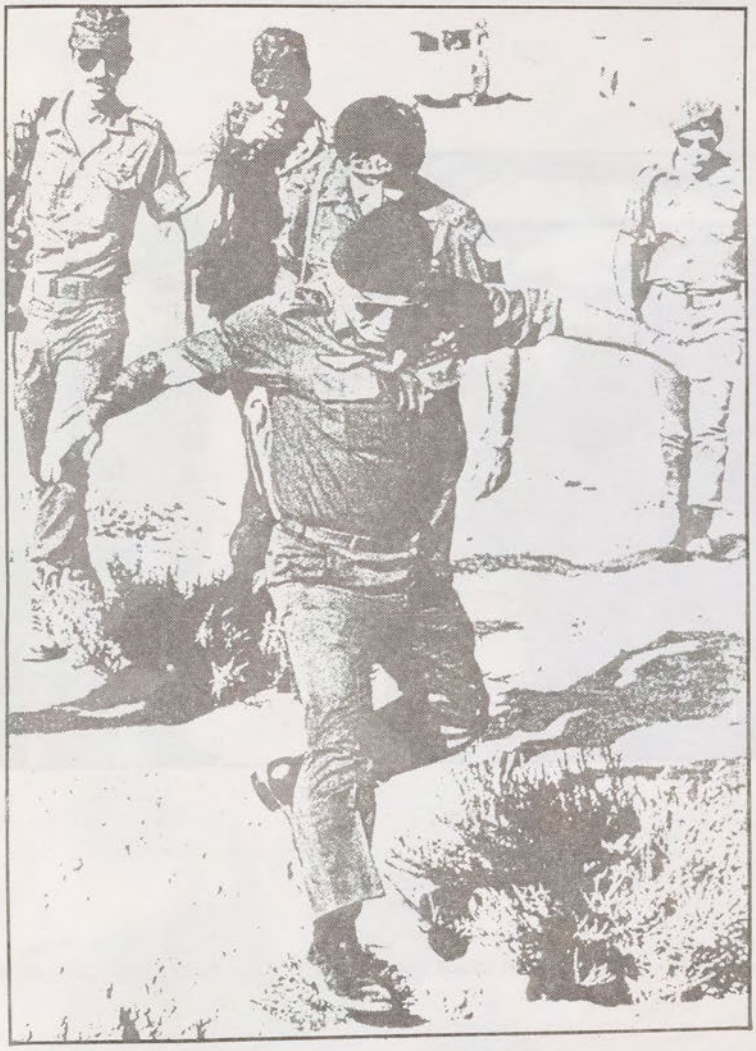

أي «حركة تعبوية» يمثلها رفول ، في تمرين بالجنوب ١٩٧٩ ؟

رفول (من اليسار) مع نائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري (في الوسط) ويانوش بن جال .

رئيس الاركان العامة رفول (من اليسار) يصف لبشير جميل (امامه من اليمين) سير معارك لبنان ، في أثناء التقاء قوات المظليين القوات المسيحية شرق بيروت .

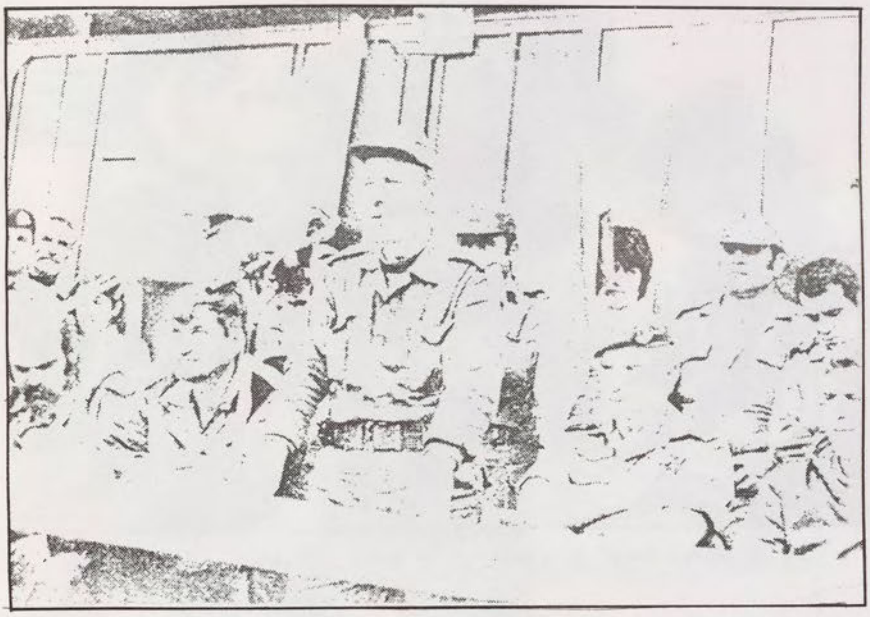

الرائد حداد (رفول جنبه من اليمين ويانوش من اليسار) في مراسيم مرور خمس سنين على الجدار الطيب في مطوله .

رفول (من اليسار في لقاء مع فادي فارم ، من زعماء المسيحيين ، في الدخول الى بيروت .

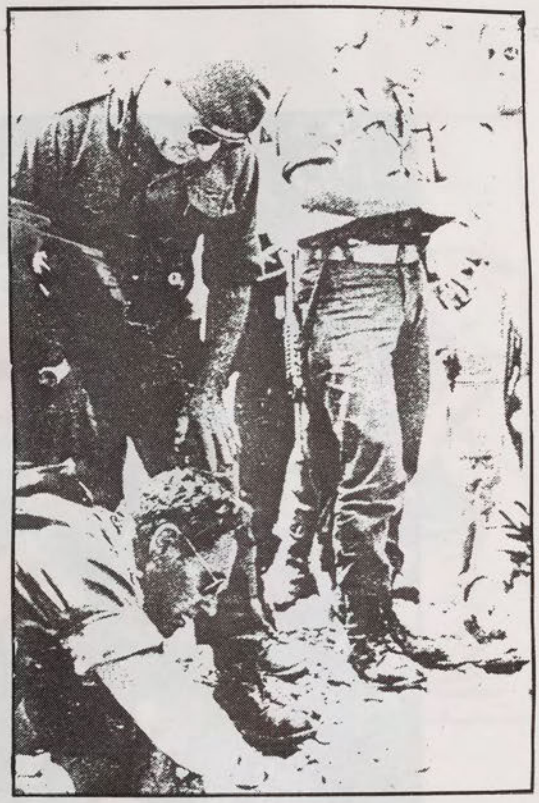

رفول في تفحص مكان سقوط

قذيفة في الشمال .

رفول قرب معسكر اللاجئين شاتيلا .

رفول في زيارة لجبال الشوف .

رفول في حديث مع جنود في وسط لبنان ، في حرب لبنان .

في مؤتمر صحفي في بيروت الغربيه

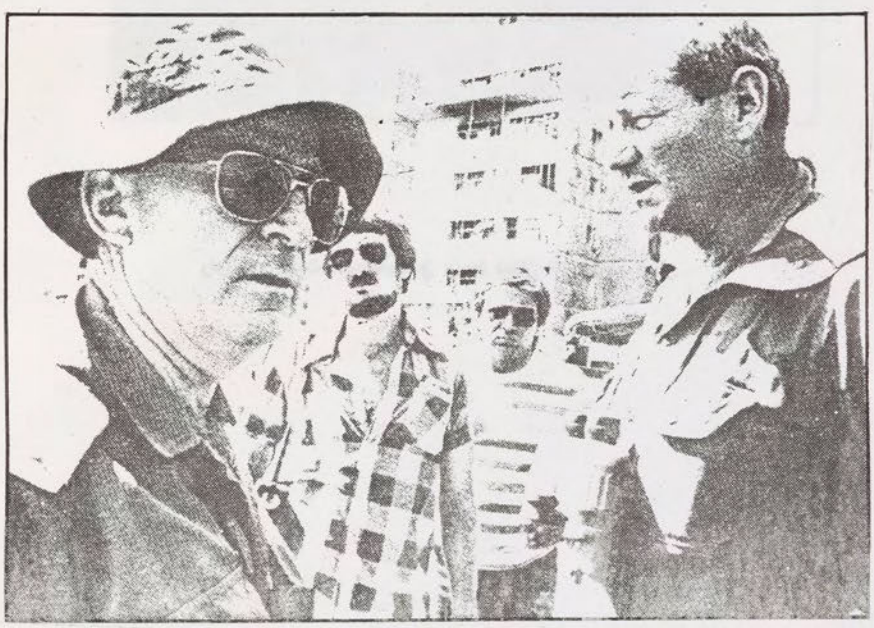

مع العميد دروري (من اليمين) في بيروت الغربية .

في جولة مع قوات مقاتلة بلبنان .

مع وزير الدفاع اريك شارون (من اليسار) في نقطة مراقبة عبر سهل لبنان .

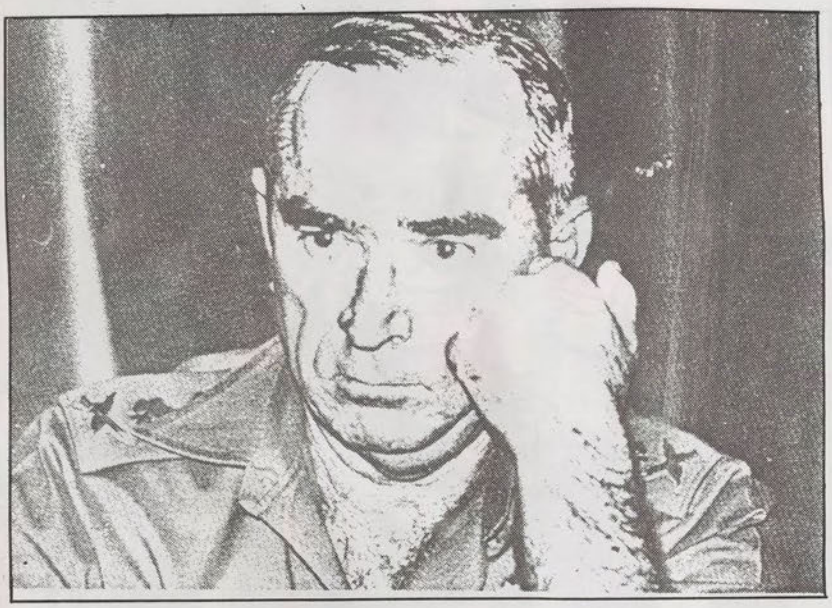

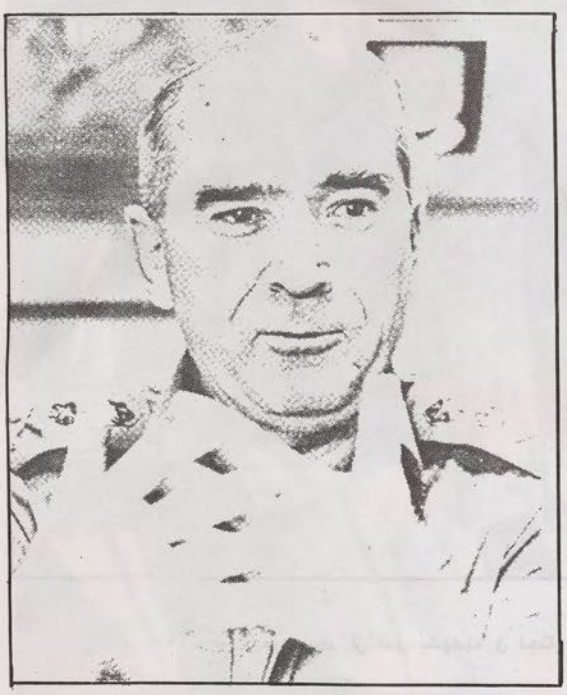

رفول في حرب لبنان .

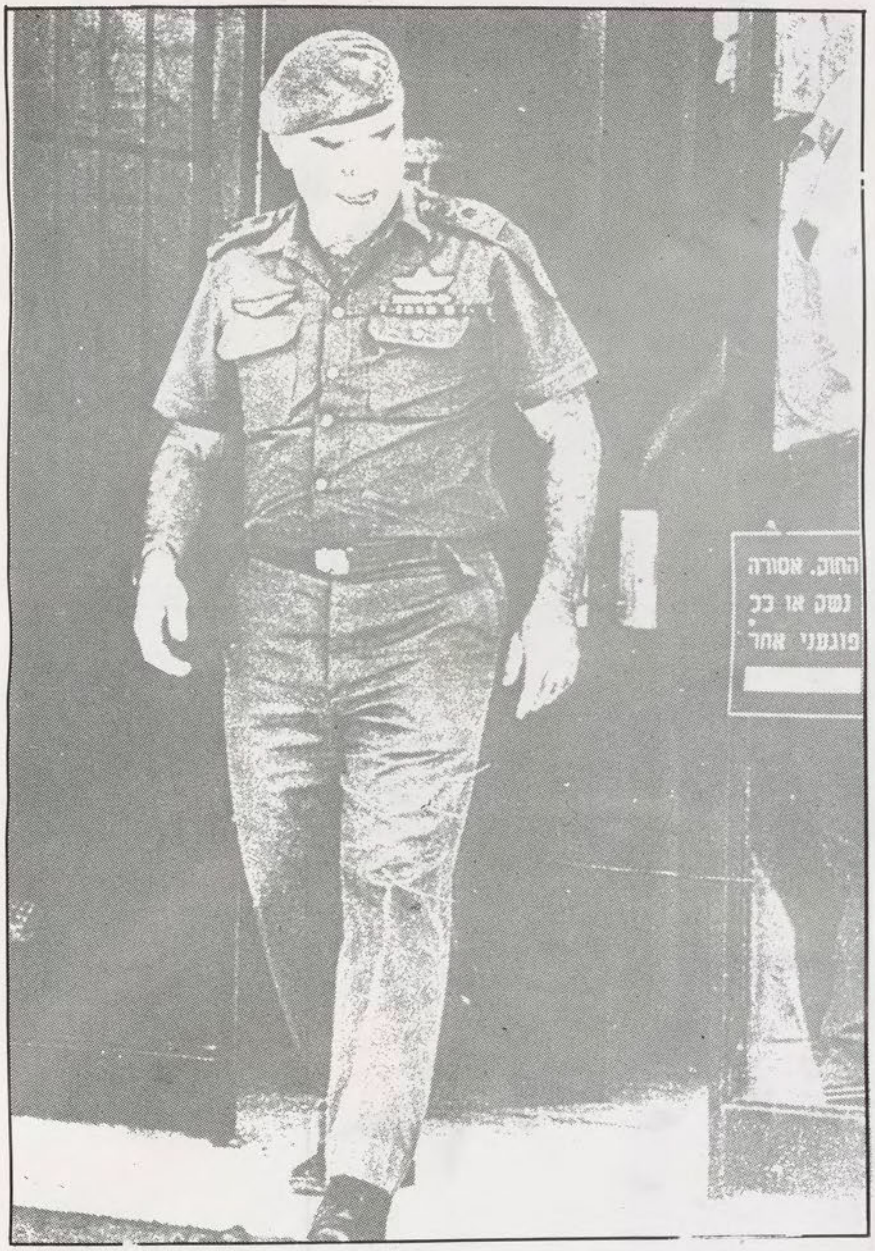

رامور يخرج بعد أن ادلى بشهادته فى لجنة كاهان .

في مراسيم تبادل منصب رئيس الاركان العامة مع اللواء موشه ليفي (من اليسار).

مع اللواء موشه ليفي (من اليسار) بينهما ـ عاموس يارون .

مع يريئل شارون (من اليسار) .

في مؤتمر صحفي مع رئيس الوزراء بغين .

مباراة بروكطيقا مع ابن ضابط من جنود افريقيا ، بحدود انغولا - إثيوبيا .